سيكولوجيـة الشخصيـة

أستاذ دكتور

سهير كامل أحمد

رئيس قسم العلوم النفسية ــ العميد الأسبق

كلية رياض الأطفال

جامعة القاهرة

٢٠٠٣

مركـز الإسكندريـة للكتـاب

٤٦ شارع د/مصطفى مشرفة

تليفون: ٠٣/٤٨٤٦٥٠٨



بسم الله الرحمن الرحيم



مُقَدِّمَة:

إن علم النفس يشغل الآن مكانة خاصة متميزة بين العلوم الإنسانية ولكل القضايا الإنسانية جانبها السيكولوجي، والشخصية محور الدراسات السيكولوجية وعند بحث الشخصية، تشغل قضية النظرية مكاناً مهماً جداً، وبقدر ثراء موضوع الشخصية فلا توجد ولا يمكن أن توجد نظرية واحدة تفسر وقائعها في نظام متكامل ومتناسق، إن المرحلة الجديدة من انتعاش البحوث السيكولوجية تتطلب تنظيراً جيداً، وهذا لن يتأتى إلا من خلال دراسة متفحصة للنظريات السيكولوجية، كما أن المعرفة النظرية تسبق تطور المطالب العملية في أي علم من العلوم، ومن الحيوي بالنسبة للبحوث السيكولوجية تدقيق موضوعها وصياغة نظريات خاصة ومنهاجيه خاصة للبحوث وهذا يعني بالنسبة للباحثين السيكولوجيين صياغة نظام للمعرفة السيكولوجية.

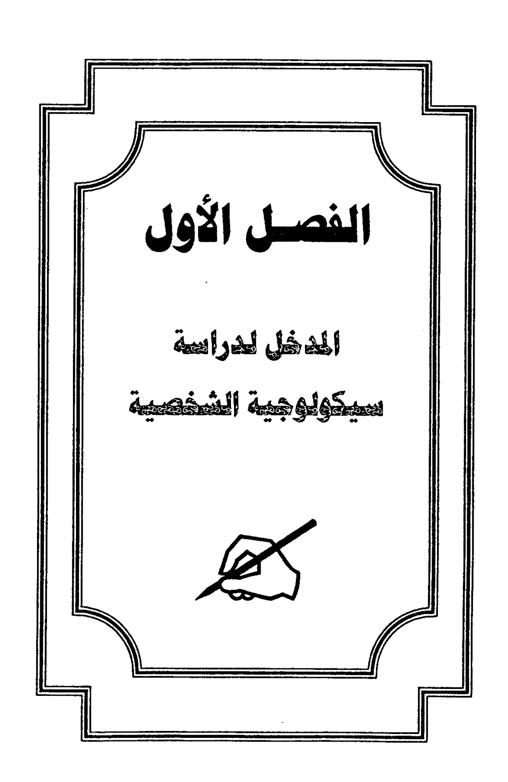
وبعد ... فإننا نقدم هذا الكتاب لكل المعنيين بدراسة الشخصية ونظرياتها وقياسها، ونرجو أن نكون قد قدمنا إسهاماً يثري هذا الميدان الحيوي والهام.

وكلنا أمل أن يقف الدارسين أمام النظريات موقفاً محايداً حتى تتكون لديهم معرفة علمية موضوعية، وتتكون لديهم خلفية نظرية من علم النفس تساعدهم على التنظير الجيد في دراساتهم المستقبلية.

والله ولي التوفيق،

دكتورة/ سهير كامل أحمد

٢٠٠٣



الفصل الأول

المدخل لدراسة سيكولوجية الشخصية



الفصل الأول

سيكولوجية الشخصية

قد لا يكون من باب المغالاة القول بـأن دراسـة موضـوع الشخصية يعتبر أكثر طرافة من دراسة أي موضوع آخر في مجـال علم النفس وهذا القول له ما يبرره لأن مصطلح الشخصية رغم ألفتـه وشيوعه فهو من أصعب الاصطلاحات فهماً وتفسيراً.

وتفيد الشخصية أولاً وجود كائن شخص، أي شخص لا مجرد صفات مجردة ولا روحا أو ما أشبه، (وإن كان القانون يعتبر لبعـض المنظمات شخصية معنوية)، كما تعنى كلمة الشخصية وحدة متكاملـة متضمنة ما في الشخص من صفات ومميزات وخصـائص جسـيمة وعقلية، موروثة أو مكتسبة بالإضافة إلى الجانب الاسـتبطاني مـن الشخصية ونظرة الشخص إلى ذاته. وإن كان اللفظ مشتقاً أصلاً مـن Persona أي القناع الذي كان يبدو فيه الممثل على المسـرح، فـإن الشخصية لا تقتصر على ما يبدو به الشخص بل تتنـاول الجوانـب العميقة التي قد يتجلى أثرها في السلوك أو التي تكشف بالاختبـارات ووسائل الدراسة النفسية وغيرها.

ويستخدم لفظ "الشخصية" أحياناً بمعنى قوة الشخصية أو بروز سمات خاصة فيها تجعل لصاحبها شخصية فذة فيقال أن فلاناً رجل له شخصية متميزة. ولا تصدر أنواع النشاط المختلفة عن الإنسان مستقلة بعضها عن بعض، بل إنها تصدر جميعاً في صـورة متناسـقة عـن شخصية واحدة متكاملة. وتتكون شخصية الإنسان نتيجة تأثير كثير من العوامل، وهي تمر بكثير من مراحل النمو. وقد تكون الظروف التـي

ينشأ فيها الإنسان حسنة فتنشأ شخصية سوية، معتدلة، متزنة، متواضعة، وقد تصاب الشخصية ببعض أنواع الاضطرابات فتختل، أو تنحرف أو يصيبها الشذوذ.

ومفهوم الشخصية يعتبر من المفاهيم الحيوية والتي اختلف حولها كثير من العلماء، ومن هنا نجد أنه لا يوجد اتفاق على تعريفها بل ونال المفهوم اهتماما كبيراً من دراسات علم النفس، وقد تعددت مفاهيم الشخصية تبعاً لتعدد وظائفها وتباين دعائمها واتساع ميدانها وكثرة مكوناتها ومقوماتها. فقد استخلص (البورت، ١٩٣٧) في مسح شامل للدراسة في مجال الشخصية قرابة خمسين تعريفاً مختلفاً صنفها إلى عدد من الفئات الواسعة.

والتعريف الجيد للشخصية يجب أن يركز على عدة اعتبارات هي:

التكامل: ويتضمن كون الشخصية ليست مجرد مجموعة الصفات التي تكونها وإنما الوحدة الناتجة منها، فقوة الشخصية تقاس بقدر ما يكون بين مكوناتها من تماسك وانسجام وتكامل.

الدينامية: وتشير إلى أهمية التفاعل المستمر بين عناصر الشخصية المختلفة.

الصفات الثابتة نسبياً في الشخصية: وهي تلك التي لا تتغير كثيراً على طول الزمن مثل هيئة الجسم والذكاء العام والاستعدادات الموروثة ــ كما أن الشخصية ليست مجرد النواحي الجسمية فحسب ولكن تتضمن أيضا النواحي الأخرى كأمال الشخص وأفكاره ومشاعره وما يحب ويكره وميوله ...إلخ.

كما لا يمكن دراسة شخصية لفرد منعزلاً عن المجتمع الــذي يحيط به بل لابد من دراسته، خلال تفاعله الاجتماعي مع بيئته التــي يعيش فيها. **التمييز**: أي الطابع الفريد لكل فرد وهو الذي يجعل كــل فرد مختلفاً عن غيره وهذا التمييز هو الأساس الذي يقوم عليه معنــى الشخصية فلكل فرد شخصيته الفريدة والمميزة.

وللشخصية مكونات رئيسية يجب ألا نغفلــها عنــد دراســة شخصية أي فرد وهي النواحي الجسمية وهي التي تتعلق بالشكل العام للفرد وصحته من الناحية الجسمية، والنواحي العقلية المعرفية، وهــي التي تتعلق بالوظائف العقلية العليا كالذكاء العام ـ القدرات الخاصــة، والنواحي الانفعالية المزاجية وتتضمن أســاليب النشــاط الانفعــالي، والنواحي البيئية وهي التي تتعلق بالعواطف والاتجاهات والقيم التــي تمتص من البيئة الخاصة بالفرد كالأســرة والمدرســة والمجتمــع .. والنواحي الخلقية التي تميز صاحبها في تعاملاته المختلفة.

وعلى هذا الأساس يجب أن ينظر للشخصية في ضوء أربعــة محددات وما بينها من تفاعلات وهذه المحددات الأربعة هي: المحددات التكوينية (البيولوجية)، ومحددات عضوية الجماعة، ومحددات الــدور الذي يقوم به الفرد، ومحددات الموقف.

١- المحددات البيولوجية للشخصية:

يميل بعض علماء النفس إلى توكيــد أن "الطبيعــة الإنســانية اجتماعية في أساسها وأن الأساس البيولوجــي للســلوك هــو القــدر المشترك بين الإنسان والحيوانات الأخرى".

ولكن لا يمكننا أن نغفل أهمية الجوانب البيولوجية في دراسة الشخصية. فيذهب "وليم روجرز"، إلى أن إدخال المجال البيولوجي في دراسة الشخصية، من شأنه أن يوسع أفقنا ونظرتنا لهذا المجال الجديد الذي لا يزال في المهد ــ مجال دراسة الشخصية ــ ويستمد الاتجاه البيولوجي الكثير من أفكاره من علم البيولوجيا وعلم الفسيولوجيا وما يتصل بهما في نظرتهما للشخصية وكيف تتكون وكيف تنمو وكيف تتعدل.

ويركز أنصار الاتجاه البيولوجي في دراسة الشخصية اهتمامهم على مجالات متعددة، أهمها:

- **دراسة الوراثة:** فالأفراد يختلفون بعضهم عن بعض تحت تأثير العوامل الوراثية، وبصرف النظر عن الظروف والتأثيرات البيئية المحيطة بهم.
- **دراسة الأجهزة العضوية:** والعلاقة بين وظائفها وأنماط الشخصية.
- دراسة التكوين البيوكيميائي والغددي للفرد.

٢- محددات عضوية الجماعة:

إن الشخصية ليست شيئاً ثابتاً لا يقبل التغير منذ الولادة، فمن الخصائص الأساسية للإنسان قدرته على التغير نتيجة مايمر به من خبرات وتعلم. وإذا كان سلوك الحيوان يتحدد إلى درجة كبيرة بغرائزه بحيث لا نحتاج إلى معرفة الشيء الكثير عن تاريخ حياة الحيوان من أجل التنبؤ بسلوكه، فإن الأمر يختلف بالنسبة للإنسان حيث يحتاج إلى معرفة تفصيلية عن خبرات الفرد الماضية وبيئته وثقافته التي نشأ فيها

من أجل الحكم على سلوكه ونمو شخصيته. وبدون هذه المعرفة يتعذر علينا فهم حتى أبرز الخصائص في شخصية الفرد.

وقد قسم "لويس ثورب" البيئة إلى أقسام ثلاثة هي في الحقيقة مترابطة بشكل وثيق، وهذه الأقسام هي:

- البيئة الطبيعية.
- البيئة الثقافية.
- البيئة الاجتماعية.

(٣) محددات الدور الذي يقوم به الفرد:

إن الدور الذي يؤديه الفرد في الحياة إنما يشير إلى كل من الفرد والمحيط الاجتماعي الذي يوجد فيه. فمفهوم الدور يذكرنا باستمرار أنه لفهم سلوك فرد ما، يجب أن ننتبه في الوقت نفسه إلى خصائص شخصيته وإلى الموقف الاجتماعي الذي يوجد فيه.

وفكرة الدور تسمح لنا بربط السلوك الفردي بمعايير جماعية معينة تتصل بالسلوك "المتوقع" من الفرد حسب سنه وجنسه وتخصصه المهني والوظيفي.

فالدور هو نوع مشتق من المشاركة في الحياة الاجتماعية، أو هو ببساطة كما عبر عنه "جوردون ألبورت"، ما يتوقعه المجتمع من الفرد الذي يحتل مركزا معيناً داخل الجماعة.

ويحدد كل مجتمع من المجتمعات الأدوار الاجتماعية التي يتوقع من أفراده القيام بها في حياتهم العادية كدور الأب، دور الأم، دور الابن الأكبر، دور الولد الذكر، دور الأبن (داخل الأسرة). وهذا

التفاعل المتبادل بين الأدوار المختلفة يكون ما نسـميه باسـم النظـام الاجتماعي والأسرة.

فالطفل عندما يتعلم القيام بدوره في الأسرة يتعلم في الوقـت نفسه الأدوار التي يقوم بها الأب والأم والأخـوة الكبـار، فـأدوارهم متبادلة مع دوره. وهم بالنسبة له بمثابة نماذج يقوم بتقليدها، وتحـدث جميع هذه الأدوار أثراً هاما في عملية التطبيع الاجتمـاعي والتثقيـف الذي يحتاج إليه في حياته بعد ذلك.

ومن الواضح أن للفرد الواحد مجموعة كبيرة من الأدوار فـي حياته الاجتماعية، وليأخذ كل منا مثال من الأدوار المختلفة التي يقـوم بها في حياته.

وقد يحدث أحيانا ما نسـميه بصـراع الأدوار، فكثـيرا مـا يتعارض دور المرأة العاملة مع دورها كأم، وما يتطلبه منها هذا الدور من رعاية الأبناء والإشراف على تربيتهم ودورها كموظفـة ملتزمـة بواجبات عملها ومواعيده.

٤- محددات الموقف:

المحدد الرابع من محددات الشخصية على نحو مـا وضعـها كلاكهون وموري وشنيدر، هو محدد الموقف. وما أكثر المواقف التـي يمر بها الفرد في حياته، وما أكثر تأثيرها في شـخصيته، بـالطبع لا يمكن النظر إلى الشخصية كما لو كانت مستقلة عن المواقف التي تمر بها أو توجد فيها، فحتى العمليات البيولوجية أو الفسيولوجية تتطلـب وجود أجهزة داخلية أو عوامل بيئية ومواقف تتحقـق فيـها. فعمليـة التنفس مثلاً تتضمن وجود رئتين داخليتين وفي الوقت نفسـه وجـود

هواء خارجي لازم لعملية التنفس. وعملية الهضم هي الأخرى تتضمن الإحساس الداخلي بالجوع. وفي الوقت نفسه تتطلب وجـــود الطعـــام اللازم لإشباع هذه الدوافع، وبهذه العوامل الداخلية والخارجية معاً يتـم إغلاق دائرة السلوك.

وكما يقول جون ديوي: أن الأمانة والمحبة والشجاعة والبخـل والكرم وعدم تحمل المسئولية أو تحملها ليســـت ممتلكـات خاصـــه بالفـــرد، بل توافقات أو تكيفات فعلية لقدرات الفرد مع قـــوى البيئـــه فليس ثمة شيء يمكن أن يعد ذاتياً أو شخصاً دون أن يكون في الوقـت نفسه إنعكاساً للبيئة المادية والاجتماعية والثقافية والمواقف التي يمـــر بها الفرد.

وهكذا، فالموقف الذي يوجد فيه الفرد يلعب دوراً هامـــاً فـــي سلوكه فقد يكون الفرد قائدا في موقف وتابعا في موقف آخـــر. رغـم توافر شروط القيادة لديه في كلا الحالتين.

تلك هي المحددات الأربعة للشخصية ولكن ما ينبغي أن نؤكـــ عليه هو أن هذه المحددات لا تعمل مستقلة إحداهما عن الأخرى بـــل تعمل متوقفة إحداها على الأخرى، فهناك ارتباط وتفاعل واضح بيـــن هذه المحددات بعضها وبعض.

الشخصية والنظرية:

إن تاريخ الفكر الإنساني مفعم بالنظريات التي ذهب إليها بنـــو البشر منذ أقدم ما عرفته الحضارة، فلقد حاول الناس على مر العصور أن يقفوا على أسرار النفس البشرية وأن يتفهموا ما تنطوي عليه مـــن البواعث التي تظهر آثارها في رضى المرء عن حياته أو شقاؤه بها.

ووضعت تعريفات عديدة للنظرية، وكل تعريـــف حــاول أن يبرز وجهة نظر معينة فقد عرف بيبر Pepper النظرية بأنها "عُـرف أو اصطلاح إنساني يستعمل في حفظ الحقائق بشكل منتظـــم"، ولـــهذا يرى بيبر بأنه حتى يستطيع الإنسان الاستفادة من النظريـــة لابـــد أن تتضمن مجموعة من الحقائق العلمية تقوم بينها روابط قوية ومؤثـــرة بعضها ببعض.

فالنظرية يجب أن تحتوي كما يرى هول لنـــدزي Hall & Lindzey على مجموعة من الافتراضات المناسبة تترابط مع بعضـها البعض بطريقة منظمة، بالإضافة إلى احتوائها على مجموعــــة مــن التعاريف العلمية المبنية على الملاحظة والاختبار.

وتتكون النظرية من مجموعة فروض ذات صلة بموضوعـــها يرتبط بعضها البعض الآخر ارتباطاً منظماً، كما يجـــب أن تتضمـــن مجموعة من التعريفات التجريبية، والنظري الجيد هو الذي يستطيع أن يستخلص فروضاً مفيدة أو تنبؤية تتصل بالوقائع التجريبية في مجالـــه، وتؤدي النظرية إلى جمع أو ملاحظة علاقات تجريبيـــة ذات صلـــة، وذات أهمية لم تلاحظ بعد ــ كما أن النظرية نفسها تفترض ويتحـــدد قبولها أو رفضها بمقدار نفعيتها ــ والنظرية طريقـــة مفيـــدة لتنظيـــم وتبسيط الحقائق وصولاً إلى قوانين وافتراضات عامة.

وتوجد النظرية في مقابل الحقيقة، فالنظرية فرض لم يتحقـــق بعد وعندما تتأيد النظرية تصبح حقيقة، فنجد أن النظرية مجموعة مـن المتواضعات خلقها صاحب النظرية، واعتبار النظرية مجموعة مـــن المتواضعات يؤكد أن النظريات في الحقيقة معطيات الطبيعة، وتحددها البيانات، وبالتالي فإن النظرية إما أن تكون مفيدة أو غير مفيدة طبقـــاً

لمدى كفاءتها في توليد التنبؤات أو القضايا المتعلقة بالوقــائع الهامـــة والتي يثبت التحقق من صدقها، هذا ولكل علم من العلوم نظرياته التي يستند إليها في تفسير الحقائق ونظريات الشخصية هي تلك النظريـــات التي تصف الشخصية وتفسر طريقة اكتسابها وهـــي مجموعـــة مـــن المحاولات تهدف إلى تشكيل صور لمختلف جوانب السلوك الإنســاني، وعادة ما تظهر هذه النظرية في إطار كلي ينظر إلى الإنسان ككل.

ويرى البعض أن النظرية الجيدة هي النظرية القــادرة علـــى تفسير أحاسيس الإنسان ومدركاته وقيمه وحوافزه وقدرته على التعلـــم وعلى التغير وميله إلى الانتماء للآخرين بشرط أن يقوم ذلك بشــــكل يتناسب مع مفاهيمها، وتركز نظريات الشخصية على عـــاملين همـــا البناء والدينامية، فلابد أن تعمل النظرية أية نظرية على تنظيم صياغة جوانب الشخصية المختلفة وإجرائها في نظام معين ثابت يمكن التعرف من خلاله على المخطط العام للشخصية، والإجـــراءات الداخلـــة فـــي تركيبه، هذا من حيث البناء، أما الدينامية فيقصد بها مجموع العمليــات الوظيفية التي تقوم بها الأجزاء الداخلة في تركيب الشخصية وكيفيـــة تفاعلها وتفسيرها.

إن تعريف الشخصية يعتمد على النظرية التي يعتنقها الباحث، فإذا أكدت نظريته في الشخصية مفهوم التوافق أو التكامل جاء تعريف الشخصية متضمناً لـــهذه المفـــاهيم باعتبارهـــا صفـــات الشـــخصية، فالشخصية إذن تعرف بالمفاهيم التي تكون جزءاً من نظرية الشخصية التي يعتنقها الباحث، والشخصية تتكون من مجموعـــة مـــن القيـــم أو الألفاظ الوصفية التي تستخدم لوصف الفرد تبعاً للمتغيرات أو العوامل التي تحتل مركزاً هاماً من النظرية التي يعتنقها صاحبها.

وتتكون نظرية الشخصية من مجموعة من الفروض تتصـــل بالسلوك الإنساني بالإضافة إلى التعريفات التجريبية، كما أنها يجب أن تكون شاملة نسبياً وتكون مســـتعدة لمواجهـــة أو إصــدار التنبــؤات بخصوص نطاق واسع من السلوك الإنساني، ومستعدة لمواجهـــة أي ظاهرة سلوكية يمكن أن تتضح دلالاتها بالنسبة للفرد.

وتدين نظرية الشخصية في نشأتها بـــالكثير للمـــهن الطبيـــة ولمقتضيات الممارسة الطبية، ومن المعروف أن علم النفس نما فـــي أواخر القرن التاسع عشر كابن للفلسفة والفسيولوجيا التجريبية، ولنا أن نتتبع تطور علم النفس لنصل إلى دور نظرية الشـــخصية فـــي هـــذا التطور.

فقد شهد القرن التاسع عشر طفولة علم النفس العلمي الحديـــث ومحاولاته للوقوف على قدميه، وكان ذلك على يد فونـــت "Wunt" عام (١٨٧٩)، عندما أنشأ أول معمل تجريبي لعلم النفس في جامعـــة "ليبزج" بألمانيا، ونهج فونت وتلاميذه في البداية منهج الاســـتبطان أو التأمل الداخلي، وهو يرى أن للظاهرة النفسية جانباً موضوعيا وجانبـــاً ذاتياً ولا نستطيع الإلمام بالظاهرة إذا أهملنا الدراسة الذاتية وتتبع مـــا يحدث في العقل من عمليات شعورية، وأنه لابد من ملاحظـــة الفـــرد لنفسه وحالاتها وما يحدث فيها من عمليات ذهنية وما يشعر به ومـــا يعتريه من انفعال وما يصدر عنه، وتسجيل ذلك أو سرده لملاحظاتـــه، وثمة نوعان من التأمل الباطني: النوع المباشر، وهو ملاحظة المـــرء لعملياته وحالاته وقت حدوثها، والنوع الثاني، استرجاعي بـــأن يـــدع المرء عملياته العقلية تسير سيرها الطبيعي دون توجيه انتباه مركز، ثم يحاول تذكرها ووصفها بعد ذلك بمدة قصيرة، ذلك لأن وقوف الفـــرد

من نفسه ــ في النوع المباشر ــ موقف المجرب والملاحظ وتوجيـــه انتباهه للظاهرة قد يؤثر عليها أو يغيرها أو يخففها، ولا ســـيما فـــي الانفعال فلا يدعها تسير سيرها الطبيعي، وبذلك قد تتطلب السلامة في التأمل الذاتي أن تأتي الظاهرة عفواً على سجيتها ثم يجيء دور التأمل والملاحظة.

ولم تتخلف أمريكا عن ركب المساهمين في تطور علم النفس، وقد نشر كاتل عام (١٨٩٠)، مقالاً استخدم فيه لأول مرة في قـــاموس علم النفس كلمة اختبارات عقلية، وكان هذا سببا في تصميم اختبـارات متعددة ضمن هذا النوع في أواخر القرن التاسع عشر.

وارتبط علم النفس في الاتحاد السوفيتي بعـــالم الفســيولوجي "بافلوف" (١٨٤٩-١٩٣٦) ومفاهيمه في وظائف الجهاز العصبي، وقد أفاد علم النفس بنتائج الانعكاس الشرطي الذي اكتشـــفه أثنـــاء قيامـــه بتجاربه على الجهاز الهضمي وتشعبت تجاربه لدراسة التنبيه والكــف الشرطيين في الحالات السوية، أو بعد قطع أجزاء معينة من الدمـــاغ، وكانت تجاربه كلها بقصد الدراسة الفسيولوجية، ولكن النتـــائج التـــي أسفرت عنها تجاربه في الاشتراط كانت ذات قيمة في ميـــادين علـــم النفس السوي والمرضي واعتبر "بافلوف" صاحب مدرســـة ترابطيـــة تدخل في عداد المدارس السلوكية.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية ظهرت أبحاث ثورنديك والتي نشرها في كتابة "ذكاء الحيوان"، وشملت دراسة تجريبية على عمليـات الارتباط عند الحيوان، ومنذ ذلك الحين أثر ثورنديك بشكل مباشر على نظريات التعلم وعلم النفس والتربية تأثيراً امتد ٤٠ عام والتي قدمـــها

في كتابة "الطبيعة الإنسانية والنظام الاجتماعي"، الـــذي نشـــر عـــام (١٩٤٠).

وكانت طريقة ثورنديك في البحث تقوم فـــي الأســـاس علـــى المشاهدة وحل المشكلات وإجراء تجاربه على الحيوانـــات، وخـــرج ثورنديك بقوانين للتعلم لا يخلو مرجع ــ لعلم النفس التربوي ــ منها. وهذه القوانين قانون الاستعداد، وقانون المران أو التدريـــب، وقـــانون الأثر وكان يعدل من قوانينه كلما تطلب الأمر ذلك نتيجـــة للتجريـــب والتنظير.

ثم ظهر في ألمانيا مجموعة مـــن العلمـــاء أمثـــال فرتيمـــر (١٨٨٠- ١٩٤٣) وكوهلـــر (١٨٦٧- ١٩٦٧) وكوفكـــا (١٨٥٦- ١٩٤٩)، تهاجم مفهومات فونـــت وأطلقـــوا علـــى أنفســـهم مدرســـة الجشطلت، وقد نشأت فكرة الجشطلت معارضة للبنائية التي اســتخدمت منهج الاستبطان لتكشف به كيمياء العقل، ومعارضة في نفس الوقـــت للسلوكية التي حاولت جعل علم النفس نظير للعلوم الطبيعية باعتبـــار أن جوهر العلم هو القياس وأن موضوع علم النفس يجـــب أن يكـــون السلوك الظاهر الذي يمكن قياسه والتأكد من ثباته واعتبر الجشطلتيون أن في هذا تجزئ وتفتيت للسلوك واختزال يحـــاول رد الكـــل إلـــى عناصره الأولية، والواجب عند الجشطلت هو أن ندرس كيف يـــدرك الناس العالم من حولهم وأن المجال الإدراكي للفرد يتكون من وقـــائع منظمة وذات معنى، وهي التي يجب أن تكون موضع دراســـة علـــم النفس وبناء على ذلك فإن القضية الأولى عند الجشطلت هي: كيـــف تنمي الكائنات الحية فهمها لبيئتها بما يسمح لها بالتكيف مع هذه البيئـــة بصورة فعلية ومن ثم ينبغي ألا يكون التعلم مجرد البحث فـــي كيـــف

يرتبط شيء بآخر وكيف تنشأ علاقـــات ميكانيكيـــة بيـــن المنبـــهات والاستجابات، وإنما ينبغي أن يكون: ما هي الشروط اللازمة لتحقيـــق الفهم الحقيقي لمشكلة ما والوصول إلى حلها .. وأطلقوا علــــى تلــك العملية اسم الاستبصار.

ومن الأسماء الشهيرة في علم النفس المعاصر هو واطســـون (١٨٧٨-١٩٥٨) وقد أعجب واطسون بأبحاث بافلوف لأنـــــها تقــدم أسلوبا موضوعياً لتقويم السلوك دون الاعتماد على التحليل الاستبطاني أو العقلي (فونت) ووجد في أعمال بافلوف مخرجاً لعلم النفـــس فـــي أمريكا للانتقال من المنهج العقلي إلى علم أكثر موضوعيـــة، وبذلــك أطلق صيحته "السلوكية"، وهي ذلك الاتجاه الــذي يرفــض اســتخدام مصطلحات العقل والوعي والوجدان مفضلاً دراسة الأفعال الســـلوكية بصورة مباشرة، واعتبر علم النفس علماً تجريبياً موضوعياً للســلوك. والشخصية عنده هي مجموعة من الأفعال المنعكسة المطوعـــة أمـــا الانفعالات فهي ناشئة عن الوراثة والخبرة. وهو يـــرى أننـــا نـــرث انفعالات الخوف والغضب والحب ومن خلال التطويع وترتبـــط هــذه الانفعالات الأساسية الثلاثة بمختلف الأشياء، كما كان من أشد النـــاس لتأثر البيئة في السلوك تعصباً.

وفي فرنسا بذل بينيه وزملاؤه علماء النفس سنوات طويلة فـي بحث قياس الذكاء، وحاولوا الوصول إلى ذلك بمختلف الطرق، وانتهوا إلى أن أفضل طريقة لقياس الذكاء هو أن تقـــاس العمليـــات العقليـــة المعقدة وقد ساعد بينيه على تطبيق أفكاره حين طلب منه وزير التربية الفرنسي تأليف لجنة لعزل الأطفال المتأخرين عقليـــاً مـــن المـــدارس الفرنسية، ولهذا وضع بينيه مع ســـيمون أول اختبـــار للذكـــاء عـــام

(١٩٠٦) المعروف حالياً باختبار ستانفورد بينيه للذكاء ومن ذلك الوقت تطور القياس العقلي تطوراً كبيراً كما تطور اختبار بينيه نفسه ولا يزال من أهم الاختبارات الفردية المستخدمة في قياس الذكاء.

ثم اكتشف علماء النفس أن اختبارات الذكاء التي صممت لقياس استعدادات الأفراد العامة لا تقيس في الواقع كل هذه الاستعدادات ولهذا لم يلبث علماء النفس أن تبينوا أنه لابد من تصميم اختبارات خاصة لقياس القدرات الخاصة، فعملت اختبارات لقياس القدرة اللغوية وأخرى لقياس القدرة الميكانيكية ..إلخ.

وفي الوقت الحالي فإن حركة القياس العقلي وصلت إلى درجة كبيرة من الدقة، سواء كان ذلك في قياس الاستعدادات العقلية أو قياس التحصيل وتقويمه، كما اتجه علماء النفس والتربية إلى استخدام القياس لا لغرض مقارنة الأفراد بعضهم ببعض فحسب، وإنما لمقارنة الفرد بنفسه أيضاً حتى يمكن مساعدته في فهم إمكانياته وتوجيهه نحو الاتجاه الدراسي أو المهني المناسب لهذه الاستعدادات.

ومن العرض السابق نلاحظ أن تركيز علماء النفس تركز في بيان وفحص للوظائف النفسية والشعورية، كالإدراك الحسي والذاكرة والتعلم والتخيل وما إليها، ثم القدرات بأنواعها وأولها الذكاء ثم الاستعدادات الخاصة وتدبير أساليب قياسها.

أما التحليل النفسي، ويقال له أيضاً: علم نفس الأعماق، فقد ظهر على يد سيجموند فرويد (١٨٥٦- ١٩٣٩).

فقد ركز فرويد على ثلاث قضايا:

أولاً: منهج للبحث في العمليات النفسية اللاشعورية التي تستعصى على أي منهج آخر.

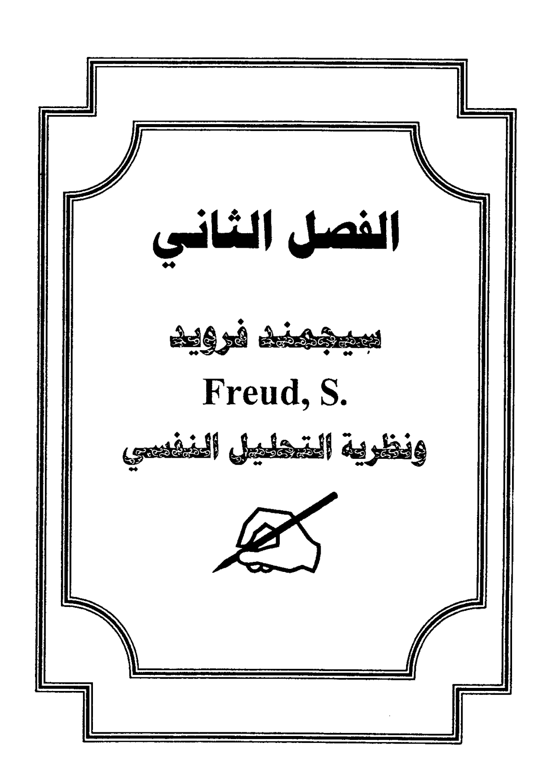
ثانياً: فن لعلاج أمراض النفس يقوم على منهج البحث المذكور.

ثالثاً: مجموعة من المعارف النفسية يتألف منها نظام علمـــي جديـد بالإضافة لذلك توصل فرويد إلى نظرية سيكوباثولوجية (علـم النفس المرضي) تزود الطبيب النفسي بتفسـير مـن منطلـق سيكولوجي لجميع أمراض النفس والعقل، فبعد أن كان الـرأي السائد حتى أواخر القرن الماضي لدى الأطبـاء أن مرضـى العقل انما يتصف تفكيرهم بالهذيان أي بالتخبط على غير هدى وبلا ضابط أو معنى يهدفون إليه، ولذلك بفضل اكتشاف يعتبر من أهم اكتشافات التحليل النفسي وهـو منطـق الأعـراض المرضية النفسية والعقلية، أي المعاني التي تنطـوي عليـها أعراض الأمراض النفسية والعقلية.

ولا يقتصر الأمر في التحليل النفسي علىالفهم والعلاج بـل إن التشخيص في كثير من الحالات يمتنع على الطبيـب النفسـي غـير المؤهل في التحليل النفسي، ويذكر زيـور: (..سـواء كنـا بصـدد التشخيص أو العلاج لمرض النفس فلابد للطبيـب النفسـي مـن أن يستخدم المنظور النفسي دائماً بالإضافة إلى المنظور الكيميائي أحيانـاً أي عندما يكون المنظور الكيميائي صحيحاً علمياً، آنذاك لنا أن نقـول وبحق أن علم نفس الأعماق بالقياس إلى النفس نظير علم الفسـيولوجيا

بالقياس إلى الجسم، فإذا جاز للطبيب النفسي أن يغفل علم الفسـيولوجيا جاز له أن يغفل علم نفس الأعماق).

هذا وسنعرض في الفصول القادمـــة لبعــض آراء أصحـــاب النظريات النفسية في الشخصية.



الفصل الثاني

سيجمند فرويد
Freud, S.
ونظرية التحليل النفسي



الفصل الثاني

فـــرويـــد

عكف فرويد طوال ما يزيد عن الأربعين عاماً علـــى دراســـة اللاشعور مستخدماً طريقة التداعي الطليق ــ ليطور أول نظرية شاملة للشخصية، نفذت إلى الأعماق. وقد هاجم فرويد سيكولوجيا الشـــعور التقليدية واعتبر أن علم النفس الذي يقتصر في تحليله على الشـــعور غير كاف بحال لفهم الدوافع الكامنة لسلوك الإنسان.

ولد سيجمند فرويد في مورافيا في السادس مـــن مـــايو ســـنة ١٨٥٦ ومات في لندن في الثالث والعشرين من سبتمبر ســـنة ١٩٣٩ ولكنه أقام في فيينا ما يقرب من الثمانين عاماً لم يتركـــها إلا عندمـــا استولى عليها النازيون. وقد قرر فرويد في شبابه أن يصبـــح عالمـــاً وتحقيقاً لهذه الفكرة التي ملأت عليه حياته دخل كلية الطب جامعة فينا سنة (١٨٧٧) وحصل منها على إجازة الطب بعد ثماني سنوات ولـــم يكن فرويد يهدف لممارسة الطب إلا أن الظروف الاقتصادية والأسرية جعلته يمارس الطب. وبالرغم من ممارسة الطب استطاع أن يمـــارس البحث العلمي ولقد ذهب فرويد إلى التخصص في علـــم الأعصـــاب وعلاج الاضطرابات العصبية.

وقد التقى فرويد بـــ(جـــان شـــاركوه) Jean Charcot فـــي باريس ذلك العالم الذي كان يستخدم التنويم المغناطيسي مع مرضـــاه وعندما عاد فرويد للنمسا استخدم ما تعلمه من شاركوه ولكنه اكتشـــف أن طريقة التنويم المغناطيسي لا تفلح مع بعض المرضى حيث أنـــه لا يستطيع تنويمهم أثناء العلاج لذلك أحس أنه لابد أن يحســـن طريقـــة

التنويم الإيحائي وفي هذه الطريقة يحث المريض على التحدث عن ذكرياته ومكبوتاته أثناء التنويم وقد جربها فرويد ووجد أنها مثمرة ومن ثم تعاون فرويد مع "بروير" في علاج بعض حالات الهستريا ولكن فرويد اختلف مع "بروير" فيما بعد حول تفسير العوامل النفسية المسببة للهستريا، فقد فسرها فرويد بأن سبب الهستريا هو اضطرابات في الغريزة الجنسية بينما فسرها "بروير" على أنها حالة من الحالات الشبه تنويمية ينفذ أثرها إلى اللاشعور. ولم يقتنع فرويد بهذا التفسير لذلك واصل أبحاثه منفرداً وحينما وجد أن طريقة التنويم الإيحائي لا تجدي مع بعض المرضى ابتدع طريقة جديدة وهي الإيحاء في اليقظة وأسماها طريقة التداعي الحر الطليق وكانت هذه الخطوة هي أولى الخطوات الجادة عن طريق التحليل النفسي.

ومن المستحيل في مثل هذا المجال أن نقدم عرضاً وافياً لأعمال فرويد وكتاباته، ويكفي الإشارة إلى أن كتابات فرويد السيكولوجية تقع في أربعة وعشرين مجلداً في طبعتها الإنجليزية والتي نشرت في (١٩٥٣) ومنها المؤلفات التالية: دراسات في الهستريا (١٨٩٥)، تفسير الأحلام (١٩٠٠)(*)، وعلم النفس المرضي (١٩٠٤)، ومقدمة عامة في التحليل النفسي (١٩١٧)، ومحاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي (١٩٣٣)، ومعالم التحليل النفسي ونشر هذا الكتاب بعد وفاة فرويد عام (١٩٤٠).

ومدرسة التحليل النفسي هي إحدى مدارس علم النفس التي اهتمت بدراسة السلوك الإنساني اللاسوي وبذلك ناقضت المدارس

(*) في عام (١٨٩٧) بدأ فرويد في تحليل نفسه وكانت أداته الوحيدة في تحليله لنفسه تفسير أحلامه، ولقد أدى هذا التحليل في النهاية إلى ما اعتبره الكثيرون أعظم كتب فرويد وتفسير الأحلام.

الأخرى التي درست الشخصية وركـــزت علـــى دراســـة الإحســـاس والإدراك والتعلم من حيث كونها موضوعات رئيسية في علـــم نفـــس الشخصية.

ولم تكن مدرسة التحليل النفسي معارضة لمدرسة بعينها مـــن مدارس علم النفس ولكنها نشأت خارجة عنهم وكان هدفها الأساســـي تفسير الاضطراب النفسي وعلاجه وأكدت أن اضطرابـــات الســـلوك أسبابه نفسيه وعضوية وبهذا خالفت أصحاب الاتجاه الجسمي الذيـــن أكدوا على أن سبب السلوك المضطرب هـــو اضطرابـــات عضويـــة بالمخ.

ويدل اصطلاح "التحليل النفســـي" Psychoanalysis وفقـــاً لتحديد فرويد على ثلاثة أشياء:

أولاً: منهج للبحث في العمليات النفسية التي تكاد تستعصى علـــى أي منهج آخر.

ثانياً: فن لعلاج الاضطرابات العصابية (النفسية) ويقوم علـــى منـــهج البحث المذكور.

ثالثاً: مجموعة من المعارف النفسية يتألف منها نظام علمي جديد.

وفي الواقع أن نظرية التحليل النفسي قد وجهت الأنظار إلـــى نقطة في غاية الأهمية لدراسة الشخصية الإنسانية وهي أن الخـــبرات الانفعالية في الطفولة المبكرة تترك أثراً باقياً في تكويـــن الشـــخصية الأمر الذي جعلنا نقرر أن بذور الشخصية وتحديد معالمها توضع فـــي فترة الخمس سنوات الأولى من حياة الفرد، ففي هذه الفـــترة يتكـــون

أسلوب الفرد في الحياة ويتحدد موقفه في المجتمع ومن نفسه، وتحـــدد نظرته العامة إلى الأمور وكذلك سمات الشخصية الأساسية.

ويعتبر العالم النفسي الكبير "سيجمند فرويد" في طليعة العلمـاء الذين عالجوا النواحي الجنسية وخاصة فيما يتعلـــق منـــها بالشـــذوذ الجنسي والانحرافات الجنسية النابعة من صميـــم الغريـــزة الجنســـية بالإضافة إلى ما عُرف عنه من تعمق في ضوء نظرياته العلمية فـــي التحليل النفسي وتفسير الأحلام والتنويم المغناطيسي.

فقد أضحى التحليل النفسي ميداناً مساعداً لعلم النفس، وذلك أنه أمتد منها علم الطبائع، التربية، علـــم الاجتمـــاع، علـــم الأســـاطير، الجماليات، تاريخ الأديان، تاريخ الحضارات ...إلـــخ، إلا أن التحليـــل النفسي هذا يبقى طريقة استكشاف عمليـــات اللاوعـــي فـــي النفســـية الإنسانية ووسيلة علاجية في مداولة بعض الأنـــواع مـــن العصـــاب (Neurosis) ومن الذهان (Psychosis).

وخلافاً للنظريات الوصفية والتصنيفية للشخصية فقـــد حمـــل التحليل النفسي تأويلاً أصيلاً تحت شكل نظرية دينامية متمحورة حـول مفاهيم أساسية لحقيقة الواقع النفسي مثل: اللاوعي، والنزوة، والحيـــاة الجنسية الطفلية، وعقدة أوديب .. وبذلك قدم التحليل النفسي نفسه كعلم نفس الأعماق، واكتسبت نظرية الشخصية من خلاله مكانة هامة فـــي علم النفس ويعود إلى فرويد فضل صياغة وتعميـــم منـــهج التحليـــل النفسي.

وما من شك أن أحد من مفكري العالم في تاريخه الطويل لـــم يوفق في الكشف عن مجاهل النفس الإنسانية في الصحة والمرض إلى مثل ما وفقه إليه سيجمند فرويد واضع التحليل النفســـي فلقـــد قضـــى

فرويد ما يقرب من خمسين عاما باحثا ودارساً ومستقصياً مظاهر النفس الإنسانية مجاهداً في نشر أراءه والدفاع عنها وداعياً إلى العمل على التحقق منها حتى استطاع قبل أن ينتهي أجله أن يظفر باعتراف العالم كله بفضله وبناء صرح من صروح العالم الحديث يفيد الناس فائدة تظهر نتائجها في كثير من نواحي الحياة.

إن من يتعرض لنظريات الشخصية عليه أن يبدأ بفرويد، أو أن ينتهي به، فكما يعتبر فرويد أبو التحليل النفسي، فإنه يعتبر كذلك — أبو نظرية الشخصية ذلك أن الغالبية العظمى ممن كتب في هذا المجال، قد بدأ من المقدمات المنطقيين الأساسية التي أقامها فرويد، على نحو ما نجد في كتابات يونج وأدلر من قدامى المحللين النفسيين وكارن هورني وسوليفان من المحدثين.

ورغم ما أثير حول التحليل النفسي وما وجه إليه من نقد، فقد أمدت حركة التحليل النفسي، علم النفس باتجاه دينامي في دراسة الشخصية — فكتابات فرويد تعتبر إحدى المحاولات الحقيقية الهامة في توكيد أثر خبرات الماضي وبخاصة خبرات الطفولة المبكرة — في تكوين الشخصية، فالشخصية في نظر فرويد هي "تنظيم نفسي أشبه بالبناء يتكون طبقة طبقة، وترتكز طبقاته العليا على طبقاته السفلى إلى حد بعيد".

وقائع النظرية:

بناء الشخصية عند فرويد

إن مفهوم الشخصية في علم النفس هـــو بنـــاء علمـــي أعــد خصيصاً لعرض وتوضيح الواقع النفسي للفرد ومن هذا المنطلق قســم فرويد في نظريته الشخصية لثلاثة نظم كل جزء منـــها لـــه وظائفـــه وخصائصه ومكوناته ولكن هذه النظم الثلاث تتفاعل معـــاً ولا يمكــن فصل تأثير كل منها عن الآخر وهي:

الهو "Id" وهو النظام الأصلي للشخصية وهو أكـــثر قـــوى الشخصية بدائية وهمجية ويتكون من كل ما هو موروث ســـيكولوجيا بما في ذلك الغرائز وهو يمثل الجانب المظلم من الشخصية الذي لـــم تمتد له يد المجتمع بالتهذيب أو التحوير ولا يعترف بالقيم أو المعـــايير أو الأخلاقيات ومبدأه هو السعي للحصول على الإشباع الفوري فـــلا تأجيل لدوافعه وحاجاته وهدفه الأساسي الحصول على اللذة ويتم ذلـــك من خلال عمليتين هما:

- **الفعل المنعكس:** وهو أرجاع ولادية آلية تؤدي إلى خفض التوتر.
- **العمليات الأولية:** وهي أرجاع سيكولوجية تخفض التوتر بتكويـــن صورة للموضوع المرغوب والمحرك الأساسي للهو هو (اللبيدو)، والهو لصيق بالإنسان لا يمكـــن تغيـــيره ولا يتـــأثر بـــالخبرة أو التجربة.

الأنا "Ego" وهو الممثل للعقلانية في مواجهة إندفاعات الهو وتهوره ويقوم بدور الوسيط بين الهو والعالم الخارجي وهو جزء مـــن الهو انفصل عنه بفعل احتكاكه بالعالم الخارجي ومبدأه الذي يعمل مـــن

خلاله هو الواقع؛ ولذلك يسعى لإشباع رغبات الهو وفقاً لمقتضيات الواقع ويؤجل الإشباع الغريزي حتى يتوفر الوقت والظروف الملائمة وبهذا يحدث تكيف بين واقع الفرد الذاتي والواقع الحقيقي وهذا الجزء وهو الأنا يستمد طاقته اللازمة من الهو الذي يعد مستودع الطاقة النفسية.

الأنا الأعلى "Super Ego" هو ذلك الجزء من الشخصية الذي يتكون في الطفولة المبكرة من خلال التعاليم السلوكية التي يلقاها الطفل من والديه عن طريق أساليب الثواب والعقاب فكل ما يدينه الوالدان ويعاقبانه عليه ينزع إلى ان يستدخله في ضميره والذي يمثل أحد شقي نظام الأنا الأعلى وكل ما يوافقانه عليه ويثيبانه عليه ينزع إلى أن يستدخله في أناه المثالي الذي يمثل الشق الآخر من الأنا الأعلى وبتكوين الأنا الأعلى يحل الضبط الذاتي محل الضبط الصادر عن الوالدين.

ديناميات الشخصية:

وهنا يوضح فرويد كيفية عمل الهو والأنا والأعلى وتفاعلها مع بعضها البعض ومع البيئة من خلال توضيح النقاط التالية:

الطاقة Enargy:

تأثر فرويد بمبدأ الحتمية الوضعية الذي وصف الكائن البشري كنظام معقد من الطاقة وهذه الطاقة لا تُفقد ولكن يمكن تحويلها من صورة لأخرى وهي المحرك الأساسي لأداء العمل وإذا كانت هذه الطاقة مرتبطة بأنشطة سيكولوجية كالتفكير والإدراك والتذكر سميت طاقة نفسية يمكن أن تتحول إلى طاقة فسيولوجية لأداء الأعمال وكل

جزء من أجزاء الشخصية يمتلك طاقة ولكن الأصل كله في طاقة الهو هي طاقة مرنة يمكن توجيهها أو إبدالها أو إزاحتها وتمتلك في البدايـة كل طاقة الجسم ثم تقل تدريجياً.

أما طاقة الأنا فمتزايدة لقدرتها الفائقة علـى خفـض التوتـر وطاقة الأنا مستنفذة في صراعها مع الهو والأنا.

وتقوم ديناميات الشخصية على كيفية توزيع واسـتخدام الـهو والأنا والأنا الأعلى للطاقة النفسية، ولما كان مقدار الطاقـة محـدود الكمية فإن الأنظمة الثلاثة تتنافس فيما بينها على الطاقـة الموجـودة ويتحكم واحد منها في كميتها ويسيطر عليها حساب النظامين الآخرين وما أن تتزايد قوة أحد هذه الأنظمة حتى يصبح النظـامين الآخـران بالضرورة أضعف ما لم يضف إلى النظام الكلي طاقة جديدة.

الغريزة:

رد فرويد الاعتبار إلى الغرائز في علم النفس البشري، ذلك أن غالبية الفلاسفة والأخلاقيين كانت قد أدانتها وكانوا يعتبرونها بوضـوح بمثابة عوامل تربط الإنسان بحالة الحيوانية وصرحوا بأنه لا يمكـن الوصول إلى شكل معين من الحضارة ممكناً لولا مواجهة هذه الغرائز بلا هوادة، لأنها أرواح حيوانية فعلاً بل أذاعوا أكثر مـن ذلـك بـأن الغرائز تحول دون وصول الإنسانية إلى الكمال وإنه لأمكن قيام حيـاة اجتماعية متجانسة لولا وجود الغرائز.

لقد رأى فرويد أن النشاط الإنساني كله يتحدد بالغرائز، وقـد يكون تأثيرها على السلوك ملتوياً مقنعاً وقد يكـون مباشـراً وسـافراً

فالناس يتصرفون لأن التوتر الغريزي يدفعهم إلـــى ذلــك وســلوكهم وتصرفاتهم تنقص التوتر.

افترض فرويد أن من الممكن إدراج الغرائـــز تحــت فئتيــن عامتين:

- غرائز الحياة.
- غرائز الموت.

تخدم غرائز الحياة غرض الحفاظ على حياة الفــــرد وتكـــاثر الجنس، ويندرج تحت هذه الفئة الجوع والعطش والجنس، ويطلق على صورة الطاقة التي تستخدمها غرائز الحياة في أداء عملها اسم اللبيدو. وغرائز الحياة التي أعطاها فرويد أكثر اهتمامه هي الجنس والحقيقـــة أن الغريزة الجنسية ليست غريزة واحدة بل غرائـــز متعـــددة، أي أن هناك عدد من الحاجات البدنية المنفصلة تؤدي إلى القيـــام برغبـــات شبقية، ولكل من هذه الرغبات مصدره في مناطق مختلفة من الجســـم ويشار إليها باسم (المناطق الشبقية).

أما غرائز الموت أو كما يسميها فرويد أحياناً غرائز التدمـــير فتقوم بعملها. فكل شخص يموت في النهاية، وهذه الحقيقة دفعت فرويد إلى صياغة قوله الشهير "أن هدف الحياة هو الموت" ومن المشـــتقات الهامة لغرائز الموت الباعث العدواني، فالعدوانية تدمير للـــذات وقـــد اتجهت إلى الخارج نحو موضوعات بديلة فالشخص يقاتل الآخريـــــن وينزع إلى التدمير لأن رغبته في الموت قد عاقتها قوى غرائز الحياة، بالإضافة إلى عقبات أخرى في شخصيته تتصدى لغرائز الموت وقـــد تمتزج غرائز الموت وغرائز الحياة ومشتقاتهما معاً، فيلزم كل منـــهما الآخر، فالأول مثلاً يمثل امتزاج الجوع بالتدمير فيتحقـــق إشـــباعهما

بقضم الطعام ومضغه وابتلاعه، كما يؤدي الحب بوصفه أحد مشتقات غريزة الجنس إلى حياة الكراهية وهي من مشتقات غريزة الموت.

القلق (الحصر):

القلق تجربة انفعالية مؤلمة، تنتج بسبب التهيج الذي يحصل في الأعضاء الداخلية للجسم، وهذا التهيج ينتج عن المنبهات الداخلية والخارجية والتي يسيطر عليها بواسطة الجهاز العصبي.

إن القلق مرادف للشعور بالخوف، ولكن فرويد فصل اصطلاح قلق عن اصطلاح خوف لأن الخوف يكون عادة تفكير شخص في الشعور من شيء ما في عالمه الخارجي، ولقد أدرك بأن الفرد يمكن أن يخاف من الأخطار الداخلية كما يخاف من الأخطار الخارجية وأنه فرق بين ثلاثة أنواع من القلق:

(أ) القلق الموضوع الواقعي Reality Anxiety

(ب) القلق العصابي Neurotic Anxiety

(ج) القلق الأخلاقي Moral Anxiety

وهذه الأنواع لا تختلف من حيث النوعية فكلها نوعية واحدة وهي كون الفرد غير مسرور، ولكنها تختلف بالنسبة لمصادرها فحسب.

القلق الموضوعي: رد فعل لخطر غريزي خارجي معروف.

القلق العصابي: رد فعل لخطر غريزي داخلي سيكولوجي المنشأ.

ويلخص فرويد رأيه في العلاقة بين القلق الموضوعي والقلق العصابي فيما يلي: (.... إن التقدم الذي أحرزناه هو أننا تجاوزنا

حالات القلق إلى حالات الخطر التي تكمن وراءها وإذا فعلنـــا نفـــس الشيء مع الخطر الموضوعي لما وجدنا صعوبة في حـــل المشـــكلة فالقلق الموضوعي خطر معروف، والقلق العصابي قلق حول خطــــر غير معروف).

القلق الأخلاقي: حين نخالف المعايير الوالدية المتمثلة، وحيـــن نقلق خلقياً فإننا نخاف من عقاب الأنا الأعلى أو الضمـــير. والقلقـــون خلقياً يعرفون عادة أن ما بداخلهم هو الذي يسبب تعاســـتهم ويحـــدث قلقهم.

فالطفل الصغير يسعى من خلال ألعابه إلـــى التغلـــب علـــى التجارب التي تسبب له القلق والألم، ولقد تحدث فرويـــد عـــن ذلـــك الصبي الذي كان وهو في عمر السنة والنصف يحاول أن يعزى نفسـه عن غياب أمه عن طريق الرمي بعيداً عن ناظريـــه لبكـــرة خشـــبية مربوطة بخيط ثم يجعلها تظهر من جديد.

لقد وجد فرويد في هذا السلوك وظيفة أساسية للعب عند الطفل تقوم على تحويل بعض ما تعرض له سلبياً إلى عمل بسيط، إضافة إلى تحويل الألم إلى سرور بفضل النهاية السعيدة التـــي يفرضـــها علـــى الأحداث التي كانت في البداية مزعجة.

وفي النهاية فالوظيفة الأساسية للقلق أن يكون بمثابـــة إشـــارة خطر أو إنذار للأنا، فإذا برزت هذه الإشارة في الشعور وجب علـــى الأنا أن يكون حذراً.

الشعور واللاشعور وما قبل الشعور:

- الشعور Consciousness: هو منطقة الوعي الكامل والاتصال بالعالم الخارجي، وهو الجزء السطحي فقط من الجهاز النفسي.

- اللاشعور Unconsciousness: كما حدده فرويد يكون معظم الجهاز النفسي، وهو يحوى كل ما هو كامن وليس متاحاً ومن الصعب استدعاؤه أو ما هو مكبوت ويقول أن المكبوتات تسعى إلى الخروج من اللاشعور في الأحلام وفي هفوات اللسان والأمراض النفسية.

لقد فرق فرويد بين نوعين من اللاشعور:

أ- ما قبل الشعور Preconciousness.

ب- اللاشعور الأصلي.

إن الفكرة التي تسبق الشعور تصبح شعورية بكل سهولة لأن المقاومة ضعيفة، أما التفكير أو التذكر اللاشعوري فيواجهان وقتاً أصعب ليصبحا شعوريين لأن القوة المضادة قوية.

وفي الحقيقة توجد كل درجات اللاشعور "على المتصل" فعلى نهاية المقياس من ناحية توجد الذكرى التي لا يمكن أن تصبح شعورية مطلقاً، لأنها لا تمتلك المصاحبة للغة، وعلى النهاية الأخرى من المقياس توجد الذكرى التي تكون على عتبة الشعور.

تطور الشخصية:

كان فرويد أول صاحب نظرية سيكولوجية يؤكد الجوانب التطورية في الشخصية ويؤكد بخاصة الدور الحاسم لسنوات الطفولة

المبكرة والمتأخرة في إرساء الخصائص الأساسية لبنـــاء الشـــخصية والحقيقة أن فرويد يرى أن الشخصية يكتمل القدر الأكبر منـــها عنـــد نهاية السنة الخامسة من العمر وأن ما يلي ذلك من نمـــو يقـــوم فـــي معظمه على صياغة البناء الأساسي وقد وصل إلى هذا الاستنتاج على أساس خبرته مع المرضى الذين يعالجون بالتحليل النفسي ومـــن آراء فرويد، أن الطفل والد الرجل ويوضح فرويد أن الشخصية تتطور فـــي استجاباتها لأربعة مصادر رئيسية للتوتر: عمليات النمو، والاحباطات، والصراعات، والتهديات.

وكنتيجة مباشرة لتزايد التوتر الناتج من هذه المصـــادر يجـــد الشخص نفسه ملزماً بتعلم أساليب جديدة لخفض التوتر وهذا التعلم هو المقصود بتطور الشخصية.

ومن أهم هذه الأساليب هي ميكانزمـــات الدفـــاع أو الحيـــل الدفاعية وتعرف الحيل الدفاعية بأنها أنواع من السلوك والتصرفـــات التي ترمي إلى تخفيف حدة التوتر والألم.

وتعتبر الحيل الدفاعية ظاهرة شائعة عند كـــل النـــاس لكـــن الإصراف في استخدامها يدل على وجود حالة تتسم بســـوء التوافـــق ونجد أن الاعتماد على الحيل الدفاعية بشكل كبير يلحق بالفرد الكثـــير من الأضرار فهو يعيقه عن القيام بالحلول الواقعية والتوافق السليم كما أنه يضر بعلاقات الفرد الاجتماعية ويسبب كثير من المشكلات.

تتسم الحيل الدفاعية بسمتين: - أنها تغير وتحرف في الواقع.

- أنها تعمل بشكل لا شعوري.

وفيما يلي عرض لبعض هذه الميكانزمات:

- الاسقاط:

هو الصاق ما بداخل الفرد من صفات ومشاعر أو رغبــات أو أفكار ومشاعر غير مقبولة من قبل الأنــــا إلـــى أشـــياء وأشـــخاص خارجيين.

- التبرير:

- هي الميل اللاشعوري لاختلاق أسباب غير الأسباب الحقيقيـــة التي تؤذي شعورنا وما يتضمن ذلك من خـــداع النفــس لنفســها والتبرير صفة شائعة لدى المرضى والأصحاء على السواء.
- ويوضح ارنست جونز أن الفرد عندما يواجه موقفاً لا يستطيع أن يتصرف تصرفاً عادياً أو يذكر الأسباب الحقيقية كي لا يفقـــد احترامه لنفسه واحترام الناس له فيذكر أسباب زائفة تخفف من لوم الفرد لنفسه.

- الكبت:

- الكبت عمل لا شعوري يقوم به الجانب اللاشعوري من الأنـــا ويتضمن اللاشعور المادة اللاشعورية التي لم يسبق خروجها لحيـز الشعور ويسمى فرويد هذه العملية بالكبت الأولي أما عـــن إلقــاء المادة الشعورية الغير مرغوب فيها مثل الذكريات والرغبات التــي تؤلم الأنا ولا يقبلها الواقع الخارجي أو الأنا الأعلى من الشـــعور إلى اللاشعور ويسمى هذا الكبت بالكبت الثانوي.

- تكوين رد الفعل:

- تتضمن تلك الوسيلة الدفاعية إبدال مشاعر مثيرة للقلـــق فـــي الشعور بنقيضها (كراهية ⇐ حب) وبهذه الوسيلة يستطيع الفـــرد التكيف والتخفيف من حدة التوتر والقلق الناتج عن هذه المشـــاعر الأصلية.

- التثبيت والنكوص:

- التثبيت هو توقف النمو السوي للشخصية حيث يصبح الشخص مثبتاً على إحدى المراحل النمائية النفسية المبكرة وعدم اســتطاعة الشخص التخطي لمرحلة تالية وترك جزء من الطاقة اللبيدية فـــي هذه المرحلة والارتقاء بالأجزاء الأخرى من الطاقة للمراحل التالية وهناك ميكانيزم آخر مرتبط بالتثبيت وهو النكـــوص وفـــي هـــذه الحالة حينما يقابل الشخص العديد من العوائق ولا يستطيع حلـــها بالطرق العادية فإنه يشعر بالإحباط ويرتد للمنطقة المـــهجورة أو التي ترك فيها جزء من الليبيدو مثبتاً بها ويكون النكوص للمنـــاطق التي تم بها إشباع زائد أو حرمان.

- التقمص:

- وهو لبس شخصية لشخصية أخرى وتميز مدرســـة التحليـــل النفسي نوعين من التقمص.

التقمص الأولي: وهو تقمص الطفل شخصية أبيه حتى يتخلص مـــن العقد الأدويبية.

التقمص الثانوي: فهو كل ما يتم من تقمص بعد ذلك، وهناك نوع آخر من التقمص هو التوحد بالمعتدي مثل توحد الطفل بمعلمه حينما يقسو عليه.

- التسامي والإعلام:

- وهو التعالي بنزعات الفرد الغريزية (عدوان ـ جنس) إلى اتجاه نافع ومفيد مثل الرياضة أو الفن.

- التعويض:

- عندما يشعر الفرد بالعجز في موقف معين يميل نحو تعويض العجز والفشل إلى نجاح وتفوق في مجال آخر.

- الإنكار:

- يغفل الفرد بواقع لا شعوري عن إدراك بعض المدركات الحسية مثل رؤية بعض الأشياء أو سماع بعض الأقوال نتيجة عوامل انفعالية ونفسية وعدم رؤية أشخاص لا نحبهم في نفس المكان المتواجدين فيه.

مراحل النمو:

تبعاً لنظرية فرويد يمر كل طفل بسلسلة متتابعة من مراحل النمو وخبرات الطفل في هذه المراحل تحدد خصائص شخصيته كراشد وتكون كل مرحلة نمو مرتبطة بمنطقة هي مصدر للإثارة واللذة خلال المرحلة ولكي ينتقل الطفل بسلام عبر هذه المراحل يجب ألا يكون هناك إفراط أو تفريط في إشباع حاجاته وهذه المراحل هي:

- المرحلة الفمية Oral Stage:

من الميلاد وحتى السنة الأولى ومصدر اللذة الرئيسي فيها هو الشفاه واللسان، والفراغ الفمي عن طريق التنبيه واللمس الناتج عن المص والبلع والعض في مرحلة ظهور الأسنان، وحدد فرويد وظائف للفم وهي (الابتلاع ــ الإمساك والإصرار ــ العض ــ اللفظ ــ الإطباق) وكل هذه الوظائف تمثل نمط بدائي ويقصد به أسلوب للتكيف ينكص إليه الفرد في المواقف المشابهة فيما بعد وإذا مرت هذه المرحلة بسلام ظهرت الشخصيات المستقلة عن الآخرين ــ الواثقة من نفسها ذات القدرة على الحوار والجدل أما إذا أفرط أو حدث إمساك في إشباعها ظهرت الأنماط البدائية مثل السخرية والحرص والتخريب والعدوان والنبذ والاحتقار ونتج عنها أمراض مثل (الإحباط العصبي ــ الهوس ــ انفصام الشخصية ــ الابتذال ــ اللواط الأنثوي ــ إدمان المسكرات والمخدرات).

- المرحلة الشرجية Anal Stage:

من ١٢ إلى ٢٤ شهراً وهي فترة ترتبط بتدريب الطفل على عملية الإخراج وتعليمه تأجيل اللذة الناتجة عن إزالة مصدر الضيق والتوتر ومصدر اللذة هنا هو التحكم في عضلات الإخراج وتتوقف بصورة كبيرة على الأساليب الوالدية المتبعة في عملية التدريب فإذا كانت متشددة أدت لظهور العناد ــ التدمير ــ عدم النظافة أو القسوة والإنغماس في الملذات ونتج عنه الشك ــ الوسوسة ــ الظلم ــ السيادية ــ اللواط الذكري ــ الماسوشية أما الأسلوب المتسامح فيؤدي إلى ظهور المبدعين الخلاقين.

- المرحلة القضيبية Phallic Stage:

من ٣ إلى ٥ سنوات ومصدر اللذة هو الأعضاء التناسلية والخيال المصاحب للعبث بها مع الاهتمام بالوالد من النوع المخالف لجنس الطفل وهي مرحلة هامة جداً عند فرويد ويظهر فيها مجموعة من الصراعات والعقد مثل:

عقدة أوديب:

أوديب ملك طيبة تزوج من أمه جوكاست بعد أن قتل أبيه وهرب من طيبة.

ويمثل ذلك عند فرويد رغبة الطفل الذكر في أمه وحبه لها وغيرته من أبيه المنافس في حب الأم ورغبته في التخلص منه ولكنه يكبت كل ذلك لشعوره بعذاب الضمير وخوفه من أن ينفذ والده تهديه له بالخصاء ويتوحد بأبيه وبهذا يحل الموقف الأوديبي.

عقدة إلكترا:

وهي مسرحية لسوفوكليس حيث تدفع إليكترا أخاها لقتل أمهما جزاءاً لها على قتل والدهما.

ويمثل ذلك عند فرويد رغبة الفتاة في حب والدها الذي يملك العضو الثمين الذي تحسده عليه وشعورها بالظلم الذي وقع عليها من الأم التي حرمتها من هذا العضو الثمين وتترك الفتاة هذه المرحلة ولديها صراع (الإقدام – الإحجام) بين حب وكراهية كلاً من الأم والأب وينتهي هذا الصراع عندما تنجب ولداً ذكراً وفي حالة مرور

هذه المرحلة بسلام يتحرر الطفل من والديـــه ويتعــرف علـــى دوره الجنسي ويتقبل ذاته وينمو ضميره.

أما إذا حدث العكس فتظهر لديه أحاســـيس الدونيـــة والقلـــق والهستيريا العصبية والجنسية المثلية في حالة إذا أنقلـــت التوحـــدات السوية فيتوحد الولد الذكر أمه والعكس بالنسبة للفتاة.

- مرحلة الكمون Latency Stage:

من ٦ إلى ١٢ سنة وهي فترة تتميز بكبت النزعات الغريزيـــة وإعلاء الطاقة الغريزية وتوجيهها نحو الأنشطة الاجتماعية ولقد أهملها فرويد لعدم وجود منطقة شبقية تحتاج إشباع.

- المرحلة التناسلية Genital Stage:

تبدأ من البلوغ وتنتهي قل الشيخوخة يتحول فيها الفـــرد مـــن الأنانية للإيثار والتطبيع الاجتماعي الواقعي والاهتمامـــات الجنســـية الغيرية ومصدر السعادة فيها هو الارتباط بالجنس الآخر والاســـتقرار وتكوين الأسرة وهي مرحلة تبنى على ما قبلها من المراحل.

أهم مبادئ نظرية فرويد:

(أ) مبدأ الثبات Principle of Constancy:

وهو نزوع الجهاز النفسي للاحتفاظ بكمية الإثارة التي يحتويها في أدنى مستوى ممكن أو الحفاظ على ثباتها عن طريـــق تصريـــف الطاقة الحاضرة فعلياً أو تجنب ما يمكن أن يزيد كمية الإثارة. وهـــذه العملية يقوم بها الهو حتى يشعر الكائن الحي بالراحة.

(ب) مبدأ اللذة Pleasure Principle:

وهو من المبادئ التي تحكم النشاط العقلي عند فرويد فالنشـاط في مجمله يهدف إلى تجنب الإنزعاج والحصول على اللذة التي هـي اقتصادية في مقابل الإنزعاج الذي يسبب زيادة في الإثارة.

(ج) مبدأ الواقع Principle of Reality:

من المبادئ التي تحكم النشاط العقلي وهو تعديل لمبـدأ اللـذة ويفسر عمليات الإشباع التي تتم من خلال التفافـات وتـأجيل وفقـاً لشروط العالم الخارجي التي يفرضها على الأنا.

(د) مبدأ إجبار التكرار Repetition compulsion:

يتم فيه تكرار الخبرات القوية التي تستمد وقائعها النفسية مـن الخبرات الطفولية الصادمة والحوادث المؤلمة والتحويل أياً كانت نتيجة هذه الخبرات والغرض من التكرار هو السيطرة على الموقف الذي لـم يسيطر عليه ويحدث نتيجة ضعف الأنا ويمكن رد بعض ظواهره لمبدأ اللذة أو الحاجة للتكرار ذاته ويتخذ نفس سـمات العمليـات الأوليـة اللاشعورية الصادرة عن مبدأ اللذة.

(هـ) مبدأ الثنائية (الازدواجية):

يفترض فرويد أن هناك قوتين متعارضتين دائما في الحيـاة، والإنسان يحاول جاهداً أن يوازن بين هاتين القوتين (اللذة ــ والواقـع) وعلى نحو ما يحدث في مجال الشحنات الكهربائية الموجبة والسـالبة نجد أننا حينما نقترب من القطب الموجب بشكل كبـير فإننـا نحمـل شحنته وبالتالي تدفعنا قوة الطرد للقطب الآخر ثم يحدث نفس الشـيء

مع القطب الآخر فنرتد إلى القطب الأول وهنا نحـــاول جـاهدين أن نوازن بين هاتين القطبين، ولكنها ليست عملية سهلة حيث أن الإنسـان لديه الغرائز التي تدفعه لإشباع رغباته كذلك فهو محاط بجميع القيـود والتقاليد والأعراف الاجتماعية التي تحدد سلوكه وكيفية إشباع رغباته.

أنماط الشخصية في نظرية التحليل النفسي لفرويد:

يقسم فرويد أنماط الشخصية إلى ستة أنماط:

- الشهواني. - النرجسي - الموسوس

- الشهواني – الموسوس - النرجسي – الموسوس - النرجسي – الشهواني

- النمط الشهواني:

يتلخص اهتمامات هذا الشخص في أنه يحب ويحـب، وهـذا الشخص يعيش هاجس الخوف من فقدان محبة الآخرين له مما يجعـل من هذا الإنسان فرداً متردداً خائفاً من اتخاذ القرار خاضعاً للأشخاص الذين يحبهم.

ومما تقدم نستنتج خضوع صاحب هذا النمط إلى الهو ورغباته ونزواته.

- النمط النرجسي:

هذا النمط من الأفراد يرفض الخضوع للآخرين وتسيطر الأنا على تصرفاته بحيث لا يعاني أي صراع بين أنـاه وأنـاه الأعلـى، والهاجس الوحيد للنرجسي هو الحفاظ على أناه ولهذا فهو خـاضع أو تابع للآخرين.

والحقيقة أن للنرجسي ميولاً عدوانية متطورة ممكن أن تتفجـر في حالة إحساسه بأي خطر أو خسارة تهدد أناه وهو عن طريق هـذه

العدوانية الشخصية يحسن فرض نفسه على الآخريـــن كمـــا يحســن قيادتهم وأحيانا مساعدتهم وكثيرا ما نجد الحالات التي تتوجـــه فيــها النرجسية نحو الإنجازات الثقافية والشعر منها بشكل خاص.

- النمط الموسوس:

يتميز هذا النمط بسيطرة الأنا الأعلى وهذا الشخص لا يخشــى فقدانه محبة الآخرين له مثل الشهواني ولكنه يخشى فقدان ضمــيره ــ وقيمه ــ وأخلاقه.

وعادة ما يحدث صراع عنيف بين الأنا والأنا الأعلى.

- النمط الشهواني الموسوس:

وهذا الشخص يخوض نوعين من الصراع في آن واحد فــهو يعاني صراع ناجما من تعارض أناه الأعلى مع أناه وصراع آخر بين الهو والأنا وهكذا نلاحظ أن الأنا في هذه الحالة يكون معرض لأقصى الضغوط.

- النمط النرجسي الموسوس:

يتميز هذا الشخص بنشاطه وقدرته على حماية أناه من تــأثير الأنا الأعلى بسبب نرجسيته ولدى هــذا الشــخص ميــل لإخضـــاع الآخرين.

- النمط النرجسي الشهواني:

وهذا النمط يجمع خصائص كل مــن النرجســي والشــهواني بحيث يحد كل من السلوكين الآخر وهذا النمط هو الأكثر انتشارا.

تطبيق فنيات التحليل النفسي:

يعتمد التحليل النفسي على عدة فنيات في دراسة المنظمات النفسية.

- عملية التداعي الحر الطليق:

وأساس هذه الطريقة هو استبعاد الأهداف التصورية الشعورية للأنا فإذا ما استبعدت الأهداف التصورية الانتقائية للأنا فإن ما يعبر عنه تحدده بالأحرى توترات وحفزات داخل الفرد تتحين الفرصة للتعبير عن نفسها وفي أثناء عملية التداعي الحر تحل الرقابة اللاشعورية محل الرقابة الشعورية والنوع الأول من الرقابة هو الهدف الرئيسي لملاحظة التحليل ويعتبر الاختيار والتسلسل اللاشعوري لمواضيع الحديث جزء من المادة التحليلية كما يضاف إلى التعبير اللفظي الإيماءات الانفعالية والإشارات والتأثرات الحشوية والأعمال التي تنجز قبل الجلسة وأثنائها وبعدها وهذا ما يدعونا إلى أن مادة التحليل النفسي هي سلوك المحلل ويعتبر ما يدور داخل الجلسة أهم قسم من السلوك.

- تفسير الأحلام:

الحلم نافذة تطل على أعماق النفس ويترامى البصر منها إلى آفاق تصل إلى طفولة الإنسان بل إلى فجر الإنسانية فضلاً عن أنها تجمع في أفق واحد بين العقل والجنون.

ومن حيث أن الحلم خبرة من خبرات الإنسان الصحيح العقل ولكن طبيعته الهلوسية لا تختلف عن الجنون.

ويقول فرويد أن "... الحلم مرض نفسي قصير يستغرق الليل والمرض النفسي حلم طويل يستغرق الليل والنهار".

إن الأحلام ضرب من اللغة الرمزية وهناك نوعان منهما النوع الأول رمزية فردية تتصل بخبرات الحالة ويكشف التحليل النفسي عن معانيها في يسر.

والنوع الثاني فهو رموز مشتركة بين أفراد الجنس البشري بأسره ونجد آثارها في الأساطير والأمثال لدى جميع الشعوب من قديم الزمان.

- تفسير الرموز:

ترجمة الرموز هي أقصر طريقة نستطيع من خلالها أن نغوص في أعمق طبقات اللاشعور وبترجمة الرموز نستطيع أن نكشف عن مضمونات الهو ومن الرموز السهفوات، والسهفوات هي طفحات اللاشعور وتظهر في زلات اللسان والنسيان وأخطاء الكتابة والقراءة والسمع.

- التحويل والتحويل المضاد:

التحويل هو ظاهرة موجودة في التحليل النفسي حيث يجد المرء نفسه مضطراً في علاقته بالمحلل بسبب انفعالات عارضة مثل الحب ـ الكره ـ الغيرة ـ الحصر وهي انفعالات لا يوجد ما يبررها من وقائع الموقف الفعلي والمريض نفسه يقاوم هذه الانفعالات وترجع هذه الانفعالات في أصلها إلى كوكبة وجدانية قديمة من قبل عقد أوديب وعقدة أخصاء وعقد أخرى ومشاعر كامنة ومجهولة منذ الطفولة.

التحويل المضاد: أن المحلل النفسي الذي يقوم بالتحليل نفس بشرية أخرى يتعرض بدوره لبعض التغيرات التي تحدث داخل نفسه التي لا يستشعرها وتظهر هذه التغيرات في أشياء عديدة ومنها على سبيل المثال (سؤال الفاحصين ــ أسئلة موحية للمريض) بالرغم من أنهم يدرسون في علم النفس الإكلينيكي خطأ سؤال العميل هذه الأسئلة.

ونجد أن هذه العملية ليس مسألة نقص في فهم الموقف الاختباري ولكنه نقص في الفهم الوجداني لهذا الموقف وقد يتصور البعض أن هذا عيب في التكنيك الإسقاطي ولكن في الحقيقة أن الموضوع الحقيقي لعلم النفس هو العلاقة بين الأنا والآخر **فالموضوعية الحقة هي الفطنة إلى الحتمية الذاتية.**

– التأويل:

وهو استنباط ما يعنيه المريض بالفعل من تلميحات لأشياء أخرى وأخبار المريض بها، ويعني التأويل إعادة شيء لا شعوري لشيء شعوري والتأويل لا يمكن أن يكون فعالاً إلا إذا قدم في اللحظة التي يكون فيها القول والمقصود أقرب ما يكون حتى يدركها المريض.

معايير صحة التأويلات:

إن التأويل الصحيح يحدث تغيراً دينامياً ويتبدى في مستدعيات المريض اللاحقة وسلوكه الكلي.

البحوث المميزة وطرق البحث:

قامت نظرية فرويد على التحليل المكثف للبيانات التي جمعها من أقوال المرضى وأفعالهم واستخدم فرويد في ذلك ثلاث طرق هي:

(أ) التداعي الحر Free Association:

وهو تطور لحديث الشفاء الذي استخدمه بروير في العلاج ويختلف عنه في أن فرويد ترك الحرية للمريض في أن يطلق خواطره على سجيتها لا يحجز منها شاردة مهما بدت غير معقولة أو تافهة بينما قصر بروير الحديث على الأعراض المرضية ومنشأها وعلى المحلل عدم التعليق على حديث المريض أو مقاطعته وإنما تشجيعه على الاستمرار حين يتوقف أو يبدو معاقاً ويقوم التعبير الحر على ثلاث مسلمات هي:

- كل ما نقوله أو نفعله له معنى ويتصل بكل ما سبق أن قلناه أو فعلناه.
- من خلال التعبير الحر نستطيع استدعاء المادة اللاشعورية بحيث نعيها فنقبل أو نرفض.
- المادة اللاشعورية المكبوتة تؤثر في سلوكنا دون أن ندري وعملية التداعي الحر ترتبط بما هو حاضر في اللاشعور في ذات اللحظة بالرغم من محاولة المريض فإنه سوف يعرض موضوعات ويتجنب أو يشوه موضوعات أخرى إلا أنه يمكن فهم الصراعات العقلية والإنفعالية للشخص من خلال سلاسل التداعي الحر للتفكير.

ويمكن للمحلل تنشيط عمليات التداعي الحر عن طريق إلقاء التعليمات لأن مالا يقال قد يكون أكثر أهمية مما يقال وتميل الأفكار المتتالية للترابط ويتم ذلك بصورة لا شعورية.

(ب) تحليل الأحلام Dreams Interpretation:

الأحلام من وجهة نظر فرويد وسيلة لخفض التوتر وحل المشكلة وعن طريقه يتم تحقيق رغبات بصورة مباشرة أو بطريقة رمزية ويظهر الحلم في صورة رموز عندما يكون تعبيراً عن رغبات غير مشروعة مكبوتة في اللاشعور ولذلك فليس الهدف هو تفسير الأحلام الظاهرة إنما الهدف هو الوصول للمحتوى الكامن وراء هذه الأحلام التي تتداخل مع المثيرات الجسمية وآثار اليوم السابق مكونة للحلم الظاهر ولقد أطلق فرويد على حيل الأنا في تحريف الحلم آلية إخراج الحلم ويشمل:

*** التكثيف Condensation:**

ويقصد به عدم التناسب بين محتوى الحلم وأفكار الحلم مما يدل على أن المادة النفسية للحلم أجريت لها عملية تكثيف شديدة فيكون الحلم الظاهر ترجمة مختصرة للحلم الكامن.

*** الإزاحة Displacement:**

وهي عملية تقوم بها الأنا أثناء النوم وتتخذ شكلين هما:

- استبدال عنصر من عناصر الحلم بشيء بعيد تماماً عنه.
- نقل التأكيد من عنصر مهم لآخر أقل أهمية.

*** قابلية التصوير Consideration of Representability:**

ويقصد به تحويل أفكار الحلم لصور عيانية محسوسة.

*** الصياغة الثانوية:**

ويقصد بها جمع نتائج إخراج الحلم وترتيبها بحيث يصعب فهمها بعد أن تستكمل الثغرات ليخرج الحلم في صورته النهائية.

وأكد فرويد على أن الحلم يظهر نتيجة ضعف رقابة الأنا مما يتيح الفرصة للرغبات اللاشعورية في التعبير عن نفسها في حدود وكذلك أن تداعيات الفرد عن أحلامه أكثر أهمية من أي قاعدة وحتى التعميمات التي وضعها لأنواع معينة من الأحلام.

الحالات التي درسها فرويد:

إن القدر الضخم من المادة الأولية التي صاغ منها فرويد نظريته في الشخصية لن يعرف أبداً. فتاريخ الحالات القليلة الذي اختار فرويد نشرها تمثل فحسب جزءاً ضئيلاً من الحالات التي عالجها كما أن الأخلاقيات المهنية بخاصة قيدت من عرض فرويد لحالاته على العالم طالما كان خطر تخمين هوية مرضاه قائماً من جانب العامة المتطلعين.

وبالإضافة إلى تاريخ الحالات التي ظهرت في كتاب "دراسات في الهيستريا" الذي كتبه بالاشتراك مع بروير قبل أن تأخذ نظرية التحليل النفسي شكلها المحدد في ذهن فرويد.

حالة دورا:

يقول فرويد أن نشر حالة دورا كان بهدف إبراز كيف أن تحليل الأحلام يُمكن المرء من استخراج الجوانب الخفية والمكبوتة من

العقل الإنساني والتوضيح كيف أن الأعراض الهستيرية تحركها الدفعة الجنسية.

حالة هانز:

وقد أتاحت حالة هانز الصغير الفرصة الأولى للتحقق من صدق نظريته في الجنسية الطفلية ــ التي صاغها على أساس من ذكريات الراشدين ــ بملاحظات تجرى على طفل صغير، وكان هانز يخاف من أن جوادا سوف يعضه إذا غامر وخرج إلى الشارع. وقد استطاع فرويد بواسطة المذكرات الدقيقة التي دونها والد الصبي والتي عرض فرويد الكثير منها كما هي لفظياً في العرض المنشور للحالة، استطاع فرويد بها أن يبين أن هذه المخافة ــ أو الفوبيا ــ كانت تعبيراً عن أهم عقدتين جنسيتين في الطفولة المبكرة. عقدة أوديب وعقدة الخصاء، وتمثل لنا حالة هانز الصغير نموذجاً يؤيد نظرية الجنسية الطفلية كما قدمها فرويد عام (١٩٠٥).

حالة الرجل الفأر:

أما حالة الرجل الفأر Rat Man الذي كان يعاني من حواز يلازم مؤداه أن صديقته ووالده سوف يعاقب كل منهما بأن يوثق بمؤخرتيهما وعاء مليء بالفئران الجائعة الشرهة. وقد ربط فرويد بين ما تتضمنه هذه الحالة من ديناميات وصلات فكرية عصابية حوازية. وبالرغم من أن العرض جزئي فإن الحالة تصور بوضوح كيف واصل فرويد حلهُ للتناقضات الظاهرية والتحريفات والسخفات التي تسم شخصية مريضة تنعدم بين جوانبها الصلات، فحولها إلى نمط منطقي ملتئم.

حالة شربير:

وقد كانت هواجس شربير تتكون من اعتقاده أنه مخلص وأنه قد تحول إلى امرأة، وقد بين فرويد في تحليل متشابك لهذين الهاجسين أنهما مرتبطان، وأن القوة الدافعة لكليهما، وللجوانب الأخرى كذلك من الحالة هي الجنسية المثلية الكامنة. وقد قدم فرويد في دراسة هذه الحالة فرضه الذائع عن العلاقة العلية بين الجنسية المثلية وجنون البارانويا.

حالة الرجل الذئب:

أما حالة "الرجل الذئب" فهي عرض لعصاب طفلي أخرج إلى السطح أثناء تحليل شاب صغير السن، ووضح ارتباطه الدينامي بالحالة الراهنة للمريض. وقد لاحظ فرويد أن تحليل خبرة وقعت منذ قرابة خمسة عشر عاما مضت لها فائدتها، كما أن لها ضررها عندما تقارن بتحليل واقعة بعد حدوثها بفترة قصيرة، والعيب الأساسي هو عدم إمكان الثقة بالذاكرة بالنسبة للخبرات المبكرة. ولكن من ناحية أخرى، إذا حاول المرء أن يحلل طفلاً صغيراً للغاية فإن مساوئ ذلك أنه لن يستطيع التعبير عن نفسه ـــ أي الطفل ـــ لغوياً، والرجل الذئب هو الراشد المناظر لهانز.

تحليل فرويد لذاته تحليلاً نفسياً:

إن المادة التي انتزعها فرويد من لا شعوره هو نفسه، قد شكلت مصدراً هاماً من المادة التجريبية عند فرويد، وكما يقول ارنست جونز (١٩٥٣) بدأ فرويد تحليله الذاتي في صيف عام (١٨٩٧) بتحليل أحد أحلامه، ومن هذا الفحص المنقب لذاته تأكدت لدى فرويد بالقدر الذي يرضيه نظرية الأحلام ونظرية الجنسية الطفلية. ولقد وجد

في شخصيته هو ذاته ما لاحظــه فــي مرضــاه مــن الصراعــات والتناقضات واللامنطق. وربما كانت خبرته هو ذاته التي أقنعته أكـثر من أي شيء آخر بصحة أفكاره في أساسها والحقيقة أن فرويد كـــان عازفا عن تقبل صدق أي فرض. حتى يختبر صدقه في نفسه ذاتيـــاً. وقد واصل فرويد تحليله الذاتي لنفسه طول حياته فكان يحتفظ بنصـف الساعة الأخير من كل يوم لهذا النشاط.

الاتجاهات الجديدة في كتابات التحليل النفسي التــي ظــهرت خلال السنوات العشرين الأخيرة:

وسنناقش خمسة من هذه الاتجاهات، وهي كما يلي:

– تطوير الأنا وتنمية بوصفه جهازاً للشخصية على قـــدر مـــا مـــن الاستقلال الذاتي.

لا يخرج الأنا هواً موروثاً وإنما لكل من النظامين أصله فـــي الاستعدادات الموروثة، كما أن لكل منهما مسار نموه المستقل الخـاص به. بالإضافة إلى ذلك فإنهم يؤكدون أن عمليات الأنا تعمل بوســـاطة طاقة جنسية وعدوانية محايدة، وأن أهداف هذه العمليـــات يمكـــن أن تكون مستقلة عن الأهداف الغريزية الخاصة، ومـــن هـــذه الفـــروض خرجت إلى الوجود (سيكولوجية الأنا) الجديدة، وهي سيكولوجية يمثل فيها الأنا كنظام عقلي (منطقي) مســـئول عـــن الإنجـــازات العقليـــة والاجتماعية، نظام لا يعتمد أداؤه لوظائفه، اعتماداً كلياً على رغبـــات الهو. إن له مصادر طاقاته الخاصة به، ودوافعه واهتماماته الخاصـــة وأهدافه الخاصة. إن سيكولوجية للأنا كهذه، يبدو أنها تشكل خروجـــاً جذرياً على تقليد التحليل النفسي.

- تزايد التأكيد على المحتمات غير الغريزية للشخصية:

ويشير مختلف نقاد التحليل النفسي مرة تلو الأخرى إلـــى أن فرويد أعطى الوراثة والنضج وزناً أكثر مما يجب، ووزنا أقــل ممــا يجب للسمات الشخصية المكتسبة اجتماعياً. ونتيجة ذلك، ظهور ميــل ملحوظ بين المنظرين الحاليين المنتمين إلى تقاليد التحليل النفسي إلــى الإقلال من دور الغرائز، وإبراز المتغيرات السيكلوجية والاجتماعيــة التي يعتقد أنها تشكل الشخصية.

- دراسات الملاحظة للأطفال والرضع:

وقد أجرى عدد كبير من الدراسات الارتقائية فـــي الســنوات الأخيرة بوساطة باحثين مدربين في التحليل النفسي، وقد ورد الكثــير منها في الأعداد الثانوية لسلسلة الدراسة التحليلية النفسية للطفل.

- الاختبار التجريبي لفروض التحليل النفسي:

ويرتبط بالاهتمام بالملاحظات المباشرة للأطفال أثناء نموهــم، والاستخدام المتزايد لمناهج أخرى غير تحليليـــة لاختبــار الفــروض المستمدة من التحليل النفسي. وتعكس هذه النزعة اتجاه بعض المحللين النفسيين وكثيرين من الأخصائيين النفسيين نحو وجوب عدم اعتمـــاد التحليل النفسي لتحقيق فروضه على المادة المستخلصة من المرضـــى الذين يعالجون فقط بل عليه أن يختبر هذه الفروض في المعمل وفـــي مواقف أخرى يمكن فيها التحكم في المتغيرات والسيطرة عليها. وقــد قــام ســيرز (١٩٤٣، ١٩٤٤)، وهيلجــارد (١٩٥٢)، وماســـرمان (١٩٥٢)، وكيوبـــي (١٩٥٢)، وبلــوم (١٩٥٣) بمســح للدراســـات التجريبية التي تدين بوجودها سواء بصورة مباشرة أو غير مباشـــرة

لتأثير نظرية التحليل النفسي. وقد استخدمت في هذه الدراسات الحيوانات كما استخدم البشر.

- تزايد الالتقاء بين التحليل النفسي وعلم النفس:

وكما لاحظنا فيما سبق: أن التحليل النفسي كنظرية سيكولوجية لها قوامها، وقد تطورت بمعزل عن الخطوط الرئيسية لعلم النفس العام. والحقيقة أنه كان هناك ميل واضح للنظر إلى التحليل النفسي وعلم النفس بوصفهما علمين منفصلين وهو أمر يسبب الخلط للشخص العادي إذ أنه لا يستطيع أن يفهم بسهولة طبيعة الاختلاف بينهما. إلا ان هذه الطريقة في التفكير أصبحت أقل شيوعاً في السنوات الأخيرة. فالميل الراهن هو اعتبار التحليل النفسي جزءاً من علم النفس شأنه في ذلك شأن أي نظرية أخرى في السلوك. وهذا لا يعني أن جميع الأخصائيين النفسيين أو غالبيتهم قد اقتنعوا بصدق نظرية التحليل النفسي أو بفائدتها والحقيقة أن كثيرين منهم يرفضونها إلا انهم لم يعودوا ينظرون إليه بوصفه نظرية غريبة على علم النفس فيرفضوها على هذا الأساس. ولقد كان فرويد بالطبع يطابق بين التحليل النفسي وعلم النفس ولم يحل بخاطره في وقت ما أنه يخلق فرعاً منافساً من فروع المعرفة.

إن الالتقاء المتزايد بين التحليل النفسي وعلم النفس قد مهد له عدد من العوامل وقد أسهم علماء مرموقون من المجالين لهم رأيهم المهني في صياغة وإقامة مزيد من الوحدة في وجهة النظر.

المكانة الراهنة والتقويم:

- بنى فرويد نظريته على المرضى، وفي الواقع فإنه لا يمكــــن اعتبار مرضاه عينة حيث من الصعب التعميم عليها.
- لم يدرك أن الأنا له مصادره الخاصة من الطاقة النفسية وليس مجرد معتمد على الهو في هذا الجانب، حيث تكـــون لـــه ميولـــه وأهدافه ودوافعه وطاقته المستقلة عن تلك الخاصة بالهو.
- أخفق في إدراك أن ما وجد في مرضاه إنما كان مرتبطاً بوقت معين ومكان معين، وقد عمم فرويد من مجتمع فيينا فــــي القــــرن التاسع عشر إلى كل البشر دون إدراك أهمية الفروق الحضاريـــــة في النمو الإنساني.
- النظرة الجبرية للسلوك البشري، وكذلك النظرة التشاؤمية إلـــى أن الإنسان توجهه غريزتان (الجنس والعدوان).
- اشتملت على بعض المفاهيم الغيبية التـــي يمكـــن إخضاعـــها للبحث التجريبي ومن أمثلة ذلك مفهوم "الليبدو".
- أعطى فرويد معنى جنسياً لكل تطور بيولوجي علماً بأن بعض العوامل البيولوجية مع ضرورتها كعناصر عامة في النمو فليـــس من الضروري أن يكون لها معنى جنسي.
- هذه النظرية تعزو التطور الجنسي إلى تطور بيولوجي بينمـــا تعزى بعض هذه التطورات إلى أثر الثقافة.
- أعطى فرويد الوراثة والنضج وزناً أكثر مما يجب، ووزناً أقل مما يجب لسمات الشخصية المكتسبة اجتماعياً.

- لم يسجل فرويد لفظياً ما يقوله هو والمرضى وما يفعلونه في ساعة العلاج وإنما كان يسجلها بعد ذلك بساعات عديدة، ومن المستحيل أن نقرر مبلغ إمكان الثقة في عكس هذه المذكرات للوقائع كما حدثت فعلاً، إلا أن الحكم بناء على تجارب الشهادة يجعلنا نقول أنه ليس من غير المحتمل أن تزحف التحريفات والحذف بمختلف أنواعهما إلى السجل.

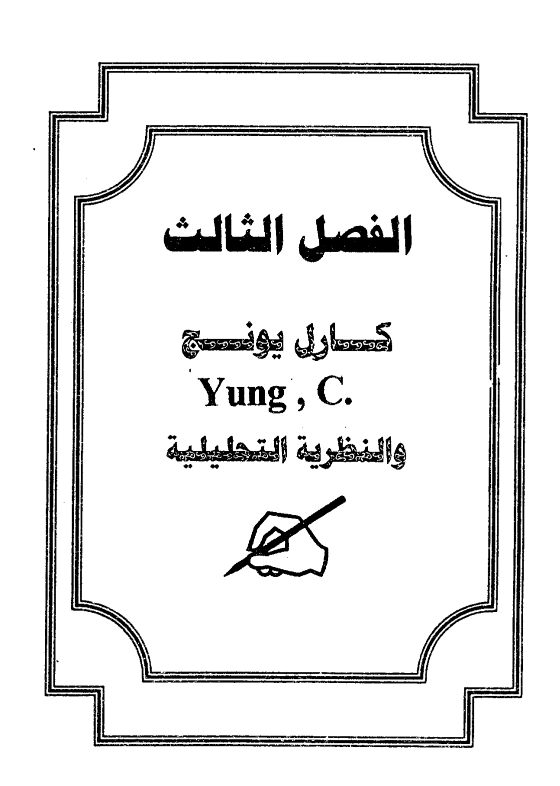
- تتميز النظرية الفرويدية بقصور واضح في قدرتها على تقديم قواعد علاقية يمكن الوصول بها إلى أي توقعات محددة لما سوف يحدث إذا ما وقعت أحداث معينة.

- طور فرويد لطريقة التداعي الطليق، ويعتبر أن هذا الجانب من أهم إنجازات فرويد.

- لقد كان فرويد أول من وجه النظر إلى حقيقة العلاقة بين التنظيم الشخصي للكبير وبين تربيته وطريقة معاملته في الطفولة.

- أنها محاولة لتصوير الشخص المكتمل الحي الذي يعيش جزئياً في عالم الواقع وجزئياً من عالم الوهم تحاصره الصراعات والتناقضات الداخلية، وبرغم هذا فهو قادر على التفكير والعمل العقلي، وتحركه قوى لا يعرف عنها إلا القليل وطموح لا طاقة له على بلوغه، آناً تختلط الأمور عليه وآناً آخر يصفو ذهنه ويتقاذفه الإحباط والإشباع، الأمل، اليأس، الأثرة والإيثار، أي أنه بإيجاز كائن بشري معقد.





الفصل الثالث

كارل يونج
Yung , C.
والنظرية التحليلية



الفصل الثالث

يـــــونـــــــج

ولد كارل جوستان يونج في سويسرا في ٢٦ يوليو عام ١٨٧٥ وكان والده وبعض أقربائه من القساوسة ولهذا اهتم يونج منـــذ وقـــت مبكر من حياته بالمسائل الدينية والروحية.

ويبدو أن كارل يونج كان طفلا حالما منعزلاً أنفق قدراً كبـــيراً من وقته في أحلام اليقظة وفي التأمل والتفكير التخيلي في العالم وقـــد دخلت أمه المستشفى وهو في الثالثة من عمره وبقت بها عدة شــــهور وبالرغم من هذا فقد كانت أقوى والديه من الناحية الجســـمية أو مـــن ناحية شخصيتها.

ولقد اعتبر يونج امه ساحرة تســـتطيع أن تقـــرأ أفكـــاره وأن تسيطر على أفعاله وأن تهدده بالأحلام المزعجة وقد عانى يونج فـــي مراهقته المبكرة من نوبات انفعالية وذلك بعد واقعـــة ســـقوطه علـــى الأرض واصطدام رأسه بها وقد اعتبر مرضه فيما بعد عصاباً ولكـــن طبيبه في ذلك الوقت شخصه تشخيصاً مبدئياً على أنه صـــــرع وقـــد ارتبطت هذه النوبات بموضوعات مدرسية وإذا صدقنا روايـــة يونـــج للأحداث فإنه بعد عدة شهور من التأمل في البيت شفى نفســـه بنفســـه بقوة إرادته وعاد إلى المدرسة.

أما في تلمذته فقد كان يميل للعلوم خاصة الجيولوجيا والحيوان والحفريات، كما كـــان شـــديد الاهتمـــام بالعقـــائد الدينيـــة المختلفـــة

والحضارات الإنسانية والآثار، وخاصة ما تعلــق باليونـــان ومصــر وعصور ما قبل التاريخ.

وبعد حصوله على الدكتوراه عين في نفـــس العـــام (١٩٠٢) مساعدا بمستشفى بورغولزي للصحة العقلية وهنـــاك بـــدا اهتمامـــه بالبحث والتأمل بداخل أذهان المرضى، وبأصل هذاءاتهم وهلاوســـهم وما يجيئون بها، وما إذا كان بها من معنى أو وظيفة لهم واتبع لبحثـــه عن ذلك طريقة تداعي الكلمـــات (Word Association) كاختبـــار يكشف به العقد الإنفعالية لدى هؤلاء المرضى، حيـــث تـــأكد لـــه أن هذاءات المرضى وهلاوسهم ليست خلو من المعنى وأصبحت بعد ذلك طريقته في تداعي الكلمات نموذجاً لنوع مـــن اختبـــارات الشـــخصية الإسقاطية.

اهتم بأعمال فرويد ونظريته بعد قراءة كتابه في تفسير الأحلام وبدأ يراسله بانتظام عام (١٩٠٦) وتصادف الرجلان ونظر إليه فرويد على أنه أحد زعماء حركة التحليل النفسي وخليفتـــه وعندمـــا أســـس الاتحاد الدولي للتحليل النفسي عام (١٩١٠) نصب يونج أول رئيـــس للاتحاد رغم معارضة جماعة فيينا ولكن فرويد تمكن من التغلب علـــى مقاومتهم.

وفي عام (١٩٠٩) سافر فرويد ويونج معاً إلى جامعة كـــلارك بالولايات المتحدة الأمريكية فقد دعيا كلاهمـــا لإلقـــاء سلســـلة مـــن المحاضرات في الاحتفال بالعيد العشـــرين لإنشـــاء الجامعـــة إلا أن العلاقات الشخصية بين فرويد ويونج لم تلبث بعد ذلك بثلاث ســـنوات أن بدأت في الفتور حتى أنتهى الأمر في النهاية فـــي أبكـــورة عـــام (١٩١٣) إلى إنهاء المراسلات الشخصية ثم أنهيا بعد ذلك بشهور قليلة

المراسلات العلمية وفي أبريل عام (١٩١٤) استقال يونج من رئاسته للإتحاد وفي أغسطس من نفس العام انسحب من عضويته وإذ ذاك أصبح الانفصال كاملاً ولم يقابل يونج أو فرويد أحدهما بعد ذلك قط.

وفي عام (١٩٤٤) أنشئ كرسي أستاذيه لعلم النفس الطبي خصيصاً ليونج في جامعة بازل وقد عاش في زيورخ وسط أسرته الكبيرة يواصل القيام بالبحوث والكتابة ورؤية عدد قليل من المرضى.

أنجبت له زوجته أبنه الوحيد وبناته الأربع وكانت خير عون لزوجها وخير صديق، كانت سيدة ذات ذكاء وسحر أسهمت بقسط وافر في نجاح زوجها.

ظل يمارس أنواعاً كثيراً من التمارين الرياضية فكان يحب السير في شعاب الجبال ويقود اليخت، ويسبح في بحيرة زيورخ ولكنه توقف عن هذه التمارين عندما بلغ الثمانين وظل حتى هذه السن يتمتع بعقل راجح وبصيرة نافذة تحلت في مثابرته على تأليف الكتب وكتابة المقالات ولكن الذي يلفت النظر فيه اكثر من أي شيء آخر إنسانيته وخلقه واهتمامه الشديد بأشياء كثيرة ودوام الحيوية في شخصيته الفذة.

وقائع النظرية:

أهم المبادئ الأساسية التي تقوم عليها نظرية يونج:

- مبدأ القطبية:

من الأفكار الهامة التي اقتنع بها يونج أن العالم قد وجد بسبب التعارض القائم بين الأشياء والتعارض يستدعى الصراع، وهذا الصراع هو الذي يدفع إلى الأمام ويحدث التقدم، فالتقدم والحركة وتغيير الأوضاع كلها تكون ممكنة فقط تحت ظروف الضغط والرغبة

في إزالة الضغط عن طريق القوة المضادة هي التي تجعـــل الشـــيء الأصلي يتحرك في صورة عمل، يقول يونج أن كل ما يوجد له شـــيء آخر مقابل حتى لو كان هذا المقابل هو عدم وجود الشـــيء الأصلـــي فهناك حياة – لا حياة، جوع – لا جوع، حب – لاحب.

وعلى عكس نظرة فرويد إلى الشخصية باعتبارها كمـــا لـــو كانت منزلاً منقسماً على نفسه ولا يصل أبداً إلى حالة هدوء واستقرار . فإن يونج يقترح نهاية سعيدة لقصة التعارض هذه، هناك حالة تـــوازن تحدث بين هذه القوى المتعارضة حقيقة أن التوازن الحقيقـــي يكـــون قصير الأمد ولكنه مع ذلك دليل على حدوث تقدم.

اقترح يونج أساليب ثلاثة تتخذها النفس لحل صراعاتها:

- التعويض:

عندما تشعر الشخصية بأنها في حالة عجز عن تحقيق هـــدف مرغوب فيه فإنها تبحث عن أهداف أخرى لها نفس الجاذبية ويـــترتب على تحقيقها إزالة الصراع وقد لا يكون للفعل الرمزي نفس قوة الفعل المادي فالحلم ليس فعلاً تعويضياً حقيقياً.

- الإتحاد:

فقد تتحدد قوتين معاً للبحث عن حل مناسب لكليهما والاتحـــاد أو الوحدة تؤدي إلى التقدم مثال من لغتنا الدارجة (أنا وأخويا على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب) فإن اتحاد القوى المتصارعة قـــد يكون سبيلاً لحل الصراع.

- **التعارض:**

هذا الأسلوب يؤدي إلى الحركة واحتمـــال التقــدم كالمنافســة التجارية بين الشركات والمصانع، كالمنافسة بين تلميذين مـــن أجــل الحصول على أعلى تقدير في الامتحان فقد يؤدي الصراع بينهما إلــى حفز كل منهما على العمل وأن يصل إلى ما وراء مجرد التعلم للمـــادة الدراسية.

يرتبط مبدأ القطبية بمبدأين آخرين هما:

أولاً: مبدأ التعادل:

هذا المبدأ على نحو ما يستخدمه يونج في الوظيفـــة النفســية يقرر أنه إذا ضعفت قيمة معينة أو اختفت فإن مجموع الطاقـــة التـــي تمثلها هذه القيمة لن تفقدها النفس وإنما تعود إلى الظهور مرة أخـــرى في قيمة جديدة فالرغبة في التحول من نشاط واحد قد توجه إلى أنشطة أخرى، وإذا كبتت الرغبة فإن الإنسان يوجه أنشطته في الخيال نحـــو هدف مرغوب فيه، فالإنسان يستطيع أن يحلم طريقه الذي يسلكه نحــو حل صراعاته.

ثانياً: مبدأ الانتقال:

عندما تكون الأجسام متصلة فإن الجسم الأعلى يفقـــد بعـــض شحنته إلى أن يتساوى الجسمان بالنسبة للخصائص المتبادلة والحالـــة التي تنتج عن ذلك هي فقد الطاقة عندما يبلغ الجسمان حالة التـــوازن رغم أن حدوث التوازن التام صعب تحقيقه لكون الإنسان نظاماً مغلقــاً جزئياً يخضع لتأثيرات داخلية وخارجية، فإنه كلما اقترب لتحقيق ذلــك أصبح أقرب إلى الطمأنينة والأمن.

وفي ضوء مبدأ القطبية وما يرتبط به مـــن مبــدأي التعــادل والانتقال يفسر يونج الكثير من الظواهر والنظم التي تظهر واضحـــة في الشخصية فهناك العلية ضد الغائية، والإعلاء ضد الكبت والأنيمـــا ضد الأنيموس.

– تحقيق الذات:

الهدف الأساسي من نمو شخصية الفرد هو تحقيق ذاته ولقـــد كان يونج من النوع المتفاءل بالنسبة للإنسان ومســـتقبله. لقـد وجـد المستقبل حسناً فهو أفضل من الماضي وجميع الدلالات تشير إلـــى أن مستقبل الإنسان سوف يظل يتحسن عما كان عليه في الماضي فالرجل الحديث في نظره قد تقدم كثيراً عما كان عليه في المـــاضي الرجـل البدائي والتحسن التدريجي للإنسان لا يصدر عن جـــهد كلـــي وإنمـــا يصدر فقط من خلال تحسن الشخصية الفردية.

فكيف تصل شخصية الإنسان إلى أعلى مستوى مـــن تحقيـــق الذات وما هي المكونات الأساسية لنظام الشخصية؟

بالرغم من أن نظرية يونج تعتبر عادة نظرية فـــي التحليـل النفسي بسبب تأكيدها للعمليات اللاشعورية فإنها تختلف فـــي جوانـــب تستأهل الاهتمام عن نظرية فرويد في الشخصية وربما كـــانت أبـــرز سمات نظرية يونج إلى الإنسان وأكثرها تمايزاً أنها تجمع بين الغائيـــة والعلية فسلوك الإنسان ليـــس مشـــروطاً فحســـب بتـــاريخ الفـــردي والعنصري (العلية) بل كذلك بأهداف وبمختلـــف ضـــروب طموحـــه (الغائية) وكل من الماضي كواقع والمستقبل كإمكان، يقود سلوك المرء في الحاضر.

وهذا الإصرار على دور المصير أو الغرض في نمو الإنسان يفصل بوضوح بين يونج وفرويد فعند فرويد لا يوجد غير تكرار لا يتوقف للموضوعات الغريزية حتى الموت.

أما عند يونج فيوجد النمو الدائم الذي كثيراً ما يكون خلاقاً والبحث عن الكل والكمال والسعي إلى الميلاد الجديد كذلك تتميز نظرية يونج عن بقية المناهج الأخرى في دراسة الشخصية بما تعطيه من تأكيد للأصول العنصرية والخاصة بنمو الجنس البشري بأسره في تكوين الشخصية، إن أسس الشخصية ضاربة في القدم وبدائية وفطرية وربما كانت عالمية إن فرويد يؤكد الأصول الطفلية للشخصية على حين يؤكد يونج الأصول العنصرية للشخصية.

وهذا يعني أن يونج أكثر من أي عالم من علماء النفس قد نقب في تاريخ الإنسان ليتعلم بقدر ما يستطيع الأصول العنصرية للشخصية وتطورها.

بناء الشخصية:

إن الشخصية الكلية أو النفس Psyche كما يسميها يونج تتكون من عدد من الأنظمة المتفاعلة والمنفصلة برغم ذلك، والأنظمة الرئيسية هي: الأنا، واللاشعور الشخصي والعقدة، واللاشعور الجمعي وأنماطه الأولية والقناع، ثم الأنيميا، أو الأنيموس، وأخيراً الظل بالإضافة إلى هذه الأنظمة، توجد الاتجاهات الإنطوائية والانبساطية ووظائف التفكير والوجدان والإحساس والحدس وأخيراً توجد الذات التي هي الشخصية مكتملة النمو ومكتملة الوحدة.

الأنا Ego:

الأنا هو العقل الشعوري وهو يتكون من المدركات الشـــعورية والذكريات والأفكار والوجدانيات أن الأنا مسئول عن شـــعور المـــرء بهويته واستمراريته وهو من وجهة نظر الشخص ذاته يعتبر في مركز الشخصية.

الأنا مركز الشعور وأحد الأنماط الأولية الأساسية للشـــخصية والأنا تزودنا بإحساس بالاتساق والاتجاه في حياتنا الشعورية وتميـــل إلى معارضة ما يمكن أن يهدد هذا الاتساق الشعوري الهش وتحـــاول أن تقنعنا أنه علينا دائماً أن نخطط ونحلل خبرتنا شعورياً.

مفهوم الإنسان عند يونج يشمل فقط الأنشطة العقلية الشـعورية للإنسان. إنه أقرب إلى فكرة الرجل العادي عن نفسه أنه العقل الواعي في صلته بالواقع ويتكوں الأنا من المدركات الشـــعورية والذكريـــات والأفكار والوجدانيات فالأنا مسئول عن العمليات الشعورية كـــالتفكير والإدراكات وإحساسات التوحد في العالم الذي نعيش فيه.

- اللاشعور الشخصي Personal unconscious:

إن اللاشعور الشخصي منطقة مرتبطة بالأنا وهو يتكون مـــن خبرات كانت شعورية فيما مضى إلا أنها كبتت وقمعـــت ونســـيت أو تجوهلت ومن خبرات كانت بالغة الضعف في المقام الأول بحيـــث لا تترك انطباعاً شعورياً عند الشخص ومحتويات اللاشعور الفردي شأنها شأن مواد ما قبل الشعور عند فرويد يمكن الشعور أن يصل إليها وثمة قدر كبير من الحركة في الاتجاهين بين الشعور بالشخص والأنا.

يتألف اللاشعور الشخصي من النزعــات الطفليــة المكبوتــة والرغبات والمدركات قبل الشعورية والخبرات المنسية التي لا حصــو لها والتي تنتمي إليه وحده.

وذكريات اللاشعور الشخصي لا تكون تحت ســيطرة الإرادة بأكملها ولذلك قد استخدم يونج في المراحل المبكرة في عمله اختبــار تداعي الكلمات ليكشف عن هذه الذكريات.

ولقد كشف هذا الاختبار عن خاصية غريبة للبنية النفسية وهي ميل الأفكار إلى الارتباط والتداعي حول نواة معينة وهذه النواة يطلــق عليها ويونج العقد.

- العقد Complexes:

العقد مجموعة منظمة أو تجمــع مــن الوحــدات والأفكــار والمدركات والذكريات توجد في اللاشعور الشخصي إنها نواة تعمــل كنوع من المغناطيس الذي يجذب إليه أو يجمع مختلف الخبرات وكلما كانت القوة الناتجة من النواة قوية زادت الخبرات التي تجذبــها إليــها فالشخص الذي تسيطر على شخصيته الأفكار المتعلقة بالأم يقــال أن لديه عقد أم قوية وأفكاره ووجداناته وأفعاله يوجهها تصوره للأم.

وقد تكون العقدة شعورية أي أننا نعرفها وقد تكون شــعورية جزئياً أي أننا نعرف شيئاً عنها ونجهل أشياء وقد لا تكون لا شـعورية تسلك كما لو كانت مستقلة عن صاحبــها وســوف تخــرج الأفكــار والوجدانيات المرتبطة بها من الشعور وتعود إليه دون ضابط.

- اللاشعور الجمعي Collective unconscious:

إن مفهوم اللاشعور الجمعي أو الغير شخصي واحد من أكــثر سمات نظرية يونج في الشخصية أصالة وابتكاريـــة وإثــارة للجــدل والخلاف كذلك.

وإن اللاشعور الجمعي هو المتخلفات النفسية لنمـــو الإنســان التطوري تلك المخلفات التي تتراكم نتيجة الخبرات المتكـــررة عــبر أجيال كثيرة ويرجع يونج شيوع اللاشعور الجمعي وعموميتـــه إلـــى تشابه بناء العقل بين جميع أجناس البشر ويرجع هذا التشابه بدوره إلى التطور المشترك إن الذكريات العنصرية أو التمثيلات لا تؤثر في حـد ذاتها إنما نحن نرث إمكان إحياء خبرات الأجيــــال الماضيــة فـــهي استعدادات تعدنا للاستجابة للعالم بصورة اختيارية.

يرى يونج أننا نولد ولدينا إرث سيكولوجي كالارث البيولوجي وكلاهما محددان هامان للسلوك والخبرة إن اللاشعور الجمعي يشــتمل على مواد نفسية لا تجيء من الخبرة الشخصية.

ويرى يونج أن اللاشعور الجمعي هو الذي يوحد بين التكويــن النفسي لنا كبشر حيث يوجد بداخل كل منا من هذا اللاشعور الجمعـــي وإن كان هذا القدر يختلف من فرد لآخر فكان اللاشعور الجمعي هـــو المخلفات النفسية التي ورثناها عن أسلافنا من البشر وهو الذي يحمــل لنا الحكمة والمعرفة والخبرة التي أتتنا عن الجدود كالتماس ثــدي الأم للرضاعة عند الولادة والخوف من الظلام والمجهول واستخدام الرموز في الأحلام التي نراها في نومنا.

- **الأنماط الأولية Archetypes:**

يطلق على المكونات البنائية اللاشعورية الجمعية أسماء مختلفة منها:

الأنماط الأولية أو المسيطرات، الصور الأولية البدائية، الصور الأسطورية أو أنماط السلوك.

إن النمط شكل فكري شائع وعام يتضمن قدراً كبيراً من الانفعال وهذا الشكل الفكري يخلق صوراً أو رؤى تشابه في حياة اليقظة السوية بعض جوانب الموقف الشعوري فالنمط الاولي للأم مثلا ينتج صورة لشخص الأم تتبعه إذ ذاك بالأم الحقيقية بعبارة أخرى يرث الطفل تصوراً ذهنياً مكوناً سلفاً للأم بعامة ويحدد ذلك جزئياً كيف سيدرك الطفل أمه هو .. إن إدراك الطفل يتأثر أيضا بطبيعة الأم وبخبراته معها وبذا تكون خبرة الطفل نتاجا مشتركا لاستعداد داخلي لإدراك العالم بصورة معينة والطبيعة الفعلية لهذا العالم.

كيف ينشأ النمط الأولي؟

إنه وديعة دائمة في العقل لخبرة تتكرر على الدوام عبر أجيال كثيرة مثال ذلك أن أجيالاً لا حصر لها من البشر قد شاهدت الشمس تقوم برحلتها اليومية من أفق إلى آخر وتكرار هذه الخبرة المؤثرة تنبت في نهاية المطاف في اللاشعور الجمعي بوصفها نمطاً أولياً للشمس ــ الإله القوي القهار وثمة أفكار وتصورات ذهنية معينة للإله الأعظم تعتبر امتداداً للنمط الأولي للشمس.

والأنماط الأولية ليست بالضرورة معزولة بعضها عن البعض الآخر في اللاشعور الجمعي بل إنها تمتزج وتختلط بعضها بـــالبعض الآخري.

- القناع Persona:

يطلق على القناع الذي يرتديه الشـــخص اســتجابة لمطـــالب المقتضيات الاجتماعية والتقاليد واستجابة لمطـــالب الشـــخص ذاتــه الناجمة عن حاجات النمط الأولي.

والقناع هو الشخصية العامة في مقابل الشـــخصية الخاصــة والتي توجد قابعة خلف الوجهة الاجتماعية.

القناع هو من الأنا ذلك الجزء المتوجه إلى العالم الخـــارجي، إنه شاشة بين الأنا والعالم المحيط أو هو غطاء، أو نوبات بين الفـــرد والمجتمع وهو حل وسط بين المتطلبات الخارجية وبين الذات.

مثال: فلنتأمل المعلم القاس والذي يحافظ على أن يظهر دائمـــاً بذلك القناع أو رجل الدين، أو رجل القضاء.

- الانيما والانيموس The Anima and the animus:

من المعترف به والمقبول بدرجة لا بـــأس بــها أن الإنســـان حيوان ثنائي الجنسية فعلـــى المســـتوى الفســيولوجي يفــوز الذكــر بالهرمونات الجنسية الذكرية والأنثوية والأمر بالمثل لدى الأنثـــى إن الجنسية المثلية هي مجرد أحد الظروف وإن كانت أكثرها إثارة التـــي أدت إلى نشوء مفهوم الثنائية الجنسية عند الإنسان.

إن اللاشعور يكمل الشعور أي أن لاشعور الرجل يشتمل على عنصر أنثوي يكمله، كما يحتوي لا شعور المرأة على عنصر ذكـوي، هذا هو ما يطلق عليه يونج على الترتيب الأنيما والانيموس.

هذان النمطان الأوليان هما نتاج الخبرات العضوية للرجل مـع المرأة والمرأة مع الرجل الرجل يتفهم طبيعة المرأة بفضل ما لديه مـن انيموس كما أن المرأة تتفهم طبيعة الرجل بفضل ما لديها من انيما.

- الظل Shadow:

النمط الأولي للظل يتكون من هذا الجزء من اللاشعور الـــذي يرثه الفرد عن أجداده السابقين على الإنســـان فـــهو يمثـــل الغرائـــز الحيوانية ومن هنا فإن الدوافع الأخلاقية والدوافـــع الشـــهوية تصـــدر أساساً من الظل فالظل عند يونج يقوم مقام الهو والدوافع الشهوية فـــي اللاشعور عند فرويد فهو يمثل الغرائز الحيوانية البدائية المتوحشة فـي الإنسان والسلوك السيئ خلقياً الذي يســـتحق التـــأنيب يصـــدر عـــن اللاشعور الجمعي القديم الذي ورثه الإنسان عـــن أجـــداده والســـلالة الحيوانية.

ولقد وجد يونج أن المادة المكبوتة تنتظم وتبقى حـــول الظـــل الذي يصبح ذاته سالبة لمعنى من المعاني، إنه ظل الأنا وكثـــيراً مـــا يخبر الظل في الأحلام كشكل معتم بدائي.

- الذات The self:

اعتبر يونج الذات في كتاباتـــه الأولـــى معادلـــة للنفـــس أو الشخصية الكلية، إن الذات هي نقطة الوسط فـــي الشـــخصية تتجمـــع

حولها جميع النظم الأخرى وهي تجمع هذه النظم معاً وتمد الشخصية بالوحدة والتوازن والثبات.

إن الذات هي هدف الحياة الهدف الذي يحاول الناس بلوغه دائماً لكنهم نادراً ما يبلغونه وهي مثل جميع الأنماط الأولية تحرك سلوك الإنسان وتدفعه نحو البحث عن الكلية وبخاصة عبر الدروب التي يقدمها الدين إن الخبرات الدينية الحق تصل في أقرابها من الذات إلى ما ربما لا يصل إليه بحال معظم الناس.

إن الذات تحفظ النفس في حالة استقرار وثبات نسبي ويكون ذلك في سن متقدمة بعد أن يكون قد تغلب على تهور المراهقة والاتجاه نحو العالم الخارجي في بداية الرشد حيث تحل اتجاهات الإنطواء تدريجياً محل اتجاهات الانبساط وتحل الطاقة النفسية محل الجسمية لإحداث التوازن في حياة الفرد حسب مبدأ التعادل والانتقال كما تصبح الحاجات العضوية أقل أهمية من الحاجات الثقافية والنتيجة النهائية لإعادة التوافقات هذه هي نفس متوازنة.

- الاتجاهات Attidudes:

ميز يونج اتجاهين أساسيين أو موقفين تتخذهما الشخصية:

* اتجاه الانبساط. * واتجاه الانطواء.

إن الاتجاه الانبساطي: يوجه الشخص نحو العالم الخارجي الموضوعي.

إن الاتجاه الانطوائي: يوجه الشخص نحو العالم الداخلي الذاتي.

إن هذين الاتجاهين المتعارضين يوجد كلاهما في الشـــخصية، إلا أنه أحدهما يكون عادة أقوى وشعورياً على حيـــن يكـــون الآخـــر أضعف ولا شعوريا فإذا كانت الأنا تغلب عليها الانبساطية في علاقتها بالعالم فإن لاشعور الشخصية يكون منطوياً.

- **الوظائف The functions:**

هناك أربع وظائف ســــيكولوجية رئيســـية هـــي: (التفكـــير، الوجدان، الحدس، الإحساس).

التفكير: عملية ذهنية تقوم على الأفكار فالإنســـان يحـــاول بواســـطة التفكير أن يفهم طبيعة العالم وأن يفهم طبيعة نفسه.

الوجدان: فهو وظيفة القيمة قيمة الأشياء بالنسبة للفرد ووظيفة الوجدان تمنح الإنسان خبراته الذاتية باللذة والألم بـــالغضب والخـــوف والأسف والبهجة والحب.

الإحساس: فهو الوظيفة الإدراكية أو الواقعية وهو يعطـــــي الحقـــائق الحياتية أو تمثلان العالم.

الحدس: فهو الإدراك بواسطة عمليات لا شـــعورية ومحتويـــات دون الوعي فالإنسان القادر على الحدس يتجاوز الواقع والوجدانات والأفكار ليكون وليطور نماذج للواقع.

ويقال أن التفكير والوجدان وظيفتان منطقيتان لأنهما يستخدمان المنطق والحكم والتجريد والتعميم وهما يمكنان الإنسان من التعـــــرف على القانون والمشروعين في العـــالم ويعتـــبر الإحســـاس والحـــدس وظيفتين لا منطقيتين لأنهما يقومون علــــى إدراك العيـــان والجـــزئ والعرض.

إن الزعم بأن هناك أربع وظائف سيكولوجية بالضبط، هو كما يقول (يونج) أمر تبينه الوقائع التجريبية، ولكن ثمة قدر من الاكتمال تحققه هذه الوظائف الأربع ــ فالحواس تقرر ما هو معطى بالفعل والتفكير يمكننا من التعرف على معناه، والوجدان يخبرنا بقيمته، ويشير الحدس إلى احتمالات ما تتضمنه هذه الوقائع المباشرة وتعينه.

هناك ثماني أنماط للشخصية:

النمط المنبسط المفكر: هذا النمط يدرك كل شيء على أنه مشكلة عقلية تحل بجميع الحقائق والبيانات وبالاستدلال وصولاً إلى نتيجة منطقية وهؤلاء يصلحون للوظائف التنفيذية ويجيدونها.

النمط المنطوي المفكر: هذا النمط يتتبع أفكاره متوجهاً إلى الداخل بدلاً من توجهه إلى الخارج وقد ينشغل تفكيره انشغالاً تاماً بالواقع الذاتي والذي يكون مفهوماً للآخرين كالعلماء الواسعي الثقافة.

النمط المنبسط الوجداني: هذا النمط يميل إلى صحبة الناس والتحدث معهم وينتج حين يعمل عملاً يتطلب تفاعلاً مع الناس ويعمل على اكتساب موافقة الآخرين.

النمط المنطوي الوجداني: هذا النمط محكوم بمعتقداته القوية وولاءاته ولكن هذه الوجدانات والمشاعر يصعب أن تظهر إليهم إلا إذا تغلغلت ونفذت من قناع التحفظ.

النمط المنبسط الحسي: يضع يونج في هذا النمط من يستمتع بالخبرة الحسية العيانية كخبير تذوق الأطعمة وأنواع الشراب والروائح

والفنانين وأصحاب هذا النمط يتذكرون تفاصيل عيانية أكـــثر من أي نمط آخر.

النمط المنطوي الحسي: ويضم العاملين من الناس فمن لديهم ذاكـــرة قوية التفصيل وبسبب هدوئهم وانطوائهم فإنه لا يبدو عليـــهم مباشرة أن إدراكهم للواقع يتسم بغرابة جزئية.

النمط المنبسط الحدسي: هذا النمط يضع خططاً للمشروعات الجديدة على الدوام ويعمل على تنفيذها بحماس وطاقة واندفاع ويدخل في هذا النمط الزعماء والسياسيون، أنهم يكرهـــون الروتيـــن ويرون الالتفات إلى التفاصيل مملاً وقاتلاً.

النمط المنطوي الحدسي: هذا النمط ملتزم برؤية داخلية، صوفية، إن هذا الشخص في الحقيقة قد يكون مبتكراً أو لديه هوس بفكـــره معينة وحتى المبتكرون في الحقيقة كثيراً ما يساء فهمهم مــــن أترابهم وينبغي أن يكافحوا حتى تقبل أعمالهم.

التفاعل بين أنظمة الشخصية:

إن النظم والاتجاهات والوظائف المختلفة التي تكون الشخصية الكلية تتفاعل بعضها مع البعض الآخر بثلاث طرق مختلفة فقد يعوض أحد النظم ضعف جهاز آخر كما قد يعاض جهاز ما جهاز آخر كذلــك قد يتحد نظامان أو أكثر ليكونا تآلفاً.

مثال عن التعويض:

يمكننا تصوير التعويض بالتفاعل بين الاتجاهات المتعارضـــة للانبساط والإنطواء فإذا كان الانبساط هو الاتجاه الأعلى أو الغالب في

الأنا الشعوري فإن اللاشعور سوف يعوض ذلك وينمي اتجاه الإنطواء المكبوت.

- التعارض:

يكون في كل مكان في الشخصية، بين الأنا والظل وبين الأنا واللاشعور الفردي وبين اللاشعور الفردي والأنا وبين القناع واللاشعور الفردي.

إن الصراع بين القوى المنطقية والقوى المجافية للمنطق في النفس لا يتوقف. ويعتقد يونج أن العناصر القطبية لا تعارض بعضها بعضاً فقط ولكن تنجذب ويشد بعضها البعض.

يرى يونج أن الشخصية تكافح دوماً لتوحيد الاضداد إنها تكافح لتؤلف بين الملامح المتقابلة والمتضادة بحيث تتوصل إلى شخصية متوازنة متكاملة.

ديناميات الشخصية:

يتصور يونج الشخصية أو النفس بوصفها نظاماً من الطاقة مغلقاً جزئياً ويقول أنه لا يعتبر مغلق تماماً لأنه لابد من إضافة طاقات من مصادر خارجية إلى النظام مثل الأكل، كما تنتزع من النظام طاقة مثال ذلك القيام بالأعمال العضلية وتعني حقيقة تعرض ديناميات الشخصية للمؤثرات والتعديلات من المصادر الخارجية أن الشخصية لا يمكن أن تحقق حالة من الاستقرار الكامل وهو ما كان يمكن لو أنها كانت نظاماً مغلقاً تماماً فهي تستطيع فحسب أن تحقق قدراً نسبياً من الاستقرار.

الطاقة النفسية:

تسمي الطاقة التي تستخدمها الشخصية في أداء عملها الطاقة النفسية والطاقة النفسية مظهر لطاقة الحياة، التي هي طاقة الكائن العضوي بوصفه نظاماً بيولوجياً وتنشأ الطاقة النفسية بنفس الطريقة التي تنشأ بها كل طاقة حيوية، أعني من عمليات الهدم والبناء في الحسم والاصطلاح الذي يطلقه يونج على طاقة الحياة هو اللبيدو إلا أنه يستخدم اللبيدو أيضاً ليعني كذلك الطاقة النفسية ولا يتخذ يونج موقفاً إيجابياً فيما يتعلق بعلاقة الطاقة النفسية بالطاقة الفيزيقية إن الطاقة النفسية بناء فرضي ليست مادة أو ظاهرة عيانية لذلك لا يمكن قياسها أو الإحساس بها.

القيم النفسية:

إن مقدار الطاقة النفسية المستثمرة في عنصر من عناصر الشخصية تسمى قيمة هذا العنصر، والقيمة مقياس للشدة فعندما نتحدث عن إعطاء قيمة كبيرة لفكرة أو وجدان معين فإننا نعني أن هذه الفكرة أو هذا الوجدان له قوة لها وزنها في حفز السلوك وتوجيهه والشخص الذي يعطي الحقيقة قيمة سوف ينفق قدراً كبيراً من الطاقة في البحث عنها.

قدرة العقدة على التجميع:

ما هي الوسائل الممكنة لتقدير قدرة العنصر النووي على التجمع؟

- الملاحظات المباشرة بالإضافة إلى الاستنتاجات التحليلية.

- المؤثرات الداله على العقدة.

- شدة التعبير الوجداني.

إن المرء يستطيع عن طريق الملاحظة والاستنتاج أن يصـل إلى تقدير لعدد المستدعيات المتصلة بعنصر نووي فالشـخص الـدي يعاني من عقدة أو قوية يميل إلى اقتحام أمه أو شيء يتصل بها في كل نقاش سواء أكان ذلك أمراً مناسباً أم لا فهو يفضل القصص والأفـلام السينمائية التي تلعب فيها الأمهات دوراً كبيراً.

نمو الشخصية:

يعتقد يونج أن الإنسان يتقدم دائماً، وهو يحاول التقـدم مـن مرحلة أقل كمالاً من النمو لمرحلة أكثر كمالاً كذلك يعتقد أن الجنـس البشري كنوع يتطور على الدوام إلى أشكال من الوجود أكثر تفاضلا

ما هو هدف النمو: ما هي الغاية التي ينشد الإنسان والجنـس البشري بلوغها؟

إن الهدف النهائي يلخصه اصطلاح تحقيق الذات، إن تحقيـق الذات يعني أتم أشكال التفاضل وأكثرها تكاملاً والانسجام بين جميـع جوانب الشخصية الكلية للإنسان أنها تعني أن النفس قد طورت مركزا جديداً وهو الذات يحل محل المركز القديم وهو الأنا.

العلية في مقابل الغائية:

يرى يونج أن على عالم النفس في طلبه للفهم أن يكون له وجه يانوس إله الأبواب والبدايات عند الرومان ـ فهو ينظر بوجـه إلـى ماضي الإنسان وينظر بالوجه الآخر إلى مستقبل الإنسـان وعندمـ

تجتمع هاتان النظرتان فإنهما تعطيان صـــورة كاملــة للإنســان، إن الإنسان من وجهة نظر العلية سجين ماضيه ولا يستطيع أبطال ما تــم بالفعل وقوعه ومن الناحية الأخرى فإن الاتجاه الغائي يعطي الإنســان شعوراً بالأمل وبوجود شيء يعيش من أجله أن سيكولوجية يونج هــي في جوهرها سيكولوجية متفائلة.

الوراثة:

إن الوراثة عند يونج تتضمن:

- وراثة الغرائز البيولوجية التي تخدم أغراض المحافظة على الذات والتكاثر.
- وراثة لخبرات الأجداد وهي تعني إمكانات وجود نفس النظام مــن خبرات الأجداد تورث في شكل أنماط أولية.

مراحل النمو:

لا يحدد يونج بالتفصيل كما هو الشأن عند فرويد المراحل التي تمر بها الشخصية من الطفولة المبكرة حتى سن الرشد.

ففي السنوات المبكرة:

يستثمر اللبيدو في نشاطات ضرورية للبقاء وقبل سن الخامسة تبدأ القيم الجنسية في الظهور وتبلغ قمتها خلال المراهقة.

وتبلغ غرائز الحياة الأساسية والعمليات الحيوية فــي شــباب المرء والسنوات الأولى من الرشد، ذروتها فالشخص الشــاب يكــون فياضا بالطاقة والقوة ويكون مندفعاً وعاطفياً كما أنه لا يزال إلى حــد كبير معتمداً على الآخرين وعندما يصل الفرد إلى أواخر الثلاثينيــات

وأوائل الأربعينيات يحدث تغير حاسم عبر قيمة فاهتمامـــات الشـــباب وأهدافه تفقد قيمتها لتحل محلها اهتمامات جديدة أكـــثر ثقافيـــة وأقـــل بيولوجية.

التقدم والنكوص:

قد يسير النمو في حركة تقدمية مستقيمة أو في حركة نكوصية متراجعة إلى الوراء ويعني يونج بالتقدم أن الأنا الشـــعوري يتوافـــق بشكل مرض لمطالب البيئة الخارجية ولمطالب اللاشعور معاً.

وفي التقدم السوي تتحد القوى المتعارضة في ســبيل متـــآزر منسجم من العمليات النفسية، وعندما تعطل الحركة المتقدمة إلى الأمام بفعل ظرف محيط، فإن اللبيدو يمنع إذ ذاك من أن يستثمر في القيـــم المنبسطة أو التي تستهدف البيئة ونتيجة ذلك أن ينعكس اللبيـــدو إلـــى اللاشعور ويستثمر نفسه في قيم انطوائية أي أن قيم الأنا الموضوعيـــة تتحول إلى قيم ذاتية.

عملية التفرد:

أي أن الشخصية التي تتجه إلى النمـــو فـــي اتجـــاه الوحـــدة المستقرة الثابتة سمة مركزية في سيكولوجية يونج. فالنمو تفتح للكـــل الأصلي غير المتفاضل الذي يولد به الإنسان والهدف النـــهائي لـــهذا التفتح هو تحقيق الذاتية.

ولكي يتوفر للفرد الشخصية الصحيحة المتكاملـــة لابـــد مـــن السماح لكل نظام ببلوغ أقصى درجات النمو وتسمى العمليـــة التـــي تتحقق ذلك بواسطتها باسم عملية التفرد، وفيها تصل الذاتية إلى أعلـــى مستوى للنمو في كل أجزائها.

الوظيفة المتعالية The transcendental function

عندما يتم بلوغ التباين بفعل عملية التفرد تتكـــامل الوظـــائف المتفاضلة بفعل الوظيفة المتعالية وتملك هذه الوظيفة القدرة على توحيد جميع الاتجاهات المتعارضة للنظم المتعددة عاملة على بلوغ الـــهدف المثالي.

الكلية الكاملة (الذاتية) أن هدف الوظيفة المتعالية هــو كشــف النقاب عن الإنسان الجوهري وتحقيق الشخصية في جميع جوانبـــها، **الكبت يمكن أن يعارض الوظيفة المتعارضة.**

الإعلاء والكبت:

إن الطاقة النفسية قابلة للإزاحة ويعني ذلك أن مـــن الممكـــن تحويلها عن إحدى العمليات في نظام معين إلى عملية أخرى في نفـس النظام أو في نظام مختلف ويتم هذا النقل وفـــق المبـــادئ الديناميـــة الأساسية للتعادل والانتقال أما إذا كان الذي يحكم الإزاحة عملية التفرد والوظيفة المتعالية فإنه يسمى إعلاء أو تسامياً ويصف التسامي إزاحـــة الطاقة من عمليات اكثر بدائية وغريزية وأقل تفاضلاً إلـــى عمليـــات ثقافية وروحية أسمى وأكثر تفاضلاً، أما عندما تعاق تفريـــغ الطاقـــة سواء كان ذلك بفعل مسارات غريزية أو متسامية فإنه يقال أنه قد كبت والطاقة المكبوتة لا تستطيع أن تختفي فحسب بل عليها أن تسري إلـــى مكان ما على حسب مبدأ بقاء الطاقة.

إن للتسامي وللكبت طبيعتين متعارضتين تماما ــ فالتســـــامي تقدمي والكبت نكوصي.

القلق:

لم يتعرض يونج لدراسة مشكلة القلق دراسة مستقلة منظمـــــة غير أننا نستطيع أن نستنتج رأيه في هذه المشكلة من ثنايــــا كتاباتــه الأخرى يعتقد يونج أن القلق عبارة عن رد فعل يقوم به الفرد حينمــــا تغزو عقله قوى وخيالات غير معقولة صادرة عن اللاشعور الجمعـــي فالقلق هو خوف من سيطرة محتويات اللاشعور الجمعي غير المعقولة التي لازلت باقية فيه من حياة الإنسان البدائية. ويعتقد يونج أنْ الإنسان يهتم عادة بتنظيم حياته على أسس معقولة منظمة وأن ظهور المــــادة غير المعقولة من اللاشعور الجمعي يعتبر تهديداً لوجوده.

الرمز:

الرمز شيء أساسي في نظرية يونج للشخصية فالإنسان وحـدة يتميز بقدرته على العمل في الحياة مستخدماً الرموز بينما يتعذر ذلــك بالنسبة للصور الدينامية من الحياة الحيوانية.

للرمز في سيكولوجية يونج وظيفتان أساسيتان:

- محاولة إشباع دفعة غريزية قد أحبطت.
- تجسيد لمادة نمطية أولية.

إن التمثيل الرمزي للنشاط الغريزي لا يمكن بحال أن يكـــون مصدر إشباع كامل مهما كان الأمر ذلك أنه لا يصل إلى الموضــــوع الحقيقي ولا يفرغ كل اللبيدو وينشد الشخص دواماً أشكالاً رمزية أكثر كفاءة في التعبير عن الغرائز المحبطة ويعتقد يونج أن اكتشاف رمــوز

أحسن أي رموز تفرغ طاقة أكثر وتخفض توتراً أكثر تمكن المدينة من التقدم إلى مستويات حضارية أسمى وأسمى.

إن جانبي الرمز، الجانب الرجعي والذي تقود الغرائز خطـــاه والجانب المستقبلي والذي تقود خطاه الأهداف النهائية للجنس البشــري هما جانبان لعمله واحدة ويمكن تحليل الرمز لكلا الجانبين.

إن الشدة النفسية للرمز تكون دائماً أعظم من قيمة السبب الذي أنتج الرمز والذي يعنيه هذا هو أن هناك قوة دافعة وقوة جاذبـــة وراء خلق الرمز ويأتي الدفع من الطاقة الغريزية ويأتي الجذب من الأهداف المتعالية ولا يكفي واحد منها فقط لخلق الرمز.

البحوث المميزة وطرق البحث:

أ- الدراسات التجريبية للعقد:

(جهاز التيموجراف (للنفس)) ــ (السيكوجلفانومتر (للجلد والعرق))

إن أول دراسات ليونج تجذب انتباه علماء النفــس اســتخدمت اختبار تداعي الألفاظ مع استخدام المقاييس الفسيولوجية للانفعال.

وفي اختبار تداعي الألفاظ نقرأ على المفحوص قائمة مقننة من الكلمات واحدة إثر أخرى ويطلب منه الاستجابة بأول كلمة تخطر على باله.

ب- دراسة الحالة:

إن دراسة الحالة هي الطريقـــة الأساســـية التـــي يســـتخدمها المحللون النفسيون لكشف المادة اللاشعورية ويونج أســـتاذ فـــي فـــن دراسة الحالة وقد قدم إسهامات مميزة لطريقة دراسة الحالة.

- طريقة سلسلة الأحلام:

طور يونج منهجا لتفسير الأحلام فبدلاً من الحلم استخدم يونــج سلسلة من الأحلام يحصل عليها من الشخص (طريقة الثبات الداخلي).

- طريقة التخيل الإيجابي:

يطلب من المفحوص أن يركز انتباهه على إحدى صور الحلـم المؤثرة ولكنها غامضة مبهمة، أو على صورة بصرية تلقائية ويلاحظ ما يحدث للصورة ويجب إيقاف ملكات النقد وملاحظـــة مـــا يحـــدث وتسجيله بموضوعية مطلقة.

ج- الدراسات المقارنة للأساطير والأديان وعلوم السحر:

لما كان من الصعب العثور على أدلة على الأنماط الأولية مـن المصادر المعاصرة وحدها فقد أوقف يونج قدراً كبيراً مـــن اهتمامـــه على البحوث في علم الأساطير والدين وعلم الكيمياء القديمة والتنجيم.

المكانة الراهنة والتقويم:

إن نظرية يونج في الشخصية كما طورها في كتاباته الغزيرة، وكما تطبق على نطاق واسع من الظاهرات الإنسانية تقف كواحدة من أبرز الإنجازات في الفكر الحديث، إن أصالة فكر يونج وشجاعته قــل أن تجد نظيراً لهما في تاريخ العلم الحديث، إن أفكار يونـــج تســـتحق أوثق الاهتمام من كل دارس جاد في علم النفس ومع ذلك فهناك عـــدد من المآخذ على هذه النظرية من بعض المعارضين لها منها:

- تجاهل يونج بالنسبة للأنماط مبدأ الفروق الفردية بين الناس حيــث أكد على أوجه الشبه بين الأفراد وأغفل أوجه الاختلاف كما وضع

حدودا فاصلة بين الأنماط وبعضها البعض مما يترتب عليه أن تلصق بالأشخاص كل أوصاف النمط ولكنه ليس معنى أن مجموعة من الأفراد منبسطون أو منطون أنهم متماثلون في كل شيء لكنهم يختلفون فيما بينهم من حيث الذكاء – الاتزان...

- يتهم فرويد يونج بأنه يغفل دور تاريخ الفرد، ويتجاهل الإقرار بالجنسية الطفلية وأنه يحيد عن ضرورة تحليل الطفولة.

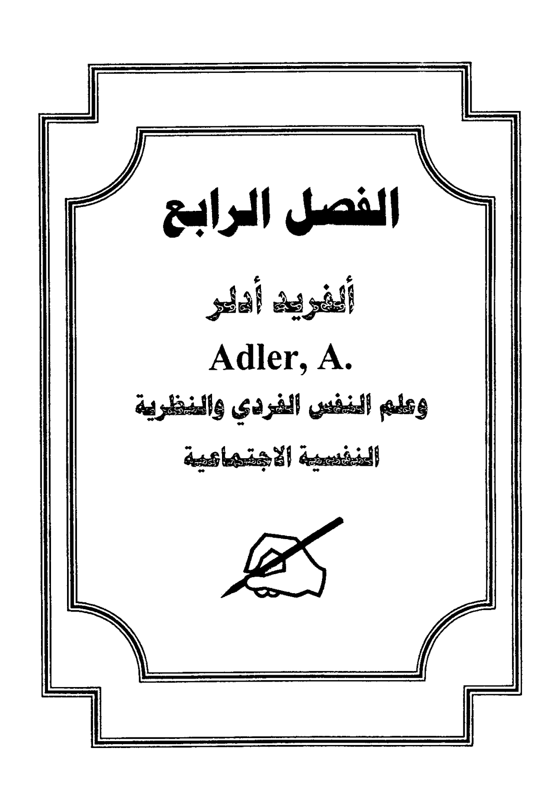
- تعنى نظرية يونج بالنماذج الشاذة من الشخصيات كالمنطوية والمنبسطة وهي قليلة نادرة الوجود الأنماط لا تمثل إلا الحالات المتطرفة من الشخصيات في حين أن السواد الأعظم من الناس عبارة عن خليط منها على درجات مختلفة وكثيرة جداً.

وذلك يعني أنها ربما لا تكون كافية أو صالحة للتعميم على الحالات العادية الممثلة لأغلبية الأفراد.

- وقد شن جلوفر المحلل النفسي الإنجليزي ما قد يحتمل أن يكون اشمل هجوم تعرض له علم النفس التحليلي فهو سخر من مفهوم الأنماط الأولية بوصفها ميتافيزيقية وغير قابلة للإثبات وهو يعتقد أن الأنماط الأولية يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً في نظام الخبرات ويتهم يونج بتمزيق اللاشعور الفرويدي وإقامة أنا شعورياً محله.

- سيكولوجية يونج تقوم على النتائج الإكلينيكية أكثر منها على البحث التجريبي.





الفصل الرابع

ألفريد أدلر

Adler, A.

وعلم النفس الفردي والنظرية النفسية الاجتماعية



الفصـــل الـــرابع

أدلـــــــــر

نجد أنه في السنوات الأخيرة في القرن التاسع عشر بدأ علـــم الاجتماع وعلم الإنسان في الظهور كفرعين مستقلين عن العلم كمـا أن نموها السريع كان ظاهرة لفتت الأنظار وبالتالي بدأ عدد مـــن اتبـــاع فرويد في سحب ولاءهم للتحليل النفسي التقليدي لعدم رضــــاهم عـــن قصور نظريته فيما يتصل بالظروف الاجتماعية المؤثـــرة فـــي نمـــو الشخصية وشرعوا في إعادة صياغة نظرية التحليـــل النفســـي طبقـــاً للخطوط التي يمليها الاتجاه الجديد المتطور من العلـــوم الاجتماعيـــة. ومن بين هؤلاء الذين زودوا نظرية التحليل النفسي بنظرة علم النفـــس الاجتماعي في القرن العشرين. ألفرد أدلر وكارين هورنـــــي وأريـــك فروم وهاري ستاك سوليفان، ويعتبر أدلر هو الشـــخصية المؤسســـية للنظرية الاجتماعية النفسية الجديدة. لأنه في فترة مبكرة اختلف مـــــع فرويد حول موضوع الجنسية وشرع في صياغة نظرية أصبحت فيـــها الاهتمامات الاجتماعية والعمل من أجل التفوق دعامتين أساسيتين مـــن الدعائم الفكرية للنظرية.

ولد ألفريد أدلر في أحد ضواحي فيينا بالنمسا فـــي ٧ فـــبراير ١٨٧٠ من الطبقة المتوسطة، كان والده يعمل بتجارة الحبوب، شــــب في ظروف مريحة واستطاع أن يشرك أسرته معه في حبه للموسيقى.

وبالرغم من حياته المريحة إلا أن طفولته تعسه واعتقـــد أنـــه قبيح ومرغوب عنه وكان ترتيبه الثاني بين أطفال ستة وكانت المنافسة

بينه وبين أخيه الأكبر كبيرة وكان أخوه ولد رياضي وطفل نموذجـــي وكانت أمه تفضل أخاه عليه.

ولم تكن نظرته لنفسه بغير فكان طفل معتل وضعيف أصيــب بالكساح ومات له أخ وهو بجانبه في فراش واحد وأصيب فـــي ســن الرابعة بالتهاب رئوي وأشرف على الموت. ودهمته السيارات خــلال صباه مرتين في شوارع فيينا واقتنع بوجوب أن يصبح طبيــب حيــن يكبر.

وكانت أمه تمتاز بالسذاجة والعطف وكانت شـــديدة العنايـــة بأطفالها ويغلب عليها حب الفكاهة. سمحة وصادقة وبالرغم من أنها لم تلق من التعليم قدراً كبيراً إلا أنها كانت تناهز أباه في العقلية وكـــانت أكثر تضحية من أباه وبرغم ذلك كان أدلر يفضل أباه لغيرته من أخيه الأصغر الذي كانت تكثر أمه من تدليله.

درس أدلر علم النفس والاقتصاد السياسي والاجتمـــاع وأتــم دراسة الطب في جامعة فيينا (١٨٩٥) بالرغم من فشله في صغره من المدرسة ونصح أحد معلميه أبوه أن يخرجه منها وجعله يعمـــل فـــي صناعة الأحذية إلا أنه كافح واستطاع أن يتفوق ويصبح من أفضـــل تلاميذ صفه.

وأثناء دراسته للطب حضر جانباً من المحاضرات في الفلســفة وعلم النفس وكان مغرم بدراسة التشريح وتخصص في البداية في طب العيون ثم اشتغل طبيباً عاماً وأخيراً اشتغل بالطب النفسي وتخصـــص في دراسة الأعصاب.

وبعد عامين من تخرج أدلر تزوج من فتاة روسية غنية جاءت إلى فيينا للدراسة وكانت زوجته هذه امرأة متحررة ومسيطرة، عـرف فرويد وكان من المولعين بآرائه وأصبح أحد الأعضـــاء المؤسســين لجمعية التحليل النفسي بفيينا.

بدأ أدلر يكون لنفسه رأياً مستقلاً عن رأي فرويد ويختلف عنه وانسحب من جماعة فرويد (١٩١١) وذلك حين طلب فرويد من أتباعه أن يقبلوا نظريته عن الميول الجنسية قبولاً مطلقاً.

وفي (١٩١٢) كون أدلر من سبعة آخرين الجماعـــة الحـرة للتحليل النفسي وأطلق عليها جماعة علم النفس الفردي، عمل طبيـــب في الجيش النمساوي وبعد ذلك طلبت منه الحكومة أن يفتتح عدداً مـن عيادات توجيه الأطفال في فيينا.

زار أدلر الولايات المتحـــدة (١٩٢٦) وألقـى سلسـلة مـن المحاضرات عن مذهبه في بوسطن وشيكاغو، وفي عام (١٩٢٧) عين محاضراً في جامعة كولومبيا، وفي عام (١٩٣٢) استدعته كلية لونـج إيلند في نيويورك وأنشئ له كرسي أستاذ في الطب احتفظ بــه حتــى وفاته، توفي أدلر خلال زيارته لمدينة إبردين باسكتلندا لإلقاء سلســلة من محاضراته من جامعتها في مايو (١٩٣٧).

اختلف أدلر مع فرويد عندما أكد علـــى أن ســلوك الإنســان تحركه غرائز فطرية ويناقض زعم يونج بأن سلوك الإنسان تحكمـــه أنماط فطرية. فأدلر يفترض أن سلوك الإنسان تحركه حوافز اجتماعية فالإنسان لديه عبارة عن كائن اجتماعي في أساسه وهو يربـــط نفســه بالآخرين ويشتغل بنشاطات اجتماعية تعاونية.

وقد اختلف كل من فرويد وأدلر اختلافاً حاداً، فبينمـــا يؤكـــد فرويد على أهمية الطفولة المبكرة وتكوين شخصية الإنسان فإن تصور أدلر أن الشخصية تؤثر فيها أهداف المستقبل. وبينمـــا يقســم فرويـــد الشخصية إلى قوى ومناطق، فإن أدلر يؤكد وحدة الشخصية. قد أكـــد أدلر على أهمية العوامل الاجتماعية في تحديد السلوك، وليس القـــوى البيولوجية أو الغرائز التي قال بها فرويد، وإننا في نظر أدلر نســتطيع أن نفهم شخصية الفرد من خلال علاقاته الاجتماعية وهـــذا الإهتمـــام الاجتماعي يتكون في الطفولة من خلال التعلم والخبرة. ومثل فرويـــد أكد أدلر على أهمية السنوات الأولى في حياة الطفل ولكنه يؤكد علـــى العوامل الاجتماعية أكثر من العوامل البيولوجية كما قلـــل مـــن دور الجنس في تشكيل الشخصية.

وتعتبر نظرية أدلر في الشخصية عكس نظرية فرويـــد مـــن وجوه عديدة فبينما رأى فرويد الأفراد في صراع مستمر الواحد مـــع الآخر ومع المجتمع، ورأى أدلر أنهم يبحثون عن الرفقة والانســـجام، وبينما تجاهل فرويد أسئلة تتصل بمعنى الحياة وبآثار مطامح المستقبل على حياة الفرد، جعل أدلر من هذه الأسئلة جزءاً رئيسياً من نظريتـــه. فالحياة النفسية للفرد تتحدد طبقاً للغاية التي يتجه الفرد إليها وبينما رأى فرويد أن العقل يتألف من مكونات مختلفة كثيراً ما تكون في صـــراع الواحد مع الآخر. نظر أدلر إلى العقل على أنه كـــل متكـــامل يعمـــل للمساعدة على تحقيق المرامي المستقبلية للفرد.

كما أن أدلر اختلف مع فرويد في أنه أنكر ميكانيزم الكبت لأنه كان يرفض التمييز بين الشعور واللاشعور ووضع أدلر الرغبة فـــي العدوان محل الرغبة في الجنس.

وكان أدلر من أصحاب النزعة الإنسانية والتي ينتمـــي إليـــها بعض المحدثين من علماء النفس مثل كارل روجـــرز ـــ جـــوردون ألبورت وكان متفائل بالنسبة لمستقبل الإنسان ويرى أن الإنسان لديـــه الفرصة ليصبح أفضل وأحسن مما هو عليه الآن وأن يتحرك قدماً إلى الأمام وأن يقلل من مشكلاته في الحياة ويصل إلى درجة كبيرة مــــن التوافق مع الحياة ومن هنا.كان اهتمام أدلر بالطريقة التي يتبعها الفـود في تكييف نفسه مع المجتمع فالإنسان في نظره كائن اجتمـــاعي فـــي أساسه ويربط نفسه بالآخرين ويفضل المصلحـــة الاجتماعيـــة علـــى المصلحة الأنانية ويكتسب أسلوباً خاصاً للحياة يغلب عليـــها الطـــابع والاتجاه الاجتماعي.

وقائع النظرية:

ويمكن أن نقدم وقائع نظرية أدلر للشخصية في معالجة بعـض المبادئ التي تقوم عليها النظرية وهي:

- القصور:

إن فكرة أن الإنسان مخلوق تدفعه مشاعر القصور قد تكونـــت لديه عندما كان يمارس عمله كطبيب في فيينا وقد لاحظ أدلر أن كثيرا من مرضاه يميلون إلى تركيز شكواهم حول أعضاء معينة من الجســم واكتشف أدلر قبل ظهور الطب النفسي الجسمي أن الإنسان يتحول إلى المرض لكي يحل كثيراً من مشكلاته غير الجسمية وغالباً مـــا تكـــون جملة الأعراض التي يشكو منها المرضى غير مرتبطة بالأعضاء التي يشكون منها وقد توصل أدلر إلى نظرية القصور العضوي فالإنســـــان يولد ولديه استعداد لقصور أحد أعضاء جسمه.

ويقصد بقصور العضو:

عدم استكمال نموه أو توقفه أو عــدم كفايتــه التشــريحية أو الوظيفية أو عجزة عن العمل بعد المولد. ووجود الأعضاء القــاصرة يؤثر في حياة الشخص النفسية لأنه يحقره في نظر نفسه ويزيد شعوره بعدم الأمن ولكن هذا الشعور هو الذي يدفع الفرد على بذل المزيد مـن الجهد لتعويض هذا الشعور بالقصور.

وتعويض العضو القاصر يجدد أسلوب حياة الفرد والطريقــة التي يهدف بها الفرد إلى تحقيق السيطرة فالشخص ضعيف البنية فــي الطفولة غالباً ما يعوض هذا القصور البدني بممارسة الرياضة.

ومن أمثلة التعويض:

ديموستين: الذي بلغ شأناً في الخطابة رغم ما كان لديه مــن عيوب كلاميه في طفولته.

بيتهوفن: الذي أخرج آخر قطعة موسيقية وأجملــها بعــد أن أصيب بالصمم.

ولم يلتزم أدلر حدود القصور البدني فقط بل شملت القصــور المعنوي والاجتماعي ونجد أن الطفل في صغره يكون لديه الشــعور بالقصور مرتفع فيحاول أن يصل إلى ما وصل إليه الكبار من قــدرات وقد لا يستطيع الوصول إلى ذلك وممكن أن ينكص إلى مستوى أدنــى وعندما يحقق الفرد أو يصل لهدف معين يشعر بنوع من الارتياح ثــم بعد ذلك يحاول الانتقال إلى ما هو أفضل وأكثر كمالاً.

ويرى أدلر أن الشعور بالقصور والذي يوجد مع الإنسان منــذ بداية الحياة هو الذي يحفظ للإنسان بقاؤه وحياته عبر الأجيال.

وربط أدلر القصور بالضعف العضـــوي وأســماه (الــنزوع للرجولة أو الاحتجاج الذكري)، وربط بين القصور والضعف والأنوثة وجمع بين القوة والرجولة. فيرى أن القصور مرادف الانوثة والقـــوة مرادفه للرجولة ويرى أن كلاً من الذكـــر والأنثـــى لديـــهم الشـــعور والنزوع للرجولة وهو ما يفسر به محاولة الإناث التشبه بالرجال فـــي الزي والتدخين والمطالبة بالمساواة بالرجل في الحقوق السياسية.

ولا يوافق أدلر على عد العوامل الجنسية العوامـــل الأساســـية للسلوك، ولكنه يعد الشعور بالنقص القوة المحركة لســـلوك الإنســـان (وهذا ينطبق على حياة أدلر الشخصية يعزو أدلر الشعور بالنقص إلى العيوب الجسمية التي قد تصيب شخصاً ما بحيث يشعر بالنقض ويلجـأ إلى التعويض.

وقد وسع أدلر مفهومه عن النقض بحيث شمل جميـــع أنـــواع النقض الجسمي والعقلي أو الاجتماعي الحقيقي أو المتوهم. وقد اعتقـد أدلر أن ضآلة الطفل واعتماده على غيره من شأنه أن يخلـــق عنـــده شعوراً عاماً بالنقص، وهذا الشعور العام بالنقص يتعرض له النــــاس جميعاً. ومع ذلك فإن الرغبة في الكمال تسيطر على الطفل وتدفعه إلى تجاوز الشعور بالنقص. والشعور بعدم الأمن وعملية الشـــد والجـــذب هذه تستمر طول الحياة دافعة الفرد إلى مزيد من الإنجازات.

ومشاعر النقص تؤدي إلى فائدة لكل من الفرد والمجتمع لأنـــها تؤدي إلى تحسن مستمر لمواجهة مواقف الحياة المختلفة، ومع ذلك فإن مشاعر النقص في الطفولة والتي تقابل بمزيد من التدليل أو بمزيد مـــن

القسوة يمكن أن تؤدي فيما بعد، إلى سلوك تعويضي، وكذلـــك فــإن الإخفاق في التعويض عن مشاعر النقص يؤدي إلى تكوين ما اســماه أدلر عقدة النقص Inferiority Complex والتي تجعل الفرد غـــير قادر على معالجة مشاكل الحياة معالجة سوية بناءه. وقد شاع تعبـــير عقدة النقص شيوعاً واسعاً سواء في علم النفس، أو في الأدب، أم فـــي الحياة العامة.

ويمثل بيشوف نظرية أدلر ومفاهيمه برسم توضيحـــي علـــى شكل درج (سلم) إذ يبدو له أن فكرة أدلر الأساسية هـــي أن الإنســان طيلة حياته يدخل في صراع لكي يتحرر من الشعور بالنقص ويصـــل إلى الشعور بالتعالي. وأن الحياة ما هي إلا سلسلة متكررة للتحرر من نقص معين فإذا تحرر منه الإنسان وجد نقصاً آخر فتتكرر العملية لأن هناك دائماً خطوة أعلى من المستوى الحالي الذي يجد الإنسان نفســـه فيه ويصبو دائماً إلى المستوى الأعلى.

ونرى أن أدلر أخضع هذا الرأي ــ الاحتجاج الذكري ــ لرأى أكثر شمولاً وهو أن مشاعر النقص تنشأ من إحساس بعدم الاكتمال أو عدم الاتقان في أي مجال من مجالات الحياة فالطفل تحركه مشـــاعر النقص لديه ليجاهد من أجل بلوغ مستوى أعلى من النمو وعندما يصل إلى هذا المستوى يبدأ في الإحساس بالنقص مرة أخرى فتظهر حركـــة إلى الأمام. ويرى أدلر أن مشاعر النقص ليست علامة على الشـــذوذ وإنما هي سبب كل ما يحققه الإنسان من تحسين وقد يبالغ في مشــاعر النقص بفعل ظروف خاصة كالتدليل الذائد للطفل أو نبذة.

وعلى الرغم من أن مشاعر القصور تعمل كمثير للنمو لكنـــها ممكن أن تخلق العصاب فقد تسيطر مشاعر القصور والدونيـــة عليـــه

وعند هذه النقطة تحول دون إنجازه أي شيء وفي هذه الظروف تعمل مشاعر القصور كعانق بدلاً من أن تعمل كمثير للإنجاز ويقال عن هذا الشخص أن لديـــه عقــدة قصـــور أو مركـــب نقــص Inferiority Complex.

ويرى أدلر أن الناس جميعاً يخبرون مشاعر القصور ولكنـــها تؤدي عند البعض إلى إثارة العصاب وعند البعض الآخر تخلق الحاجة إلى النجاح.

- السيطرة والكفاح في سبيل التفوق:

من الخطأ أن يعالج مبدأ السيطرة مستقلاً عن مبـــدأ القصـــور فهما مرتبطان ببعضهم البعض ومع نمو مبدأ السيطرة وتطوره لـــدى أدلر لزم معالجته كمبدأ مستقل إن كان غير منفصل عن القصور.

بدأ أدلر بقبول فكرة فرويد عن الجنس كمحرك للســلوك فــي الحياة ولكنه تحرر من هذه الفكرة وذهب في تفكيره إلى أن الإنســـان حيوان عدواني وأنه بسبب هذا السلوك العدواني بقى الإنسان على قيـد الحياة مما جعله يقول أن العدوان أكثر أهمية من الجنس.

ومن خلال معالجته لمرضاه رأى أن الإنســان ليــس مجــرد عدواني وإنما يهدف إلى بلوغ القوة بمعناها المحسوس والرمزي وقـــد ربط أدلر بين القوة والرجولة والقصور والأنوثة وقـــال أن الأمـــر لا يمت بسبب للحقائق البيولوجية، لأن سيطرة الرجل في الجماعة ليسـت وضعاً طبيعياً بل أن العراك العنيف في الجماعة ومعـــها هـــو الـــذي أوجده.

ولم يقف أدلر عند هذه الفكرة ووصل إلى أن المفهوم الأساسي في نظريته هو أن الإنسان يهدف إلى الرغبة فـــي الســـيطرة نتيجـــة الإحساس بالقصور أو العجز.

ونجد أن السيطرة عند أدلر لا تعنى فرض الســـــيطرة علـــى الآخرين وإنما تعنى السيطرة على الذات.

ويؤكد أدلر أن سعى الفرد نحو القوة والسيطرة يمثـــل دافعـــاً وقوة عامة للسلوك تستند على الشعور بالنقص. فالسعي وراء السـلطة أو التوافق هو نزعة فطرية وهدف لغالبية الناس، كما أنه ينشـــأ مـــن مشاعر النقص التي تلازم كل فرد، ومن هنا، فإن تطـــور الشـــخصية يكمن في السعي للتغلب على ما يلازمها من شعور بالنقص.

ما هي الغاية النهائية التي ينزع جميع البشر إلى بلوغها والتي تمنح الشخصية الثبات والوحدة؟

نجد أن هذه الغاية ليست العدوان وليست القوة وليست الذكورة وإنما هي التفوق والاتفاق ويشير أدلر إلى الكفاح في سبيل التفوق على أنه الحقيقة الأساسية للحياة وعلى الرغم من أن أدلر اســـتبقى الكفـــاح للتفوق كدافع أساسي في نظريته إلا أنه عدل ذلك من الكفـــاح لتفـــوق الفرد إلى الكفاح لتفوق الجماعة فيقول.

" ... بدأت أرى بوضوح في كل ظاهرة سيكولوجية الكفاح في سبيل التفوق ويسير ذلك موازياً للنمو الفيزيقي – وهو ضرورة للحياة ذاتها وجميع وظائفنا تتبع اتجاهه فهي تكافح من أجل الانتصار واليقين والزيادة سواء أكان تلك خطأ أو صواباً. إن القوة الدافعة من النـــاقص إلى الزائد لا تنتهي أبداً، والدافع من أسفل إلى أعلى لا يتوقف مطلقـــاً

ومهما تكن المقدمات التي يحلم بها فلاسفتنا الأخصائيون النفسـيون ــ حفظ الذات، مبدأ اللذة، التعادل ــ فإنها جميعا ليســـت إلا محــاولات غامضة للتعبير عن الحافز الأعظم إلى أعلى.

ولقد تطورت نظرية أدلر من النقطة التي أكدت فيـــها علـــى أهمية التعويض عن القصور العضوي، إلى التعويض عــن القصـــور الذاتي عن طريق العدوان والقوة، إلى أن الحقيقة الأساسية للحيـــاة أن جميع الناس يكافحون لتحقيق التفوق والاتقان. ما أساس هذا الكفاح من أجل الاتفاق؟

يرى أدلر أنه فطري وأنه جزء من تكوين جميع البشـــر منـــذ الميلاد.

يعتقد أدلر أن مشاعر القصور يمكن أن تـــؤدى إلـــى النمـــو الإيجابي أو إلى عقدة قصور أو مركب نقص. وقد أعتقـــد أدلـــر أن الكفاح للتفوق يمكن أن يكون نافعاً أو ضاراً فإذا ركز الشخص كليـــة على تفوقه وتجاهل جميع حاجات الآخرين وحاجات المجتمع فقد ينمي عقدة أو مركب التفوق.

والشخص الذي لديه مركب التفـــوق يميـــل إلـــى أن يكـــون مسيطراً، مغروراً، متفاخراً وأن يحط أو يقلل من شأن الآخرين ومثـــل هذا الشخص وفقاً لأدلر ينقصه الاختلاط مع الآخرين وهو بـــالضرورة غير مرغوب فيه.

- أسلوب الحياة:

أسلوب الحياة هو المبدأ الأساسي عند أدلر فهو الـــذي يفســـر تفرد الشخص فالشخص لكي يسيطر على مشاعر القصور عنده لابـــد أن يكون له أسلوب محدد في حياته.

ونجد أن لكل شخص أسلوب حياة ولا يوجد شخصان يترسمان نفس الأسلوب وأسلوب الحياة يصطنعه الطفل فـــي ســـنواته القليلـــة الأولى. فلكل فرد هدف من نوع خاص يميل نحوه في كل موقف جديد وخصوصاً عندما يواجه مشكلات الحياة الكبرى وهي:

- مشكلة الاجتماع والمجتمع.
- مشكلة المهنة.
- مشكلة الحب.

فأسلوب الحياة ليس مفروض على الفرد بالوراثة بل يحدده إلى حد كبير مركز الأسرة التي يجد الطفل نفسه فيها فمثلاً الطفل المدلـــل يتخذ هدفاً له أن يكون مركز اهتمام وانتباه مـــن الآخريـــن والطفـــل المنبوذ له هدف الهروب إلى مسافة آمنة.

ونجد أن التدليل الزائد والاستسلام لرغبات الأم تحرم الطفـــل من فرص لا تعوض للتدريب على السيطرة وتحقيقها وإنمـــا داخـــل الذات. فالطفل لا يمكنه أن ينمي بنفسه أسلوب حياته مستقلاً عن هؤلاء الذين يرعونه. فإذا لم تكن أمام الفرد أهداف يكافح من أجلـــها فإنـــه سوف لا يتعلم كيف يتغلب علـــى مشـــكلات الحيـــاة التـــي تواجهـــه فالشخصية المدللة في نظر أدلر هي ضحية المجتمع.

ويرى أدلر أن الرغبة في التفوق هي عامة بالنســـبة للبشــر، ولكنه أشار إلى أن هناك العديد من الأساليب السلوكية للوصول إلـــى هذا الهدف حيث يحاول كل شخص تحقيق التفوق بأسلوب خاص، وهو ما أسماه أدلر أسلوب الحياة. وأسلوب الحياة في نظر أدلـــر يتضمـــن الأنماط السلوكية التي بها تقوم بالتعويض عن مشاعر النقص الحقيقيــة أو المتوهمة، وأسلوب الحياة هذا يتكون من الطفولة ويصبـــح ثابتـــاً وصعب التغيير، وهكذا يؤكد أدلر على أهمية مرحلة الطفولة المبكـورة، مثله في ذلك مثل فرويد.

وقد اتجه التفكير في بداية الأمر إلى الاعتقاد بأن أسلوب حيـلة الشخص يتم تشكيله وبناء أسسه وتثبيت إطاره خلال السنوات الخمـس أو الست الأولى من العمر فإنه لا يمكن تغيير ذلك الأسلوب فيما بعـد، وهو ما يتشابه إلى حد كبير مع وجهة نظر فرويد. غير أنه يتم العدول عن ذلك الاتجاه وأصبح الرأي السائد هو أن هذا الأسلوب ليس ثابتـــاً تماماً، وأنه حركي وديناميكي مما يمكن معه تعديله وتطويــــره تبعـــاً لمتطلبات البيئة الاجتماعية.

ويمثل أسلوب الحياة أهداف الإنسان وكيفية كفاحه في ســـبيل تحقيقها، كما يشمل أيضاً قدراته وحوافزه. وباختصار، فأسلوب الحيـاة هو كل ما يتعلق بشخصية الإنسان ويهدف أسلوب الحياة إلى تحقيـــق التفوق، غير أنه يمكن أن يكون حقيقياً وأصيلاً أو خاطئـــاً ومشوشـــاً، وذلك اعتماداً على مفاهيم الشخص ومعتقداته، كما يرى أدلر بأن لكـل إنسان هدفاً نهائياً في الحياة وأن هذا الهدف النهائي هو وحده القـــادر على التعبير عن سلوك الإنسان ويعنى ما سبق أن المستقبل هو أقــوى

مؤثر على الدوافع الإنسانية وأن الطريقة التي ينظر بها الإنسان إلـــى أهدافه المستقبلية هي التي تؤدي به إلى الشعور بالصحة أو المرض.

ويشير أدلر أن الأهداف الإنسانية تدور حول الميل للسعي إلى التفوق، وأن أسلوب حياة الفرد هو الأساس الذي به يستطيع أن يحقــق هدفه.

وتنتظم كل جوانب نشاط الفرد وكل أنماط سلوكه حول هـــذا الأسلوب.

وأسلوب الحياة يتضمن كل جوانب نشاط الفرد وتصرفاته التي فيها يسعى إلى تحقيق هدفه بخطة خاصة مميزة. فالأسلوب المتبع يمثل المحور الذي تدور حوله كافة جوانب حياة الفرد ســعياً وراء تحقيــق الهدف. وأن سعى الفرد نحو السلطة أو السعي وراء التفوق هو القــوة الدافعة للسلوك التي تستند على الشعور بالنقص للتحكم فـــي ظــروف الحياة.

والهدف الذي يحدد كل جوانب نشاط الفرد يتمثل فـــي ســعي الفرد نحو الكمال أو نحو تحقيق الذات. وتنشأ نزعـــة الســعي وراء التفوق من الخصائص الفطرية وكذلك من مشاعر النقص. فالاســتعداد الطبيعي الفطري في الإنسان لا يظهر بدون التوجيـــه والخــبرة مــن النظام الاجتماعي. ومن هنا، كان الميل الاجتماعي، وهـــو خاصيـــة فطرية في الإنسان يمثل الشكل النموذجي للسعي وراء التفوق والنزوع إلى الكمال وإلى تحقيق الذات الذي هو أرقـــى درجـــة مـــن تطــور الشخصية الروحي. ونجد أن إدراك الفرد لعجزه وشـــعوره بـــالنقص يؤدي إلى تنظيم نفسي تعويضي ونزوع نحو الكمال، وبالتالي الســـعي

نحو تحقيق الهدف النهائي للحياة وهو تحقيق الذات من حيث هي خلق إبداعي لشخصيته.

فالشخصية، عند أدلر، هي سيرورة إبداعية لذاتها من حيـــــث أنها تستطيع، من خلال شعورها بالنقص ونزوعها التعويضـــــي إلـــى الكمال، أن تستوعب العالم المحيط بها، وأن تخلق ظـــروف الوجـــود الفردي ــ الشخصي.

ونهائياً نجد أن أسلوب الحياة هو الشعار الرئيســـــي لنظريـــة الشخصية عند أدلر، وهو أكثر سمات سيكولوجيته تميزاً، إن أســــلوب الحياة هو مبدأ النظام الذي تمارس بمقتضاه شخصية الفرد وظائفــــها. إنه الكل الذي يأمر الأجزاء. وأسلوب الحياة هو المبدأ الأساسي الفردي عند أدلر. فهو المبدأ الذي يفسر لنا تفرد الشـــــخص. ولكـــل شـــخص أسلوب حياة إلا أنه لا يوجد شخصان لهما نفس الأسلوب.

ونجد أن كل شخص له نفس الهدف، هدف التفوق إلا أن هناك طرقاً لا حصر لها للعمل لبلوغ هذا الهدف.

فقد يحاول شخص أن يصبح متفوقاً عن طريق تنمية قدراتـــــه العقلية، على حين يحول آخر جميع جهوده لتحقيق الكمال العضلــــــي، وللمثقف أسلوب للحياة، وللرياضي أسلوب آخر فالمثقف يقرأ ويـــدرس ويفكر ويعيش حياة يغلب عليها الوحدة والجلوس في مكان بالقياس إلى ما يقوم الرجل النشيط. وهو يرتب تفاصيل وجوده، عاداته المنزليـــــة ونشاطاته الترفيهية وأسلوبه اليومـــــي الروتينـــي وعلاقتـــه بأســـرته وأصدقائه ومعارفه ونشاطاته الاجتماعية، بما يتفق وهــــــدف التفـــوق العقلي. فكل ما يفعله، يفعله وهو يضع نصب عينيـــــه هـــذا الـــهدف النهائي. إن سلوك الشخص بأسره ينبع من أسلوب حياته.

فنجد الشخص يدرك ويتعلم ويحتفظ بما يتفق وأسلوب حياتـــه ويتجاهل كل ما عداه.

ولكن ما الذي يحدد أسلوب الحياة لدى الفرد؟

أشار أدلر أن الذي يحدد أسلوب حياة الفـــرد هـــي النقـــائص النوعية التي يعانيها الشخص سواء أكانت متوهمة أم حقيقية. فأسـلوب الحياة تعويض عن نقص معين وإذا كان الطفل عليـــل الجســـم، فـــإن أسلوب حياته سيأخذ شكل القيام بتلك الأشياء التي ستؤدي إلى القـــوة البدنية والطفل الغبي يكافح من أجل تحقيق التفوق العقلي.

- الذات الخلاقة:

الذات الخلاقة لدى أدلر هي صاحبة السيادة في بناء الشخصية فالإنسان أكثر من مجرد حيوان لديه اســـتعدادات تخضـــع لماضيـــه الغريزي الموروث. وهو أكثر من كونه نتاج البيئة بل أنه مفسر الحياة ومترجمها فهو ينمي تراكيب الذات من ماضيه المـــوروث ويـــترجم انطباعات حياته اليومية. ويبحث عن خبرات جديدة لإشباع رغبته فـي التفوق والسيطرة وبالتالي يخلق لنفسه ذات وهوية تختلف عـــن ذوات الآخرين ونرى أن الذات الخلاقة توضح لنا أسلوب حياة الفرد فـــهي خطوة إضافية وراء أسلوب الحياة.

واعتبر أدلر الذات الخلاقة قمة أعماله وأخضع جميع مفاهيمـه الأخرى لهذا المفهوم.

ونجد أن الذات الخلاقة، مثلها مثل الأهداف الوهمية يصعـــب وصفها. فإننا نستطيع رؤية آثارها لكننا لا نستطيع رؤيتها ذاتها إنـــها شيء يحتل مكاناً متوسطاً بين المنبـــهات والمؤثـــرة فـــي الشـــخص

والاستجابات التي يستجيب بها الشخص لهذه المنبهات ونظرية الـذات الخلاقة هي في جوهرها أن الإنسان يصنع شخصيته فهو يبنيها مـــن المادة الخام. ونجد أن الذات الخلاقة تعطي الحياة معنى أنـــها تخلــق الهدف كما تخلق الوسيلة لبلوغ هذا الهدف فهي المبدأ الإيجابي النشـيط للحياة الإنسانية وهي لا تختلف عن مفهوم الروح القديم.

ولقد كان أدلر أول صاحب نظرية في الشخصية نـــادى بـــأن السلوك الإنساني ليس محتوماً كلية. لقد أصر على أن كل فرد حر فـي تحديد حياته. وبعبارة أخرى فإن الحياة وفقاً لأدلر معرضة لتفســيرات كثيرة ممكنة، وأن الأمر متروك للفرد ليتخير أكثرها فاعلية وأكثرهـــا جلباً للراحة. وسوف يتاح لكل فرد موروثاً بيولوجياً معيناً وعدداً كبيراً من الخبرات الماضية، ولكن الذات الخلاقة هي التي تعمل عملها فـــي هذه المتغيرات وتفسيرها وهذا ما تحدده شخصية الفرد. لقد أتضـــح أن مفهوم أدلر مفهوم ملهم لأنه شاع بين أصحاب نظريـــات الشــخصية المحدثين.

- الأهداف الوهمية:

رغم اعتقاد أدلر أن الماضي له أهمية بالغة في الحياة النفســية للفرد فمنه ينمو أسلوب حياته وكذلك ذاته الخلاقة فإن الإنسان تحركـــه توقعاته للمستقبل أكثر مما تحركه خبرات الماضي فالمستقبل هو الـذي يشكل ما سوف تفعله ذاته الخلاقة في أي لحظة معينة.

واعتبر أدلر نظرية فرويد تسير على مبدأ العلية. أما نظريتـــه فهي تسير على مبدأ الغائية، ويصر علم النفس الفردي إصراراً مطلقـاً على استحالة الاستغناء عن الغائية لفهم جميع الظاهرات الســيكولوجية

فالأسباب والقوى والغرائز والحوافز لا يمكن أن تخدم كمبادئ للتفسير وإنما الهدف النهائي هو وحده الذي يستطيع تفسير سلوك الإنسان.

وقد يكون هذا الهدف النهائي وهماً أو مثلاً أعلـــى يســتحيل تحقيقه لكنه برغم ذلك حافظ حقيقي لا جدال فهو يحث الإنسان علـــى بذل الجهد وفيه التفسير النهائي لسلوكه.

ويعتقد أدلر أن الشخص السوي قادر على تحرير نفســه مــن تأثير هذه الأوهام ومواجهة الحقيقة حينما تقتضي الضرورة ذلك وهــو أمر لا يقدر عليه الشخص العصابي.

أكد أدلر على أهمية وحدة الشخصية واتســاقها، والشــخصية يحركها هدف نهائي هو الرغبة في الكمال أو التفوق، وهو يتضمـــن تحقيق الذات وتطورها الكامل والتام. وفي هذا المقام يــرى أدلــر أن الجنس دافع هام ولكنه واحد من وسائل عديدة تــهدف جميعــها إلــى التفوق والكمال، وأن الدافع إلى التفوق والكمال دافع ولادي فيما يــرى أدلر وهذا الدافع هو المسئول عن تقدم الإنسان سواء أكان هذا التقــدم على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات.

ويرى أدلر انه لو كانت الغرائز والقوى الفطرية هــي التــي تتحكم في توجيه سلوك الفرد، لما كان في قدرة المرء أن يعــدل مــن شخصيته، ذلك لأن الشخصية لا يمكن أن تتكون وتنمو، إلا إذا كــانت النفس الإنسانية تتجه في نشاطها اتجاهاً غائياً، لأن الغائية التي يســعى نحوها الشخص، وينشط لتحقيقها هي العامل الحاسم في توجيهه.

فالحياة النفسية للإنسان تتحدد تبعاً للغاية التــي ينحــو الفــرد نحوها، ولأن السلوك الإنساني يقوم على النزوع إلى الهدف. فلكـــي

نفسر سلوك الإنسان وردود فعله النفسي، لابد مـــن معرفـــة الـــهدف النهائي لطموح الشخصية.

بمعنى أن توقعات الإنسان نحو المستقبل، إنما تنظم حياته أكثر من أحداث الماضي، ولذلك فإن هذه التوقعـــات تؤثـــر فـــي ســـلوكه الحاضر، وتؤدي إلى إحداث تغيرات هائلة في شخصيته.

والهدف، بالنسبة لأدلر هو وهم Fection يستعين بـــه الفـــرد على السير خلال فوضى الوجود. والوهم هو عبارة عن تكوين نفســـي في الإنسان يتخذه مرشداً وإسلوباً من استجابته للمواقف المعينة. ويلجأ الإنسان إلى الهدف النهائي وهذا المخطط يرسمه الطفـــل لا شـــعورياً للتخلص من ذلك النقص الذي يشعر بـــه أثنـــاء اصطدامـــه بالعـــالم الخارجي وهكذا يصير الوهم وسيلة يستخدمها الطفل للتخلـــص مـــن شعوره بالنقص فيصدر التعويض عن ذلك الوهم الذي يخضع هو نفسه للرغبة في الأمن. وكلما ازداد الشعور بالنقص عمقاً وشـــدة، ألحـــت الحاجة إلى خطة للتوجه تكون الغاية منها هي الأمن، وازدادت تلـــك الخطة وضوحاً وتحديداً.

وأكد أدلر على أن المرامي المستقبلية أو المثل أوهام مريحـــة وضعت لكي تجعل الحياة أكثر مغزى مما لـــو لـــم تكـــن موجـــودة والأصحاء يغيرون من هذه الأفكار حين تقتضي الظروف ذلـــك أمـــا العصابيون فإنهم يتمسكون بأوهامهم مهما كـــان الثمـــن فالأصحـــاء يستخدمون المرامي المتخيلة يعالجون بها مواقف الحياة، والحياة بغـــير معنى لا يمكن تحملها ولذلك يضفون عليها معنـــى وتصبـــح الحيـــاة فوضى ما لم تكن لها خطة ولذلك يبتكر الأفراد مثل هذه الخطة وتكون هذه المرامي والأفكار أو الخطط بالنسبة للأصحاء وسائل لكي يعيشـــوا

حياة أكثر فعالية. أما العصابي فتصبح غايات في ذاتها بـــدلاً مـــن أن تكون وسائل لغايات ولهذا فإنه يحتفظ بها حتى حين يثبت عدم فعاليتها في معالجة الواقع وهكذا فإن الفرق بين السوي والعصابي هو فرق في سهولة التخلص من خطة الحياة المتوهمة أو المتخيلـــة إذا صوغــت الظروف ذلك. إن السوي لا يعرب عن نظرة الواقع، أمـــا العصـــابي فخطة الحياة الوهمية تصبح واقعاً وحقيقة.

- الاهتمام الاجتماعي:

بعد أن نظر (أدلر) للإنسان باعتباره كائن عدواني انتقل إلـــى النظر إليه باعتباره متعطشاً للقوة، وفي ضوء فكرته عن القصور طور نظرته إليه ككائن حي يسعى إلى التفوق والسيطرة بما يكشف عنه من أسلوب حياة ثابت وذات خلاقة وفي النهاية وسع (أدلر) نظرتـــه إلـــى الإنسان باعتباره كائناً حياً له اهتمامات اجتماعية.

ويقول أدلر أن الشعور الاجتماعي بعد الميل إلى القوة يلعـــب أهم الأدوار في نمو الخلق ويتضح وجود ذلك الشعور كما يتضح الميل إلى الظهور من ميول الطفل الأولى وخاصة عند توثيق صلتـــه مـــع غيره وفي المتعة بما يبدونه نحوه من حنان وعطف.

وكدليل على طبيعة الاهتمام الاجتمـــاعي أشـــار أدلـــر إلـــى الاتصال بين الأم وطفلها وكلاهما في حاجة إلى الحب فبينمـــا يشـــبع الوليد جوعه فإنه يخفف ما تشعر به الأم من توتر بسبب امتلاء ثدييـها باللبن.

وقد كان مفهوم (أدلر) عن العلاقة بين الأم والطفل مختلفاً عن مفهوم فرويد الذي وصف العلاقة باعتبارها قائمة على دوافـــع فميـــة عدوانية.

ويعتقد أدلر أن الاهتمام الاجتماعي فطري "إن الإنسان مخلوق اجتماعي بطبيعته وليس بحكم العادة ولكن هذا الاستعداد الفطري شأنه شأن أي قدرة طبيعية لا يظهر تلقائياً وإنما يثمر بالتوجيه والتدريـــب ولقد كرس أدلر لإيمانه بمزايا التربية جزءاً كبيراً من وقتـــه لإنشـــاء عيادات توجيه الأطفال وفي إصلاح المدارس وتعليم العامة الأســـاليب السليمة في تربية الأطفال ويرى أدلر أن الإنسان الشاب تدفعه شهوة لا ترتوي للقوة والسيطرة ليعوض شعوراً عميق الجذور وإن كان خفيـــاً بالنقص والدونية، أما الرجل عند أدلر فالإنسان يحركه اهتمام اجتماعي فطري يجعله يخضع الكسب الخاص للصالح العام. لقد نسجت صـــورة الإنسان الكامل الذي يعيش في مجتمع كامل خيوطه في صورة الإنسان القوي العدواني الذي يسيطر على المجتمع ويستغله وكـــــل الاهتمـــام الاجتماعي محل الاهتمام الأناني.

ويشير أدلر إلى أن فهم شخصية الفرد وطبيعته الداخلية تستلزم الكشف عن الإطار الاجتماعي الذي فيه يحيا الإنسان. من حيـــــث أن الإنسان كائن اجتماعي تتشكل حياته في سياق من المعايير الأخلاقيـــة والثقافية والاجتماعية. وبما أن الإنسان محدد بـــــالروابط والعلاقـــات الاجتماعية، إذن لكي نفهم النشاط الداخلي له، لابـــد مـــن فـــهم هـــذه العلاقات الاجتماعية التي يتواجد فيها ويقيمها ويرى أدلر أن للظـــروف الاجتماعية والاقتصادية أثراً هاما على دوافع سلوك الإنســـان وعلـــى تكوين تفكيره. فالإنسان ليس كائناً منعزلاً عن الوسط الاجتماعي الـذي

يعيش فيه، بل كائن اجتماعي قادر على خلق شــخصيته مــن خــلال نشاطه الذاتي.

البحوث المميزة وطرق البحث:

قام أدلر بملاحظاته التجريبية في المجال العلاجي وكان يقــوم معظمها على إعادة بناء الماضي كما يتذكره المريض وتقدير ســلوكه الراهن والحكم عليه على أساس التقديرات اللفظية للمريض.

وأنشطة أدلر في مجال البحث هي:

- ترتيب الميلاد والشخصية:

يرى أدلر أن هناك اختلافات بين شخصية كــل مــن الطفــل الأكبر والأوسط والأصغر في الأسرة وأرجع هذه الاختلافات للخبرات المميزة التي يمر بها كل شخص بوصفه عضواً في جماعة اجتماعيــة فيحظى الطفل الأول بقدر كبير من الاهتمام إلى أن يأتي الطفل الثــاني فيفقد الطفل الأول وضعه المميز وأصبح عليه أن يشارك والديه فــي حبهم للطفل الجديد ويمكن أن يشعر الطفل الأكبر بكراهية النــاس أو يشعر بعدم الأمن.

أما الطفل الثاني فيتميز بطموحه ويحاول التفوق علــى أخيــه الأكبر ويميل للتمرد والحسد ويكون في الغالب أحسن توافقاً من كــل من شقيقيه الأصغر والأكبر.

أما الطفل الأصغر فهو الطفل المدلــل واحتمــال أن يصبــح مشكلاً وراشداً عصابياً سيئ التوافق.

- الذكريات المبكرة:

يرى أدلر أن أقدم ما يستطيع الشخص تذكره من ذكريات هــي مفتاح هام لفهم أسلوب حياته الأساسي مثال ذلك: ذكر شاب كان يعاني من نوبة ما حدث له في سن الرابعة "فكان يقول كنت واقفـــاً أراقــب العمال وهم يقومون ببناء المنزل وكانت أمي تجلس تصلح الجــوارب" وهذا يدل على أن هذا الشاب كان دائماً يأخذ دور المشاهد أكثر مــــن دور المشترك وكان دائماً قلقاً عندما كان يحاول القيام بعمل معين وقـد اقترح عليه أدلر أن يبحث عن وظيفة يمكنه أن يستغل فيـــها تفضيلـــه للملاحظة والتطلع وعمل الشاب بنصيحة أدلر فأصبح موزعاً ناجحـــاً للأدوات الرياضية.

- مواقف الطفولة وخبراتها:

كان أدلر يهتم بأنواع المؤثرات المبكرة التي تعد الطفل لاتخاذ أسلوب خاطئ في الحياة وقد اكتشف ثلاثة عوامل هامة هي أن هنـاك: أطفال يعانون من النقص ــ أطفال مدللون ــ أطفال مهملون.

وقال أن الأطفال الذين يعانون من عجــز عقلــي يحتمــل أن ينتابهم الشعور بعدم الكفاية في مواجهة أعباء الحياة فيعتبرون أنفســهم فاشلين ولكن إذا توافر لهم آباء متفهمون مشجعون فإنهم قد يستطيعون تعويض نقائصهم وتحويل ضعفهم إلى قوة.

وندد أدلر بأخطاء التدليل إذا اعتبره أكبر نقمة في حياة الطفـل فالطفل المدلل لا ينمو لديه شعور اجتماعي. كما أن إهمال الطفل لـــه عواقب غير حميدة فالأطفال الذين يعاملون معاملة سيئة في طفولتــهم

يصبحون في الرشد أعداء للمجتمع وتسيطر علـــى أسـلوب حياتـــهم الحاجة إلى الانتقام.

أسلوب أدلر في العلاج النفسي:

– في الوقت الذي ترك فيه فرويد المسئولية للأنا حال الوصول إلـــى الاستبصار فقد حاول أدلر ان يواجه طبيعة التغير بصــــورة أخــرى فالعلاج الناجح في نظر المعالج الذي يتبعه أدلر هو العلاج الذي يجعل المريض أكثر إنتاجية وأكثر عطاء من الناحية الاجتماعية بعد العــلاج عنه قبل العلاج.

ولما كانت صعوبات المريض تنشأ عادة من وجهـــة نظــره المشوهة أو الخاطئة أو كما يقول أدلر أحياناً عن نقص التفكير الســليم فإن الاسلوب العلاجي ينمو إلى أن يكون عقلياً أي أن أدلر يعتمد إلـــى حد كبير على العقل لمساعدة المريض على أن يفهم وجـــهات نظــره الخاطئة.

– وبمعنى من المعاني يطلب فرويد من مريضة أن ينكر التفكير السليم وأن يعتقد أن ما يراه سلوكاً بسيطاً إنما هو في الحقيقة يعبر عن قــوى لا شعورية غامضة وأما أدلر فهو على العكس يعتمد علـــى المعـــايير الاجتماعية أو التفكير السليم للمجتمع حتى يرى المريض وجهة نظـره المشوهة ومن الواضح وبصرف النظر عن فعالية الأسلوبين النســـبية فإن أسلوب أدلر هو الأسهل وأنه يتطلب وقتاً أقصر والعـــلاج وفقـا لأدلر يتميز بأنه قصير ويميل إلى الاعتماد علـــى العقــل واســتخدام التشجيع وبذر الثقة في النفوس وفيه يميل المعالج إلى أن يفسر أكـــثر

وبطريقة مباشرة والى توجيه طبيعة التغـــيرات التـــي تحـــدث لـــدى المريض نحو عطاء اجتماعي أكثر.

ويؤكد أدلر أن الفشل الذي يصيب الأفراد يرجع أساســـاً إلـــى الافتقار إلى عامل الميل الاجتماعي وأن فشل العصابيين أو الذهـــانيين أو المنحرفين هو افتقارهم إلى الشعور بالمحبة نحو الآخرين، ونقـــص عامل المشاركة الوجدانية في علاقاتهم مع الآخرين. فأسلوب حياتـــهم يقوم على الأنانية، وهدفهم النهائي هو الوصول إلى تفـــوق وهمـــي، وتأكيد الذات بطريقة غير سليمة. أي أن الانحراف كما يظهر في كـــل من الأمراض النفسية لا ينتج عن الميول الفطرية، بل عن غاية نهائية وهمية وعن مخطط مفهوم بصورة خائطة. أي أن المرض ينشأ فـــي أساسه من أن المريض كون لنفسه منذ الطفولة غايـــة يـــود تحقيقـــها تناقض الحقيقة وتعارض مطالب الحياة الإنسانية.

ويرى أدلر أن أهم خطوة من العلاج هي الكشف عن النظـــام العصابي للمريض أو عن نمط حياته وذلك عن طريق ســـبر أعمـــاق العالم الداخلي للمريض لأن الانحراف ناتج عن الغاية الموهومـة إذ أن الوهم الملح من تمجيد الشعور بالشخصية هو الـــذي يوجـــه ســـلوك العصابي. ومن هنا يلجأ العصابي إلى ضروب مختلفة مـــن الأوهـــام ليتحقق عن طريقها ما يحلم به من رغبة في السيطرة، ولذلـــك يتجـــه اتجاهاً جامداً نحو الغاية الموهومة التي اتخذها لنفسه. وبناء على ذلـــك فالعلاج ينبغي ان يبدأ بإخراج أفكار العظمة والســـيطرة إلـــى نطـــاق الشعور، حتى يستحيل عليها بذلك أن تؤثر في حياة الفرد العملية فمـــن الضروري مساعدة الإنسان على معرفة المخطط الذي رســـمه منـــذ البداية، أو تعديل هذا الفهم الخاطئ عن الحياة العامة، حتى يتمكن مـــن

مواجهة الحقيقة والتخلي عن الأفكار الوهمية التـــي لا تتطـــابق مـــع مطالب الحياة الإنسانية، وكذلك التخلي عن أسلوب حياته الشاذ ـــ وأن يتقبل هدفاً أكثر تشيعاً بالميل الاجتماعي وبالمشاركة الوجدانية.

ويرى أدلر أن أصل العصاب لا يكمن في الدفعات اللاشعورية المكبوتة والتي تسعى إلى الظهور بل في السعي المرضي لتعويـــض الشعور بالنقص. فهو يعتقد أن الشعور بالنقص هو إحساس عام عنـــد كل الناس وقد يأتي هذا الشعور من نقـــص عضـــوي حقيقـــي بـــأحد الأعضاء بالجسم أو يأتي نتيجة خبرات الطفولة المبكرة التـــي يشـــعر فيها الطفل بالضآلة والضعف والعجز فكل فرد يسعى بأسلوبه الفـــردي لكي يتغلب على هذا الشعور وتحقيق القوة والغلبة. ويوجه طموحاتـــه واتجاهاته وأنماطه السلوكية من أجل بلوغ هذه الغاية وهذا ما يشـــكل أسلوب الحياة.

وكلما كان أسلوب حياة الفرد موجـــه بشـــدة لتحقيـــق القـــوة والسيطرة على حساب الوظائف الأخرى كان السلوك عصابياً مرضياً.

ومن هنا كان العلاج النفسي لأدلر يسعى إلى توضيح طبيعـــة أسلوب الحياة التي يسير فيه المريض مع محاولـــة توجيـــه الوجهـــة الاجتماعية السوية بدلاً من أن يكرس دائماً هذا الأسلوب في الصـــراع من أجل القوة، ونجد أن هذا التفسير هو أداة المعالج الرئيسية ونجد أن أدلر في علاجه لمرضاه يركز في المقام الأول على مشكلات المريض الحالية وأهدافه المستقبلية وليس على صراعات الماضي. فهو يســـعى لوضع منهج علمي لحل المشكلات الموجودة الآن في السلوك اليومـــي للمريض.

ويمكن أن نصف العلاج النفسي عند أدلر بأنه عملية تعليميـــة يسعى فيها المعالج إلى مساعدة المريض في التغلـــب علـــى أســـلوبه العصابي ليكون اتجاهات أكثر إيجابية نحو الآخرين ويشكل نمطاً فـــي الحياة أكثر تقبلاً وسواء.

تقويم نظرية أدلر:

قيمة علم النفس الــ أدلري:

- تلقى نظرية أدلر الشيوع والانتشار، ونجد أن عـــدداً كبـــيراً مـــن المربين والموجهين النفسيين يتبنونها.
- أثارت كثيراً من البحوث عنها عن آثار ترتيب الطفل بين أخواتـــه على الشخصية.
- أكد أدلر على الكل وعلى البحث عن الهدف وأهميـــة القيـــم فـــي التفكير الإنساني وفي العاطفة الإنسانية وفي الفعل الإنساني.
- أهتم أدلر بمفهوم الأهداف في نظريته.
- أكدت النظرية على أن الطبيعة الإنسانية مرنة وقابلـــة للتشـــكيل والمجتمع أيضاً مرن وقابل للتشكيل.
- قدم أدلر معلومات كثيرة نافعة وإن كانت من النوع السهل والـــذي نظنه مألوفاً معروفاً.
- انتفع الطب النفسي كثيراً من نظريات أدلر وذلك من حيث النظـرة إلى أن جميع الاضطرابات هي التعبير الرمزي لقصد أو هدف مـا من المقاصد. إن سيكولوجية أدلر تعطي أهمية للنفس أو للفكرة في

تسبيب الاضطرابات، قائلة أن الأسباب النفسية لا الجسم العضـوي هي منشأ العصابات.

- صاغ أدلر قبل شيخه، نظرية عن الشخصية الكلية ثم أنه أظـــــهر بجلاء قوى الأنا وحاجات هذه القوى للتوسع والانتشار، وشدد على دور الغائية في السلوك، فليس الإنسان، كما إدعى فرويد لعبة فـــي مهب دوافعه.
- اهتم بالعوامل الثقافية في تكوين الشعور بالدونية. حيث أنـــه فـــي المجتمعات الراهنة يكثر التكالب والتنافس وإرهاق الأنـــا. وتقـــوم العوامل الثقافية بمهمة هامة في سيكولوجية الفرد وتكوين مشـــاعر الدونية. كما أن هذه العوامل الثقافية قد تدفع بالفعل، المـــرأة إلـــى شيء من التخلي أو رفض أنوثتها وما تفرضه عليها مـــن أعبـــاء وقيود.
- أوضح إمكانية الفرد على الاستغلال، استغلالاً بعيد المدى وإلـــــى أقصى حد لمعطياته الطبيعية، لقواه فمع شيء من الشـــجاعة فـــي طريقة مقارعة الشعور بالدونية يستطيع المرء بلـــوغ الصعـــاب وارتياد الشعاب. ذلك ما جرى مع ديموستين ومع أدلر نفسه ومـــع تاليران والذي كان أعرج فخلقت منه قدماه دبلوماسياً كبيراً.
- قدم أدلر ومدرسه علم النفس الفردي، خدمات نافعة إلى علم نفـــس الولد وعلم التربية ولا سيما في مضمار الأولاد الصعبين.

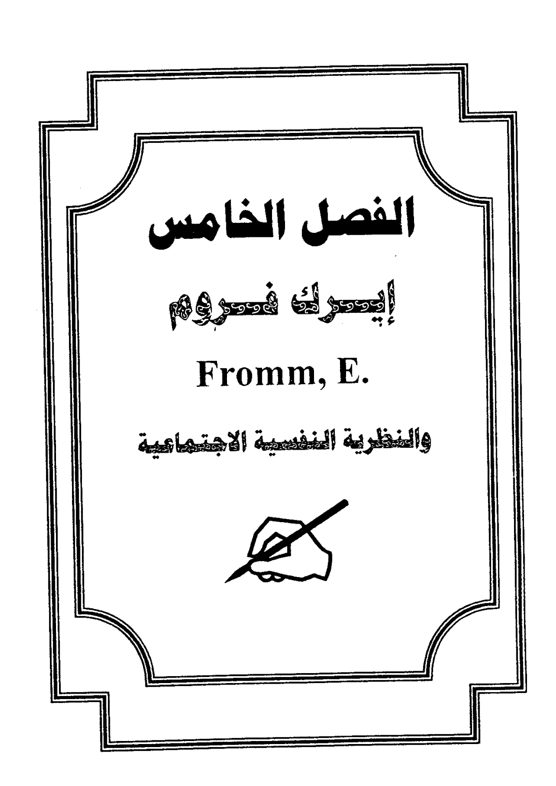
ما يؤخذ على علم النفس الـــ أدلري:

- اتهمه الفروديون بأنه أغفل دور اللاوعي، أو أنه لم يقم بـــالتمييز الكافي بين سيرورات الوعي وسيرورات اللاوعي. والحقيقة أنه قد

اهتم فقط بنمط التعويض الذي يلتزم به الفرد فـــي مســـعاه ضـــد شعوره بالدونية.

- اتهم من قبل الفرويدين، ببساطة ــ بل بسطحية عقيدته، فقيل أنـــه هيكلية، وخطوط كبرى أو مذهب خطاطي وقـــد اســـتلهمت مـــن ملاحظات نافلة أو تافهة.
- لا يقبل تفسيره لكل الأحلام، إنما قد يصح بالنظر لقسم منها كما لا تقبل تفسيراته للجنسية عند الإنسان على أنها كلها عنصر ووســيلة من إدارة القوة، ولا فهمه العقلاني، الفكراني للوجدانيات كلها الذي يقول أن الشعور بالسرور هو التعبير عن شعور بالقوة بينما ينجـم الشعور باللاسرور عن شعور بالعجز.
- يدعى أدلر لمذهبه القدرة على تفسير شامل ونهائي وكامل للنشـــاط الإنساني وفي هذا الإدعاء تفر الحقيقة ويحيد أدلـــر عـــن جـــادة الصواب.
- ولم يسلم مذهب أدلر من النقد، فقد قيل عنه أنه مذهب سطحي غير متعمق، كما أنه مبني على بعض الملاحظات العامة. وقد أصـــاب مذهب أدلر ما أصاب مذهب يونج من أن شمس الفكر الفرويـــدي أحدثت كسوفا شديدا لنظرية أدلر في علم النفس الفـــردي، ولكـــن ومن حسن الحظ أن مذهب أدلر وأسلوبه فـــي العـــلاج قـــد لقيـــا الاهتمام في السنوات الأخيرة.





الفصل الخامس

إيرك فروم

Fromm, E.

والنظرية النفسية الاجتماعية



الفصل الخامس

فـــــروم

يعد (فروم) أحد المفكرين البارزين المعاصرين فـــي التحليـــل النفسي، فقد قام بتركيز الاهتمام على مسائل جوهر الإنسان ووجـــوده، وطبيعة الحال التي تتعلق بنمو الطابع الاجتماعي، واعتقـــد أن هـــدف التحليل النفسي هو الاهتمام بقيم ومعايير ســـلوك الإنســـان وطاقاتـــه الداخلية، إذ أن اختلاف هذه القيم والمعايير يؤدي إلـــى عـــدم تكـــامل الشخصية النفسي والوجداني.

ولقد أعاد فروم النظر في كثير من مواقف التحليـــل النفســـي الكلاسيكي، حيث وجه النقد إلى المذهب الفرويدي في مبالغته للنزعـــة البيولوجية، وتأكيد العلاقات اللاشعورية والدوافع الليبيدية وأثرها البالغ في السلوك الإنساني، ولقد عارض (فروم) الاتجاه الحتمي الغريـــزي للسلوك، وأكد أن الإنسان كائن اجتماعي يرتبـــط بالعـــالم الطبيعـــي والإنساني وبين أهمية التغيرات الاجتماعية في تكويـــن الشـــخصية، وتحديد السلوك الإنساني.

وبما أنه لا يمكن عزل الفرد عن تأثير المجتمع، فإن الظروف الاجتماعية والمشكلات الأخلاقية تطبع بطابعها الشخصية الســـليمة أو الشاذة.

ولقد دُرب (إيرك فروم) في أوروبا قبل رحيله إلى الولايـــات المتحدة في عام (١٩٣٣) كعالم نفسي وكعالم اجتماع وكمحلل نفســـي، ومنذ وصوله إلى الولايات المتحدة كان أثره كبيرا ليس على المحلليـــن

النفسيين وحدهم، بل على علماء النفس، وعلماء الاجتمـــاع، ورجـــال الدين، والفلاسفة والعامة أيضا حيث أنه لم يقم بمحاولة لوضع منـــهج مستقل في العلاج النفسي، إذ أعطى لنفسه حرية الاغتراف من مفـاهيم كل مدارس التحليل النفسي، بما في ذلك المدرسة الفرويدية (التي كـان تدريبه الأصلي في أحضانها)، وكانت انتقاداتـــه، ســـواء تلـــك التـــي وجهها(لفرويد) أو لغيره من أصحاب نظريات التحليل، قاصرة علـــى النقاط التي كان يحس أنهم ما تغافلوها تغافلاً خطيراً، أو أعطوها أكثر مما تستحق من أهمية، ومع ذلك فهو معروف بأنه أكثر ارتباطاً بوجهة نظر الثقافيين الديناميكيين التي ينتمي إليها.

ولد (فروم) في مدينة (فرانكفورت) بألمانيا، وينحدر إلى عائلة من أصل يهودي، وكان والده رجل أعمال، وجده كان حاخاما، وعـــم والدته كان معروفاً بتدريس التلمود، وأثناء طفولته كرس كـــل وقتـــه للدراسة والتفوق فيها لتنفيذ وصية والداه له، وحياة (فروم) لـــم تكـــن سعيدة لما كان يعانيه من طباع والده القاسية، فكان حاد المزاج، مكتئباً دائماً. ووالدته كانت تعاني من فترات متتالية مـــن الاكتئـــاب الحـــاد، ولذلك فمنذ صغره لم يتعرض إلا للسلوك الحاد والقاســـي مـــن قبـــل والديه.

وفي عام (١٩٠٠) درس علم النفس وعلـــم الاجتمـــاع مـــن جامعات "هايدلبرج وميونخ"، وبعد حصوله على درجة الدكتوراه مـــن جامعة هايدلبرج عام (١٩٢٢) تدرب على التحليل النفسي في ميونـــخ، وفي معهد برلين الشهير للتحليل النفسي. وانتقل إلى الولايات المتحـــدة عام (١٩٣٣) كمحاضراً في معهد (شيكاغو للتحليل النفسي)، ثم فتـــح بعد ذلك عيادة خاصة في نيويورك.

ومن أهم الكتب التي ألفها فروم كتاب (الهروب مـــن الحريـــة Escape from Freedem الذي نشر في عام (١٩٤١) وكتاب (قلـب الإنسان) الذي نشره في عام (١٩٦٤).

ولقد درس فروم في الكثير من جامعات الولايـــات المتحـــدة، وأسس قسما للتدريب على ممارسة العلاج بالتحليل النفسي في المعـــهد الطبي بالجامعة الأهلية بالمكسيك، وكان عضوا نشطاً في حركة السلام العالمية من عام (١٩٦٠) إلى (١٩٧٠) وتوفي عام (١٩٨٠).

وكان لفروم وجهة نظر في آراء فرويد منها:

نقد فروم في كتابه "آراء فرويد" واعتبر أن آراء فرويـد وآراء معظم مريديه عما يدور في المجتمع كانت ساذجة وأن أكثر تطبيقاتـــه السيكولوجية للمشاكل الاجتماعية كانت تركيبات مضلله ثـــم يعـــرض لتحليل نظريات فرويد كما يلي:

لقد قبل فرويد الاعتقاد التقليدي القائل بالانقسام الأساسي بيـــن الإنسان والمجتمع وكذلك المذهب التقليدي القائل بأن الطبيعة الإنســانية شريرة.

ويرى فرويد إن الإنسان بطبيعته لا اجتماعي وعلى المجتمـــع أن يهذبه وأن يسمح ببعض الإشباع المباشر لحوافزه البيولوجية التي لا يمكن إغفالها إلا أن أهم واجب للمجتمع هو تهذيب وكبح جماح دوافعه الأساسية بمهارة وكنتيجة لكبح الحوافز الطبيعية فإنـــها تتحـــول إلـــى كفاحات ذات قيمة ثقافية.

بذلك تصبح أساساً للمدينة وقد اختار فرويد لكلمة الاســـتعلاء كي يعبر عن هذا التحول الغريب من الكتب إلى السلوك المتمدين.

إذا كان مقدار الذنب أكثر من المقدرة على الاستعلاء يصبـــح الأشخاص عصابيين ويعبر فرويد أن علاقة الفرد بالمجتمع هي بحكـم الضرورة علاقة ثابتة فالفرد يبقى في الواقع كما هو ولا يطرأ عليـــه تغير إلا بمقدار إزدياد ضغط المجتمع على حوافزه الطبيعية أو هكـــذا يلزمه العمل على زيادة الاستعلاء أو السماح بإشباع أشد لابد من فهمه ومعرفته وقرر "فروم" أنه عندما يسود الاتجاه الإنتاجي عند شخص ما عندما يتحول أي من عناصر الاتجاهات غير المتجه الأربعـــة التـــي توجد أيضاً في الشخص وتتحدد مزايا إيجابية مساعدة للحياة.

ومثال على ذلك الميل البسيط نحو الخضوع يصبح إخلاصـــاً وولاء، العناد يصبح عزماً وثبات واستغلال الفرص يصبح قصـــد أو عزيمة وبالتالي فإن علم النفس لا معنى له إلا إذا وضع فـــي إطـــار أنثربيولوجي وفلسفي.

الغريزة:

يتفق فروم مع فرويد في التأكيد على أهمية الدوافـــع ولكنـــه يختلف معه في أن هذه الدوافع غريزية أساساً فهو يـــرى أن إشـــباع الحاجات العضوية ومشكلات الإنسان ترتبط بكفاحه من أجل الشـــهرة والقوة ومن أجل تحقيق المثل الدينية والإنسانية.

ولا يرى فروم المراحل المختلفـــة مـــن تطـــور الشـــخصية باعتبارها مراحل تقديمه في التطور البيولوجي بل باعتبارهـــا نتاجـــا لعملية التنشئة.

ولا تعتبر نظرية إريك فروم مناقضة لبعض المفاهيم الفرويدية الأساسية بل تطوير لهذه المفاهيم.

مؤلفاته وإسهاماته:

تنبثق كتابات (فروم) كلها من الاقتناع بأن حياة الإنسان فـــي المجتمع الصناعي الغربي أصبحت خاطئة بصـــورة ميئـــوس منـــها، ومحور مؤلفاته هو اقتناعه بأن الحضارة الحديثـــة تســـحق بصـــورة منتظمة وقاسية حاجات الإنسان العميقة، وتفسد فيه القوى النبيلة، وهذا ما جعله يناشد أرض الميعاد من الحرية والحب.

ولأريك فروم مؤلفات كثيرة نذكر منها ما يلي:

(عقيدة المسيح ومقالات أخرى في الدين وعلم النفس والثقافـة) نشر عام (١٩٣١).

- الهروب من الحريـــة Escape from Freedom، نشـــر عـــام (١٩٤١).
- (الإنسان لنفسه) بحث سيكولوجية الأخلاق نشر عام (١٩٤٧).
- الفرد والأصول الاجتماعية للعصاب النفسي، نشر عام (١٩٤٨).
- (عقدة أوديب وأسطورة أوديب)، نشر عام (١٩٤٨).
- رسالة سيجموند فرويد ـــ تحليل الشخصية وتأثيره، نشـــــر عـــام (١٩٥٩).
- القيم وعلم النفس والوجود الإنساني، نشر عام (١٩٥٩).
- مشكلة التحليل النفسي، نشر عام (١٩٧٠).
- دراسة تشريحية للتدميرية الإنسانية، نشر عام (١٩٧٣).

وقد حاول (فروم) وبدرجة يفوق فيـــها كـــل مـــن (هوريـــن وسوليفان) فهم العلاقات المتداخلة بين القوى النفسية للفرد والمجتمـــع المعين الذي يعيش فيه، وكان له أثر هام على ميدان العلاج النفســـي

الثاني كغيره من المعاصرين، وذلك عـــن طريـــق اشـــتغاله كمعلـــم وكمعالج.

المفاهيم الأساسية في نظرية فروم:

مفهوم الفردية Individualization

يذهب (فروم) إلى أن عملية نمو الفردية تتحد ببدايـــة وجـــود الإنسان كفرد يبدأ بانفصاله الجسدي عن الأم، ومع ذلك فإن الطفـل ــ من الناحية الوظيفية ــ يبقى متحداً مع الأم أو مع من ينوب عنها لمدة معينة، التي تطعمه وتعني به في كل نواحي حياته الضرورية، ويصبح تدريجياً شاعراً بنفسه كذات منفصلة عن أمه وعن غيره من الأشـــياء ويبدأ الطفل بواسطة استعداده المضطرد النمو نشاطه وتربيته فـــي أن يختبر عالما خارج نفسه، وفي تمييز الأشياء بعضها عن بعض.

هذا ومن ناحية أخرى فإن الشعور بـــالوحدة مـــع الوالديـــن والاعتماد عليهم يمنح الطفل شعوراً بالأمن والانتماء للآخرين، وتمثـل عملية نمو الفردية هدماً لهذا النوع من الشعور بالأمن والانتماء. ولذلك فإن انفصال الطفل عن العالم يمثل تهديداً لكيانه وباعثاً على الخطـــر، وبالتالي يخلق لديه شعوراً بالعجز والقلق، ويرى (فـــروم) أن الحـــل المناسب الوحيد هو إيجاد علاقة مع الإنسان والوســـط المحيـــط بـــه، ويكون ذلك في الأكثر عن طريق الحب، والعمل الإيجابي البناء الـــذي من شأنه تقوية الشخصية، ومساندة الفرد في شعوره بفرديتـــه، وفـــي نفس الوقت إمداده بالشعور بالانتماء والإحساس بـــالوحدة والمصـــير المشترك مع الجنس البشري. وشعور الإنسان بالعزلة يجعله يســـتخدم طرقا غير منطقية للانتماء وتكون في العادة واحدة من ثـــلاث: إمـــا السادية الماسوكية Sade-masochism أو الـــهدم **Destructiveness**

أو الإيضاح Automaton Comfarnah ويسمى (فروم) هذه الطـوق بالعمليات الهروبية أو التركيبات الآلية.

فالأسلوب السادي الماسوكي يمثل موقفاً يسعى فيه الفرد إلـــى الاعتماد على آخر للحصول على السند. ويمثل الشخص الآخــر هنـــا القوة أو السلطة التي يمكن استغلالها أما في أسلوب الهدم: فصاحبـــه يحاول مواجهة شعوره بالعجز إلى تحطيم كل ما يؤدي به إلى الوقوف موقف المنافسة أو المقارنة بالغير.

ويذكر (فروم) أنه قد تكون هناك كراهية منطقية إذا ما واجـه الإنسان تهديدا لحياته أو لتكامله، **أما الهدم فهو الذي يمثل محاولة كل المصاعب العصابية.** .

التركيبات الآلية (العمليات الهروبية):

تستعمل عبارة التركيبات الآلية في علم النفس التحليلي لتـــدل على عمليات وتفاعلات القوى النفسية، وهـــي اللاشـعورية وغـير الإرادية، والتركيبات الآلية النفسية التي يحاول الشـخص بواسـطتها الفرار من الشعور بالوحدة والعجز الذي لا يحتمل بسـبب الظـروف المرضية في عالمه العـائلي والاجتمـاعي (الماسوشـية، السـادية)، (الهدم)، (الإيضاع الآلي).

- الماسوشية:

هم أشخاص يشكون من شعورهم بعدم الكفاية، وشعور بالعجز والتفاهة الفردية، وشعورهم دائماً بالنقص، وأن الطريقة التي يفكـرون بها طريقة حمقاء. وتوجد طرق كثيرة لإخفاء المشـــاعر الماسوشـية كالحب والولاء وتكريس الذات.

- السادية:

المصابون بميول ماسوشية تكون فيهم ميول سادية متفاوتة في القوة ميز (فروم) الشخص السادي بجعل الآخرين معتمدين عليــه، وأن يكون لديه سلطة مطلقة وغير مقيدة عليهم بحيث لا يصبحـــون شـــيئاً غير الآلات، وأيضاً لايشمل فقد حكمها بطريقة مطلقة، ولكن يشـــمل محاولة استقلالهم لتجريدهم من أنفسهم أي تجريد كل شيء، وتشـــمل هذه الرغبة النواحي المادية وغير المادية، وأيضاً لديهم إحساس دائمـــاً بإيذاء الآخرين.

- النزعة الهدامة:

يقصد (فروم) بأسلوب الهدم أن صاحبه يحاول مواجهة شعوره بالعجز إلى تحطيم كل ما يؤدي به إلى الوقوف موقـــف المنافســـة أو المقارنة بالغير، وهناك نوعان: هدم منطقي، وهو رد فعـــل هجمـــات يقوم بها الآخرون ضد حياة المرء وكرامته، أو حياة وكرامة أشخاص آخرين، أو ضد أفكاره، وهناك هدم غير منطقي وهو عندمـــا تواجـــه طاقات الإنسان الحسية والعاطفية والعقلية أي شـــيء يعـــوق قـــدرات الفرد.

- الإيضاع الآلي:

فيه ينصاع الفرد انصياعا أعمى لثقافته، فينحنـــي بخضـــوع لأسلوب الحياة التي يفرض عليه، والتحكم في تفكيره وشعوره، ســـواء كان هذا الفرض ضمناً أو صراحة، وأي أسلوب من الأساليب الثلاثـــة لا يعتبر حلاً بناءاً لما يعاني منه الإنسان من عزله.

ويقرر (فروم) إن الإنسان يربط نفسه بالعالم عـــن طريقتيـــن هما:

الحصول على القيم وتمثلها، وربط نفســـه بالنـــاس، ويطلـــق (فروم) على الطريقة الأولى مصطلـــح (التمثـــل) والثانيـــة (التكيـــف الاجتماعي) ويرى أن كلتا العمليتين ترتبطان معاً، ويعلق على ذلـــك بقوله إن الإنسان لا يستطيع العيش منفرداً وغير منتسب للآخريـــن، إذ أن عليه أن يشترك مع الآخرين في العمل والإشباع الجنسي واللعـــب وتربية الصغار ...إلخ، وفضلاً عن ذلك لابد له مـــن الإندمـــاج مـــع الآخرين، وأن يصبح واحداً منهم وجـــزءا متكـــاملاً مـــع الجماعـــة، فالإنعزال التام أمر لا يتفق مع صحة العقل، ثم إن الإنسان يستطيع أن يتعامل مع الآخرين بطرق مختلفة، يستطيع أن يحب أو أن يكـــون وأن ينافس، أو أن يتعاون وأن يبني نظاما اجتماعياً على العدالة أو السلطة، الحرية أو الظلم، وعلى كل حال فلابد له من الانتساب للعالم Relatedness المحيط به ويعبر انتسابه عن خلقه وسجاياه.

مفهوم الشخصية:

يؤكد فروم في بحثه للإنسان أن شخصية الفـــرد هـــي نتـــاج لتفاعل العوامل البيئية والنفسية والاجتماعية، فالفرد ليس كائناً منعزلاً، بل إنه يحتاج إلى الآخرين لإشباع حاجاته المتعددة، وليحقق الطمأنينـــة والأمن ليؤكد استمراره، والحاجة إلى الآخرين تجربة يمارسها الإنسان منذ طفولته لعجزه عن الاعتماد على نفسه وشـــعوره بـــالخطر مـــن وحدته، وإشباع الحاجات الأساسية، وبما أن الإنســـان لا يســـتطيع أن ينسلخ عن الظروف الاجتماعية التي تحيط به يعاني من الإزدواجيـــة بين الميل الاجتماعي والمطالب البيولوجية، وبيـــن الســـلطة والحلـــم

بالحرية، فالإنسان يرتبط بالمجتمع ارتباطاً ضروريا من خلال عملـــه لتحقيق شخصيته كفرد اجتماعي خلاق، وهنا يتجه (فروم) إلى مســألة وجود الإنسان، فيبحث العوامل الاقتصادية الاجتماعية وتأثيرها فـــي تكوين طبع الشخصية في نظام اجتماعي معين، فالمشكلات التي يعاني منها الإنسان في المجتمع تنبع من تصوره لمعنى الحرية.

وهنا يحدد فروم خمسة تصنيفات وفقا للخلق السائد فـــي كـــل منها:

- الشخصية التلقائية:

يتسم أصحاب هذه الشخصية بالنزعة الإتكالية السلبية، ونظـوة أصحاب هذه الشخصية في فهم الحب هي أن يكون محبوباً لا أن يكون فعالاً في الحب.

- الشخصية الاستغلالية:

يتسم أصحاب الشخصية الاستغلالية بمحاولاتهم أن يأخذوا كل شيء من الناس بالقوة أو الحيلة، ومهما يكن الوسط الذي يعيش فيـــه الشخص صاحب الخلق الاستغلالي.

- الشخصية الإدخارية:

يتسم أصحاب الشخصيات ذات الخلـــق الإدخـــاري بإيمـــان ضعيف في أي شيء جديد يمكنهم الحصول عليه مـــن الخـــارج، وأن شعورهم بالطمأنينة يعتمد على الإدخار والتوفير.

- **الشخصية السواقة:**

أصحاب هذا النمط من الشخصية يقتربون من شخصية الباعة، فهم يشعرون أن شخصياتهم سلع تباع وتشتري.

- **الشخصية المنتجة:**

لا يقتصر مفهوم (فروم) للإنتاجية على الإنتاج المادي فحسب، بل أن الإنتاجية بأوسع معانيها هي مقدرة الإنسان على استخدام قـــواه (العقلية والعاطفية والحسية)، وتحقيق إمكاناته الكامنة فيه.

والتكوين الأخلاقي للشخص الناضج المتكامل المنتج هو المنبع الأساسي (للفضيلة)، وتأكيد الشخص لذاتيتـــه وإنســانيته، وإذا كـــان للإنسان أن يثق في القيم فعليه أن يعرف نفسه وقدرة طبيعته البشـــرية على الخير والإنتاجية، ويعني ذلك أنه يجب الإجماع على أن البشـــر جميعا يشتركون فيما يسمى بالإنسانية التي هي جوهر طبيعة الإنسان.

- إذا أمكننا معرفة الطبيعة الحقيقية للإنسان، فإننا ســـنتوصل إلـــى معرفة ما يجب عليه أن يفعل.
- إذا فشل الفرد في أن يعيش طبقاً لحقيقة طبيعته يؤدي ذلك إلى:

(أ) تحطيم تكامله العقلي والانفعالي.

(ب) الضياع البشري.

(ج) الشعور المضني بفشل المرء في تحقيق ذلك الشيء الموطد في داخله والشعور بالغربة عن حقيقة ذاته.

بناء الشخصية:

يقدم (فروم) نظرية في بناء الشخصية تعبر عن اتجاه متطـور في التحليل النفسي، وإنطلاقاً من مفهومه للشــخصية بأنــها مجمــوع الصفات النفسية الموروثة والمكتسبة من تجــارب الطفولــة المبكــرة وتجارب الحياة، وأن المجتمع الذي يعيش فيه الفرد عامل هـــام فـــي تكوين الشخصية ونموها، يتبين أن هنـــاك ثلاثـــة عنـــاصر مكونـــة للشخصية هي: الذات والضمير والسمات.

- الذات:

إن الذات عبارة عن تنظيم نفسي، يتكون من مجموعـــة مـــن الوظائف الاجتماعية والاقتصادية التي يقوم بها الفرد منـــذ طفولتـــه، وينبع إحساس الإنسان بالذات من التجربة مع ذاته كموضوع للتجارب والتفكير والشعور والاتصال والشعور بالذات هو جزء مـــن الشـــعور بالانتماء والارتباط بالعالم. فإذا فقد الإنسان الثقة في الذات، فإنه يحاول أن يسترجع الشعور بالانتماء وتحقيق التوافق مع القيم الســـائدة فـــي المجتمع.

- الضمير:

إن الضمير عند (فروم) هو المســـتودع الرئيســـي للمـــيراث الاجتماعي والثقافي في تكوين الشخصية، فالضمير هو القوة المحركـة التي تدفع الإنسان إلى أداء سلوك معين، وعدم أدائه لهذا السلوك حسب متطلبات المجتمع.

- السمات:

يعتبر (فروم) أن السمات هي القوة الخلاقة في المجتمع، والتي تطبع الذات بطابع اجتماعي، وهذه السمات هي العناصر الاجتماعيـــة في تكوين الشخصية، وليست هذه السمات فطرية أو ثابتـــة، إذ أنـــها تختلف حسب نوع العمل الذي يؤديه الفرد.

مفهوم العصاب:

يعتبر (فروم) العصاب هو أحد مظاهر الفشل الأخلاقـــي، وإن كان التكيف لا يدل بأي حال من الأحوال على النجاح الأخلاقي.

وهنا يكون العرض العصابي في كثير من الحالات تعبيراً عن نزاع أخلاقي، ولذا يمكن اعتبار أن العلاج المناسب هو الذي يتوقـــف على فهم مراحل المشكلة للشـــخص العصـــابي، وتمثـــل الأعـــراض العصابية ــ غالباً ــ تعبيرات نموذجية لبعض مشاكل الإنسان الحديث الذي يعاني من القلق، ومن تزايد الحيرة والارتباك. وهـــو لا يـــرى بوضوح مدى سخافة الطريقة التي يعيش بموجبها، وكذلك الأهـــداف التي يسعى نحوها. وبينما تزداد قوة الإنسان الحديث على المادة تـــراه يشعر بنفسه عاجزاً في حياته الفردية وفي المجتمع، وبينما هو يخلـــق وسائل جديدة تمكنه من السيطرة على الطبيعة بطريقة أفضـــل، تـــراه أصبح يتخبط في شباك تلك الوسائل وفقد رؤيا الهدف الذي يستطيع هو وحده أن يعطي تلك الوسائل معنى وأهمية ــ وهذا الهدف هو الإنسان نفسه، وبالرغم من سيطرته الهائلة على المادة، فإنه لا يـــزال جـــاهلاً الأجوبة على أهم الأسئلة المعلقة بالوجود البشري وهي: ما الإنســـان؟

وكيف يجب أن يعيش؟ وكيف يمكن الإفراج عن الطاقات الهائلة التـــي في الإنسان واستخدامها بطريقة منتجة؟

الحاجات النفسية:

إن هذه الحاجات هي حاجات نوعية ناجمة عن ظروف وجـود الإنسان وأن عددها خمس وهي:

- الحاجة إلى الانتماء:

تنبع من الحقيقة الواضحة وهي أن الإنسان عندما أصبح إنساناً قد تمزقت لديه عرى الوحدة الحيوانية الأولية بالطبيعة، فالحيوان قـــد زودته الطبيعة بما يواجه به الظروف التي يقابلها، أما الإنسان بما لـــه من قدرة على التفكير والتخيل فقد هذا الاعتماد المتبادل الوثيق بينـــه وبين الطبيعة، وأصبح على الإنسان أن يخلق علاقاته الخاصـــة بـــه والأكثرها تحقيقا للإشباع هي تلك القائمة على الحب الخلاق.

- الحاجة إلى التعالي:

نشير إلى حاجة الإنسان إلى الارتقاء فوق طبيعته الحيوانيـــة ليصبح شخصاً خلاقاً بدلاً من أن يظل مخلوقا.

- الحاجة إلى الارتباط بالجذور:

إن الإنسان يرغب في الجذور الطبيعية، فهو يريد أن يكـــون جزءاً متكاملاً مع العالم، وأن يشعر أنه ينتمي.

فالإنسان يجد أشد جذوره تحقيقاً للإشباع وأكثرها صحة فـــي شعوره بالأخوة تربطه بغيره من الرجال والنساء.

- **الحاجة إلى الهوية:**

الإنسان لا يرغب في أن يحس بالهوية الشخصية، وأن يكـون متميزاً فإذا عجز عن تحقيق هذا الهدف بجهوده الذاتية الخلاقة، فقــد يحقق قدراً من التميز عن طريق التوحد بشخص أو جماعة.

- **الحاجة إلى إطار توجيهي:**

أي يحتاج إلى طريقة ثابتة مستقرة في إدراك العالم وفهمـــه، وقد يكون الإطار التوجيهي رشيداً أو غير رشيد كما أنه قد يتضمـــن عناصر من كليهما.

اتجاه فروم في العلاج النفسي:

يعتقد (فروم) أن سبب المرض إذا كان اقتصاديـــا أو نفسـياً فبالضرورة أن معالجة السبب تفضي إلى السلامة، ومن ناحية أخـرى إذا رأى الإنسان مدى تشابك الجوانب المختلفة للعلاقات فسيصل إلـى أن السلامة العقلية، والصحة النفسية يمكن بلوغها فقط عــن طريـق التغيرات المتزامنة في المجال الصناعي، وفي التنظيم السياسي، وفـي الاتجاه الفلسفي والروحي، وفي بناء الشخصية، وفي الأنشطة الثقافيـة، والتركيز على أي من هذه المجالات وإهمال الجوانب الأخرى سـيكون مدمراً لكل تغيير، وإن خطوة واحدة للتقدم المتكامل في كل مجـــالات وميادين الحياة ستؤدي إلى ما هو أبعد وأكثر دوماً مـــن أجـل تقـدم الجنس البشري عن ما تؤدي إليه مئات الخطوات في مجال واحد فقط.

تقويم نظرية (فروم)

إن هدف التحليل النفسي عند (فروم) هو تركيز الاهتمام على حقيقة الإنسان ووجوده، وعلى بحث الجوانب الاقتصادية والاجتماعية من حياة الشخصية، وذلك من أجل تطوير قدرات الإنسان الداخلية، والحد من اغتراب الشخصية، وذلك من خلال بعث الأمل والحب والوعي فيها، ولكن رغم توجه (فروم) إلى بحث العوامل الاقتصادية والاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية فإن تحقيق الإنسان لجوهره واستعادة الإنسجام بين الفرد والمجتمع لا يتم على استخدام التحليل النفسي بقدر ما يتم بالتحول الثوري للعلاقات الاجتماعية القائمة.

ولقد أشار (فروم) عن طريق الكتابات والأحاديث في الطرق إلى مجتمع أصلح، وخاصة بعض الإصلاحات الأساسية التي يجب القيام بها لتحقيق السلام والاتزان للمجتمع.

وثمة نقد يوجه إلى نظرية (فروم) بأنها ذات طابع مثالي مسرف في تصوره للإنسان، ففي عالم مزقته حربان كبيرتان، وهذا بالإضافة إلى الأشكال الأخرى الكثيرة من العنف ومجافاة العقل التي يفصح عنها الناس، تبدو صورة الإنسان العاقل الواعي بذاته ذات الطابع الاجتماعي غير مناسبة وغير صادقة إلى حد بعيد. ويستطيع المرء بالطبع أن يلقى باللوم على المجتمع لا على الإنسان كما وصلت إليه الأمور من حال مؤسفة.

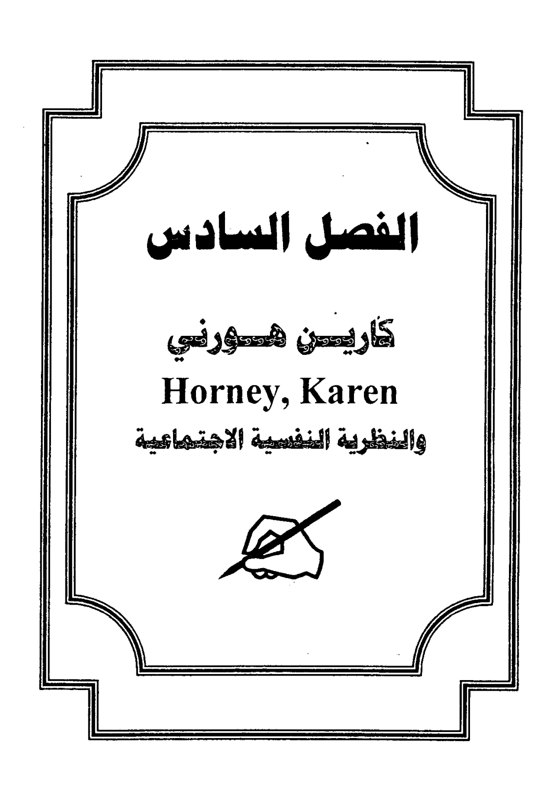
وهنا انتقاد آخر أقل خطورة، ولكن يحمل وزناً أكبر بالنسبة للأخصائيين النفسيين من حيث اختلافهم مع المحللين النفسيين، وهو عجز النظريات الاجتماعية النفسية عن تحديد وتعيين الوسائل الدقيقة

التي يشكل المجتمع بها أفــراده، كيــف يكتســب الشــخص طابعــه الاجتماعي، كيف يتعلم أن يصبح عضواً في مجتمع؟

إن الإهمال الواضح لعملية التحكم في نظريات تعتمـــد هــذا الاعتماد الكبير على مفهوم التعلم في تفسير الطرق التي تتكــون بــها الشخصية يعتبر قصوراً كبيراً.

وبالرغم من أن هذه النظريات الاجتماعية ــ النفسية لم تلـــق قدراً كبيراً من البحوث بالموازنة مع غيرها من النظريات الأخـــرى، فقد ساعدت على احتضان مناخ فكري يمكن فيه للبحـــث الاجتمــاعي النفسي أن يزدهر، وقد تحقق ذلك، إن علم النفس الاجتماعي لم يعـــد ربيب علم النفس، وإنما أصبح جزءاً كبيراً من علم النفس لـــه نشـــاط متزايد وفاعلية بالغة.





الفصل السادس

كارين هورني

Horney, Karen

والنظرية النفسية الاجتماعية



الفصل السادس

هـــــورنـــــي

الأبنة الأولى والطفل الثاني لبرندت وكلوفلايد دانيلسون، وقــد ولدت في هامبورج بألمانيا في ١٦ سبتمبر (١٨٨٥) لأب نرويجي وأم هولندية، وكانت أسرتها من مستوى اقتصادي اجتماعي جيد ومســتقر وكان والدها قبطاناً لسفينة تجارية وكان يصحبها في رحلات بحريـــة طويلة. وكان لها أخ أكبر منها مفضلاً عند الأم وسمي باسم أبيه.

كانت كارين دانيلسون طالبة متفوقة وقررت أن تتخصص فـي الطب حين بلغت الثانية عشرة من عمرها بالرغم من معارضة أبيــها. وبدأت في كتابة يومياتها في سن الثالثة عشرة تم تحليلها نفســياً بعــد عشر سنوات من ذلك التاريخ.

وفي سن الحادية والعشرون ذهبت إلى برلين لتلتحق بمدرســة الطب وبعد سنتين تزوجت أوسكار هورني المحامي الشاب وبعــد أن حصلت على درجتها في الطب انضمــت لــبرلين للتحليــل النفســي وأصبحت محللة نفسياً ومدربه للآخرين على التحليل النفسي في معـهد برلين للتحليل النفسي وكانت قد أنجبت ثلاث بنات ــ وفي ذلك الوقـت كان فرويد ما زال يطور نظرياته في القلق والحيــل الدفاعيــة وفـــي اللاشعور ــ وكانت هي اسهمت بكتابة عدة مقـــالات لــها أهميتــها النظرية عن سيكولوجية المرأة ولقد شعرت منذ البداية أن الرجال لــم يفهموا المرأة على النحو الصحيح ولها كتب أخـــرى ككتابــها الأول (الشخصية العصابية في زماننا) ــ وكتاب (طرق جديدة في التحليـــل النفسي).

وفي عام ١٩٣٢ دعاها فرانز الكساندر لتصبح مديرة مسـاعدة لمعهد شيكاغو للتحليل النفسي في الولايات المتحدة الأمريكية وكانت قد انفصلت عن زوجها ولكن ارتباطها بفرانز اكساندر لم ينجـــح وبعـد عامين انتقلت لنيويورك لتتفرغ للعمل الكلينيكي وتشارك في جمعيـــة نيويورك للتحليل النفسي وتدرب المحللين.

وبعد عقدين من ممارسة التحليل النفسي بدأت هورفـــي فـــي كتابة عدة كتب تنتقد فيها وجهة نظر التحليل النفسي في النموْ الإنساني وفي طبيعة العصاب وفي أسلوب العلاج النفسي وتقدم تعديلات هامـــة وكان كتابها الأول الشخصيات العصابية في زماننا (The Neurotic Personality of our time) وظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٩٣٧) وهو عام طلاقها ــ كما ظهر كتاب (طرق جديدة فـــي التحليل النفســي) The new ways in psy choanalysis عــام (١٩٣٩) وهو مراجعة لنظرية فرويد لكلمة بعد أخرى.

وقد أدى نشر هذا الكتاب وانتقاداتها الواضحة لطريقة تدريـس التحليل النفسي إلى إغضاب زملائها الفرويدين منها فاتخذوا إجـواءات ضدها وبعد التصويت انصرفت من الاجتماع من مؤيديها واســـتقالت من الجمعية ومنذ هذه السنة كونت جماعة تقدم التحليل النفســـي مـــع عشرين محللاً نفسياً آخرين وكانت قد انغمست في صراعات داخـــل عالم التحليل النفسي وربت أطفالها وزاولت الرسم واحتفظت بدائـــرة واسعة من رجال المسرح والدين والفلاسفة والانثروبولوجية كأصدقـاء ولقى بعض كتابها هجومـــا عنيفـــاً وقـــد أدت التقلبـــات الاجتماعيـــة الاقتصادية في ألمانيا والتغيرات الشخصية في حياتـــها إلـــى زيـــادة حساسيتها لأهمية وتأثير العوامل الاجتماعية في الشـــخصية وجلبـــت

لحركة التحليل النفسي وعيا جديداً إلى زيادة الاهتمام بـــأثر الأســرة والمجتمع في تكوين العصاب. ولم تأنس للفكـــرة الفرويديـــة القائلـــة بالحتمية البيولوجية التي تجاهلت المسائل الثقافية والتي شوهت سمعتها كامرأة وأكدت أن المعالج النفسي في إمكانه اكتساب استبصارات فـــي التحليل النفسي عن طريق تحليل الذات وفهم الذات.

توفيت هورني في مدينة نيويورك في ٤ ديسمبر ١٩٥٢ عـــن عمر يناهز ٦٧ عاماً وبعد أربع سنوات من وفاتها انتظـــم تلاميذهـــا والمعجبون بها في الأكاديمية الأمريكية للتحليل النفســـي American Academy of Psy choanalysis.

واستمرت تعلم كل جديد يدعو إلى التفاؤل عن الإنســـان فـــي ضوء إمكانياته وقدراته ومن هنا كانت نظريتها نظرية بناءه ونلمـــس تلك النظرة البناءة المتفائلة في كتابها (صراعتنا الداخلية) Our inner conflicts الذي صدر عام (١٩٤٥) وتقول فيها أن الإنســـان لديـــه القدرة والرغبة في تنمية إمكانياته وأن يصبح وديعاً، هذه الإمكانيـــات تزال إذا استمرت علاقته مع الآخرين وبالتالي مع نفســه فـــي حالـــة اضطراب ويعني ذلك أن الشخصية الإنسانية يمكن أن تتغـــير وليـــس الطفل وحده هو القابل للتشكل وتذهب هورني أن الثقافـــة الحـــاضرة (الثقافة الغربية التي عاشتها) من شأنها أن تخلق قدر كبير من القلق ــ وقد اظهرت هورني مفهوماً أساسياً هـــو القلـــق الأساســـي Basic anxiety وعرفته بأنه الإحساس الذي ينتاب الطفل بعزلته وقلة حيلتـــه في عالم يحفل بإمكانيات العـــداوة ــ والبيئـــة المنزليـــة والـــتركيب الاجتماعي داخل الأسرة لهما أهمية كبيرة في نظر هورنـــي ويكمـــن فيهما مفتاح نمو شخصية الفرد.

وقائع النظرية:

وجدت هورني أنه من الصعب تطبيق أفكار فرويد في عملـــها فقد اختلفت اختلافاً تاماً عنه في عقد أوديب وفي تقسيم العقل إلى هـــو وأنا أعلى وعن حسد القضيب وشعرت أن نظرية فرويد تعكس ثقافـــة مختلفة عن الثقافة الأمريكية ووجـــدت أن نظريـــة فرويـــد لا تلائـــم المشكلات التي يعاني منها الأمريكيون في ســـنوات الكســـاد فكـــانت المشكلات الجنسية لهم ثانوية إذا قورنت بالمشكلات الاقتصادية التـــي كانوا يعانون منها وكان السلوك العصابي هو محور تفكيرها واعتقدت أن حل هذا السلوك العصابي يمكن أن يؤدي إلى خلق مجتمـــع أكـــثر صحة وسعادة وأن الإنسان يجب أن يهدف إلى الكمال إذا أراد بلـــوغ السعادة وأن يخضع السلوك العصابي لعوامل الضبط والتحكم وقد أثـــر الاتجاه الثقافي في تفكيرها من قولها إن العصاب مصطلح طبي نفسـي في أساسه إلا أنه لا يمكن استخدامه الآن دون الإشارة إلى تضمناتـــه الثقافية وذكرت أن استثارة القلق ومصيره ليـــس الدوافـــع الجنســية والعدوانية التي قال بها فرويد وثمة مجموعة من العوامل المعاكسة في البيئة يمكن أن تؤدي إلى هذا الشعور بانعدام الأمن لدى الطفل كالتحكم والسيطرة واللامبالاة...) واشارت لأهمية البيئة المنزليـــة والـــتركيب الاجتماعي داخل الأسرة وذكرت أن الطفل القلق يســـتجيب لمشـــاعر القلق عنده باتخاذ أساليب مختلفة توافقية وهذه الأساليب التوافقية تتبلور في هيئة حاجات عصابية ــ تفسر السلوك العصابي.

وترى هورني أن أفكارها تندرج ضمن إطـــار علـــم النفـــس الفرويدي وأنها لا تشكل منهجاً جديداً كل الخبرة في فـــهم الشـــخصية وهي تطمح إلى استئصال الأخطاء من التفكير الفرويدي ــ ويتضـــح

هذا من خلال مدى الاتفاق والاختلاف حول المفاهيم الأساسية بين هورني وفرويد.

أوجه الاتفاق:

- الحتمية النفسية:

هي مبدأ سائد في المجال العلمي ـ نسب فرويد كل الحوادث والظواهر النفسية إلى الحتمية الصارمة Rigorous deferminism فالعمليات والظواهر النفسية لا يمكن أن تدرس على أنها ظاهرة منعزلة أو منفصلة بل ترجع إلى المراحل الأولى في الطفولة وكل أنواع السلوك الصادر من الإنسان كالهفوات وفلتات اللسان له دلالة عند صاحبه.

ويتضح مبدأ العلية أو السببية Causality وهو مفهوم أساسي يساعد على فهم ديناميات الإنسان أي ينبغي أن يوجد لكل فعل سبب يسبقه وأن السلوك لا يحدث اعتباطا فوراء كل سلوك مقدمات لها طبيعة علية والعلية تذهب إلى أن الأحداث الحاضرة لها نتائج أو آثار مترتبة لأسباب أو ظروف سابقة فالمرء ينظر إلى ماضي الإنسان لكي يفسر سلوكه الراهن والإنسان من وجهة نظر العلية سجين ماضيه وهي نظرة تأخذ الماضي في اعتبارها.

- الدوافع اللاشعورية Unconscious motives:

اتفقت هورني مع فرويد في أهمية الدوافع اللاشعورية وذكرت أنها من أهم اسهامات فرويد التي تظهر من خلال عمليات تحليل الأحلام والتداعي الطليق وهي دوافع لا يكون الإنسان على فطنة أو وعي بها وترى هورني أيضاً أن العداء الكبوت هو الذي يؤدي إلى

القلق الأساسي الذي يؤدي بدوره إلى العصاب والعمليات اللاشـعورية هي خبرات عقلية لا يستطيع الفرد اسـتثمارها ولا تخضـع للضبـط الإرادي. وتؤثر باستمرار في سلوك الفرد واتجاهاته وتـبرهن علـى وجود هذه العمليات تجريبياً أثناء العلاج التنويمي والعلاج التخديـري وفلتات اللسان وظاهرة الأحلام وسائل للتعبير عـن الحيـاة النفسـية اللاشعورية وتمتص الاتجاهات والمشاعر والرغبات والأفكـار فـي اللاشعور نتيجة الكبت والنسيان.

- الحوافز الانفعالية:

اتفقت هورني مع فرويد أن الانفعالات ميكانيزمات دافعة أولية لسلوك الإنسان وهي استجابات قوية لها تأثير الدوافع علـى السـلوك وهو عبارة عن استجابات فسيولوجية وسيكولوجية تؤثر فـي الإدراك وفي التعلم وفي الأداء كالخوف والغضب ويمـر بمراحـل مسلسـلة والانفعال عبارة عن دافع تم استثارته من الخارج وتصاحبه تغـيرات هامة وانفعالات الخوف والغضب أكثر أهمية من سـائر الانفعـالات الأخرى المؤثرة في السلوك والانفعال نفسه مؤديـاً وظيفـة الدافـع وبالتالي يؤثر في ديناميات السلوك الكلي للعقل.

- حيل الأنا الدفاعية:

ويمكن أن يطلق عليـها الميكانيزمـات الدفاعيـة Defense mechanisms:

وقد اتفقت هورني مع فرويد في كونها أداة عظيمة القيمة فـي العلاج النفسي بعد أن وسعت معانيها ويمكن أن تعرف تعريف علمـاء النفس التحليلية بأنها القوى الكابتة التي تستخدمها الأنـا لتسـد علـى

الدفعات المكبوتة الطريق حتى لا تظهر في منطقة الشـــعور وتســـبب الألم أو الكدر للفرد.

وبوجه عام هي أساليب تهدف إلى الدفاع عن الشخصية ضـــد أي تهديد داخل الفرد أو من خارجه وهدفها تخفيف شدة التوتر.

ومن أمثلة الحيل الدفاعية الشائعة الكبت: وهو حيلـــة دفاعيـــة تستخدمها الأنا لمنع الأفكار المثيرة للقلق من الوصول إلـــى الشـــعور وللكبت أهمية كبيرة عند فرويد لأن المادة المكبوتة تظل تؤثـــر فـــي الشخصية ــ واتفقت هورني مع فرويد في أهمية ذلك وأن الغرض من عمليات تحليل الأحلام والتداعي الطليق والتنويم المغناطيسي وتحليـــل فلتات اللسان والنسيان، الكشف عن المـــادة المكبوتـــة لتاثيرهـــا فـــي الشخصية وهي أساليب استخدمتها هورني في التحليل والعلاج النفسي.

ومن الحيل الدفاعية الأخرى الإبدال بأن تستبدل الأنـــا شـــيئاً متاحاً بشيء غير متاح أو موضوعاً أو نشاط لا يثير القلق بموضـــوع أو نشاط يثيره كإبدال الطاقة الغريزية ونقلها مـــن موضـــوع لآخـــر وبمعنى آخر الإعلاء أو التسامي بها وهو خاصيـــة بـــارزة للتطـــور الثقافي وهناك حيل أنا دفاعية أخرى كـــالتوحد والأســـقاط والتكويـــن العكسي والتبرير والنكـــوص والتثبيـــت وينبغـــي العلـــم أن هنـــاك ميكانيزمات ناجحة وهناك ميكانيزمات فاشلة أو مولدة للمرض.

- الأساليب العلاجية:

هورني تقدر تقديراً عالياً أدوات العلاج كالتحويل والتداعـــي الطليق وتحليل الأحلام وهي أساليب ومفاهيم استخدمها فرويـــد فـــي العلاج.

ويعني التحويل transfirence ظاهرة اكتشفها فرويـــد أثنـــاء التداعي الحر Free assaciation يقوم المريـــض بتكويـــن مشـــاعر وأفكار وتصورات إزاء المحلل النفسي ليست موجودة على الإطـــلاق في العالم الخارجي.

وهناك التحويل الإيجابي Positive Transference وله قيمة علاجية فيهيئ الفرصة الكافية للمريض أن يعترف بمخاوفه ومشـــاعره وأفكاره وأوهامه وكافة الدوافع الجنسية التي حدثت له منذ المراحـــل الأولى من الطفولة، أما التداعي الطليق أو التداعي الحر فهو وســـيلة علاجية ناجحة استخدمها كل من فرويد وهورني في العلاج وتعنى أن المرضى يتحدثوا عما يرد لوعيهم أياً كان ولا يقتصر الحديـــث عـــن الأعراض المرضية والامتناع عن مقاطعة المحلل النفســـي لحديـــث المريض ويعلق المحلل أو يطرح أسئلة لتشجيع المريض فقـــط حيـــن يتوقف ويقوم هذا الأسلوب على ثلاث مسلمات أساسية أولها أن كل ما نقـــوله أو نفعله له معنـــى وثانيـــها أن المـــادة اللاشـــعورية يمكـــن استدعاؤها بحيث نعيها على نحو له معنى بتشجيع التعبير الحر ومـــن خلال التعبير نجد أن المريض يتجنب موضوعات معينـــة أو يشـــوه أخرى ومن خلال ذلك نفهم صراعات الشخص العقلية والانفعالية.

أما تحليل الأحلام فقد استخدمت كوسيلة علاجية ومصدر أولي للبيانات ووجد كلا من فرويد وهورني أن تفسير الأحلام هو الطريـــق الملكي لمعرفة اللاشعور وقد يجيء الحلم مشوهاً فلا يمكـــن للأفكـــار المكبوتة أن تصل إلى الشعور بغير قناع حتى لو كان ذلك أثناء النـــوم وقد يجيء تشويه الحلم على شكل تكثيف حيث نجد جزء مـــن شـــيء يرمز للشيء كله كأن يرمز جزء من الزي على صاحبـــه أو يرمـــز

شارع للمدينة كلها أو مصباح للمنزل الذي عاش فيه الحــــالم وعلـــى المريض والمعالج الكشف عن المعنى الكامن الموجود حتى لا يتعرض للكبت مرة أخرى وللنسيان.

أوجه الاختلاف:

- الهو والأنا والأنا الأعلى (Id- The Ego – Super Ego)

تختلف هورني مع فرويد في تقسيم بنية الشخصية إلى ثلاثــــة أجهزة رئيسية هي الهو والأنا الأعلى وعدم الاتفاق ليس واضحاً.

- عقدة التكرار (Repetition Complex):

لا يكرر الإنسان سلوكه الطفلي على نحو أعمى وإنما يستجيب بدلاً من ذلك لمواقف القلق استجابة صادرة عن بنية شخصية أو بنيـــة خلفية ورأى فرويد أن اضطرار التكرار على مســـتوى علــم النفــس المرضي المحسوس يتخذ طابع عملية لا تقاوم ذات مصدر لا واعـــي، ينشط فيها الشخص لزج نفسه في وضعيات مؤلمة مكرراً بذلك تجارب قديمة بدون تذكر نموذجها الأصلي ويعني كأنه يعيد بـــالضبط إنتـــاج بعض عناصر صراع ماضي بشكل متفاوت ويحاول المكبوت أن يعود للحاضر في شكل احلام أو عارض أو تفعيل فكل ما كان مستغلقاً على الفهم يعود من جديد كروح معذبة لا تعرف الراحة إلا حين يجـــد لـــه حلاً وخلاصاً والتكرار الاضطراري لما هو مزعـــج أو مؤلـــم أحـــد المعطيات التي لا يمكن إنكارها في التجربة التحليلية النفســـية ويظـــل الأنا تحت رحمة اضطرار التكرار وبدون أي حل للتوتـــــر الداخلـــي وعملية التفريغ تفرغ الإثارة بشكل مباشر أو مؤجل.

ولكن هورني كما ذكرت سابقاً ترى أن الإنسان يستجيب بـدلا من ذلك لمواقف القلق استجابة صادرة عن بنيـة شـخصية أو بنيتـه الخلقية.

وشعر فرويد أن الشخصية تتشكل في فترة مبكرة من الحيـاة وأنه يصعب إحداث أي تغييرات أساسية بعد ذلك ولكن هورني تـرى أنها تظل قابلة للتغيير خلال الحياة وهكذا نجدها أكثر تفاؤلا من فرويد. واعتقد فرويد بوجود مراحل عامة للنمو وأن التثبيت على مرحلة يؤثر تأثيراً قوياً في شخصية الفرد أما هورني فترى أن علاقة الطفل بوالديه هامة لأنها تحدد ما إذا كان الطفل سينمي قلقاً أساسياً أم أنه لن ينمـي مثل هذا القلق.

ومبدأ إجبار التكرارمن وجهة نظر هورني يناقش على أسـاس العلاقة بين المحلل والمريض، فالمريض في حاجة لعطف وحنان زائد من جانب المحلل الذي يلتزم دائماً بالموضوعية الصارمة والمريـض يرى أن المحلل فرد رهيب قوي يملك القدرة والسلطة ما لا يمكـن أن يملكه أي شخص آخر والإجباري فـي تكـرار المواقـف المؤلمـة والحوادث القديمة التي لا تمت إلى مبدأ اللذة بصلة قد يمثل محـاولات متكررة من جانب المريض المحروم من العطف والحنان والحب على المحلل لأن موقف المحلل هو الذي أجبر المريض على القيام بإجبـار التكرار.

أما فرويد رأى أن الغريزة لها هدف معين هو إزالة المنبـهات من الخارج وإعادة التعادل عن طريق مبدأ إجبار التكرار الـذي هـو الأساس لحياة الغرائز. لاحظ فرويد أن الإجبار هو العودة إلى الحالات القديمة بغير التفات إلى مبدأ اللذة أو الألم فيبدأ يعود إلى نزعة موروثة

في الحياة العضوية لكي يعود لأقدم حالة أي أنه أطلق على جانب من الغريزة إجبار التكرار ـ فالشخصية مجبرة على أن تكرر مرة تلو أخرى الدورة الحتمية من التهيج إلى الخمود ومصطلح إجبار التكرار في وصف السلوك المتسم بالقصور الذاتي عندما تكون الوسيلة المستخدمة في إشباع حاجة ما غير مناسبة تماماً يواصل الطفل بالقصور الذاتي مص أصبعه عندما يكون جائعاً.

– عقدة أوديب (Oedipus Complex):

هذه العقدة ليست أنماطاً سلوكية ذات توجه جنسي خالص ولكنها قلق أثاره الوالدين لدى الطفل نتيجة لمشاعر العقاب أو التسامح أو النبذ وهي لا تنمو بالضرورة لدى جميع الأطفال كذلك عقدة أوديب ليست صراع جنسي عدواني بين الطفل ووالديه إنما هي حصر ناتج عن اضطرابات أساسية كالإسراف في الحماية أو الإسراف في العقاب أو النبذ في علاقة الطفل بأمه كما ذكرت سابقاً، وقد يذهب الطفل إلى أن يجد المهرب من القلق الذي يتسبب فيه سوء المعاملة في الالتصاق بأحد الوالدين بأحد الوالدين وأن يغار من الأب الآخر أو من أي شخص يمكن أن يهدد علاقته بهذا الأب.

– حسد القضيب:

نقدت هورني فرويد في موضوع حسد القضيب واعتباراته التشريحية التي يفرق بها بين الجنسين الذكر والأنثى وقوله أن الأطوار النفسية الجنسية التي نمر بها من الطفولة وحتى الشيخوخة هي أطوار فطرية وحتمية لا دخل فيها للتأثيرات الاجتماعية والبيئية والثقافية وتفسيره لسيكولوجية المرأة بأنها رغبة لا شعورية فيها لأن تصبح رجلاً ويكون لها قضيب كالذكور مما شوه الفكرة وصورتها واعتقاده

كذلك أن سيكولوجية الرجل أساسها عقــدة الخصـــاء أو خوفــه مـــن الإخصاء وأكثر ما تأخذه هورني على فرويد معلوماته الضحلة عـــن فرعي الأنثروبولوجيا والاجتماع.

كذلك نجد أن فرويد لاحظ أن المشاعر والاتجاهات الممـــيزة للمرأة وأشد أنواع الصراع لديها ينبعان من شعورها بالنقص التناسـلي ومن غيرتها من الذكر وتعتقد هورني أن سيكولوجية المرأة تقوم علـى الافتقار للثقة والإسراف في تأكيد أهمية علاقات الحـــب وأن علاقــة سيكولوجيتها بتشريح أعضائها الجنسية ضئيل للغاية.

- الليبيدو أو الطاقة الحيوية (Libido):

تفضل هورني اعتبار الليبيدو حافزاً إنفعالياً بدلاً من اعتبـــاره نزعة جنسية حيوانية تلازم الإنسان إلى الأبد كما اعتقـــد فرويـــد أن الطاقة الكامنة وراء الغرائز الجنسية ويقصد بالطاقة الليبيدية عند فرويد طاقة غرائز الحياة والطاقة النفسية التي تبحث عن إشباع من خــــلال الأنشطة الجنسية بصفة خاصة.

وشعرت هورني أن المشكلات الجنسية نتيجة للقلــق وليســت سبباً له وأن الرجل يعول على السلوك الجنسي كطريقة لتأكيد الـــذات نتيجة لمشاعر عدم الأمن وأكد فرويد على أهمية الدوافع البيولوجيـــة وأن جميع الصراعات نابعة من محاولات إشباع الحوافز البيولوجيـــة وقد قللت هورني من أهمية الدوافع البيولوجية بتأكيدها علـــى حاجــة الطفل للأمن وهكذا يمكن القول أن نظرية فرويد بيولوجيـــة ونظريـــة هورني اجتماعية وكتبت هورني في شبابها سلسلة مقالات تعارض بها فرويد منها (أصل عقدة الخصاء عند النساء)، الهروب مــــن الأنوثــة

والتنكر للبكارة وكلها مقالات تكشف عن اهتمامها بالعامل الاجتمــاعي أكثر من العامل البيولوجي.

العداء الأساسي والقلــق الأساســـي Basic hostility and Basic anxiety.

تعتقد هورني أن القلق (الحصر الأساســـي) Basic anxiety هو الإحساس الذي ينتأب الطفل لعزلته وقلة حيلته فـــي عــالم يحفــل بامكانيات العداوة وهناك نطاق واسع من العوامل المؤدية إليـــه منـــها كالتحكم والسيطرة المباشرة وغير المباشرة واللامبالاه والسلوك غـــير المنتظم وعدم احترام حاجات الطفل الفردية ونقص التوجيه الحقيقـــي والإسراف في الإعجاب أو غيبته ونقص الدفء والاضطرار للإنحياز لأحد الوالدين عند الخلاف والمسئولية الزائدة عن الحـــد أو الناقصـــة للغاية والحماية الزائدة أو الانعزال عن الأطفال الآخرين وعدم العدالـــة والتفرقة في المعاملة وعدم الوفاء بـــالوعود والجـــو المـــادي وكلـــها مجموعة كبيرة من العوامل تؤدي لانعدام الشعور بالأمن لدى الطفـــل وكل ما يؤدي لاضطراب شعور الطفل بالأمن في بيئة يـــؤدي للقلـــق (الحصر) الأساسي ــ والطفل القلق الذي ينعدم لديه الشعور بـــالأمن ينمي مختلف الأساليب ليواجه بها ما يشعر به من عزلة وقلة حيلة فقد يصبح عدوانياً أو يصبح سافر الخضوع وقد يحاول رشوة الآخريـــن ليحبوه أو يستخدم التهديدات أو يغرق نفسه في الاشفاق علـــى ذاتـــه ويتخذ منه أسلوب صفة الدافع أو الحاجة المميزة للشـــخصية وهنـــاك حلول عصابية (حلول غير منطقية للمشاكل) يلجأ إليها الطفل.

وقد أكدت هورني في كتابها (الشخصية العصابية في زماننـــا) The neurotic personality of our time على أن العصاب يرجع

إلى العلاقات الإنسانية المضطربة وأصول السلوك العصابي في العلاقة بين الوالدين والطفل هي في ذلك تتفق مع فرويد في أهمية خبرة الطفولة المبكرة في نمو الشخصية ولكنها لم تقبل مراحل النمو الجنسي التي ذكرها، وتعتقد شأنها في ذلك شأن أدلر أن الطفل يبدأ الحياة بشهور نسبي بالعجز إزاء والدين قويين، وأن الطفولة تتميز بحاجتين أساسيتين هما الحاجة للأمن Safty والحاجة إلى الرضا Satisfaction وهورني لا تتفق مع أدلر في أن كل طفل يشعر بالعجز والقصور ويقضي بقية حياته محاولا التعويض عن هذا الشعور والتعويض عنه وشعرت أن حالة العجز ليس شرطاً وحده لنمو العصاب ويمكن أن يحدث أمران:

- أن يبدي الوالدان عطفاً حقيقياً ودفئاً نحو الطفل وبالتالي يشبع حاجته للأمن.
- أن يبدي الوالدان عدم مبالاة وعداء بل وكراهية نحو الطفل وبالتالي يحبطان حاجة الطفل للأمن، والظروف الأولى تؤدي للنمو السوي بينما تؤدي الظروف الثانية إلى نمو عصابي ويطلق على سلوك الوالدين الذي يقلل من شعور الطفل بالأمن (الشر الأساسي) Basic evil.

والطفل الذي تساء معاملته يشعر بعداء أساسي Basic hositility نحو والديه وهكذا يجد الطفل نفسه محصوراً بين الاتكال على الوالدين والعداء نحوها وهذا موقف سيء.

وتظهر مشاعر الكراهية هذه في الطفل نتيجة بعض الاتجاهات الوالدية كما سبق وأن ذكرت مثل تفضيل طفل على آخر والمعاملة غير العادلة والتغيرات المفاجئة من التدليل الزائد إلى الإهمال الشديد

والوعود التي لا يلتزمون بها وإهمال مشاعر الطفل والتدخل المســتمر في تصرفاته ولا يمكن للطفل أن يعبر عن هذه الكراهية نظراً لوضعه المزعزع أن عليه أن يظل معتمداً تماما على والديه ونظراً لأنه يخشى أن يؤدي الإفصاح عن الكراهية إلى مزيد من الإهمال وهذه الدائــــرة المفرغة من تصعيد القلق والكراهية هي التي تؤدي إلى حالـــة القلــق الأساسي وإذا ظلت الاتجاهات الوالدية المبكرة على هذه الصورة ولــم تعادل بتأثيرات أخرى محببة فإن الطفل يسقط شعوره بالكراهية علـــى العالم الخارجي وينشأ لديه قلق عام ويغمره شعوره بالوحدة والبـــؤس وهذا القلق الأساسي تبعاً لهورني هو سبب العصاب.

مما سبق يتضح لدى هورني أن الاضطرابات النفسية تحدثـــها الاضطرابات الاجتماعية ومثلاً فـــإن مرغريـــت ميـــد أوضحـــت أن حضارات مختلفة وإن تجاوزت تمنح الأطفال شخصيات مختلفة (فـــي كتابها الجنس والزواج في ثلاث مجتمعات صدر عام (١٩٣٥) كمـــا أولت كارين هورني في الشخصيات العصابية فـــي زماننـــا (١٩٣٧) صراعاتنا الداخلية (١٩٤٥)، الأمراض العصابية ولا سيما الشــــعور بالنقص كنتيجة اضطراب علاقات الأنا مع الغير وبهذا فهي تـــرى أن العصابي والسوي يختلفان بالنسبة للحضارات وحسب الزمـــن داخـــل الحضارة الواحدة وترى كارين هورني خير من يمثل الاتجاه الحديـــث في التحليل النفسي أي الاتجاه الذي يرى للعصاب أسباباً ســـيكولوجية اجتماعية أكثر مما يرى الأسباب الجنسية.

والفرد في المجتمع اليوم يشعر بعزلته وبأنه متروك لوحده في خضم من المناقشات والتكالب في شتى الميادين.

- في الميدان الاقتصادي يشعر بأنه مرغم على النضال ضد الغـــير على الهات بغية تأمين اللقمة على اعتبار الآخرين أخصاماً له.

- في الميدان الإجتماعي يرى أن علاقته مع الآخرين قائمـــة علـــى التزاحم والتسابق وأن المودة مفقودة وأن الثقة بالغير تؤدي إلـــى دماره وأن الناس ذئاب.

- في الميدان الثقافي حيث التباري والتنافس وضرورة مضاهاة الغير واللحاق بهم أو سبقهم وضرورة الظهور.

وباختصار إن المجتمع الحديث يولد في النفس مشاعر بضعف الإنسان ويقلل ثقته بنفسه ويحدث اللاتلاؤم بين الأنا والبيئة ـــ ثـــم إن المخاوف التي يحدثها المجتمع أيضاً في النفس تساعد هي بدورها على عزل الإنسان وتعميق فرديته ووحدته وزيادة الأزمة النفسية وهواجسه وهمومه واللااطمئنان لديه إنه يخاف المستقبل، يخاف المرض، يخـاف على أبنائه ومن جيرانه وأصدقائه ومن ذويه ومن أقاربه كما قد يقلـق على صحته وأمنه وسلامته وعلى مهنته ـــ لقد وهنت علاقات الإنسان بالغير وضعف التضامن والمودة وصارت العلاقات تقوم على التبادل، على المنفعة، على الحساب ـــ لا على الدم والقربى الروحية والألفـــى ـــ يصدق ذلك أكثر ما يصدق على المجتمعات الصناعية الأوروبيـــة والأمريكية وسيحصل الشيء نفسه في المجتمعات الزراعية وقيمها إذا تأصلت الأنانية وتلك آراء العلماء الذين أقاموا تعاضداً بيـــن التحليـــل النفسي وعلم الاجتماع إلى جانب فئة من العلماء والتحليليين النفســـيين الذين أعطوا للعوامل الديناميه والثقافية والدينية منزلة مرموقـــة فـــي ميدان العصاب والعلاج النفسي.

وبالعودة للنقطة الأساسية ــ فالطفل الذي تساء معاملته بطريقة أو أكثر يشعر بعداء أساسي (Basic hostility) نحو والديه والطفــل الذي يكبت عدواته الأساسية لسبب مشاعر العجز يقول لنفسه (على أن اكبت عداوتي نحوك لأني محتاج إليك). والطفل الذي يكبت عداوتـــه الأساسية بسبب الخوف يقوله لنفسه (على أن أكبت عدائي نحوك لأني أخافك) ــ ولسوء الحظ فإن مشاعر العداء التي يسببها الوالدان لا تبقى منعزلة وبدلاً من ذلك تعم لتشمل العالم كله والناس أجمعين ويقـــال أن الطفل لديه قلق أساسي وذلك الاتجاه تربة خصبة لنمو العصاب وفـــي طريقة لأن يصبح راشدا عصابيا.

أساليب التوافق مع إلقلق الأساسي:

حددت هورني عشر استراتيجيات لإنقاص القلق الأساسي إلــى حده الأدنى وأسمتها الاتجاهات العصابية أو الحاجات العصابية وينبغي العلم أن الشخص السوي في الحقيقة لديه جميع هذه الحاجات ويســعى لإشباعها أما العصابي فلا ينتقل بسهولة من حالة إلى حالة أخرى مـــع تغير الظروف وإنما يميل إلى التركيز على إحدى الحاجات واســتبعاد الأخرى ويجعل إحدى هذه الحاجات نقطة مركزية في حياته ومدخلــه لإشباع إحدى هذه الحاجات لا يتناسب مع متطلبات الواقع، ومبالغاً فيها وغير مناسباً من حيث الشدة.

وفيما يلي عرض للاتجاهات العصابية العشـــر أو الحاجــات العصابية وسميت عصابية لأنها حلول غير منطقية للمشاكل ويسـتطيع الشخص السوي حل هذه الصراعات كما ذكرت بإضفاء التكامل بينــها بحيث تكمل كل واحدة الأخرى ولكن العصابي يفشـــل فـــي إحــداث التكامل بين معظم هذه الحاجات ومن هذه الحاجات العصابية:

- **الحاجة العصابية للعطف والموافقة:** وهذا الفرد يسعى للرغبة في إرضاء الآخرين وهذه الحاجة تدفع الفرد إلى التحرك نحو الناس.

- **الحاجة العصابية إلى شريك مسيطر يتحمل مسئولية حياة الفـرد:** وهذا الفرد يخاف أشد الخوف من أن يهجره الغير ويصبح وحيـداً ويحتاج إلى الارتباط إلى شخص يحميه من الخطر يشبع حاجاتـه وهي حاجة تدفعه للتحرك نحو الناس.

- **الحاجة العصابية لأن يعيش الفرد حياته داخل حدود ضيقه:** هـذا النوع لا يطلب شيئا ويقنع بالقليل ويفضل أن يبقى مغموراً لخلفيـة الصورة ويتجنب الهزيمة وهي حاجة تدفع الفرد إلى الابتعاد عـن الناس.

- **الحاجة العصابية للـقوة:** هذا الشـخص يمجـد القـوة ويحتقـر الضعف.

- **الحاجة العصابية إلى استغلال الآخرين:** هذا الشخص يفزع مـن استغلال الآخرين له أما إفادته من الآخرين فلا تستحق التفكير.

- **الحاجة العصابية إلى التقدير الاجتماعي:** هذا الشـخص الـهدف الأعلى له هو تحقيق الشهرة كأن يهتم بظهور اسمه في الصحـف وأن يحقق مركزا اجتماعيا.

- **الحاجة العصابية إلى الإعجاب الشخصي:** هذا الشـخص يعيـش ليثني عليه ويمتدح ويتملق.

- **الحاجة العصابية للطموح والإنجاز الشخصي:** هذا الشخص لديـه ميل شديد للشهرة والغنى وأن يصبح مهما بغـض النظـر عـن النتائج.

- **الحاجة العصابية إلى الاكتفاء الذاتي والاستقلال:** هــذا الشــخص يفضل العزلة عن الآخرين وتجنب الارتباط بهم ويتجنب العبوديــة مهما كان الثمن.

- **الحاجة العصابية إلى الكمال وعدم التعرض للهجوم:** هذا الشخص يتجنب النقد والتجريح من جانب الآخرين ويحاول أن يكون خاليــاً من العيوب لحساسيته الشديدة للنقد.

أساليب التوافق الكبرى عند هورني:

تلخص هورني كتابـــها صراعاتنـــا الداخليـــة Our inner Conflicts الاتجاهات العصابية العشر وتصنفهم فـــي ثـــلاث فئـــات وتعتبر هذه الفئات الثلاثة للتوافق من أهم اسهامات هورني في نظريـــة الشخصية.

وأوضح بتشوف الأساليب التوافقية الثلاثـــة الأساســـية عنـــد **هورني في:**

- التحرك نحو الناس ــ **الخضوع (الطفل).**
- التحرك ضد الناس ــ **العدوان (المراهق).**
- **التحرك** بعيداً عن الناس ــ **الابتعاد (الراشد).**

والنواحي الثلاثة السابقة أساس **الصـــراع الداخلـــي للإنســـان وينبغي العلم للعلم** أن الفرق بين السوي **والمريض فرق في الدرجـــة، والعصاب نوع من التصلب** وجمود الاســـتجابة **ونـــوع مـــن اتســـاع** المساحة بين الإمكانيات وبين ما ينجز وبعض خصـــائص الشـــخصية تعوق التوافق الناجح وسوء التوافق الاجتماعي أيضاً.

النمط الأول: يأمل الطفل فيه أن يكتسب عطف الآخرين من خلالـــه عن طريق تقبل الخضوع لحل الصراع.

النمط الثاني: يفترض أن العالم من حوله عالم عدواني حافل بالعوامل المعاكسة وأفضل طريق للتغلب على الصراع وحـــل التوتر هو اللجوء للسلطة والقوة.

النمط الثالث: يحل صراعاته عن طريق الابتعاد جسمانياً وعقلياً عـن الناس وعن الآخرين.

وقد عنيت هورني عناية كبيرة بمفهوم التحرك فالحياة دائمـــة الحركة من وجهة نظرها فهي ليست ساكنة وكل ما في الحياة يتحـرك فالكائنات الحية تتحرك باستمرار فهي تنمو وتكبر وتهرم ونفس الشيء ينطبق على الإنسان والتغير هو المعيار الحيوي للحياة. والشـــخصية الإنسانية الحية يجب أن ينظر إليها فـــي ضـــوء الحركـــة المســـتمرة وأوضحت هورني اتجاهات ثلاثة تتجه إليها شخصية الفرد والشخصية الإنسانية تمر بثلاثة من الأساليب التوافقية من الطفولة حتـــى الرشـــد مارة بالمراهقة فالطفل مثلاً أكثر ميلاً إلى كسب حب الآخريـــن عـــن طريق الخضوع لهم فصغار أي نوع من الحيوانات والكائنات الحيـــة يبدو لذيذ وجذاباً ومحبوباً فيستخدم الطفل أقـــوى أسـلحته فـــي هـــذه المرحلة وهو القابلية لأن يحب وفي المراهقة يبدو الشخص يميل إلـــى السلوك بشكل عدواني وهذا يتضح في سلوكه نحو الكبار المحيطين به من أبوين ومصادر السلطة في المجتمع.

أما في الرشد فنجد أسلوب التحرك بعيدا عن الناس عند تقـــدم السن بالفرد نجده لم يعد في حاجة لأن يدور فـــي المجتمـــع بحريتـــه

فيفضل عدد قليل من الأصدقاء الهادئين والنمط العـام للسـلوك فـي السنوات الأخيرة من الرشد يتسم بالابتعاد والانعزال.

ويتم تصنيفهم في ثلاث فئات كالتالي:

- التحرك نحو الناس:

هذا النوع من التوافق يشتمل على الحاجات العصابية للعطـف والاستحسان والى شريك مسيطر ليسير حياته والى أن يعيش في حدود ضيقة، وتسمى هورني هذا النمط بالنمط المتمثـل Campliant type ويمكن أن نسميه النمط المطاوع أو المهادن وهو نمط يبـدي حاجـة ملحوظة للحب والرضى والاستحسان ويتصـرف بطريقـة تواكليـة اعتمادية إلى حد كبير أما على المستوى اللاشعوري فيوجد لديه ميـول مكبوتة عظيمة العمق بالعدوان نحو السلطة كما أنه لا يـهتم بالنـاس فعلاً.

وتذكر هورني أن هذا النمط يقول لنفسـه (إذا امتثلـت لـن أتعرض للأذى) ويحتاج أن يكون محبوباً ومطلوباً ومرغوباً فيه مـن قبل الآخرين وإنهم يقدرونه ويرحبون به حتى يحصل على المسـاعدة وحماية الرعاية والتوجيه وينبغي معرفة أن هذه التوافقات مع الآخرين من الناس تقوم على القلق الأساسي. وفشل هذا النمط في تحقيق أهدافه وكسب محبة الآخرين له يعرضه لتوهـم المـرض (هيبوكوندريـا) Hypochondriacal Neursis.

وهو أحد الأعصبة التي يعتقد فيها المريض أنه معرض لخطر شديد إذا لم يأخذ الاحتياطات اللازمة ـ بدون دليل طبي فهو شـعور داخلي ذاتي بالتوهم المرضي وهو دائم الانشغال بصحته الجسمية وهو

شخصية متمركزة حول ذاتها ويفضل العزلة ويمـــلأ وقـت فراغــه بالأنشطة الفردية التي يزاولها بمفرده ويكثر عند المراهقين والشـــباب ويزيد عند النساء أكثر من الرجال وهذا العصاب له الشـــبه بعصـــاب الوسواس، ولديه ألوان من القلق غير محددة المصدر وهو ما يزعجـــه ولذلك يزيح القلق إلى موضوع محدد هو صحته الجســـمية ومصـــاب توهم المرض يضمن عطف الآخرين عليه واهتمامهم به.

- التحرك ضد الناس:

هذا النمط عكس النمط المتمثل ويجمع الحاجات العصابية للقوة ولاستغلال الآخرين وللشهرة والإنجاز الشخصي وتطلق هورني علـــى هذا النمط العدائي Aggressive type ولديه حاجة عميقة للســـيطرة على الآخرين حيث يرى أن الحياة صراع من أجل البقاء وعليـــه أن يرفض الجانب الرقيق من طبيعته لأنه يهدد أسلوبه العام فـــي الحيـــاة وهو يقول لنفسه (إذا توافرت السلطة أو القوة لي فإن أحد لن يســتطيع أن يؤذيني وهو ينظر إلى كل موقف من زاوية فائدته للفـــرد ومثلـــه الدائم: (إتغدى به قبل أن يتعشى بك) وهو في حالة تيقظ دائم واستعداد لحماية نفسه ويرغب دائماً في السيطرة على الآخرين.

وكذلك أصل هذا الأسلوب التوافقي هو القلق الأساسي الـــذي يرجع لمشاعر عدم الأمن.

- التحرك بعيداً عن الناس:

يشتمل هذا النمط التوافقي على الحاجات العصابية إلى الاكتفاء الذاتي والاستقلال والكمال وعدم التعرض للهجوم وتســـمية هورنـــي

بالنمط المنعزل The detached type وهو يحدث نفسه قائلاً: إذا انسحبت فإن شيئاً لا يمكن أن يؤذيني.

والابتعاد يكون جسمياً أو عقلياً أو هما معاً عن الناس وهذا النمط من التوافق العصابي يقوم على أساس فلسفة الفرد في حل مشكلاته وهو لا يرغب في الانتماء ولا في العدوان وإنما رغبته أن يظل بعيداً لكي يحل صراعاته وفلسفته السائدة (البعد عن الناس غنيمة) فالبعد عن الناس يقلل من احتكاكاته بهم ويبعده عن المشكلات التي يسببها هذا الاحتكاك ولافتقار هذا النمط إلى المشاركة الاجتماعية يكون أكثر ميلاً إلى حب الكتب والقراءة والوحدة ويميل إلى الخيالات والأحلام والفنون وهو نمط قليل الأصدقاء ومثله السائد (الكتاب أوفي صديق) وهذا الأسلوب لا يتبناه الإنسان الضعيف الذي لا يقوى على الاستغناء عن الناس وهو نمط يحاول أن يبقى على فرديته.

ينبغي العلم إن الشخص السوي يستخدم هذه الأساليب التوافقية الثلاثة مع الآخرين ويتوقف هذا الاستخدام على ملائمة الأسلوب للموقف، والعصابيون لا يستطيعون ذلك إنهم يؤكدون أحد من هذه الأساليب على حساب الأسلوبين الآخرين وهذا يسبب مزيداً من القلق لأن جميع الناس يحتاجون إلى استخدام الثلاثة أساليب والنمو العصابي غير المتوازن يسبب مزيداً من القلق والشخص السوي لديه مرونة أعظم وقدرة على الحركة من أسلوب توافقي إلى آخر مع تغير الظروف ولكن العصابي يستخدم نمطاً واحداً من الأنماط التوافقية الثلاثة سواء كان ملائم أم غير ملائم ويترتب على ذلك أن يكون الشخص العصابي أقل مرونة في مواجهة مشاكل الحياة.

والشخص الذي يتخذ من العدوان استراتيجية له قد يعاني مـن القلق إذا تعرضت هذه الصورة للتهديد والشخص المنعـزل إذا وجـد نفسه وسط خبرة تقوده للارتباط العاطفي أصبحت صورته المثالية عن نفسه معرضة للتهديد وهذا يولد صراعاً في نفسـه وبالتـالي القلـق والشخص الذي يجاهد من أجل الاحتفاظ بصورته المثالية عن نفسـه كشخص صلب إذا وجد نفسه فجأة في مواجهة نـوازع لينـة يشـعر بالصراع بين صورته المثالية ونوازعه الأصلية في نفسه.

وقد يدور الصراع على المستوى الشعوري أو على المسـتوى اللاشعوري عند الشخص العصابي مهيئاً الوقوع في العصـاب وفـي الذهان، فالقلق الأساسي هو الأرضية الخصبة للعصاب والاتجاهـات المتصرعة هي التي تدفع الفرد للوقوع في المرض إذا وصل الصراع لدرجة معينة دون النجاح في حله وتميز هورني سمتين أساسيتين فـي العصاب:

- الجمود والمبالغة في رد الفعل.
- التناقض بين الإمكانات والإنجازات.

العلاقات بين الذات الواقعية والذات المثالية:

هناك فرق بالنسبة لكل فرد بين الذات الواقعـة Reality self والذات المثالية Idealized self وتشتمل الذات الواقعة على الأشـياء التي تصدق علينا في أي زمن معين وتعكس الذات المثالية مـانود أن نصير إليه والذات المثالية والذات الواقعية يتصلان اتصالياً وثيقاً عنـد الشخص السوي ولا تبعد إحداهما عن الأخرى فيحدث نفسه قائلاً (على أساس مكانتي الآن وعلى أساس ما أنا عليه الآن فإن هذا ما آمـل أن

أكون عليه على نحو معقول في المستقبل) وعلى هذا فالمطامع بالنسبة للشخص السوي واقعية وديناميه أما بالنسبة للشخص العصابي فالعلاقة بين الذات الواقعية والذات المثالية مشكلة فيعتبر الذات الواقعة منحطـة وحقيرة وتصبح الذات المثالية عند العصابي مهرباً للذات الواقعية أكثر من كونها امتداداً واقعياً لها وهي رغبة أكثر من كونها حقيقة وحيـن تتجه حياة الفرد إلى صورة للذات مثالية فإن الفرد ينبغـي أن يكـون مدفوعاً بما ينبغي أن يكون عليه تسلطية الانبغائية Tyranny of the should ينبغي أن يكون قادراً على تحمل المسئولية وأن يفـهم كـل شيء وأن يحب كل إنسان وتحدد هورني عدداً من الانبغـاءات التـي تحكم حياة الشخص الذي حلت فيها الذات المثالية محل الذات الواقعية.

ينبغي أن يكون في قمة الأمانة والكـرم ومراعـاة الآخريـن والعدل والكرامة والشجاعة والإيثار، وينبغي أن يكون محباً وزوجـاً ومعلماً ـ ينبغي أن يحب والديه وزوجة ووطنه ـ ينبغـي ألا يبـالي بأي شيء وينبغي أن يقدر على حل أي مشكلة خاصة به أو بـالآخرين ولا ينبغي أن يتعب قط أو يخر مريضاً وينبغي أن يكون قادراً علـى إنجاز أشياء كثيرة في ساعة واحدة). ولذا فالعصابي محصور في وهم الذات المثالية أما الأسوياء لهم أحلامهم ولكنها أحلام واقعيـة ويخـبر الأسوياء النجاح والإخفاق معاً ويخبر العصابيون الإخفاق في الأسـاس لأن مثلهم العليا تميل لعدم الاتساق مع ذواتهم الواقعية.

أساليب التوافق الثانوية:

أطلق على أساليب التوافق الثمانية أساليب ثانوية لأنها تستخدم عادة في نطاق محدود إذا قورنت بالأساليب الأساسية.

- النقط العمياء:

أي ينكر الفرد أو يتجاهل جوانب معينة من الخبرة لأنـــــها لا تتفق مع صورة الذات المثالية وعلى سبيل المثال إذا اعتبر الفرد نفسه ذكياً جداً فإنه يميل لتجاهل الخبرات الدالة على غبائه ــ كما يحـــــدث حينما يتحدى التلميذ حكمة المعلم ــ فيصعب على المعلم استرجاع هذه الحقائق لأن هذه الخبرات لا تتفق مع صورة الذات المثالية لدى المعلم وذلك يتفق مع فكرة فرويد عن الكبت حيث يتم إنكار التعبير الشعوري عن شيء لمعارضته لقيم الأنا الأعلى وذلك لأنه يمزق بنية قيم الفـــرد وتتيح للفرد هذه النقط العمياء أن يحافظ على اتساق صورة ذاته.

- التقسيم إلى أجزاء مستقلة:

وهذا معناه تقسيم حياة الفرد إلى مكونات مختلفة لـــها قواعـــد مختلفة تطبق عليها، وعلى سبيل المثال أن تكون هناك مجموعة مـــن القواعد التي تنطبق على حياة الفرد الأسرية، ومجموعة أخـــرى مـــن القواعد تنطبق على حياة الفرد في مجال العمل والمهنة وهكذا يتصرف الشخص وفقاً للمبادئ والقيم الدينية في البيت ولكنه لا يكون كذلك فـــي عمله أو تجارته وقد يعارض المعلم الغش في حجرة الدراسة ومع ذلك يمارسه في لعب الورق والطالب قد يرفض سيجارة يقدمها لـــه عمـــه ولكنه يقبلها من صديق في الجامعة ولا يرى الفرد صراعات هنـــا لأن المواقف مختلفة.

- التبرير Rationalization:

ترى هورفي التبرير على الأغلب كما يراه فرويد، أنه تقديـــم أسباب جيدة ولكنها خاطئة لتفسير سلوك مثير للقلق.

ويمكن تعريف التبرير على أنه إيجاد أسباب تبـدو منطقية ومقبولة اجتماعيا أو على الأقل لا تصطدم بمفهوم الفرد عن ذاته وعن دوافعه وأفكاره ومشاعره أي أن التبرير عمل منطقي ولكن المنطق فيه يساء استخدامه بهدف خداع الذات والتمويه عليها ويمارس الفـرد التبرير لأنه حريص على أن يبدو أمام الناس خلوق وشـريف ومـن عوامل هذا التبرير أن الفرد يسلك في كثير من الأحيان مدفوعا بدوافع لا شعورية فنجده مضطرا للإتيان بأسباب ودوافع لسـلوكه وبالتـالي تكون اجتماعية وراقية من الناحية الأخلاقية وهو يكره أن يكون سلوكه أو أفعاله موضع نقاش لأن النقاش يكشف له زيف مـا يدعـى ومـن الصور الشهيرة للتبرير ما نشير إليه بتعبيرات (العنـب الحـامض)، الليمون الحلو) ونقصد بالعنب الحامض أن في إطار عمليـة التـبرير يميل إلى أن يقلل من قيمة الهدف الذي لا يحصل عليه إشارة للثعلـب الذي حاول الوصول للعنب فلما لم يستطع، وصفه بأنه حـامض أمـا تعبير الليمون الحلو، فيشير للظاهرة العكسية وهي ميـل الفـرد إلـى تعظيم قيمة الشيء الذي بين يديه أو الهدف الـذي اسـتطاع إنجـازه والظاهرتان تهدفان لحماية الفرد من مشاعر الامتهان وتحسين صـورة الذات من ناحية أخرى والتبرير حيلة دفاعية يمكن أن نجدها شـائعة بين الناس ويدل ذلك على أننا قليلا ما نجد إناسا يمارسون النقد الذاتـي ويعترفون بالفشل أو القصور.

- الضبط الذاتي الزائد:

وهذا معناه حماية الذات من القلق بضبـط أي تعبـير عـن الانفعال والهدف هنا هو المحافظة على ضبط الذات مهما كان السـبب

وهذا الأسلوب الثانوي من أساليب التوافق يشبه الحاجة العصابيــة لأن يعيش الفرد حياته في حدود ضيقة.

- **التجسيد:**

يشبه حيلة الإسقاط الدفاعية التي تلجأ إليها الأنا وفقاً لتصـــور فرويد وإن كان أكثر عمومية من الإسقاط ــ التجسيد ما هو إلا شعور بأن جميع المؤثرات الأساسية في حياة الفرد خارجية بالنسبة للـذات ــ فالشخص لم يعد مسئولا عن نفسه لأن أشـــياء أو أشـــخاص آخريـــن يسببون أفعال الشخص ــ أي يقول الشخص لنفسه (كيـــف تعتـــبرني مسئولاً؟ كيف تسبب هذا الإخفاق لي؟

وإذا أخفقوا في اختبار فإن ذلك يرجع إلى أنهم كانوا متعبين أو الكتاب كان غامضاً أو المدرس لم يحسن الشرح وإذا فقدوا عملهم فـإن ذلك يرجع إلى التمييز ضدهم أو أن هناك من يسعى لإيذائهم أو أنـــهم ينتمون لحزب أو دين غير مرغوب فيه وهؤلاء الأشـــخاص يـــردون نواحي القصور إلى مصادر خارجية أي أنهم يجسدون الأسباب فـــي الخارج.

- **الصواب التعسفي:**

هو أسلوب توافقي غامض وغير حاسم فحين تثـــار المســـائل التي لا يوجد لها حل واضح بطريقة أو أخرى يختار الشـــخص حـــلاً بطريقة تحكميه وهكذا ينتهي الجدل والخلاف ومن أمثلة ذلك ما تقولـــه الأم أحياناً لإبنهما (لن تخرج من البيت ليلة الجمعة وهذا كلام نهائي لا رجعة فيه) والشخص الذي يتخذ هذا الأسلوب التوافقي يصـــل لنقطـــة ينتهي عندها الجدل والخلاف ويصبح الموقف التي يتخذه هو الصواب.

- المراوغة:

هذا الأسلوب عكس أسلوب الصواب التعسفي ــ فالشخص المراوغ لا يتخذ قرارا عن شيء قط وإذا لم يلتزم الفرد بأي شيء فإنه لا يخطئ مطلقاً وإذا لم يخطئ الفرد فلا يمكن أن يتعرض للنقد قط وإذا قرر الشخص أن يذهب إلى الجامعة ورسب فلا عذر له أما إذا تأجل الالتحاق بالجامعة بسبب نقص في المال أو رغبة في السفر أو الزواج فإن على الفرد أن يؤجل الإخفاق الممكن.

- السخرية:

يعتقد الشخص المراوغ أن الالتحاق بالجامعة هام إلا أنه يؤجل الالتحاق ــ أما الساخر فلا يعتقد بأهمية التعليم الجامعي ولا يؤمن بقيمته والساخرون لا يؤمنون بشيء ويجدون لذة في إبراز معتقدات الآخرين وخلوها من المعنى وتعتقد هورني أن هذا الأسلوب نتيجة التعرض لإخفاقات متكررة والساخرون نتيجة عدم إيمانهم بشيء لا يتعرضون لخيبة الأمل التي تنشأ من الالتزام بشيء يظهر أنه زائف.

وهكذا بعد عرض أساليب التوافق الثانوية السابقة يمكن القول أن الفرق بين الأسوياء والعصابيين فرق في الدرجة وسوف يستخدم الأسوياء كلاً من أساليب التوافق الثمانية من وقت لآخر أما العصابيون يبالغون في استخدام واحد أو أكثر من الأساليب وبذلك تقل مرونتهم وكفاءتهم في حل مشكلات الحياة.

مراحل النمو النفسي عند هورني:

النمو النفسي السوي للطفل في بيئة شخصية صحيحة مع الاهتمام بحاجاته الحقيقية يؤدي لتحقيق إمكانياته وهو ميل فطري لدى

جميع الكائنات الحية. وتصبح القوى التي شوهت لدى العصابي (نحـو الناس، ضد الناس، بعيداً عن الناس) متناغمة متوائمة لدى الشـــخص السوي.

ونمو الذات الواقعية والذات المثالية علامة النمو السـيكولوجي الصحيح.

عوامل النمو:

القلق الأساسي Basic Anxiety

عرفت هورني القلق الأساسي في نظريتها الاجتماعية بوصفـه مفهوماً أولياً ــ فقامت بتعريفه بأنه الإحساس الذي ينتاب الطفل بعزلته وقلة حيلته في عالم يحفل بإمكانيات العداوة ومجموعة مـــن العوامـل المعاكسة في البيئة يمكن أن تؤدي لهذا الشعور بإنعدام الأمن ــ والبيئة الاجتماعية والمنزلية داخل الأسرة لها أهمية كبيرة في نظر هورنـــي وفيهما يكون مفتاح نمو شخصية الفرد، والعمليات العصابية تنشأ مـــن الحاجة لإتقاء الوعي بهذا القلق الأساسي.

والقلق الأساسي معناه أن البيئة مفزعة ككل لأن الفرد يشـــعر أنها غير موثوق بها وكاذبة وغير عادلة ولا منصفة وضنينة وغـــير رحيمة ــ وبلغ من تعرض الطفل للتخويف أنه لا يعبر عن ضيقـــه أو اتهاماته وحين يعبر عنها يشعر بالاثم والكراهية التي لا يمكن كبتـــها لأنها تثير القلق لأنها خطرة حين توجه نحو إنسان يشعر بأنه يعتمـــد عليه.

الصراع الأساسي:

الطفل الذي لديه قلق أساسي يكون في صـــراع بيــن اتكالــه الفعلي على والديه وحاجته للتمرد ضد الوالدية غير الحساسة وينبغـــي على الطفل أن يكبت الغضب والعدوان بداخله بسبب موقف الاتكاليـــة ويمتثل امتثالاً لا تمييز فيه ويفقد الطفل اتصاله بحب الـــذات داخلــه ويتوحد مع الذات المثالية Idealized self.

وهناك أربع طرق وصفتهم هورني لانتقاص الصراع إلى حده الأدنى ولتجنب القلق الأساسي وهي أن: يبرره، أن ينكره، أن يخــدره أو يتجنب المواقف والأفكار والمشاعر التي تدخله الوعي.

- التبرير Rationalization:

قلق الفرد على نحو غير واقعي من مواقف ليس للفرد عليـــها إلا سيطرة قليلة وقد تشمل الأمثلة الموضحة علـــى الاهتمـــام الزائــد بصحة الأبناء وبالزلازل وبحوادث السيارات أو باحتمـــال فقــدان أو العمل وقد تكون الموضوعات المختارة معقولة ولكن نوعية الاهتمـــام زائدة وقسرية ويائسة.

- الإنكار Denial:

الإنكار هو العملية الشعورية أو قبل الشعورية التي يتجنب فيها الفرد ما يؤلم من المثيرات واستخدام للتعبير عنها مصطلـــح الدفـــاع الإدراكي وهو نوع من جوانب رفض الواقع الخارجي والفــرد يتخــذ ميكانيزم الإنكار وسيلة يتحاشى بها إدراك الجوانب المؤلمة أو المكدرة أو المهددة للذات من الواقع المحيط به وهي حيلة شائعة بســيطة فـــي الدفاع عن الذات وأذكر مثال (الأم شديدة التعلق بابنها تنكر أي عيوب

به أو نقائض والفرد يميل لإنكار ما فيه من عيــوب والأســاس فــي ميكانيزم التبرير مبدأ اللذة والواقع فالفرد ينكــر مشــيرات معينــة ولا يتحمل ما هو في الواقع وينكص للمرحلة السابقة عليها وهي المرحلــة التي يسلك فيها وفق مبدأ اللذة.

والأفكار نوعان:

- استبعاد القلق من الشعور ــ أي أن الفرد لا يعيه وما يظهر هـــو الأعراض الجسمية كالأزمات العصبية والعرق وزيـــادة نبضـــات القلب أو أعراض عقلية كالإحساس بعدم الاستقرار وأن آخريـــن يضغطون عليه.
- أن يسيطر على القلق شعورياً ــ يجمع الفرد شتات نفسه ويـــدرك الخوف والعمل على أية حال وله قيمة من حيث أنه يتيح للشـخص أن يعمل بغض النظر عن المخاوف.

– التخدير:

خفض الوعي العام بالقلق وبالمشاعر الأخرى بوسائل خارجية وقد تشتمل هذه على الاستخدام الواضح للمخدرات أو الكحول بأنمـــاط سلوكية أقل وضوحاً كتجنب مواجهة الوحدة والعمل الزائد والعجز عن قضاء وقت الفراغ والنوم الزائد دون الشـــعور بالراحـــة والأنشـــطة الجنسية الزائدة التجنب الشعور بعدم القبول).

– الكف Inhibition:

تجنب الخبرات التي تؤدى إلى الوعي بالقلق الأساسي ويتـألف الكف من العجز أو عدم إرادة الشعور أو التفكير أو القيام بأشياء معينة ووظيفته أن نتجنب القلق الذي قد يثار إذا سعى الشخص إلـــى القيـــام

بهذه الأشياء أو فكر فيها أو قام بها وينبغي العلم أن الاستثارة والكف عمليتان إيجابيتان من عمليات القشرة المخية.

– البحث عن المجد:

تتحول طاقة تحقيق الذات عند العصابي إلى المحافظة على الذات المثالية ويرتبط تمجيد الذات بمشاعر التفوق والأهمية للتعويض عن مشاعر الخوف الفعلية وعن نقص التقبل وتطلق هورفـي علـى البحث لتبرير الذات المثالية ودعمها البحث عن المجد ولذلك تطلق هورفي على البحث لتبرير الذات بالاتجاه المثالي الذي نماه لمعالجة القلق ويرتبط القيام بالعمل باتجاه عصابي لتحقيق الاتقان وتحل النسخة الممجدة من الذات محل الذات الواقعية المفقودة وينمو الاهتمام بتنمية الذات ليصبح الفرد متفوقاً لا يصل إليه أحد.

وكثيراً من المجد يحدث في الخيال حيث يمكن تصور الأنا المثالي المأمول والحياة الداخلية للعصابي مليئة برؤى النجاح الذي لا يمكن بلوغه وكذلك بخيالات الإخفاق المدمر ويحدث عدم التوازن الغريب هذا لأن العصابيين لا يكافحون لتمجيد صور ذواتهم المصطنعة فحسب بل أنهم في نفس الوقت يكرهون أنفسهم وبمقدار استثمارهم لصور ذات مثالية براقة يكون احتقارهم لوجودهم الفعلي وإنجازاتهم.

نسق التكبر والعجب:

ينغمس العصابيون في مقارنة أنفسهم بالآخرين ونسق التكبر يتكون لا من أجل الصورة المثالية للذات وما يلزم للحفاظ عليها من دفاعات فحسب بل يتألف من صراع مركزي بين هذه المثالية

والكراهية الموجهة نحو الذات الواقعية وتؤدي المطـــالب المســتمرة لبلوغ معايير عالية في الأداء إلى جعل جبروت الانبغاءات عذابات مع الذات ومشاعر يأس وتؤدي متابعة الذات المثالية لا محالة إلى الابتعاد عن الحقيقة والكرامة والحيوية والانغماس في مستنقع مـــن المطـــامح العصابية والصراعات المصحوبة بمشاعر التفاهة والإخفاق.

العلاج النفسي عند كارين هورني:

أهداف التحليل النفسي عند هورني:

- مساعدة الفرد على تحقيق ذاته حتى يتمكن مـــن إقامـــة علاقـــات إيجابية مع المحيط الذي يعتريه الفرد.
- مساعدة الفرد على تطوير قواه الأساسية من أجل تحقيق الذات.
- أن يشعر الفرد بالمسئولية الملقاه على عاتقه ويكون إيجابياً فعالاً.
- أن يقدر الفرد على اتخاذ القرار ويغير أسلوب التفكير والتعبير عن انفعالاته وسلوكه محققاً أكبر قدر مـــن الاســتقلالية والمســئولية والحب.

الوسائل الفنية في العلاج عند هورني:

تنبثق فكرة كارين هورني للعلاج النفسي في حل الصراع بين القوة البناءة للذات الفعلية والقوة المعوقة للـــذات المثاليـــة ومســـاعدة المريض في محاربته لصورته المثالية ومواجهة الذات الفعلية ليواجـــه واقعة.

وفك عقالها والتي تسمى بعملية التحرر من الوهم.

لذا يمكن إيجاز الوسائل الفنية في العلاج عند هورنـــي فيمـــا يلي:

الخطوة الأولى: البحث عن مشكلات المريض المتصلـــة بشـــخصيته والوقوف على النزعات العصابية لدى الفرد.

الخطوة الثانية: مساعدة المريض لمعرفة نفسه والتخلص من أســـباب الاضطراب فيعرف دوافعه المتعارضـــة واتجاهاتـــه المتضاربة بعدة وســـائل كـــالتداعي الحـــر وتحليـــل الأحلام.

الخطوة الثالثة: تبديل وعي الفرد واتجاهات علاقاته التـــي بفضلـــها يستطيع القضاء على مواقع النزاع الشخصية الداخلية.

فتنظر هورني إلى عملية إعـــادة توجيـــه أفكـــار الشـــخصية ومشاعرها وإدراك قواها الداخلية. ليستطيع إقامة بناءه الداخلي وذلـــك من أجل الوصول إلى عملية التحقيق الذاتي وإقامة العلاقات البناءة.

نتائج العلاج النفسي:

يبدأ المريض في تعديل أفكاره المسيطرة عليه ويـــدرك أنـــها وهمية خيالية ويبدأ في تعديل نظرته لكثير من الأمور.

جاءت كلير للعلاج النفسي وعمرها يناهز الثلاثين تشتكي مـــن تجمد أطرافها بشلها عن العمل النشاطي والمجتمعي وعدم الثقة بالذات.

كانت محررة في مجلة وعملها غير جيد غير أن طموحها فـــي كتابة الروايات والمسرحيات جيد جداً وتقوم بالأعمال اليومية العادية.

وتزوجت ولم تتجاوز الثالثة والعشرين ومت زوجها بعـــد ٣ سنوات ونشبت علاقة عاطفية بينها وبين رجلا اخر.

وتم تقسيم التحليل الذي أجرى عليها ثلاثة أضواء:

- اكتشاف تضامنها القسري (القسر في نفسها).
- اكتشاف جنوحها القسري للاعتماد على الغير
- اكتشاف حاجتها القسرية إلى إكراه الغير على الاعتراف بتفوقها.

المرحلة الأولى:

دلت المعلومات على عناصر القسر في نفسها حيث كانت تقلل من قدرها في كل شأن وفي جميع إمكاناتها. وكانت مستحيل عليـها أن تنفق مالها. فكانت تقيم في أفخم الفنادق على حساب المجلة لـــم يكـــن بقدرتها إصدار الأوامر وتطلب وكأنها تعتذر.

دور هذا الميل في حياتها:

- بأنها لم تتخذ موقف أنتقاد من أحد حتى من يحاول الإيقاع بها مـــن زملائها تبقى معه على علاقة ودية.
- محاولتها دائماً أن تلبث في المكانة الثانية، فعندما كانت تلعب لعبـة التنس وإذا شعرت بالنصر فكانت تسارع للإكثار مـــن الأخطـــاء لتكون الخاسرة.
- قمعها لمشاعرها: وكانت نظرتها تخلو من الواقعيـــة، والتمنـــي، والتوقع وفقد ثقتها بنفسها، ونتيجة للعلاج أدركـــت أن الحصـــار العصابي، يكمن وراء هذه الوجهة من التضامن وكان هذا عندمـــا

تقدمت باقتراح في تجديد المجلة وتحسينها ولكن انتابها الفزع في مستهل الحديث وغادرت الحجرة لشعورها بإسهال مفاجئ.

ولكنها أخذت ببطء تدرك موقفها حيث يدل اقتراح أسلوب جديد للعمل والمجلة الخروج من الحدود الضيقة المصطنعة وكانت **نتيجة هذه المرحلة من العمل بداية إنبعاث إيمانها بنفسها ولقى هذا المشروع الثناء والتقدير** وكان يخالجها شعور بالبهجة، **لما أخذته من تقدير.**

المرحلة الثانية:

وهي تختص بالاعتماد على "شريك"، **وكان هناك ثلاثة** عناصر رئيسة دعمت هذا الاعتماد القسري:

- شعورها بالضياع.
- احتياجها للاهتمام والإعجاب فعندما ترتبط بعلاقة حب مع آخر فلا تجد أحد يستحق التفكير والاهتمام إلا هو وتشعر بيأس عندما يهمل أمدها.
- **الخيال الجامح:** حيث ترى الرجل العظيم المهيب الذي سيمنحها كل شيء مما تريد.
- **وكان أساس هذا الشعور يمتد جذوره من موقفاً طفلياً مكبوحاً. حيث رغبتها اللاشعورية في من يشبعها ويتحمل المسئولية عنها ويحل مشكلاتها ويرفعها** إلى أعلى المقام.
- **ونتيجة هذا التشابك** المزدوج بين هذا الميل والذي سبقه حيث أن تضامنها القسري سبباً من أسباب احتياجها إلى شريك.

من ناحية أخرى هناك صراع بين التضامن القسري والتوقعات المغالى فيها من "الشريك".

ومن خلال العلاج استطاعت أن تتغلب على اعتمادها الطفلـــي وأخذت تتعامل مع الآخرين بصورة أكثر سواء وثبت ذلك من خــــلال أحلامها.

المرحلة الثالثة:

معالجة الطموح المكبوت والرغبة في الانتقام:

وكان هذا عائد إلى عدة أسباب:

- تطامنها القسري حيث التشكك في ذكائها وقدرتها.
- عجزها عن استغلال ذكائها استغلالاً حراً.
- أحجامها عند المجازفة والخوف من الفشل.

ولأن تخليها عن طموحها، لم يقلل مـــن عزمـــها للانتصـــار والانتقال عن الآخرين لذا بحثت عن حلاً وسطا وهذا الحل أرادت منه التفوق دون بذل الجهود.

المكانة الراهنة والتقويم:

ألفت كارين هورني مجموعة من الكتب حيث أكـــدت علـــى طبيعة النمو الإنساني التطورية وقابلية الإنسان للتغير والتطور وكانت أكثر تفاؤلاً من فرويد.

أسهمت بالكثير في فهم مشكلات المرأة وعملت علـــى إبعـــاد الأساطير المشبعة بالذكورة عن الديناميات النفسية للمرأة.

كانت متفائلة فيما يتصل بإمكانيات الشخص الداخلية أدى بـــها القول إلى إمكانية تحليل الذات.

وضحت أهمية المتغيرات الاجتماعية فـــي تشـــكيل الســـلوك واستطاعت الابتعاد عن الفكر الفرويدي الذي يؤكـــد علـــى الغرائـــز والدوافع البيولوجية فقد تمكنت من توسيع مدى نظرية فرويـــد وذلـــك بإضافة محددات اجتماعية، اهتمت بالاستبصار وبالعلاقة الإيجابية بين المحلل والمريض.

أفادت نظريتها في توجيه العمليات العلاجية وفي فهم كثير من الأنماط السلوكية. يرى بعض علماء النفس أن بإصرار النظرية علـــى أهمية العوامل الاجتماعية في تشكيل السلوك الإنساني قد ساهمت فـــي وضع علم النفس في مكانه الصحيح بين العلوم الاجتماعية.

أوضحت النظرية تصور للإنسان أفضل من التصـــور الـــذي وصفه فرويد فهي تلقي بتبعة الاضطرابات النفسية وانحرافات السلوك على المجتمع وما يفرضه من قيود فالإنسان ليس قلقاً بطبيعته وإنمـــا أصبح قلقاً نتيجة للظروف التي ينشأ فيها.

إن هذه النظرية لقيت قبولاً واستحساناً في حياة هورني وبعـــد مماتها وذلك لبساطة نظريتها وسهولة فهمها وميلها إلى التفاؤل بعكـــس النظرية الفرويدية التي تميل إلى التشاؤم وتزدحـــم بمجموعـــة مـــن الفرضيات والميكانزمات والمفاهيم الغامضة.

نجحت من خلال عرضها للعصاب في أن توضح كثيراً مـــن صور العلاقات الشخصية المتبادلة وهي تلك الصور التي تحدث فـــي نطاق الحياة العادية.

من المآخذ التي أخذت على النظرية:

- هي أنها لم تضف النظرية إلا لجانب واحد من نظريـــة التحليـل النفسي بينما حذفت منها الكثير والجانب الوحيد الذي أضافت لـــه هو الأنا ووسائله الدفاعية وبذلك حذفت الكثير من نظرية فرويـــد باختصار الشخصية إلى نظام واحد هو الأنا.
- يرى بعض العلماء أن هذه النظرية حذفت جذور السلوك الإنسـاني فهي عندما اهتمت بالجوانب الاجتماعية للسلوك الإنساني قد أهملت الجوانب البيولوجية والغريزية وحرمت الإنســـان مــن ميراثــه البيولوجي.
- يشير بعض العلماء إلى أنها بعد أن أرجعت الســـلوك الإنســاني الخاطئ إلى المجتمع لم تحدد الوسائل التي يستطيع بها المجتمع أن يشكل سلوك الأفراد فهذه النظرية شخصت الوضع ووصفته ولـــم تحدد أية وسائل لعلاجه.
- يرى بعض العلماء أن الصورة التي وضعتها هذه النظرية للإنسان وإن كانت صورة متفائلة ومقبولة إلا أنها غير واقعية أكــثر مــن اللازم فهذا العالم الملئ بالحروب والعنف نجد أن صورة الإنســان الاجتماعي الواعي المدرك لذاته صورة غير ملائمة وغير حقيقية.
- لم يكن تصور هورني للحقائق قائم على أسلوب علمي في التفكـير ولكن على الحدس والتأمل الذاتي.



الفصل السابع

هاري ستاك سوليفان

Sullivan, H. S.

العلاقات الشخصية المتبادلة

والنظرية النفسية الاجتماعية



الفصل السابع
سـوليفـان

ولد هاري ستاك سوليفان في مزرعة قرب نوريتش بولاية نيويورك في فبراير سنة (١٨٩٢) ومات في سنة (١٩٤٩) في باريس في طريق عودته إلي بلاده من اجتماع اللجنة التنفيذية للاتحاد الدولي للصحة العقلية في امستردام. وعمل بالقوات المسلحة أثناء الحرب العالمية الأولي وبعد الحرب عمل ضابطا طبيبا في المجلس الاتحادي للتربية المهنية ثم عمل ضابطا في الخدمة الصحية العامة. وفي عام (١٩٢٢) ذهب إلي مستشفي سانت اليزابث حيث تأثر "بوليام الأنسون هوايت" وهو من الرواد الأمريكيين في الطب النفسي العصبي. ومنذ عام ١٩٢٣ حتي عام (١٩٣٠) عمل بكلية الطب بجامعة ماريلاند وبمستشفي شبرد واينوك برات بمدينة توسون في ولاية ماريلاند. وفي تلك الفترة من حياته قام سوليفان ببحوث في الفصام. وفي عام (١٩٣٣) أصبح رئيسا لمؤسسة الانسون وظل في هذا المنصب حتي عام (١٩٤٣) وفي عام (١٩٣٦) أسهم في تأسيس مدرسة واشنجتون في الطب النفسي ثم أصبح مديرها، في عام (١٩٣٨) نشر مجلة الطب النفسي لتطوير نظرية سوليفان في العلاقات الشخصية المتبادلة، عمل سوليفان مستشارا الخدمة الاختيارية (١٩٤٠ – ١٩٤١) وشارك عام (١٩٤٨) "مشروع اليونسكو للتوترات" الذي أقامته الأمم الدولية التمهيدية للمؤتمر الدولي للصحة العقلية وهو رائد مدرسة هامة في تدريب الأطباء النفسيين.

ونشر سوليفان في أثناء حياته كتابا واحدا فقط يعرض نظريته (١٩٤٧) ونشر حديثا كتابان مبنيان علي مذكرات سوليفان .. الكتاب

الأول هو "نظرية التبادل الشخصي في الطب النفسي" (١٩٥٣) وهـــو يتكون من مجموعة من محاضرات تمثل العـــرض الأخـــير الكـــامل لنظريته في العلاقات الشخصية المتبادلة. أما الكتـــاب الأخـــر وهـــو "المقابلة الطبية النفسية" (١٩٥٤) فيقوم علي سلسلتين من المحاضرات أعطاها سوليفان في عامي (١٩٤٥)، (١٩٤٦) وقد أشـــرف بـــاتريك سولاهي وهو فيلسوف من تلامذة سوليفان علي تحرير عدد من الكتب يتناول نظرية العلاقات الشخصية المتبادلة ومن هذه الكتـــب "دراســـة العلاقات الشخصية المتبادلة " وله عدة مقالات طبعت في مجلة "الطب النفسي" ويوجد كتاب أخر عنوانه "اسهامات هاري ستاك ســـــوليفان".

هاري ستاك سوليفان هو خالق وجهة نظر جديدة تعرف باسم "نظريـــة العلاقات الشخصية المتبادلة في الطب النفسي" والغرض الرئيسي لـــها من حيث صلتها بنظرية الشخصية هو أن الشـــخصية هـــي "النمـــط المستمر نسبيا للمواقف الشخصية المتبادلة التي تميز الحياة الأنسانية".. فالشخصية كيان فرضي لا يمكن عزله من المواقف الشخصية المتبادلة كما أن السلوك الشخصي هو كل ما يمكن ملاحظته كشخصية لذلـــك يعتقد سوليفان أن الحديث عن الفرد كموضوع للدراسة حديث أجـــوف .. ذلك أن الفرد لا يوجد ولا يستطيع أن يوجد بمعزل عـــن علاقاتـــه بالأخرين فالمولود منذ اليوم الأول جزء من موقف شخصي متبـــادل وطول حياته يظل عضوا في مجال اجتماعي، وبالرغم من أن سوليفان لم ينكر أهمية الوراثة والنضج في تكوين وصياغة الكائن العضـــوي فإنه يري أن ما هو إنساني بصورة متمـــيزة هـــو نتـــاج التفـــاعلات الاجتماعية، بالإضافة إلي ذلك.. فإن الخبرات الشـــخصية المتبادلـــة للشخص يمكن أن تغير الأداء الفسيولوجي الخاص لوظائفه وتغيره.

ويرتبط علم الطب النفسي عند سوليفان بعلم النفس الاجتماعي، وتحمل نظريته في الشخصية أثر تفضيله القوي للمفهومات والمتغيرات النفسية الاجتماعية، ويقول سوليفان علم الطب النفسي العام في رأيــــه يغطي الكثير من نفس المجال الذي يدرسه علم النفس الاجتماعي".. إذ يجب تعريف الطب النفسي العلمي بأنه "دراسة العلاقـــات الشـــخصية المتبادلة" وفي النهاية استخدام نفس الإطار التصوري الفكـــري الـــذي نطلق عليه الأن اسم "نظرية المجال" ومن هذه وجهة النظـــر تعتـــبر الشخصية تصورا فرضيا فذلك يمكن دراسته وهو نمط العمليات التـــي تصف تفاعل الشخصيات في مواقف خاصة متكررة.

علي الرغم من أن كل مدارس التحليل النفســـي قـــد تنـــاولت الاتجاه الذي وضعه سوليفان من زاوية أو أخري إلا أنه يعرضه فـــي ضوء "القصة الكاملة لعلم النفس الانساني". وقد يبدو هذا الاتجاه الـــذي تبناه اتجاها بسيطا يعبر عن نظرية سهلة يستطيع أن يلم بها البـــاحث في علم النفس لأول مرة، ولكن ان اتجاه سوليفان يعتبر اتجاها معقـــدا للغاية، يجعل من الصعب في كثير من الأحيان أن نسير في نظرياتـــه ويرجع ذلك إلي عدة أسباب :

أولا: أن سوليفان يقدم نظرياته ووجهات نظـــره فـــي مجـــال التحليل النفسي في اطار مجموعة جديدة من المصطلحـــات التـــي لا نستخدمها كثيرا في مفاهيم علم النفس وقد تؤدي هـــذه المصطلحـــات الجديدة بالقارئ إلي سوء الفهم النابع مـــن كونـــها مصطلحـــات قـــد تستخدمها مدارس أخري في التحليل النفسي بمعاني ومدلولات متغـيرة ومن ثم فان هذا الفيض من المصطلحات التي يستخدمها تجعـــل مـــن

الصعب على القارئ أن يستدعي معلوماته السابقة في علم النفس لكي يفهم في ضوئها ما يقصده سوليفان من استخدامه لها.

وتقول (روث مونرو) في كتابها "مدارس التحليل النفسي" (انني لست وحدي في شعوري – حينما أقرأ سوليفان – من أني أتخبط ليس فقط في مستنقع هائل ولكن أجد نفسي واقفة على قمة مزعزعة غير ثابتة أري فيها استعراضا للألعاب النارية)

ثانيا : هناك سبب أخر لهذا التعقيد الذي يظهر في نظريات سوليفان أنه تلقي دراسته علي يد كل من وليم ألانسون هويت وأدولف ماير.. لذلك نجد كتاباته تتسم بصبغة الاتساع والتعمق إلي أبعد حد في ميدان السيكو بيولوجي وأخذ هذا الاتجاه بالذات عن نظرية ماير الديناميكية في الطب النفسي والتي طورها في ضوء التحليل النفسي.

ثالثا : أن سوليفان كان متحدثا أكثر منه كاتبا ولولا أن تلاميذه كانوا يقومون بتسجيل محاضراته لضاعت أعمالا كثيرة عن هذا المحلل النفسي لذلك كان مقلا في الكتابة حتى أنه لم يكتب كتابا منظما بطريقة متعمقة شاملة معبرة عن نظرياته.

رابعا : أن اللغة التي كان يكتب بها سوليفان تتسم بالصبغة العلمية الفنية إلي حد بعيد وتفكيره معقد بوجه عام، وأسلوبه دقيق ومختصر جدا.

ومنهج سوليفان يلخص في نقطتان :

- أنه يري أن العلاقات الشخصية المتبادلة خلال سنوات النمو تشكل سلسلة متتابعة من التهديدات لأمن الفرد.

- أن الفرد يتعلم من خلال خبراته عددا من عمليات الأمـــن التـــي تمكنه من مواجهة الآخرين بنجاح.

إن سياق العلاقات الشخصية المتبادلـــة وفقـــا لوجهـــة نظـــر سوليفان هي جوهر الوجود الإنساني. فإن طبيعة عمليات الأمن هـــذه هي التي سوف تحدد النمط الشخصي للإنسان كما أن مدي تأثير هـــذه العمليات ونجاحها هو الذي سيدفع الشخص علي حـــدود المـــرض أو يبقيه داخل حدود السواء. ومن ثم فإن العلاج النفسي ســـيظل خـــبرة علاقة شخصية متبادلة يلعب فيها المعالج دور الشريك الـــذي يلاحـــظ ويتعهد بفحص مشكلات المريض في علاقاته بالناس وتصبح العلاقـــة العلاجية هنا وسيلة لتسهيل هذه المهمة إذ هي مناسبة لتصحيح ميـــول المريض وإدراكه الخاطئ وكذلك تفسيره الخاطئ لسلوك الآخرين.

سوليفان هو صاحب نظرية العلاقات الشخصية البينية وهـــو ينتمي إلي المحللين النفسيين الذين يعطون وزنا كبيرا للعوامل الثقافيـــة والحضارية علي حساب الجوانب البيولوجية. فالوراثة والنضج لديـــه تقدمان الأساس البيولوجي لنمو الشخصية بمعني الاستعدادات الأوليـــة ولكن العوامل الثقافية التي تحيط بالفرد علي شكل نظام من العلاقـــات الشخصية البينية فهي التي تسمح لهذه الاستعدادات بالظهور وبالتـــالي فإن هذا النظام من العلاقات مسئول إلي حد كبير عن صياغة شخصية الفرد وعن أسلوبه في إشباع حاجاته.

بدأت شهرة سوليفان كنتيجة لنجاحه فـــي معالجـــة الأحـــداث المصابين بمرض الفصام ومع أنه حاول فيما بعد أن يضـــع نظريـــة تتعلق بالشخصية وتطورها.

إن أفكار سوليفان تحتفظ "برائحة العيادة الطبية" وأن أهم مـــا أسهم به سوليفان هو نظريته المتعلقة "بالعلاقات الشخصية المشـتركة". وتحاول هذه النظرية أن تبين كيف أن نماذج الثقافة تتمكن من نســـج العقل والشخصية. أن سوليفان نجح إلي حد كبير في إظهار كيـــف أن العقل والشخصية يعملان دائما في النطاق الشخصي المشترك، وليـــس ككيان منعزل أو محصور الذات، لقد حاول سوليفان أن يظهر كيف أن الطب العقلي هو في النهاية المحل الذي يحل فيه علم النفس الاجتماعي وان يبين السبب في ذلك.

وبسبب انشغال سوليفان بالعمليات الشخصية المتبادلة فقد كون في السنوات الأخيرة عداء غريبا ضد فكرة الفردية. وان هـــذا يعتـــبر خطأ فالفردية لا تناقض بأية حال العمليات المتبادلة فـــإن الشـــخصية تتطور وان كيانها متمركز في العلاقات الشخصية المتبادلة، فلا نعرف ان هناك فكرة معاصرة للفردية يمكن ان توافق الصفـــة التـــي تشـــير مهاجمات سوليفان المتكررة إلي وجودها فيها.

نعتقد أن سوليفان من ناحية نظرية لم يميز تميزا صحيحا بيـن القدرة كمقدرة تتمشى مع احترام المـــرء لنفســـه وللأخريـــن، ومـــع التوصل إلي إرضاء الرغبات والحصول علي الأمـــن، وبيـــن القـــوة بمعني اكتساب السيطرة علي الآخرين والتحكم فيهم.

العلاقات الشخصية المتبادلة:

يري سوليفان أن شخصية الفرد يجب أن ينظر إليها دائما فـــي علاقاتها بشخصيات الآخرين ســـواء واحـــد أو أكـــثر. فالعلاقـــات الشخصية المتبادلة بين الأفراد هي أذن أســـاس وجـــود الشـــخصية

والشخصية المفردة تكشف عن نفسها في علاقتها بالشخصيات الأخرى. فالعلاقات المتبادلة بين الكائنات الإنسانية بعضها وبعض هي مفتاح نظرية سوليفان. أن العمليات الأساسية كالإدراك والتذكر والتفكير والتخيل وجميع العمليات النفسية الأخرى يمكن أن تتضمن في العلاقات الشخصية المتبادلة.

فالأنشطة العقلية لهذه العمليات ترتبط بشخصيات أخري وليست ديناميات داخلية خالصة للسلوك بعيدة عن تأثير الشخصيات الأخرى.. فكل ما تفعله هو في نظر سوليفان نتيجة النظام الاجتماعي والتفاعل بين الأشخاص وعملية الإدراك تظهر متضمنة إلي حد بعيد في العلاقات الشخصية المتبادلة، فالشخصية التي تربي وتنشأ في ظروف يحوطها الثراء تختلف نظرتها إلي ما تعرضه المحلات الراقية مثلا عن تلك التي تربي وتنشأ في ظروف يحوطها الفقر والحاجة. فالنظام الإدراكي يختلف عن كليهما. والإدراك يتأثر في هذه الحالة بماضي الفرد وخلفيته وتربيته.

بالمثل بالنسبة للعمليات العقلية الأخري فنحن نتذكر الأشخاص والأشياء والتي تمت كذلك نتيجة للتفاعل الاجتماعي المتبادل، وماله اتصال بالأشخاص الآخرين. وتفكيرنا يتشكل أيضا حسب الشخصيات التي نعيش بينها. فالشخصية التي تعيش في ثقافة حضرية يختلف تفكيرها إلي حد ما عن تلك التي تعيش في بيئة بدوية أو ريفية.

وقد أعطي سوليفان أهمية كبيرة لموقف العلاقات الإنسانية المتبادلة الذي تلزم لحدوث ألوان النشاط التي تؤدي إلي اشباع الحاجة واعتبره ضروريا وهاما في نظرية الطب النفسي.

قد يعتقد البعض أن وجهة نظر سوليفان عن العلاقات الشخصية مع الأخرين تجعله من أنصار البيئة.. ولكن الحقيقة أنه قد ركز كل اهتمامه وأدار محور نظريته في هذا الصدد عن "الفرد" فنظريته هي "تكامل الكائن الحي مع الوسط الذي يعيش فيه" وهو التكامل الذي يعمل بصفة مستمرة .. ويقول "أن الكائن الحي هو تنظيم مستمر للذات يحدث في إطار العالم الفسيوكيميائي من خلال النشاط الوظيفي الذي يقوم به الفرد" يقرر سوليفان أن البقاء الإنساني في الحياة يحتاج إلي تغيير وتفاعل مستمر مع البيئة. وعلم من أن الصغير لا يستطيع أن يواجه نسبيا هذا التفاعل نظرا لضعف استعداده وقصور إمكانياته في هذه المرحلة، لذلك فإنه يستمد سنده من العدم، حتى أن الكائن الحي ليتداخل بالضرورة مع عالمه الذي ينمو في إطاره. فبتقدم النمو والنضج تتم معهما التشرب الثقافي .. فلا يوجد"نفس" إنسانية يمكن وصف طبيعتها وإمكانياتها علي أنها شيئا "قبليا" ولكن النقطة الرئيسية التي يهتم بها سوليفان هو الوحدة الوظيفية للذات التي تنمو خلال سياق تفاعلاتها وعلاقاتها المشتركة مع الآخرين.

يؤكد سوليفان (١٩٥٣) علي دور العلاقات الشخصية توكيدا شديدا ويري أن الدافع إلي القوة يكمن وراء كل الدفعات وهو يعمل منذ الميلاد في محاولة للتغلب علي الإحساس الداخلي بالعجز.

ففي تفسيره للشرجية علي سبيل المثال يؤكد أن الإمساك سلاح يستخدمه الطفل ليفرض سلطته علي والديه قبل أن يستطيع الطفل أن يفهم ما يحدث حوله بوقت طويل، توجد لديه صورة من التواصل الانفعالي غير اللفظي وتلك الصورة تسمح له أن يستجيب لأفعال الراشدين من حوله بأسلوب حساس. وقد فسر سوليفان العقدة الأوديبية

علي إنها استجابة دقيقة للشعور بالألفة أو الغربة بين الوالدين والطفل.

وتؤدي الفروق في الجنس إلي الإحساس بالغربة، لذا يعامل الوالد طفله أو طفلها من الجنس المخالف بالرفق والهوادة وهذا التحرر من الضغط ينتج عنه في الغالب أن يحب الطفل الوالد من الجنس المخالف حبا أكبر من الوالد من نفس الجنس.

يعلق سوليفان مثل فروم أهمية كبيرة علي العلاقات الاجتماعية بين الطفل وبين الأشخاص المهمين في بيئته وخاصة الأم .. وهو يعتقد أن شخصية الطفل تتكون خلال هذه العلاقات الاجتماعية. وهو يري أن تنشئة الطفل الاجتماعية وتربيته وتعليمه تتلخص في اكتساب الطفل لبعض الأعمال والعادات التي يستحسنها الوالدان فتربية الطفل إذن تتضمن أن بعض الأعمال تؤدي إلي الاستحسان والعطف، وعن ذلك ينشأ القلق. وهذا يدفع الطفل إلي الانتباه إلي أنواع السلوك التي تنال الاستحسان والتي لا تنال الاستحسان حتى يستطيع دائما التمتع بحالة الانشراح وتجنب العقاب والقلق.

ويري سوليفان أن نفسية الطفل تتكون من هذا النظام الخاص باستحسان الكبار لأعمال الطفل وعدم استحسانهم لها عن حاجة الطفل الملحة لمواجهة المواقف المثيرة للقلق ومن ضرورة التمييز بين الأعمال المستحسنة والأعمال الغير مستحسنة ويكتسب الطفل نتيجة لذلك نظاما واتجاها سلوكيا معينا يحتفظ به طوال حياته وأن أية خبرة تهدد هذا النظام والاتجاه في المستقبل تؤدي إلي القلق وإذا ظهر القلق فإن الفرد لا يستطيع أن يدرك ما يحدث له بوضوح أنه يقوم من غير وعي ببعض الأعمال التي تؤدي إلي التقليل من هذه الخبرة وعلي

ذلك فإن القلق هو الوسيلة التي تلجأ إليها النفس لإضعاف الإدراك وسوليفان بذلك يحاول تفسير الكبت ونشوء الأعراض علي طريقته الخاصة في التعبير.

بناء الشخصية :

يصر سوليفان علي أن الشخص كيان فرضي خالص لا يمكن ملاحظته أو دراسته بمعزل عن المواقف الشخصية المتبادلة فوحدة الدراسة هي الموقف الشخصي المتبادل وبين الشخصي ويتكون تنظيم الشخصية من الوقائع المتبادلة بين الأشخاص وليس الوقائع الشخصية الداخلية كما إن الشخصية لا تفصح عن نفسها إلا من خلال سلوك شخصي في علاقته مع فرد أخر أو أكثر وهؤلاء الناس لا يتطلب الأمر وجود لهم فقد يكون الشخص علي علاقة ببطل من أبطال القصص الشعبية مثل بول بونيان أو شخصية روائية مثل أنا كارينا أو مع أسلافه أو مع أحفاده الذين لم يولدوا بعد أن الأدراك والتذكر والتفكير والتخيل وجميع العمليات النفسية الأخري لها طابع العلاقات الشخصية المتبادلة حتي الأحلام ذات طابع شخصي متبادل ما دامت تعكس في العادة علاقات الحالم بغيره من الناس.

سوليفان يؤمن بأن الشخصية تنظيم مرن إلي حد كبير وبالتالي فإن الفرد يمكن أن يتغير إذا ما أتيح له مجموعة من العلاقات الشخصية البينية الجديدة، ويري سوليفان إذا صادف فشلا كبيرا ولم يتحمل القلق الناتج عن ذلك فإنه ينكص ويسلك سلوكا يناسب عمرا أقل من عمره.

وبالرغم من أن سوليفان يعطي الشخصية مكانة فرضية فإنـــه مع ذلك يؤكد أنها مركز دينامي لعمليات عديدة تحدث في سلسلة مـــن المجالات الشخصية المتبادلة لعمليات عديدة تحدث في سلســـلة مـــن بعض هذه العمليات وذلك بتعينها وتســـميتها وصياغـــة المفـــهومات المتعلقة ببعض خواصها والعمليات الأساسية هي :

- الديناميات.
- العمليات المعرفية

- الديناميات Dynamisms:

الدينامية : هي أصغر وحدة يمكن استخدامها في دراسة الفـرد يعرفها بأنها نمط ثابت نسبياً من تحولات الطاقـــة ويمـــيز بصـــورة متكررة الكائن العضوي في استمراره ككائن عضوي حي.

ويوجد تحول الطاقة في أي شكل من أشكال السلوك، قد يكون عاماً كالكلام أو خاصاً كالتفكير والتخيل.

ولما كانت الدينامية نمطاً من السلوك يستمر ويعود فهو يكـــاد يكون مطابقاً للعادة. وعرف سوليفان النمط في عبارة مثيرة فيقـــول: "أنه غلاف يضم فروقاً معينة عديمة الوزن" يعني أن سمة جديدة يمكن أن تضاف إلى نمط ما دون أن تغير هذا النمط مــــادامت لا تختلــف اختلافا له وزن عن المحتويات الأخرى للغلاف، أما إذا كانت تختلــف اختلافاً له وزنه فإن النمط يتغير إلى نمط جديـــد .. مثـــال ذلـــك أن تفاحتين قد تختلفا اختلافاً جلياً في مظهرها ومع ذلك يتعـــرف المـــرء عليها كتفاحتين لأن الفروق بينهما ليست هامة ولكن التفاحة والمـــوزة تختلفان في عدة نواح لذلك فهما تكونان نمطين مختلفين.

يمثل مفهوم (الدينامية). (دينامية الذات) مفهومان أساسيان في نظرية سوليفان فهما يمثلان أهمية كبيرة في نظرية سوليفان.

وعرف "الدينامية" بأنها: "عبارة عن تناسق دائم نسبياً للطاقة يظهر في عمليات يمكن تمييزها داخل العلاقات الشخصية مع الآخرين". وبعبارة أخرى يشير مفهوم الدينامية إلى الطريقة التي تنتظم بها الطاقة وتوجد في الجسم البشري ويعتبر الطاقة على أنها دائماً تلك الطاقة الجسدية الفيزيقية ويرفض فكرة الطاقة النفسية.

مفهوم "دينامية الذات" له دور في "تنظيم السلوك وهو عبارة عن بناء مركب من خبرة الطفل الخاصة بنواحي الاستحسان وعدم الاستحسان والثواب والعقاب فالطفل يكون متيقظاً للرضى من الآخرين أو عدم الرضا".

ويشبه سوليفان دينامية الذات بوظيفة الميكروسكوب الذي يرى من خلاله مشاعر الآخرين نحوه، ففي حين أن شعور الطفل بالاستحسان يشعره بأهميته وقيمته فإن عدم الاستحسان لا يشبع حاجاته ويسبب له قلقاً، فمن خلال دينامية الذات يعمل الطفل على أن يركز على كل ما يسبب له استحساناً من جانب الآخرين وأن يتجنب كل ما قد يجلب له عدم الاستحسان، ومن ثم فإن الذات هي الشئ الوحيد الذي يمتلك خاصية التيقظ والانتباه لكل ما يحدث حول الفرد.

والديناميات ذات الطابع الإنساني المميز هي تلك التي تميز علاقات الشخص المتبادلة فقد يعتاد الإنسان مثلا السلوك بصورة عدوانية إزاء شخص معين أو جماعة من الأشخاص وهذا تعبير عن دينامية شريرة كما أن الرجل الذي يميل إلى البحث عن علاقات بالنساء يكشف دينامية شهوية والطفل الذي يخاف الغرباء عنده دينامية

الخوف سواء كانت في صورة مشاعر أو اتجاه أو فعل سافر تشـــكل دينامية. وجميع الناس لديهم نفس الديناميات الأساسية إلا أن أســـلوب التعبير عن الدينامية يختلف حسب الموقف وخبرات الحياة لدى الفرد.

وتستخدم الدينامية عادة منطقة معينة من الجسم كالفم أو اليدين أو الشرج أو الأعضاء التناسلية لتتفاعل مع البيئة. وتتكون المنطقة من جهاز استقبال لتلقي المنبهات وجهاز إرسال للقيام بالعمل.

إن معظم الديناميات تخدم غرض إشباع الحاجـــات الأساســـية للكائن العضوي ولكن هناك دينامية هامة تنشأ نتيجة الحصر وتســـمي دينامية الذات أو "نظام الذات".

نظام الذات :

الحصر نتاج للعلاقات الشخصية التبادلة وينقل أساساً مـــن الأم إلى الطفل ثم في مقتبل الحياة بعد ذلك عن طريق الأخطار التي تـــهدد أمن الشخص ولكي يتجنب الشخص أو يقلل إلى أدنـــي حـــد ممكـــن، الحصر الفعلي أو المحتمل فإنه يصطنع أشكالاً مختلفة من الأســـاليب الوقائية والضوابط الإشرافية لسلوكه. فهو يعتبر مثلاً أنـــه يســـتطيع تجنب العقاب بالامتثال لرغبات والديه ووسائل ضمان الأمن هذه تشكل "تجنب الذات" الذي يرضي أشكالاً معينة من السلوك "الـــذات الطيبـــة" ويمنع أشكالاً أخري "الذات الشريرة".

أن نظام الذات بوصفه وصيا يرعي أمن الفرد يميل إلـــى أن ينعزل عن بقية الشخصية. وهو يستبعد المعلومـــات التـــي لا تتفـــق وتنظيمه الحالي، وبذلك يخفق في الإفادة من الخبرة، ولما كانت الـــذات تحمي الشخص من الحصر فهي تحاط بالتقدير الكبير وتحمى من النقد.

ومع تزايد تعقيد نظام الذات واستقلاله فإنه يحول دون قيام الشخص بإصدار أحكام موضوعية على سلوكه متغاضياً عن التناقضات الواضحة بين حقيقة الشخص وبين ما يزعمه عنه نظام الذات وبصفة عامة، كلما زادت خبرات الشخص بالحصر زاد تضخم نظام وزاد انفصاله عن بقية شخصيته وبالرغم من أن نظام الذات يخدم غرضاً مفيداً وهو خفض التوتر فإنه يعوق قدرة الشخص على الحياة البناءة مع الآخرين.

ويعتقد سوليفان أن نظام الذات نتاج جوانب غير منطقية من المجتمع. ويقصد بذلك أن الطفل الصغير يدفع إلى الشعور بالقلق لأسباب لم تكن لتوجد في مجتمع أكثر تمسكاً بالمنطق فهو يدفع إلى تبنى أساليب غير طبيعية وغير واقعية فهي مجابهة ما يحسه من حصر.

وبالرغم من اعتراف سوليفان بالأهمية المطلقة لنظام الذات لتجنب الحصر في المجتمع الحديث. وربما في أي شكل من أشكال المجتمعات التي يستطيع الإنسان بنائها، فهو يعترف كذلك أن نظام الذات كما تعرفه هو حجر العثرة الرئيسي في وجه التغييرات المستحبة في الشخصية.

ونظام الذات ما أن يتم وضعه في الطفولة حتى يميل إلى الاستمرار والتدعيم مع تقدم الحياة بالفرد حتى وإن لم يكن هناك تطابق بينه وبين الذات الحقيقية. وتعتبر الشخصية أن نظام الذات له أهمية كبري في خفض القلق. فأي لفظ يكون له قيمة يحتفظ به ويقدر تقديراً عالياً وتستمر الشخصية تستخدم نظام الذات أو دينامية الذات من أجل أن تحمى نفسها ضد نقد الذات الحقيقية .. وإذا اتسعت الهوة بينهما

وزاد استعمال نظام الذات أصبح أكثر تعقيداً وأكثر استقلالاً. ويظـــهر موقف شبه فصامي إذا استمرت المسافة بين نظـــام الـــذات والـــذات الحقيقية في الاتساع فإنه من الممكن أن تصبح الذات الحقيقية عـــاجزة عن ضبط الذات بطريقة الحرفة الملتوية. ومع ذلك يذهب سوليفان إلى أن بعض نظام الذات يعتبر ضرورياً لتجنب أو خفض القلق في العـــالم الحديث، فإحدى المشكلات هي استعمال نظام الذات عند الفرد مع شئ من الضبط. وقد تساعد التحليلات الصريحة والنقد الصريـــح لنظـــام الذات بواسطة الذات الحقيقية في تقديم الضوابط وتقليل المسافة والهوة الفاصلة بين نظام الذات والذات الحقيقية.

وعلى حين يركز فرويد على الليبيدو وعملياته المختلفة، تجـــد سوليفان يؤكد على الأنا والوسائل التي يحاول بواسطتها إحداث عمليـــة التوافق وبدلاً من استخدام لفظ "EGO" وضع سوليفان مصطلحاً أخـــر هو "نظام الذات – Self System" ويعتقد أن نظام الذات يتشكل فـــي صورة فردية بواسطة القلق الناجم عن عدم رضا الأبـــاء وموافقتـــهم وعن مشاعر الطمأنينة الناجمة عن محبة الأباء ورضاهم.

يمثل الحصر مفهوماً أساسياً في نظرية سوليفان والحصر ينشأ عن تفاعل الطفل مع المحيطين به، وخاصة مع أمه ويلجأ إلى أســاليب مختلفة لتجنب هذا الخطر أو للتقليل منه أهمـــها الامتثـــال لرغبـــات الوالدين وبصدور الاستجابات من الطفل يتشكل ما يســـميه ســـوليفان نظام الذات والذي يصبح مسئولاً عن التمييز بيـــن أســـاليب السلـــوك المرغوبة وأساليب السلوك غير المرغوبة من جانب الكبار.

التشخيصات Personilication :

التشخيص هو صورة يكونها الشخص لنفسه أو لشخص أخـو. أنها مركب من المشاعر والاتجاهات والمفهومات الذهنية تنمـــو مـــن الخبرات مع إشباع الحاجات ومع الحصر فالطفل مثلاً يكون تشـــخصاً للأم الطيبة عندما ترعاه وترضعه .. وأي علاقة شـــخصية متبادلـــة تتضمن إشباعاً تميل إلى بناء صورة طيبة لمصدر الإشـــباع. ومـــن الناحية الأخرى فإن تشخص الطفل للأم السيئة ينتج عن خبرات معـــها تثير فيه الحصر. والأم القلقة تشخص كأم شريرة. وفي نهاية المطـــف يمتزج هذان التشخصان للأم مع غيرها مما قد تكون من تشـــخصات مثل الأم المحرضة، أو المسرفة في الحماية.

وهذه الصورة التي نحملها معنا في رؤوسنا نادراً مـــا تكـــون أوصافاً دقيقة لمن تشير إليهم من الناس، فهي تتكون في المقـــام الأول للتعامل مع الناس في مواقف علاقات شخصية متبادلة معزولة نســـبياً. ولكنها ما إن تتكون حتى تستمر عادة وتؤثر في اتجاهاتنا نحو نـــاس آخرين.

فالشخص الذي "يتشخص" له والده كرجل وضيع ديكتاتوري قد يسقط نفس هذا الشخص على رجال كبار أخرين كالمدرســـين مثـــلاً ورجال البوليس وبالتالي فإن شيئاً كان يؤدى وظيفة خفض الحصر في باكورة الحياة قد يعرقل علاقات الشخص المتبادلة في فترات تالية مـــن العمر وهذه الصورة المشبعة بالحصر تحـــرف التصـــورات الذهنيـــة للمرء، لناس لهم وزنهم الراهن .. كذلك قد تتبع "تشخيصات" الـــذات، كالذات الطيبة أو الذات الشريرة نفس المبادئ التي يتبعـــها تشـــخص الآخرين. فتشخص الذات الطيبة تنتج عن خبرات شخصية متبادلة لـــها

طابع الإثابة، كما أن تشخص الذات الشريرة تكون نتيجة مواقف مثيرة للحصر وتشخصات الذات هذه مثل تشخصات الآخرين تميل إلى الوقوف في طريق التقدير الموضوعي.

والتشخصات التي يشترك فيها عدد من الناس تسمي الأنماط المعممة الجامدة وهي تصورات ذهنية ينعقد الإجماع على صحتها أي أنها أفكار تحظى بقبول واسع بين أعضاء المجتمع ويتناقلها جيل بعد آخر ومن نماذج الأنماط المعممة الجامدة الشائعة في ثقافتنا الأستاذ الغائب الذهن السرحان والفنان الخارج عن التقاليد ورجل الأعمال العنيد الرأي.

غالباً ما تكون هذه التشخصات نتاج العلاقات المتبادلة في الطفولة وغالباً تظل هذه الصور كما هي لا تتغير وبذلك تؤثر في مستقبل فكرة الفرد واتجاهه نحو الآخرين ومن هنا جاءت التسمية التشخصات الأرتسامية فالطفل يكون تشخصاً نحو الأب المسيطر وهذا التشخص قد يؤثر في استجاباته بعد ذلك نحو التشخصات الأخرى المتسلطة.

- العمليات المعرفية :

المبدأ الثالث في تحقيق العلاقات المتبادلة هو مبدأ العمليات العقلية يمكن أن يكون علاقات متبادلة مع الآخرين ومن هنا استمدت العمليات المعرفية أهميتها في نظر سوليفان وأصبحت كمبدأ من مبادئ تكوين العلاقات الإنسانية المتبادلة ويذهب سوليفان إلى أن الخبرة المعرفية للفرد تحدث في صور ثلاثة متدرجة في نظام هرمي، أدنى مستوى هو الخبرة الخام، أعلى منها الخبرة المتتالية، أعلى منهما مستوى الخبرة التركيبية.

الخبرة الخام : "هي السلسلة المنفصلة الحلقات للحالات المؤقتة للكائن العضوي الحساس" يشبه هذا الطراز من الخبرات ما يسميه جيمس "مجرى الشعور" أي الأحاسيس الخام والصور والوجدانات التي تعبر ذهن كائن حساس وليس ثمة ضرورة لارتباطها بعضها ببعض كما أنها بلا معنى لدى الشخص الذي يجدها. إن هذه الصور الخام من الخبرة توجد في نفس صورها في الشهور الأولى من الحياة، كما أنها شرط لابد من وجوده لظهور الصورتين المتتاليتين.

الخبرة المتتالية : "هي تتكون من إدراك العلاقات العلية بين الأحداث التي تقع في نفس الوقت تقريباً لكنها لا ترتبط منطقياً". يعتقد سوليفان أن الكثير من تفكيرنا لا يتجاوز مستوى التفكير المتتالي وأننا نرى صلات علية بين خبرات لا صلة لها بعضها ببعض وجميع الخرافات مثلاً نماذج لهذا الضرب من التفكير المتتالي.

الخبرات التركيبية : يتكون من نشاط رمزي انعقد الإجماع على صدقه وبخاصة ماله طبيعة لفظية، فالرمز الذي ينعقد الإجماع على صدقه هو ذلك الذي اتفق جماعة من الناس على أن له معنى مقنناً. والكلمات والأعداد أحسن أمثلة على مثل هذه الرموز. أن الأسلوب التركيبي يضفي على الخبرات نظاماً منطقياً ويمكن الناس من التواصل بعضهم مع البعض الأخر.

يؤكد سوليفان بالإضافة إلى هذه الصياغة لأساليب الخبرة أهمية الاستباق أو بعد النظر في أداء الوظائف المعرفية، فالإنسان يعيش مع ماضيه ومع الحاضر ومع مستقبله القريب ولها جميعاً دلالاتها بوضوح في تفسير فكره وعقله.

في مسار النمو يتكون لدى الأنا ثلاثة أنماط من الخبرة :

- الإنتحاء الأولى البدائي.
- الإنتحاء المترادف المتركب.
- الإنتحاء المتناغم معاً.

يتميز العام الأول من الحياة "بالإنتحاء الأولى البدائي" حيـن لا يكون لدى الطفل تفرقة بين المكان والزمان، وتسهم الخبرات اللحظيـة تدريجياً في تكوين صور غامضة عن الأم الطيبة التي تخلـق لـدى الطفل شعوراً بالسعادة بالمقارنة بالأم الشريرة التي تحبط الطفل.

وبعد ذلك في "نمط الإنتحاء المترادف المتراكب" في بـاكورة الطفولة تتجزء الخبرة الكلية غير المتمايزة إلى أجزاء تبدو كمـا لـو كانت قد تصادف حدوثها معاً دون أي ربط منطقي بينها (يعتبر الحلـم توضيحاً للتفكير من هذا النوع لدى الراشد) أن الطفل يقبل ضمناً مـا يحدث له دون أي تفكير أنه يستجيب للآخرين على أساس مشوه غـير واقعي كما يستخدم الطفل الكلمات في هذه المرحلـة بأسـلوب شـديد الذاتوية، حيث يكون لها معني شخصي خاص جداً لدى الطفل.

ويقوم الطفل بتقييم أفكاره ومشاعره في مقابل أفكار ومشـاعر الآخرين (الصدق الاتفاقي) وبذلك يدرك تدريجياً أنماط للعلاقات فـي مجتمعه ويفهم الاستجابات المرتبطة باستخدام إشارات معينـة ومـن خلال هذا الميكانيزم يتعلم الطفل بشكل نهائي "النمـط المتنـاغم مـن الخبرة" والمتحرر من التشويه وتنشأ الاتجاهات نحو الذات بالمثل مـن استجابات الصور الراشدة المصممة لدى الطفل وهي عملية وصفـها سوليفان أنها التقييمات المنعكسة.

ويناقش سوليفان الأساليب التي يكتسب بها الطفل الخبرة ويميز فيها ثلاث أساليب على النحو التالي :

- أسلوب اكتساب الخبرة البدائي أو الأولى.
- أسلوب اكتساب الخبرة المتميزة.
- أسلوب اكتساب الخبرة المركبة.

- أسلوب اكتساب الخبرة البدائي أو الأولى :

يتسم هذا الأسلوب بأنه من الصعب على الطفل أن يميز بين ذاته وبين العالم الخارجي ويختص بهذا الأسلوب مرحلة الطفولة، وبعض حالات الذهان.

- أسلوب اكتساب الخبرة المتميزة :

كلما أصبحت خبرة الطفل أكثر تمييزاً فإن هذا الأسلوب ينمو ويتطور .. فالطفل يصبح أكثر وعياً بالفرق الأساسي بين نفسه وبين العالم المحيط به، فيبدأ بالتعرف على شخص الأم، على الرغم من أن هذا التعرف قد يكون مصحوباً بالغموض في البداية. مرتبطاً بخبراته الداخلية. كذلك يتعلم الطفل أيضاً أن يميز بعض الأشياء مثل معرفة الأشياء ذات المذاق الردئ وأنه لا يستطيع أن يمسك القمر. وهذه المرحلة لها دور في خبرات الطفل المتعلقة باللغة حيث يبدأ في تعلم مبادئ اللغة الأساسية.

وتتصف الخبرات التي يكتسبها الطفل في هذا الأسلوب بأنها غير مرتبطة متصلة بطريقة منطقية، فيشعر الطفل بأن هذه الخبرات متلازمة في الوقوع، ولا يدركها كأنها مرتبطة معاً بطريقة منتظمة،

فالطفل لا يستطيع أن يربطها بعضها ببعض أو أن يميز بينها تمييزاً منطقياً. ويتميز هذا الأسلوب في مرحلة الطفولة بصبغة التفكير الموجه نحو الذات ويميز أيضاً الراشدين العصابيين الذين يميلون إلى مثل هذا الاتجاه.

- أسلوب اكتساب الخبرة المركبة :

يتميز هذا الأسلوب بالتفهم الكامل للعلاقات المنطقية لمختلف الرموز المستخدمة حيث يبدأ الطفل في التعرف على التركيبات الحرفية في اللغة وفي تعلم استخدام اللغة التي تعبر عن العلاقات المشتركة مع الآخرين أو بمعنى آخر، يتعلم الطفل معاني اللغة من الجماعة ويكتسب هذه المعاني من خلال الأعمال الجماعية والأعمال الشخصية مع الآخرين ومن الخبرة الاجتماعية.

ديناميات الشخصية :

ينظر سوليفان إلى الشخصية، شأنه في ذلك شأن كثير من أصحاب نظرية الشخصية بوصفها نظاماً من الطاقة يتكون عمله الأساسي من نشاطات تخفض التوتر.

التوتر :

يبدء سوليفان بالمفهوم المألوف للكائن العضوي كنظام للتوتر، يمكن نظرياً أن يتراوح بين حدود الارتخاء التام أو الانشراح كما يفضل سوليفان أن يسميه والتوتر المطلق كما يتمثل في الهلع البالغ.

وهناك مصدران أساسيان للتوتر هما :

- التوترات الناشئة عن حاجات الكائن العضوي.

- التوترات الناتجة عن الحصر.

وترتبط الحاجات بالمطالب الفيزيوكيميائية للحياة، فهي حالات مثل الافتقار إلى الطعام أو الماء أو الأكسجين الذي يحدث عدم تـوازن في اقتصاديات الكائن العضوي وقد تكون الحاجات ذات طابع عـــام، كالجوع وقد ترتبط ارتباطاً نوعياً بمنطقة من الجسم كالحاجـــة إلـــى المص. وترتب الحاجات نفسها في نظام هرمي، فتلـــك التـــي تحتـل المكانة الدنيا من السلم يجب إشباعها قبل إرضاء تلك التي تحتل مكانـاً أعلى على السلم.

وأحد نتائج خفض الحاجة هو خبرة الإشباع، ويمكن اعتبـــار التوترات حاجات إلى تغيرات أو تحولات لطاقات معينة تـــؤدى إلـــى زوال التوتر يصاحبها في الغالب تغيير في الحاجة النفسية في الشعور والمعرفة يمكن أن نطلق عليه إصطلاحاً عامـــاً الإشـــباع والنتيجـــة النمطية للإخفاق الطويل في إشباع الحاجات هو الإحساس بالبلادة الذي يؤدى إلى إنخفاض عام في التوتر.

والحصر: "هو خبرة التوتر الذي ينتج عن أخطار حقيقيـــة أو موهومة تهدد إحساس المرء بالأمن. وإذا زاد قدرها خفضت من قـدرة الفرد على إشباع حاجاته وأدت إلى اضطرابات علاقاتـــه الشـــخصية المتبادلة، وأدت كذلك إلى الخلط في التفكير. وتختلف شـــدة الحصـــر باختلاف خطورة التهديد وفاعلية عملية الأمن التي تكون في حـــوزة الشخص. والحصر الشديد كالضرب على الرأس لا تنقل إلى الشـخص أي معلومات بل تؤدى بدلا من ذلك إلى خلط كامل وربما إلى نســيان تام. أما الأشكال التي أقل شدة من الحصر فقد تكون ذات قيمة.

سوليفان يعتقد أن الحصر هو المؤثر التربوي الكبير الأول في الحياة. وينتقل الحصر إلى الطفل عن طريق الأم التي ترعـاه والتـي تعبر عن الحصر في نظراتها ونغمات صوتها وسلوكها العام ويعترف سوليفان إنه لا يعرف كيف يحدث هذا الانتقال. وإن كان من المحتمـل أنه يتم بواسطة نوع من عمليات التعاطف الوجدانـي تتسـم طبيعتـه بالغموض. ونتيجة هذا الحصر المنتقـل عـن طريـق الأم تصبـح موضوعات أخرى في محيطه القريب مشحونة بالحصر بفعل أسـلوب الخبرات المتتالية التي ترتبط فيها الخبرات المتجاورة.

يتعلم الطفل الابتعاد عن ضروب النشاط والموضوعات التـي تزيد الحصر. وعندما يعجز الطفل عن الهرب من الحصر فأنه يميـل إلى النوم. وهذه الدينامية التي تقوم على الانعزال عن طريق النوم كما يسميها سوليفان "هي المقابل للبلادة الانفعالية بوصفها الدينامية التـي تثيرها الحاجات غير المشبعة".

يرى سوليفان إن إحدى مهام علم النفس الكـبرى أن يكشـف جوانب الضعف الأساسية في القابلية للحصر في العلاقات الشـخصية المتبادلة بدلاً من أن يحاول مواجهة الأعراض الناتجة عن الحصر.

نظام التوتر :

يهدف سوليفان إلى أن هدف الإنسان هو خفض حدة التوتـر. هذا التوتر الذي يمكن أن يتراوح بين الخلو التام من التوتـر أو كمـا يفضل سوليفان تسميته "الإنشراح" وهو مصطلح سـيكاتري يسـتخدم بوجه عام لوصف المشاعر الهزائية والإحساس بالسعادة وبين مستوى التوتر المطلق الذي يقرب من حالات الذهان لذلك فإن سوليفان يعتـبر من المظاهر الهامة في شخصية الفرد خفض التوترات التي تهدد أمنه.

وتنشأ التوترات من مصدرين :

- توترات ناشئة عن حاجات عضوية.
- توترات ناشئة عن مشاعر القلق.

والحاجات العضوية حاجات أساسية لجميع الشخصيات، وهـي تكون عامة أو نوعية. أما خفض التوترات الناجمة عن القلق فتعتـبر من العمليات الهامة في نظرية سوليفان. والإنسان محاط بمشاعر القلق منذ اللحظة الأولى التي يدخل فيها الحياة، ابتداء من قلـق الأم، إلـى الاحتياطات التي يتخذها المجتمع للاحتفاظ بصحته سليمة من الأذى أو الألم، وهذه التهديدات لأمن الفرد قد تكون عن أخطار حقيقية أو وهمية تهدد إحساس الفرد بالأمن وإذا زاد قدرها خفضت من قدرة الفرد على إشباع حاجاته وأدت إلى اضطراب علاقاته الشخصية المتبادلـة وأدت إلى الخلط في التفكير وتختلف شدة القلق باختلاف خطـورة التـهديد وفاعلية عملية الأمن التي تكون في حوزة الشخص.

والقلق في نظر سوليفان هو أحد المحركات الأولية في حيـاة الفرد. فهو وإن كان وثيق الارتباط بالتوتر، إلا أنه أكثر من أن يصبح تابعا له. والقلق بناء وهدام في الوقت نفسه. فالقلق البسيط يمكـن أن يفيد الإنسان ويبعده عن الخطر. أما القلق الشامل الكلي فإنه يؤدى إلى اضطراب كامل في الشخصية ويجعل الشخص عاجزا عـن التفكـير السليم أو القيام بأي عمل عقلي ويعتقد سـوليفان أن أنظمـة التوتـر متشابهة بين الناس، ولكن لكل إنسان أسلوبه الخاص في معالجة هـذه الأنظمة والتعبير عنها وتتضح الفردية وتختلف الشـخصية بـاختلاف الطريقة التي يعبر بها كل فرد عن الضغوط والتوترات التي يتعـرض لها.

تحولات الطاقة :

تتحول الطاقة عن طريق القيام بالعمل وقد يكون العمل أفعالاً سافرة تستخدم العضلات المخططة للجسم وقد يكون نفسياً كالإدراك والتذكر والتفكير وهذه النشاطات السافرة وغير السافرة تستهدف التخفيف من التوتر وهي إلى حد كبير رهن بظروف المجتمع الذي ينشأ فيه الشخص. إن ما يستطيع المرء اكتشافه ببحثه في ماضيه هو أن أنماط التوترات وتحولات الطاقة التي تكون حياته هي إلى حد يبعث على الدهشة حقاً أمور تتعلق بتعلمه كيفية الحياة في مجتمع معين.

ولا يعتقد سوليفان أن الغرائز مصادر هامة للدوافع الإنسانية كما إنه لا يقبل نظرية فرويد. إن الشخص يتعلم أن يسلك بطريقة معينة نتيجة تفاعلاته مع الناس وليس نتيجة امتلاكه حوافز فطرية تلزمه أنواعاً معينة من الفعل.

نمو الشخصية :

كان سوليفان شديد الحرص والتدقيق في تحديد تتابع مواقف العلاقات الاجتماعية المتبادلة التي يتعرض لها الشخص في انتقاله من الطفولة إلى الرشد، وفي الكيفية التي تسهم بها هذه المواقف في تكوين الشخصية وقد نظر سوليفان إلى الشخصية من زاوية مراحل النمو المحددة بصورة تفوق فيها عن أصحاب نظريات الشخصية الآخرين، مع الاستثناء المحتمل لفرويد، بينما كان موقف فرويد أن النمو في غالبه تفتح للغريزة الجنسية. كان سوليفان يصر على وجهة نظر ذات طابع اجتماعي نفسي فيما يتعلق بنمو الشخصية بحيث ينال إسهام

العلاقات الإنسانية للفرد ما يستحق من اهتمام وبالرغم من أن سوليفان لم يرفض العوامل البيولوجية كعوامل محددة لنمـــو الشـــخصية فإنـــه أخضعها للمحددات الاجتماعية للنمو السيكولوجي بالإضافة إلـــى أنـــه كان يري أن هذه المؤثرات الاجتماعية قد تسير أحياناً في اتجاه مضاد لحاجات الشخص البيولوجية ويكون لها آثار معوقة على الشخصية ولم يكون سوليفان ليحجم عن التعرف على الآثار المعوقة للمجتمع.

مراحل النمو :

تتبع سوليفان نتائج مواقف العلاقات الاجتماعية المتبادلة التـــي يتعرض لها الفرد خلال انتقاله من الطفولـــة المبكـــرة إلـــى الرشـــد، والوسائل التي تسهم بها هذه المواقف في تكوين الشـــخصية، وحـــدد سوليفان ست مراحل للنمو :

- الطفولة المبكرة.
- الطفولة.
- فترة الصبا.
- ما قبل المراهقة.
- المراهقة المبكرة.
- المراهقة المتأخرة.

- المرحلة الأولى "الطفولة المبكرة" :

وتمتد فترة الطفولة المبكرة منذ الميلاد حتى ظـــهور الكـــلام الواضح، وهي الفترة التي تكون فيها المنطقة الفميـــة هـــي المنطقـــة الأساسية للتفاعل بين الطفل وبيئته وتتيح الحضانـــة للطفـــل خبراتـــه الشخصية المتبادلة الأولى. السمة المميزة للبيئة التي تتجلي في أثنـــاء الطفولة المبكرة هي أنها الموضوع الذي يزود الطفل الجائع بالطعـــام والانتقال من الطفولة المبكرة إلى الطفولة يصبح ممكنا بفضـــل تعلـــم اللغة وتنظيم الخبرة في الصورة التركيبية.

- المرحلة الثانية "الطفولة" :

وتمتد الطفولة ابتداء من ظهور الكلام الواضح إلى ظهور الحاجة إلى الآخرين في اللعب ويسمح نمو اللغة بالإضافة إلى أشياء أخرى بامتزاج الشخصيات المختلفة كالأم الطيبة والأم الشريرة. ويتكامل نظام الذات إلى بناء أكثر تماسكاً ويبدأ نظام الذات في تكوين مفهوم المذكر والمؤنث فيتعين الطفل الصغير ذاتياً بالدور الذكري كما يرسمه المجتمع وتتعين الفتاة الصغيرة بالدور الأنثوي ويسمي سوليفان ذلك باسم "أداعت" كأن ذات الطابع الدرامي التمثيلي شخص مهم بمختلف أنواع النشاط والذي يخدم غرض تجنب العقاب والحصر ويطلق عليها سوليفان "الانشغالات" ومن الوقائع المؤثرة في الطفولة "التحول الشرير" مشاعر مؤداها أن المرء يعيش بين أعداء، إذا ما قويت تجعل من المستحيل على الطفل أن يستجيب بصورة إيجابية لمحاولات الآخرين الودية وهذا التحول الشرير يجعل الطفل يعزل نفسه عن الآخرين.

- مرحلة الصبا :

تمتد طوال معظم سنوات التعليم الابتدائي، وهي فترة يصبح فيها الطفل اجتماعياً ويكتسب فيها خبرات الانصياع الاجتماعي لممثلي السلطة خارج الأسرة. كما يصبح فيها متنافساً ومتعاوناً ويتعلم معنى النبذ الاجتماعي والإقلال من الشأن والمشاعر الجماعية. إن الصبي يتعلم ألا ينتبه إلى الظروف الخارجية التي لا تثير اهتمامه وأن يخضع سلوكه بضوابط داخلية وأن يصوغ اتجاهاته في أنماط جامدة.

"أن المرء يكون متوجهاً في الحياة، بقدر ما يصوغ أو يمكن أن يدفع بسهولة إلى أن يصوغ معطيات".

من هذه الأنواع :

النزعات الهادفة للتكامل (الحاجات) والتي تميز عادة علاقــات الشخص المتبادلة والظروف المواتية لإشباعها والتفرغ المجرد نســبياً من الحصر، والأهداف التي تكون على درجة من البعد والتي يتنــازل الشخص في سبيل بلوغها عن الفرص المتاحة من آن لآخر لإشــباع حاجة الشخص.

- فترة ما قبل المراهقة :

تتميز نسبياً بالحاجة إلى علاقة مع رفيق من نفس الجنس، إلى صديق حميم يستطيع أن يثق فيه وأن يتعاون معه في مواجهة أعبــاء الحياة وحل مشاكلها وهذه الفترة بالغة الأهميــة فــهي تحــدد بدايــة العلاقات الإنسانية الأصيلة بالآخرين أما في المرحلة المبكرة فيتمــيز الموقف الشخصي المتبادل باعتماد الطفل على شخص أكــبر. ويبــدا الطفل في مرحلة ما قبل المراهقة في تكوين علاقات بالأقران.

- فترة المراهقة المبكرة :

المشكلة الأساسية لها هي نمو نمط النشاط الجنســي الغــيري فالشباب يخبر المتغيرات الفسيولوجية للبلوغ وتبدأ في تأكيد نفسها فــي الشخصية وتتضمن دينامية الشهوة بصفة أساسية المنطقــة التناســلية. وإن كانت مناطق أخرى للتفاعل كالفم واليدين تشــارك فــي النشــاط الجنسي. وثمة انفصال بين الحاجة الشبقية والحاجة إلى صلة حميمــة وثيقة فالحاجة الشبقية تتخذ موضوعها من الجنس المقابل. على حيــن تظل الحاجة إلى صلة وثيقة وحميمة مثبتة على عضــو مــن نفـس الجنس.

ويشير سوليفان إلى أن الكثير من صراعات المراهقـــة تنشـــأ نتيجة الحاجات المتعارضة للإشباع الجنسي والحاجة إلى الأمن وإلـــى العلاقات الحميمة الوثيقة وتستمر المراهقة المبكـــرة حتـــى يســـتطيع الشخص أن يجد نمط للأداءات يشبع دفعاته التناسلية.

محددات النمو :

إن سوليفان يرفض بشدة أي نظرية جامدة وقاطعة للغرائـــز، فإنه يعترف بأهمية الوراثة في تزويد الفرد بقدرات معينة. ومن أهمها قدرات الإدراك وصياغة الخبرات. إن الوراثة والنضج يقدمان الطبقـــة السفلية البيولوجية لنمو الشخصية، أي القدرات والاستعدادات والميول.

والتأثير التربوي الأول هو تأثير الحصر الذي يلـــزم الطفـــل التفرقة بين التوتر المتزايد والتوتر المتناقض ويوجه نشاطه في الاتجاه الأخير.

أما القوة التربوية الكبرى الثانية فهي المحاولة والنجاح. ويمكن مقابلة النجاح بالحصول على المكافآت كابتسامة الأم أو مديح الأب.

ولا يعتقد سوليفان أن الشخصية تتكون في سن مبكـــر، مـــن الممكن أن تتغير في أي وقت عندما توجد مواقـــف جديـــدة تتضمـــن علاقات شخصية متبادلة، لأن الكائن العضوي البشري علـــى درجـــة بالغة المرونة والقابلية للتشكيل.

البحوث المميزة وطرق البحث:

اكتسب سوليفان معلوماته العملية التجريبية عن الشخصية عـن طريق عمله مع المرضي الذين يعانون من مختلف أنماط الاضطرابات

الشخصية. وأكتشف أن طريقة التداعي الطليق لا تصلح كما يجب مع الفصاميين، لأنها تثير قدر كبير من الحصر الذي يعوق عملية التواصل بين المريض والمعالج. لذلك اهتم سوليفان بدراسة القوي التي تعوق وتيسر التواصل بين شخصين.

المقابلة : المقابلة الطبية النفسية هو الاصطلاح الذي يطلقه سوليفان على موقف التبادل الشخصي والمواجهة التي تحدث بين المريض والمعالج ويعرفها بأنها نظام أو سلسلة من النظم قوامها العمليات الشخصية المتبادلة ويقسمها إلى أربع مراحل.

- البداية الرسمية.
- الاستفسار المفصل.
- الاستكشاف.
- الختام.

والمقابلة هي تواصل لفظي بين شخصين فيجب أن يكون القائم بالمقابلة يقظاً للتغيرات الطفيفة في صوت المريض وهي تكشف عن دلائل حيوية عن مشاكل المريض الجوهرية. وأن يتجنب القائم بالمقابلة في مرحلة البداية الرسمية إلقاء أسئلة كثيرة بل يجب الحفاظ على اتجاه الملاحظة الهادئة وأن يكون القائم بالمقابلة ليس صديقاً وليس عدواً أو عاشقاً وغيرها من الصفات الأخرى، والقائم بالمقابلة خبير في العلاقات الشخصية.

وفي مرحلة الاستكشاف يصل القائم بالمقابلة إلى ماض المريض وحاضره وهذه الحقائق تكون في قائمة المعلومات الشخصية أو المعلومات الخاصة بتاريخ الحياة. إن سوليفان يصر على ألا يدع القائم بالمقابلة المريض يتكلم عن أمور تافهة لا قيمة لها.

وفي فترة الاستفسار لا يعتقد سوليفان أن على المرء أن يبدء بأي صفة شكلية من طراز "قل أي شئ يخطر على بالك" بل على

المعالج أن يستفيد من ثغرات الذاكرة لدى المريض ليعلمه كيف يتداعى تداعياً طليقاً فهو لا يتعلم بهذه الطريقة. ويقترح سوليفان عدة فـروض للاستفسار، وهو عن الاتجاهـات نحـو الجسـم، وعـادات الأكـل، والطموح، والنشاطات الجنسية.

المكانة الراهنة والتقويم :

على حين يركز فرويد على اللبيدو وعملياته المختلفة نجـد أن سوليفان يؤكد ناحية الأنا والوسائل التي يحاول بواسطتها إحداث عملية التوافق وبدلاً من استخدام لفظ Ego، وضع سوليفان مصطلحاً أخر هو نظام الذات Self System. ويعتقد أن نظام الذات يتشكل في صـورة فردية بواسطة القلق الناجم عن رضا الأباء وموافقتهم وعن مشـاعر الطمأنينة الناجمة عن محبة الأباء ورضاهم.

سوليفان يقدم نظرياته ووجهات نظره في مجال التحليل النفسي في إطار مجموعة جديدة من المصطلحات التي لا نألفها كثـيراً فـي مفاهيم علم النفس وقد تؤدى هذه المصطلحات بالقارئ إلى سوء الفـهم النابع من كونها مصطلحات قد تستخدمها مدارس أخرى في التحليـل النفسي بمعاني ومدلولات مغايرة فهذا الفيض من المصطلحات التـي يستخدمها تجعل من الصعب على القارئ أن يستوعب معلومات فـي علم النفس لكي يفهم ما يرمي إليه سوليفان.

تلقي سوليفان دراسته على يد كل من زليم الانسون وأدولـف ماير نجد كتاباته تتسم بصبغة الاتساع والتعمق إلى أبعد حد في ميـدان السيكوبيولوجي وقد أخذ هذا الاتجاه عن نظرية ماير الديناميكية فـي الطب النفسي.

وعلى الرغم من أن سوليفان لم يستخدم كثـــيراً مصطلحـــات فرويد إلا أنه ليس من المتأثرين على فرويد بقدر ما كان من عوامـــل التقارب والتصالح.

أن سوليفان كان متحدث أكثر منه كاتباً ولولا أن تلاميذه كانوا يقومون بتسجيل محاضراته لضاعت أعمالاً كثيرة من هـــذا المحلـــل النفسي ولذلك فقد كان مقلاً في الكتابة حتى إنه لم يكتب أبـــداً كتابـــاً منظماً بطريقة متعمقة شاملة مخبرة عن نظرياته.

أن اللغة التي يكتب بها سوليفان تتسم بالصيغة العلمية الفنيـــة إلى حد بعيد وتفكير معقد بوجه عام وأسلوبه دقيق ومختصر جداً.

أوجه الاختلاف والتشابه بين الفرويديون الجدد:

رغم قيام هذه النظريات على أكتاف نظرية فرويد على منـــهج التحليل النفسي فإن لها طابعاً خاصاً يمكن تلخيصه في عبارة واحـــدة مؤداها أن :

أن الشخصية تتشكل بالمؤثرات الاجتماعية مع عدم إلقـــاء أو نفي للمكونات البيولوجية وتتباين هذه النظريات فيما بينها من حيـــث مجموعة المتغيرات الاجتماعية التي توليها الأهمية والفاعلية ذات الأثر الأكبر فمثلاً:

يري أدلر أن الاهتمام الاجتماعي فطري في الإنسان وتحدد به الشخصية وتأخذ شكلاً اجتماعياً مميزاً في ضوء الطبيعة الاجتماعيـــة للمجتمع ونوع النظام الاجتماعي السائد والإنسان شعورياً يكون متفـود أو واعياً بنقائضها محاولاً تخطيها.

وكذلك يركز سوليفان على العلاقات الإنسانية المتبادلة بين الأشخاص منذ سن المهد ويولي مراحل النمو أهمية بالغة في تشكيل الشخصية وهي عملية مكتسبة بالضرورة وهو بهذا الصدد يتفق مع هورني.

تركز هذه النظريات على عملية التفاعل المستمر بين البناء البيولوجي في ضوء المحددات الاجتماعية فنجد أدلر يؤكد على فطرية الاهتمام الاجتماعي كجزء في هذا البناء البيولوجي.

ركزت هذه النظريات على الاتجاه الديمقراطي وتؤمن بالإصلاح الاجتماعي كما أشار سوليفان بالتفاهم الدولي ولكل منظر من أصحاب هذه النظريات خبرة ثرية بالأسباب التي تؤدى إلى الخلل في النظم الاجتماعية ومن ثم يمكن عدهم مصلحين اجتماعين.

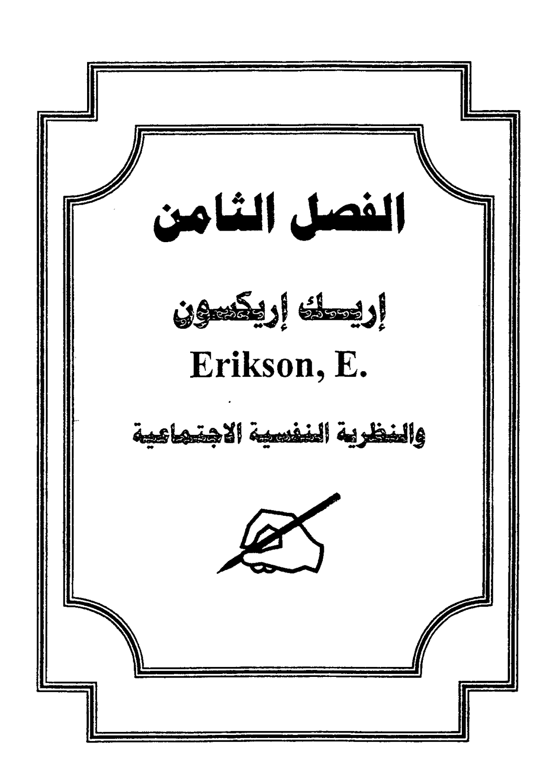
تجمع هذه النظريات على أن القلق نتاج للمجتمع في علاقاته بأفراده وفي علاقة الأفراد بعضهم بالبعض فالإنسان ليس قلقاً بالطبيعة ولكن ينشأ فيه القلق بفضل الظروف الاجتماعية.

وتجمع كذلك على أن الإنسان ليس عدوانياً بالطبيعة ولكن العدوان قد ينمو في الفرد نتيجة الإحباطات التي تواجهه فيلجأ للعدوان للقضاء على مصدر إحباطاته أو يلجأ إلى الانسحاب أو الخضوع.

يركز كل من أدلر وفروم وهورني على تفرد الشخصية ووجود الذات المبدعة والخلاقة وفي هذا بعض الإسراف في التفاؤل وهذا لا يشاركهم فيه سوليفان.

تشترك النظريات في عدم الاهتمام بالدوافع اللاشعورية بل أن الإنسان في تصورهم يعني تصرفاته وهو مدفوع بوعي وتيقظ.

أهملت هذه النظريات مفهوم التعليم الذي يحدد بالدقـــة كيــف يكتسب الإنسان هذا الطابع الاجتماعي ولماذا تتباين الأفراد تحت ظــل ظروف أقرب ما تكون إلى التوحد وكيـــف يتـــم اكتســـاب العـــادات والاتجاهات والقيم.



الفصل الثامن

إريك إريكسون

Erikson, E.

والنظرية النفسية الاجتماعية

الفصل الثامن

إريكســـون

ولد إريك إريكسون عام ١٩٠٢ بالقرب من فرانكفورت بألمانيا وكان والداه دانماركيين نشأ كل منهما وكبر فـــي كوبنـــهاجن، ولقـــد انفصلا والداه قبل مولده وتركت أمه الدنمارك ولم يلتحـــق إريكســـون بالجامعة فتعلمه الرسمي انتهى عند المرحلة الثانوية ولم يتعداها وكـــان تلميذاً ضعيفاً في المدرسة الثانوية، ولكنه مع ذلك تفوق فـــي التـــاريخ والفن، وبعد تخرجه من المدرسة الثانوية ترك المنزل لينتقل مســـافراً عبر وسط أوربا وبعد عام من هذا التاريخ التحق بمدرسة للفـــن فـــي كارلروه، ثم سافر إلى ميونخ ليدرس في مدرسة مشهورة للفن تســـمى أكاديمية دنست.

وبعد عامين انتقل إلى فلورنسا في إيطاليا وعلى الرغم من أنه تجول بغير هدف في ربوع إيطاليا زائراً لمتاحف الفن إلا انه أدرك أن هذه النرجسية قد تؤدي إلى سقوطه مالم يعثر على فكرة يؤمـــن بـــها، وفي عام ١٩٢٧ بلغ إريكسون ٢٥ من عمره وقبل دعوة مـــن بيـــتر بلوس أحد زملاءه في المدرسة الثانوية لكي يعمل معه كمـــدرس فـــي مدرسة للأطفال الأمريكيين في فينا وهي المدرسة التي أنشـــأتها أنـــا فرويد.

وبدأت دراسة إريكسون للتحليل النفسي في مكان بالقرب مـــن فيينا ثم اختير بعد ذلك كمرشح للتدريب في معهد فيينا للتحليل النفســـي ولقد استمر تدريبه (١٩٢٧- ١٩٣٣) تحت توجيه أنا فرويد وتعتـــبر

هذه الفترة هي التدريب الأكاديمي الرسمي الوحيد إلى جانب حصوله على شهادة من جماعة منتسوري للمعلمين في فيينا.

وفي عام (١٩٢٩) تزوج إريكسون من جوان سرسن وكانت معلمة كندية وفنانة وعضواً في المدرسة التجريبية التي تديرها أنا فرويد، ثم هاجر إريكسون مع أسرته إلى الولايات المتحدة الأمريكية واستقرت أسرته في بوسطن وكان قد تأسس فيها جماعة للتحليل النفسي قبل ذلك بعام واحد، وأصبح إريكسون أول محلل نفسي للأطفال في منطقة نيوانجلاند ومارس التحليل النفسي في بوسطن لمدة عام كزميل باحث في علم النفس في قسم الطب النفسي من هارفرد وعلى الرغم من أنه انسحب من هذا البرنامج الدراسي بعد ذلك بشهور قليلة.

وخلال السنوات من (١٩٣٦- ١٩٣٩) عين إريكسون في الطب النفسي بمعهد العلاقات الإنسانية وفي كلية الطب بجامعة بيل، ولقد اتاح له هذا المنصب حرية كاملة ليتابع ما يرغب فيه من بحوث، وفي عام (١٩٣٩) انتقل إريكسون إلى سان فرانسيسكو حيث استأنف عمله التحليلي مع الأطفال، وفي عام (١٩٤٢) أصبح أستاذاً لعلم النفس في جامعة كاليفورنيا ببركلي ولقد انتهت استاذيته في بركلي نهاية مأسوية حيث رفض أن يوقع على يمين الولاء ثم استقال من الجامعة من عام (١٩٥٠)، ونشر كتابه الأول الطفولة والمجتمع ونقحه وأعيد نشره في عام (١٩٦٣) وقد ذاعت شهرة هذا الكتاب.

وفي عام (١٩٦٠) وبعد عام قضاه في مركز الدراسات المتقدمة في العلوم السلوكية بالوالتر في كاليفورنيا انضم إريكسون مرة أخرى إلى جامعة هارفرد محاضراً وأستاذاً للنمو النفسي ولقد استمر

رغم إحالته إلى التقاعد في العطاء وكرس قدراً كبيراً من وقته لتطبيق تصوره الفكري عن دورة الحياة الإنسانية في دراسة الشخصيات تاريخياً والأطفال وجماعات الأقلية ولقد حصل إريكسون على جائزة بولتيزر وجائزة البنك الوطني في الفلسفة والدين عن كتابة حقيقية غاندي. وقام بنشر العديد من الكتب منها: كتاب الهوية والشباب والأزمة (١٩٦٨) وكتاب اللعب والأسباب (١٩٧٧) وكتاب الهوية ودوره الحياة (١٩٨٠).

وقائع نظرية إريكسون:

يطلق على نظرية إريكسون أحيانا النظرية النفسية الاجتماعية في النمو وهي تعتبر مٍن النظريات النفسية الدينامية فهي تتناول الدوافع الحيوية والانفعالية وطرق التوفيق بينها وبين متطلبات البيئة الاجتماعية.

وقد بنى إريكسون نظريته على مبادئ التحليل النفسي كما قدمها سيجموند فرويد، ووازى إريكسون بين مراحل النمو النفسي الجنسي التي قدمها فرويد، وتناول إريكسون مراحل نمو الأنا وتكون الشخصية على نسق نمو الجنين حيث يتوالى ظهور أعضاء معينة من الجسم في أوقات محددة ثم يتكون الطفل كاملا في النهاية وبنفس الطريقة تنمو الشخصية فيسير نموها حسب مخطط نمو حيث تنمو مكوناتها في تتابع ومراحل تكون في النهاية الشخصية ككل.

وفي نمو الشخصية يتتابع نمو مكوناتها في ثمان مراحل من الطفولة إلى الشيخوخة وكل مرحلة تعتبر بمثابة نقطة تحول تتضمن أزمة نفسية اجتماعية Psychosocial Crisis يعبر عنها اتجاهان:

إحداهما يتضمن خاصية مرغوبة، والآخر يتضمن خطرا فإذا اتجه النمو ناحية المرغوب فذلك خيرا، وإذا اتجه نحو الخطر ظهرت مشكلات النمو، ويؤكد إريكسون أن الأزمة النفسية الاجتماعية يجب أن تحل قبل أن ينتقل الفرد بنجاح إلى المرحلة التالية

الافتراضات التي تقوم عليها نظرية إريكسون:

- السبيل إلى تكوين النظرية:

يعتمد إريكسون بالطبع على طرق التحليل النفسي ووسائله للحصول على البيانات التي يحتاج إليها، وفي أبحاثه يولي اهتمامه خاصا بالاشارات الخاصة بالمواد اللاشعورية المسبقة كما تتكشف في الاتصالات الكلامية وفي سلوك اللعب كما أن التحليل في رأي إريكسون شيء بين العلم والفن وهو يفترض أن العمليات الكبرى في النمو الإنساني لا تظهر إلا بأعراض التناقض بينهما، وبناء على هذا فإن دراسة الانحراف الشديد في الشخصية يقدم القرائن الضرورية لتفهم النمو السوي.

وإن إريكسون يقرر أن اللعب يهيئ أفضل المواقف لدراسة ذات الطفل، هذا إلا أن بنات بحوثه تتكون من حالات أكلينيكية وهو يلاحظ الأفراد في اوساطهم الطبيعية، ويدرس البيروجرافية الشعبية.

- نظام الحياة الإنسانية:

يعترف إريكسون بقوله: عندما حددت مجموعة من الموازنات التي يبدو أن الصحة النفسية الاجتماعية لشخصية ما تتوقف عليها وجدت نفسي أشير إلى نظام تقييم عام مستتر يقوم على طبيعة النضج

الإنساني واحتياجات الأنا الآخذه في النمو، وبعض العناصر العامة في نظم تدريب الطفل.

وبالنسبة لإريكسون فإنه يرى أن الظواهر النفسية قــد مــرت بتاريخ تطويري شبيه بالتكوينات البيولوجية، وأن الظواهــر النفســية والظواهر البيولوجية تتشابك تشابكاً وثيقاً.

وفي التاريخ البيولوجي للإنسان يتواجد النمــو الفســيولوجي والموهبة النفسية معا وفي نفس الوقت، ومثال ذلك: أن التركيب الأولى لأكثر الكائنات الحية بداءة يتكون مما لا يزيد غالباً عن تجويف فمــي من أجل البلع الذي يساعد الكائن الحي على الحياة أما الكائنات الأكـثر تعقيداً فلها تركيبات وظيفية إضافية وأساليب نفسية أكثر تعقيداً.

وتحديداً فإن التطور البيولوجي يتوقف عند الــولادة، يســتمر الجسم الآخذ في النضج في الانفراج لا بتكوين أعضاء جديدة ولكــن بتتابع مرسوم للقدرات الحركية والحسية والاجتماعية علما بان النمــو السيكولوجي والاجتماعي يحل محل النمو البيولوجي ويصبح نمو الأنا في تبادل معتمد على جسم الإنسان وعالمه حيث أن نفس الانفعــالات التي تساعد الطفل الوليد على البقاء تساعد الثقافة على البقاء في داخله.

- القيم الإنسانية الأساسية:

يؤكد إريكسون على القوة الابتكارية والتكيفية لفرد، فكل فــرد يمتلك القدرة الخاصة على خلق أسلوب حياته، كما أنه يرى أن السلوك الإنساني ليس "طيبا ولا خبيثا" بل أن كل إنسان يملك القدرة على خلق كل من "الطيب والخبيث".

إن قداسة الإنسان لكي تبقى تحتاج إلى الثقة واحترام المجتمع والثقافة اللتان يحيطان به، والمؤسسات الاجتماعية بدورها تحتاج في دوامها إلى الاحترام والتقدير من الأفراد الذين يعتمدون على هذه المؤسسات، وبذلك فإن قداسة الفرد دائماً تتوطد في عالمه الاجتماعي.

- السببية في سلوك الإنسان:

إن إريكسون يتقبل النمط الفرويدي الخاص بالبنيان العضوي المحمل بالطاقة الجنسية النفسية، وهذه الطاقة أو القوة الدافعة موجودة منذ الولادة وهي تولد كل العمليات النفسية ويطلق إريكسون على هذه الطاقة كما فعل فرويد "الليبدو".

يفترض أن الأنا تركيب نفسي يتكون من الانفعالات الشعورية ويتحكم فيها تركيب وتكامل التجارب الماضية مع الواجبات التي تواجه الفرد في مجال مداركه المعرفية في وقته الحاضر، ويضيف إريكسون أن الأنا يحد الفرد بتوجيه محدود "يصهر" تاريخ الفرد، ويفترض أن الأنا العليا تتكون من التجربة الشخصية عند تفاعل الفرد مع أفكاره ومواقف البالغين وانتقادهم.

وقد اقترح فرويد أن "الهو" يمر بعدد من التغيرات المختلفة في نمو الفرد الجنسي النفسي وهو ما يؤدي إلى تغيير مضمون الأنا والأنا العليا، ويغير إريكسون هذا الافتراض بإضفاء أهمية مماثلة للأنا بالجمع بين تجربة الماضي وتجربة الحاضر.

إن الأنا يجعل من الممكن للإنسان أن يربط بين كلاً النموين التطوريين وهما حياته الداخلية وتخطيطه الاجتماعي، إن الأنا لم يعد هو الحصيلة الفرويدية لضغوط الهو والأنا الأعلى، ويشير إريكسون

أن القوة والضعف النسبيين للأنا يرسمان الطريقة للنمو الجنسي النفسي ويقرران قدر كل فرد وأن اتجاه سلوك الفرد يتحدد بقدرة الفرد علـــى تنمية عمليات الأنا الخاصة به واستخدامها.

- محور العمل الإنساني:

يهتم إريكسون بالعلاقات العاطفية بين الأشخاص متفقـــا مـــع فرويد في ذلك، ويحتل اللعب أهمية خاصة ويعتبر إريكسون اللعب من أهم وظائف الأنا.

إن اللعب يتعلق بالتجارب الحية التي يحاول الطفل تكرارها او انكارها لكي ينظم عالمه الداخلي بالنسبة لعالمه الخارجي كما أن اللعب يتضمن التعليم الذاتي أو المبادأة الذاتية.

- المواليد:

لا يختلف الطفل حديث الولادة اختلافا عنصريـــا عنـــه قبـــل الولادة، فهو من الناحية النفسية له شخصية وله إرثه الذاتي، وكذلـــك كل قدراته لنمو الشخصية الفريده، ويفترض إريكسون أن الاختلافـــات الجنسية تحدد مختلف التجارب النمائية وان للبيئة تـــأثير شـــديد عنـــد الولادة وقد يكون هذا التأثير سابقا على الولادة ويظل الفـــرد عمومـــاً مشاركاً نشطاً في تكوين قدرة الخاص، ومع نضج الطفل يؤثر علـــى الأسرة بقدر ما تؤثر الأسرة عليه والمجتمع في حاجة للمواليد من أجل استمراره كما أن الوليد في حاجة للمجتمع من أجل تغذيته.

أوجه الاختلاف بين كل من إريكسون وفرويد:

- إن عمل إريكسون أحدث تحولا كبيرا من التركيز على الهو إلـــى التركيز على الأنا وهو أمرا أدركه فرويد في السنوات الأخيرة من حياته أي أن إريكسون أكد على أهمية الأنا بدلا من الهو كأســـاس للسلوك الإنساني ولقيام الإنسان بوظائفه ولقد اعتبر الأنـــا بنيـــة مستقلة للشخصية (أي أن بعض وظائف الأنا وأدائـــها لـــم ينشـــأ لتجنب الصراع بين الهو ومطالب المجتمع) تتبع مسارا من النمـــو الاجتماعي التوافقي موازنا لنمو الهو وغرائزة، وهـــذا المفـــهوم للطبيعة الإنسانية أو ما يسمى سيكولوجية الأنا يمثل تغيراً جزئيـــاً وابتعاد عن التفكير التحليلي المبكـــر لأنـــه يصـــور الأشـــخاص باعتبارهم عقلانيين ومنطقيين في اتخاذ القرار وحل المشكلات.
- قدم إريكسون منظرا جديدا فيما يتصل بعلاقـــة الفـــرد بـــالوالدين وبالمصفوفة التاريخية التي تقع فيها الأسرة فبينما اهتـــم فرويـــد بتأثير الوالدين في شخصية الطفل المنبثقة، أكد إريكســـون علـــى الوضع النفسي التاريخي الذي تتشكل فيه الأنا للطفل وهو يعتمـــد على دراسة حالات إناس يعيشون في ثقافات مختلفة لتبين كيف أن نمو الإنسان مرتبطة بالطبيعة المتغيرة للمؤسســـات الاجتماعيـــة والانساق القيمية.
- نظرية إريكسون في نمو الذات تضم حياة الفرد كلها من سن المهد إلى الطفولة والمراهقة والنضج والشيخوخة بينما قصـــر فرويـــد اهتمامه على آثار الخبرات الطفولية المبكرة ولم يهتم بالنمو بعـــد

مرحلة التناسل ويوضح المتخصصين أن هناك قدراً من التطابق بين الفكريين فيما يتصل بالمراحل الخمسة الأولى من الحياة.

- وأخيراً فإن إريكسون وفرويد يختلفان فيما يتصل بطبيعة الصراعات النفسية الجنسية، ولقد كان فرويد يطمح في أن يكشف عن الحياة الفعلية اللاشعورية وأن يفسر كيف يمكن أن تؤدي الصدمة المبكرة إلى بعض الأمراض النفسية في الرشد وعلى العكس من ذلك كانت مهمة إريكسون ان يلفت النظر إلى قدرة الإنسان على الانتصار على مزالق الحياة النفسية الاجتماعية، ولذلك فإن نظريته تركز على خصائص الأنا التي تنبثق في فترات النمو المختلفة ولعل هذا التمييز هو مفتاح فهم تصور إريكسون لتنظيم الشخصية للنمو، وفي المقابل من تحذير فرويد القدري بأن الإنسان سوف يتعرض للفناء الاجتماعي إذا ترك لكفاحاته الغريزية نجد مسلمة إريكسون التفاؤلية بأن كل أزمة شخصية واجتماعية تمثل تحديا بالنسبة للإنسان وتؤدي إلى نموه وسيادته وسيطرته على العالم، ونجد أيضا ان معرفة طريقة تغلب الشخص على مشكلة من مشاكل مراحل النمو وطريقة معالجته غير السليمة للمشكلات المبكرة التي تعجزه عن معالجة المشكلات اللاحقة هي مفتاح حياة الشخصية عند إريكسون.

ويرى نفسه عضوا في المدرسة الفرودية ويوافق البعض على ذلك لأن لديه ولاء للمبادئ الأساسية التي اعلنها فرويد واعتبرها محور عمله ولأنه يشبه فرويد من حيث أنه ملم بالتاريخ والفلسفة ولأنه كلينيكي، ويرى آخرون أن جهود إريكسون تشكل مدخلا ومنظورا مختلفا تماما عن منظور فرويد بالنسبة لدوره حياة الانسان ويؤكد

إريكسون على قوة الفرد الخلاقة التوافقية، وهو يتفق مع الإنسانيين من حيث أنه يرى أن الأشخاص بحكم امكانياتهم خيريين، حيث أن هدف النمو عند إريكسون خلق شخصية متوافقة مع نفسها وهو بذلك يؤكد على دور المجتمع والعلاقات بين الأفراد فنمو الشخصية يسير طبقاً لخطوات تم تحديدها مسبقا باستعداد الكائن الحي للتعرف على المجتمع المحيط به والتفاعل معه.

يؤكد إريكسون على ضرورة اهتمام الوالدين بالحاجات النفسية للأطفال أثناء نموهم النفسي وإحداث التوازن والاتساق بين هذه الحاجات ومتطلبات المجتمع، ولذلك يجب أن يزودوا أطفالهم بالأمن والحب والحنان والقدوة الحسنة لأن كل هذه الحاجات تعتبر أهم الميكانزمات النفسية والاجتماعية للأطفال خلال مرحلة امتصاصهم وتشربهم لقواعد ومتطلبات الأسرة والمجتمع (التنشئة الاجتماعية) وأن الدور الرئيسي للأسرة هو إعداد الفرد اعداداً اجتماعياً ونفسياً كافياً يمكنه من التغلب على الأزمات خلال مراحل دورة حياته النفسية.

مراحل النمو:

لقد افترض إريكسون ان كل مرحلة نفسية اجتماعية مصحوبة بأزمة وهي نقطة تحول في حياة الفرد ينشأ عن النضج الفسيولوجي وعن المطالب الاجتماعية التي على الشخص ان يستجيب لها في تلك المرحلة وتتحدد المكونات المختلفة للشخصية نتيجة لطريقة معالجة هذه الأزمات أو القيام بتلك الأعمال، والصراع جزء لا يتجزأ من نظرية إريكسون وهو جزء حيوي ويرجع ذلك إلى النمو وما يرتبط به من اتساع دائرة العلاقات الاجتماعية وتزداد قابلية وظائف الأنا للفرد في كل مرحلة، وليس المقصود بالأزمة كارثة تلحق بالفرد وتهدده بل

نقطة تحول أي أنها مصدر لنشوء قوة الفرد وتكامله كما انها مصـــدر لسوء توافقه.

وتضيف الثقافة المظهر الإنساني للحياة، إن الإنســـان يحيـــى بقوى غريزية وهنا تقوم الثقافة بدور التأكيد على ضـــرورة اســـتخدام القوى الغريزية الصحيح فالبيئة الثقافية لكل فرد هي التي تختـــار لـــه طبيعة تجاربه وليس الطفل ووالديه وحدهم فإن الأجيال تنظـــر إلـــى أفعال الطفل وتساعده على تكـــامل علاقاتـــه (بموافقتـــهما أو بعـــدم موافقتهما) إلى ما لا حصر له من تفاصيل مقلقة.

ركز إريكسون بوضوح على الجانب الاجتماعي وبسبب هـــذا التركيز ظهر مصطلح الاجتماعي النفسي فبينما نظر فرويد إلى النفس بشكل منفصل تقريباً (ما عدا تأثير الوالدين والأقارب) فإن إريكســـون اعتبر ان تطور الشخصية يتأثر بعمق، ليس فقط بواسطة الأسرة وإنما بواسطة العديد من الوكالات الاجتماعية الأخرى (المدرسة، الأصدقاء، رفيق الزواج) وكلهم يقومون بأدوار في تشكيل شخصية الفرد.

نواحي التشابه بين إريكسون وفرويد:

على سبيل المثال كل من إريكسون وفرويد يعتـــبر مراحـــل تكوين الشخصية محددة تحديا مسبقا ولا تتغير مـــن حيـــث ترتيـــب ظهورها كما أن إريكسون يعترف بالأســـس البيولوجيـــة للاتجاهـــات الدافعية والشخصية وملتزم بنموذج فرويد البنائي (الهو، والأنا الأعلى) للشخصية وعلى الرغم من مجالات التداخل والاتفاق هذه فإن كثير من علماء نفس الشخصية يرون أن جهود إريكسون واجتهاداته النظريـــة مختلفة اختلافا أساسياً عن فرويد.

مراحل النمو عند إريكسون:

- الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة (الأمل)

تتطابق هذه المرحلة مع المرحلة الفمية عند فرويد وتمتد خلال العام الأول من حياة الطفل تقريباً، والأحساس العام بالثقـــة المحـــور الأساسي للشخصية الصحيحة عند إريكسون والطفل الذي لديـــه ثقــة أساسية داخلية يرى العالم الاجتماعي عالما آمنا ومكانا مستقراً ويـــرى الناس عطوفين موثوقا بهم، وأن هذا الإحساس بالثقة واليقيـــن يكـــون خلال هذه الفترة شعوريا إلى حد ما.

ويرى إريكسون أن مدى قدرة الأطفال الصغار على اكتســـاب الثقة في الآخرين وفي العالم يتوقف على نوعية رعاية الأم لهم فـــالأم هي التي تضبط الاشباع والأمان، وذلك أن الاحساس بالثقة لا يعتمـــد على مقدار الطعام الذي يتلقاه الطفل ولا على تعبيرات العطـــف بـــل يتوقف على قدرة الأم على توفير الإحساس بالألفة للطفل وبالاتســـاق وبالاستمرارية وبتماثل الخبرة.

ويؤكد إريكسون على أنه لا ينبغي أن يثق الأطفال في العـــالم الخارجي فحسب بل في العالم الداخلي أيضا، أي أنه ينبغي عليـــهم أن يتعلموا الثقة في أنفسهم وفي قدرة اعضائهم على ان يعالجوا على نحو فعال رغباتهم الجسمية، ويظهر هذا السلوك حين يستطيع الطفـــل أن يتحمل غياب الأم دون أن يعاني من قلق الانفصال بمعناه الكبير.

إن ما يثير الأزمة النفسية الاجتماعية الأولى في حياة الطفـــل هي نوعية رعاية الأم وهذه النوعية تتميز بعدم الثبات وعدم الملائمـــة والنبذ، وهكذا تنمى الأم عند الوليد اتجاهاً نفسياً اجتماعيا قوامه الخوف

والريبه والرهبة نحو العالم والناس وتظهر آثاره السيئة في مراحل النمو اللاحقة للشخصية، وفضلا عن ذلك فإن إريكسون يشعر ان الإحساس بعدم الثقة قد يدعم حين تحول الأم انتباهها واهتمامها إلى مسائل أخرى غير الطفل قد تكون أجلت الاهتمام بها فترة الحمل وحتى الولادة كأن تعود إلى عملها.

كذلك اختلاف الوالدين في أنماط رعاية الطفل ونقص ثقتهم في دورهم كآباء واختلاف نسقهم القيمي وتعارضه مع أسلوب الحياة السائدة في ثقافتهم قد يخلق جواً من الغموض بالنسبة للطفل مما يؤدي إلى مشاعر عدم الثقة وتتمثل النتائج السلوكية لقصور نمو الإحساس في الثقة بالاكتئاب الحاد عند الأطفال الصغار والبارانويا عند الراشدين.

كذلك يرى إريكسون أن الأمهات في الثقافات المختلفة ومن الطبقات الاجتماعية المتباينة سوف يعلمون الثقة وعدم الثقة لأطفالهم بطرق مختلفة وبالتالي يعكسون أثر التباين الثقافي، ومع ذلك فإن اكتساب الإحساس بالثقة عامي في جوهره، بمعنى ان الفرد يستطيع ان يثق في العالم الاجتماعي من خلال أمه وأنها سوف تعود وتطعمه الطعام المناسب في الوقت المناسب.

تسمى الفضيلة التي يكتسبها الفرد من الحل الناجح لصراع الثقة وعدم الثقة (الأمل) فالثقة تعنى قدرة الطفل على استشراق الأمل وهذا بدوره هو أساس إيمان الراشد بدين معين، ويفيد الأمل في المحافظة على إيمان الفرد واعتقاده بعالم ثقافي مشترك له معناه وقيمه، وعلى العكس من ذلك فإن إريكسون يؤكد على أنه حين تخفق

المؤسسات الدينية في توفير مغزى واضح وملموس للفرد تفقد كثيرا من معناها بالنسبة له وقد يتحول عنها إلى غيرها.

- الاستقرار الذاتي مقابل الشعور بالخجل أو السكوت (٢-٣ سنوات):

وهذه المرحلة تقابل المرحلة الشرجية في تصنيف فرويد وفيها يتدرب الطفل على ضبط عملية الإخراج، فإذا اتخذ هذا التدريب طابعا سليما قائما على التفهم والتقبل والتسامح تشكلت لدى الطفل شخصية مستقبلة وبالمقابل إذا استخدمت القسوة والعنف أثناء التدريب على ضبط عملية الإخراج ينشأ الطفل شاكا في نفسه وقدرته وتولد لديه شعور النقص.

- المبادأة في مقابل الشعور بالذنب (٣-٥ سنوات):

وتقع هذه المرحلة في سن ٣-٥ سنوات يتعلم الطفل في هذه المرحلة كيف يتفاعل مع الجماعة وكيف يمارس القيادة أو التبعية في مجتمعه، فإذا تدرب الطفل تدريبا سليما على ذلك اعتاد على المبادرة أما إذا عامله الأهل بالقسوة وكرروا تعنيفه وأشعروه بأنه يخطئ دائماً فإنه يتولد عنده شعور بأنه كثير الأخطاء وأن آراءه غير صائبة، وبذلك يتردد في إعطاء أي مبادرة وصار يشعر بالذنب بسبب عجزه وكثرة أخطائه.

وفي هذه المرحلة يتعلم الطفل السليم صحيا مهارات مختلفة، إذ يتعلم كيف يتعاون مع الآخرين إذ يبدأ الطفل في اكتشاف البيئة حوله وفي التجريب لمعرفة كيف يسيطر على أعضائه وعلى حركاته فإذا تم تشجيع الطفل على ذلك نشأ لديه صفات المبادأة والمبادرة.

– الاجتهاد مقابل القصور (٦-١١ سنة):

اكتساب الاجتهاد واتقاء الشعور بالقصور وتحقيق الكفاية والتفاعل الاجتماعي مع الجيرة والمدرسة بناء على الثقة السابقة والتحكم الذاتي والمبادرة ينمو لدى الطفل شعور بالاجتهاد ففي المدرسة يتعلم الأساسيات (القراءة والكتابة) ويتكسب التعاون الذي يمكنه من أن يكون مواطنا منتجا في المجتمع وعن طريق التشجيع وإمداح الإنجاز يتعلم المثابرة في إنجاز العمل حتى يكمله ويستخدم مهاراته في الأداء إلى أقصى حد ممكن. وخطر هذه المرحلة مزدوج، فمن ناحية قد يتعلم الطفل تقييم الإنجاز في العمل قبل كل شيء آخر مغترباً عن رفاقه بسبب سلوكه التنافسي ومن ناحية أخرى إذا حدد النشاط ومنع وتلقى نقداً سالباً فقد يشعر بعجزه عن أداء الأعمال المطلوبة منه وينمو لديه شعور بالقصور من المحاولة. ومدارسنا للأسف رغم أنها أنشئت لبناء شخصية الطفل إلا أن فشل كثير من الأطفال في الارتقاء إلى المستوى الذي تطلبه المعلمة وعقابها له يؤدي قبل الاجتهاد فعندما يشعر الأطفال بأنهم أقل كفاءة من أقرانهم في التحصيل والمهارات والقدرات ينمو لديهم الإحساس بالدونية (النقص) .أما الأطفال الناجحون فيظهرون مع شعورهم بالكفاءة في العمل والسرور في العمل إحساس بالانتاجية.

– المراهقة – هوية الأنا مقابل تشويش الدوز – الولاء والأخلاص (١١-٢٠ سنة):

المراهقة هي المرحلة الخامسة من دورة الحياة عند إريكسون ولها أهميتها في نمو الفرد النفسي الاجتماعي في هذه المرحلة لم يعد

الفرد طفلا ولم يصبح راشد (من ١٢-٢٠ سنة) وفيها يواجه المراهق مطالب اجتماعية مختلفة وتغيرات أساسية وبالمشكلات المصاحبة لها أدت إلى تحليله لهذه المرحلة تحليلاً مفصلاً أكثر من أي مرحلة أخرى من مراحل النمو.

يرى إريكسون أن البعد النفسي الاجتماعي الجديد الذي يظهر خلال المراهقة إما أن يكون احساساً بهوية الأنا إذا كان موجباً، أو إحساس بتميع الدور إذا كان سالباً، والعمل الذي يواجه المراهقين هو أن يبلوروا جميع المعارف التي اكتسبوها عن أنفسهم (كأبناء وتلاميذ ورياضيين) وأن يوجدوا تكاملاً بين هذه الصورة المختلفة للذات بحيث تصبح صورة شخصية وتظهر وعيا بالماضي وبالمستقبل الذي يترتب على الماضي ويؤكد إريكسون على الطبيعة النفسية الاجتماعية لهوية الأنا دون أن يركز على الصراعات بين البنيات النفسية بل يركز على الصراع داخل الأنا نفسها أي بين الهوية مقابل التميع في الدور والتأكيد هو على الأنا وطريقة تأثيرها بالمجتمع وخاصة جماعة الأقران.

يكشف تعريف إريكسون عن ثلاث عناصر متضمنة في تكوين الهوية:

أولاً: ينبعي أن يدرك الأفراد أنفسهم باعتبار أن لديهم نفس الاستمرارية الداخلية أو المماثلة، أي أنهم ينبغي أن يخبروا أنفسهم عبر الزمن باعتبار أنهم ما زالوا في الحاضر نفس الأشخاص الدين كانوا في الماضي.

ثانياً: ينبغي أن يدرك الآخرون في نفس البيئة الاجتماعيـــة المماثلـــة والاستمرارية في الفرد وهذا معناه أن المراهقين يحتاجون إلى أن يدرك الآخرون وحدتهم الداخلية التي نموها في وقت مبكر وبقدر ما يكون المراهقون في شك فيما يتصل بمفاهيم الـــذات وصورها الاجتماعية بمقدار ما تعوق مشاعر الشك والخلــــط وعدم الاكتراث إحساسهم بضياع الهوية.

ثالثاً: ينبغي أن يتوافر للأفراد ثقة تتزايد في التطـــابق بيـــن خطـــوط الاستمرارية الداخلية والخارجية، أي ينبغي أن تثبت مدركاتهم للذات مصداقيتها بالتغذية الراجعة المناسبة من خبراتهم مـــــع الآخرين.

ويقتضي نضج المراهق اجتماعيا وانفعاليا إحاطتـــه بطـــرق جديدة لتقدير العالم وتقويمه من حيث علاقته به ويستطيع المراهقـــون أن يتصوروا مثالية وعقائد وفلسفات ومجتمعات، ويستطيعون بالتـــالي أن يقارنوا هذا بخبرتهم المحدودة بأشخاصهم ومؤسســـاتهم القـــاصرة ويصبح عقل المراهق عقلا أيديولوجيا يبحث عـــن الأفكـــار الملهمـــة والوحدة، وهكذا فإن التشويش والخلط في المثل العليا ينتج عن الإخفاق في التوصل إلى قيم باقية في ثقافيـــة الفـــرد وعقيدتـــه وأيدلوجيتـــه والشخص الذي يعاني من التشويش في الهوية لم يراجع ويعيد تقويـــم المعتقدات الماضية ولم يتوصل إلى حل يتركه حراً في العمل والفكر.

وأخيراً فإن الدور الجنسي الملائم ضروري لنمـــو الإحســـاس بالهوية الشخصية ويبين إريكسون أنه حيث تحدث التوحيدات الأنثويـــة والذكرية المناسبة تنمو الشخصية خليطـــا صحيحـــا ومنســـجما مـــن

الخصائص المحددة جنسياً، والاخفاق في تحقيق هوية جنسية مناسبة كثيراً ما يؤدي إلى تشويش ثنائي الجنس، يضعف بنية الهوية.

يذهب إريكسون إلى ان أساس المراهقة الناجحة وتحقيق هوية متكاملة موجزة أصلاً من الطفولة المبكرة فبالإضافة إلى ما يجلبه الأفراد معهم من الطفولة عندما يصلوا إلى مرحلة المراهقة تتأثر نتيجة الإحساس بالهوية لدى المراهقين تأثيرا له مغزاه بالجماعات الاجتماعية التي يتوحدون معها، ولقد أكد إريكسون على سبيل المثال على أن التوحد الزائد مع الأبطال المشهورين (نجوم السينما والرياضة) أو مع جماعات الثقافة المضادة كالقادة الثوريين والجانحين يفصل الهوية النامية عن بيئتها، مما يجمد الأنا ويقيد الهوية المنبثقة، وبالمثل فإن هوية الأنا قد تكون أصعب مثالا بالنسبة لجماعات معينة من الناس عنها بالنسبة لجماعات أخرى، وعلى سبيل المثال قد يكون من الصعب على شابة أن تحقق إحساسا راسخا ووطيدا بالهوية في مجتمع تحتل فيه مكانة من الدرجة الثانية، ويرى إريكسون أن الحركة النسائية قد اجتذبت كثيرا من المؤيدين لها لأن المجتمع لم يكن مريدا لاستيعاب النساء في أدوار اجتماعية ومهنية جديدة كما أن أعضاء جماعات الأقلية يجدون صعوبات في تحقيق إحساس راسخ متسق بالهوية.

ويرى إريكسون أن المراهق قابل للتعرض للأذى نتيجة لضغوط التغيرات السريعة الاجتماعية والسياسية والتكنولوجية التي تضر بهويته، وهذا التغيير الذي يثير التفجر المعرفي يسهم في الإحساس الغامض بالشك والقلق وعدم الاستمرارية وإنه يهدد أيضاً بتخطيط كثير من القيم التقليدية الغريزية التي تعلمها الشباب وخبروها

وهم أطفال وتعكس الفجوة بين الأجيال بعض السخط وعـــدم الرضـــا العام بقيم المجتمع ولعل اضطراب الشباب وحركاتهم مثال يوضح هذا، وقد انتشرت هذه الاحتياجات في أروقة الجماعات خلال الستينات فـــي أمريكا وأوروبا وأماكن أخرى من العالم وما يبدو حقيقة بالنسبة لجيـــل يبدو وهما وخيالا للجيل الذي يليه وبناء على ذلك يفسر إريكسون كثير من الحركات الاجتماعية للشباب باعتبارها محاولة لترسيخ اســتمرارية هويتهم بين الماضي والحاضر وانطلاقا إلى المستقبل.

إن إخفاق الشباب في تنمية هوية شـــخصية بســـبب خـــبرات الطفولة السيئة أو الظروف الاجتماعية الحاضرة يؤدي إلى ما يســـميه إريكسون (أزمة الهوية) إن أزمة الهوية أو تمييع الدور كثيرا ما يتميز بعجز عن اختيار عمل أو مهنة أو عن مواصلة التعلم ويعاني كثـــيرا من المراهقين من صراع العصر إحساسا عميقا بالتفاهة وبعدم التنظيم وبعدم وجود هدف لحياتهم، إنهم يشعرون بالقصور والغربة، وأحيانـــا يبحثون عن هوية سلبية، هوية مضادة للهوية التـــي حـــدد خطواتـــها الوالدين أو جماعة الأقران ويفسر بعض السلوك الجانح بهذه الطريقـــة وعلى أيه حالة فإن الاخفاق في ترسيخ هوية شخصية مناسبة لا يعنـــى بالضرورة أن المراهق محكوم عليه بحياة تتسم بهزيمة مستمرة وذلـــك أن إريكسون يؤكد على أن الحياة تغير مستمر، وحل المشكلات فـــي مرحلة معينة من مراحل الحياة لا يعنى عدم ظهورها مرة أخرى فـــي مراحل لاحقة وأن ذلك يمنع اكتشاف حلول لها، إن هوية الأنا كفـــاح يستمر مدى الحياة.

وينبثق الولاء والاخلاص من الحل السليم لهوية الأنا وتمييـــع الدور، إن هذا الولاء والإخلاص يشير إلى قدرة الفرد على المحافظـــة

على ولائه وتعهداته الحرة على الرغم من تناقضات القيم التي يمكن تجنبها، ويمثل الولاء والإخلاص باعتباره المحور الأساسي في الهوية قدرة الشباب على إدراك الأخلاق الاجتماعية وأيديولوجية المجتمع والتمسك بها، والأيديولوجية تعنى عند إريكسون مجموعة لا شعورية من القيم والمسلمات التي تعكس الفكر السياسي والديني والعلم للثقافة والغرض من الأيديولوجية خلق صورة للعالم مقنعة بدرجة تكفي لدعم الإحساس الفردي والجماعي بالهوية وتزود الأيديولوجيات الشباب بإجابات مبسطة جداً ولكنها إجابات محددة لأسئلة أساسية مرتبطة بصراع الهوية أي عنى أنا والى أين أمضي والشباب حين تلهمهم الأيديولوجية ينجذبون إلى أنشطة تتحدى طرق الثقافة الراسخة، أنشطة تتسم بالثورة والتحرر والشغب، ويرى إريكسون أن النقص في الإيمان بنسق أيديولوجي يمكن أن يؤدي إلى عدم احترام لأولئك الذين يحكمون انساق القاعدة الاجتماعية والى خلط وتشويش.

لقد كان إريكسون معروفاً باهتمامه بفترة النمو في المراهقة إذ يشير أنها ما بين ١٢-١٨ سنة عادة ما يكون المراهقون في شغل شاغل للبحث عن هويتهم وذاتيتهم فإما أن يتمكنوا من تحقيقها أو يحدث لهم ما يسبب ارتباك أو خلط لأدوارهم ذلك إلى ما يحدث في تفاعلاتهم مع العالم، كما أكد إريكسون على ان السنوات المبكرة من العمر تظهر آثارها على البروفيل السيكولوجي لكل من المراهقين والراشدين، ولكنه كان أكثر تفاعلاً من فرويد فيما يتعلق بالآثار التي تتركها تلك الخبرات.

- الألفة مقابل الإنعزال:

يصعد إريكسون مراحل الصراع لتتخطى مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرشد والنضج والشيخوخة على نفس النسق الذي كـــان فـــي المراحل القبلية فيقول أنه إذا استطاع الفرد أن يجتاز صراع المراهقـة وتحددت هويته على أساس أنه فرد اجتماعي عامل ذو قدرات معينـــة فيتحول تجاه الآخرين من أجل علاقة تآلف تحقق الرضا لطرفيها وهذه المرحلة يكون فيها الزواج كألفة اجتماعية أو الوظيفة كألفـــة مهنيـــة وتتميز بالرضا عن تقديم بعض التضحيات دون حرج أو خوف من أن يؤثر ذلك على كيان الفرد، المشكلة التي قد تكون هي عدم القدرة على تفهم علاقة الأخذ والعطاء وتكوين الألفة مع الآخرين.

وهذا يعنى أنه إذا تمكن الفرد في المرحلة السابقة من تحقيـــق ذاته فإنه يصل إلى هذه المرحلة وهو قادر على الـــزواج والصداقـــة والتآلف ونجح في حياته، أما إذا لم يتمكن من تحقيق ذاته فـــي هـــذه المرحلة السابقة فإنه يفقد ثقته بنفسه ويميل إلى العزلة عن المجتمع.

- مرحلة التوالد في مقابل الجمود:

في هذه المرحلة يبدأ الفرد بالتوالد وإنجاب الأطفال أما إذا لـــم يكن يرغب بالإنجاب فإنه يعيش مرحلة جمود وهي استمرار للعزلـــة التي كان يعيشها سابقاً وغالباً ما يكـــون ذلـــك ناشـــئاً عـــن التنشـــئة الاجتماعية التي مر بها في مراحل نموه السابقة وقد حـــك إريكســـون مصطلح الإنتاجية ليشير إلى الاستسلام للمستقبل وللجيل الجديد.

- **التكامل مقابل الشعور باليأس:**

هذه المرحلة هي نهاية المراحل السابقة وهي تتكامل معها وتكملها فإذا شعر الفرد بالسعادة والنجاح وشعر بتحقيق الذات عاش حياة هنيئة سعيدة أما إذا كان على العكس مع ذلك ولم يستطيع تحقيق ذاته ولم يشعر بالتكامل بين جوانب الحياة المختلفة فإنه سيفقد الشعور بالأمن ويحل محله الشعور باليأس وأصبحت حياته تعباً وشقاء.

الشخصية السوية:

يتفق إريكسون مع نقاد فرويد الذين يرون أنه كان يركز فقط على الحالات المرضية وأنه كرس اهتمامه على نمو وعلاج السلوك العصابي على وجه الخصوص، وبالتالي لم يصرف جهداً يذكر في تحديد طبيعة الشخصية السليمة والسوية وتتبع نموها، وحاول إريكسون أن يصحح هذا الخطأ في تصميم نظرية التحليل النفسي وبدأ جهده النظري في تحديد خصائص هذه الشخصية السليمة وفي رأيه أن هذه الخصائص يمكن أن تكون أهداف وعلاقة النمو الإنساني المرغوب فيه.

ويرى إريكسون أن هناك ثلاثة خصائص للشخصية السليمة وهي:

- السيطرة الفعالة والإيجابية على البيئة.
- إظهار قدر من وحدة الشخصية.
- القدرة على إدراك الذات والعالم إدراكاً صحيحاً.

ويلاحظ على الطفل الصغير أنه لا يظهر أية خاصية من هذه الخصائص الثلاث وأن شخصية الراشد السوي تظهرها جميعاً، وعلى هذا فإن النمو الانفعالي والوجداني عنده هو التحسن التدريجي لهذه الخصائص في مراحل متتابعة معقدة من التمايز المتزايد.

ويستخدم إريسكون وصفاً آخر للنمو الانفعالي والوجداني بأنه عملية إحراز الهوية الشخصية والتي لها مظهران **أولهما** يتمركز على العالم الداخلي للفرد ويتمثل في معرفة الشخص بوحدة ذاته واستمرارها عبر الزمن ويشمل ذلك معرفة الذات وتقبلها، أما المظهر الثاني فيتمركز على العالم الخارجي ويتمثل في معرفة الشخص وتقمصه لمثل عليا وأنماط جوهرية في ثقافته التي يعيش فيها ويعني ذلك الاشتراك مع الآخرين في بعض الخصائص الجوهرية وهكذا يتسم الشخص الذي أحرز الهوية الشخصية بأن لديه صورة واضحة وتقبلاً كاملاً لعالمه الذاتي وثقافته الاجتماعية.

وما دام النمو الإنساني هو التحول من عدم الشعور بالهوية الشخصية إلى الشعور بها فإن ذلك يعتمد على مسلمة هامة وهي أن نمو هذه الأزمات الشخصية تؤدي أيضاً إلى تكامل الشخصية أو تفككها وانحلالها.

المراحل النفسية الاجتماعية:

يرى إريكسون أن المراحل التي تقترحها نظرية فرويد للنمو النفسي تحتاج إلى أن تضاف إليها مجموعة من العناصر الرئيسية هي:

- لم تهتم نظرية فرويد بالتطبيع الاجتماعي للطفل وخاصة أنماط السلوك التي تعتبرها الثقافات المختلفة هامة ومرغوبا فيها وأي

الأنماط السلوكية التي يجب على الطفل أن يستوعبها أو يعدل فيها إذا أراد أن يحصل على اعتراف الجماعة التي ينمو فيها به.

- اقتصرت نظرية فرويد على مرحلة المراهقة كمحدد للنمو فلم يكن يعتقد أن هناك تغيرات جنسية نفسية هامة تحدث بعـد المراهقـة ويرى إريكسون أن هناك مراحل نمو أخرى فيها بعـد المراهقـة تمتد بالإنسان إلى مرحلة الشيخوخة ولذلك فهى تعد من النظريـات القلائل التي امتدت لتشمل النمو خلال المدى الكلي لحياة الإنسان.

- تنعكس كل مرحلة من المراحل النفسية/ الجنسية التـي اقترحـها فرويد في صورة خبرات اجتماعية ولها معـان وجدانيـة لـدى الأطفال وغيرهم ممن يعيشون في ثقافة معينة فالمرحلـة الفميـة (مرحلة التغذية) مثلا هي مرحلة أيضاً ينجح فيها الرضيع أو يفشل في تكوين الشعور بالثقة في الشخص الذي يتولى تغذيتـه وفـي المرحلة الشرجية (مرحلة الإخراج) يكتسب الطفل القـدرة علـى التحكم في الدوافع الأخرى التي تعد موضوعاً للنظام الذي يفرضه الوالدان ويرى إريكسون أن الإنتقال من المرحلـة الفميـة إلـى المرحلة الشرجية هو أيضاً تحول من العلاقة مـع والـد مهمتـه التأديه، ويكون موضوع الثقة أو عدم الثقة إلى علاقة والد مسـئول عن النظام (التدريب على الإخراج) ومنه يشتق مشاعر الشـعور بالاستقلال الذاتي أو الشعور بالعار والشك وعلى عكـس فرويـد تركز اهتمام إريكسون على الطريقة التـي تؤثـر بـها القـوى الاجتماعية وليس القوى النفسية الجنسية في نمو الشخصية.

- اهتمت نظرية إريكسون بوصفها سلسلة من الأزمات التي تحـدث استجابة للمطالب التي يفرضها المجتمع على الشخص النامي وهو

مطالب المسايرة لتوقعات الكبار والراشدين حول التعبير الذاتي والاعتماد على الذات، أي أنها تنشأ في جوهرها من تفاعل الفرد مع البيئة الاجتماعية والثقافة التي يعيش فيها وهي الأزمات التي يجب أن يتغلب عليها حتى يحرز الهوية الشخصية والصحة النفسية ولذلك تعد مراحل النمو عنده ذات طبيعة نفسية اجتماعية.

- يتفق إريكسون مع فرويد في ان الخبرة المبكرة تلعب دورا مؤثوا ومستمرا في النمو، فالإنسان لا يتجاوز مثلاً المرحلة الفمية ومعه حل كامل لأزمة الثقة فبعض الأزمات لا تحل نهائياً أثناء مرحلة النمو الخاصة بها ولهذا فإن هذه الأزمات يشعر بها المرء مره أخرى في جميع مراحل النمو التالية، صحيح قد تكون أقل حده وأضعف خطراً ولكنها موجوده عند إريكسون كما هو الحال عند فرويد إن كل مرحلة من مراحل النمو النفسي والاجتماعي تتأسس على نواتج المراحل السابقة وتشكلها.

العلاج النفسي عند إريكسون:

لقد بين إريكسون أن المعالج النفسي الكفء لديه احساس قوى بإمكانيات المريض وقدرته على النمو وعمل المعالج أن يعزى هذا النمو لا أن يفرض مستقبله هو أن ماضيه على المريض وهذه النقطة من المتطلبات التي يتعلمها كل محلل نفسي حين يخضع للتحليل النفسي هو نفسه يقصد التدريب وهي متضمنه أيضاً في التأكيد على دور التحويل والتحويل المضاد في التحليل النفسي وقد علق إريكسون على عبارة يونج (... بأن كل مريض جاءه كان يحمل حياته بين يديه قائلاً (...هذا صحيح ولكن ينبغي أن يضيف المرء إلى هذا أنه جاء إلى ولم يذهب إلى شخص آخر وأنه بعد ذلك لن يكون فقط كما كان ولن أكون

أنا كما كنت) ينبغي ان يكون كل معالج نفسي مهيئاً لأن يفهم ويتوحد مع أساليب الحياة المنوعة وبدائلها ومسائل القيم والخلق أساسيين للعلاج إن فكرة التجرد الشخصي عند المحلل النفسي الكلاسيكي إنما هي سوء فهم لدور التقبل غير المتحيز لتداعي المريض الحر ولتاريخه الماضي، فالمعالج موجود دائماً كفرد وله حرية التعبير عما يرغب فيه دون تشويه ناشئ عن التحويل المضاد غير العقلاني.

وقد أعاد إريكسون صياغة (القاعدة الذهبية) في ضوء الفهم السيكولوجي المعاصر وقد كتب مبيناً أن الأفعال الخلقية الجديرة بالاهتمام حقاً تقوى التفاعل حتى وهي تقوى الآخر، وتنمي العلاقات بينهما وهذه القاعدة تشجع المعالج أثناء العلاج على أن ينم كممارس وكشخص وحتى مع شفاء المريض لأن الشفاء الحقيقي يتسامى على الحالة الانتقالية للمرض، إنها خبرة تمكن المريض الذي شفي من أن ينمي اتجاهاً نحو الصحة ينتقل إلى البيت وإلى الجيرة، وهذا الاتجاه من أهم المكونات الأساسية للنظرية الأخلاقية.

البحوث وطرق البحث:

لقد قام إريكسون كثيرا من تصوراته على ممارساته العلاجيه وخبراته الكلينيكية، وكتاباته عن الهوية تقوم على أساس من الملاحظة الكلينيكية والخبرة، ونظريات إريكسون على أية حال مستقاه من ملاحظته للشباب والأطفال، وقد لاحظ المجموعة الأخيرة في مواقف اللعب التي استخدمها في البداية للعلاج ولقد إزدادت مفاهيمه ثراء من دراساته لحياة الشخصيات التاريخية ومن درايته الاجتماعية الثقافية.

وعلى الرغم من ذيوع شهرة إريكسون وأفكاره إلا أن نظريته لم تولد إلا قدراً محدوداً من البحوث الامبيريقية ولعل ذلك يرجع إلى انه لم يفصل مفاهيمه النظرية تفصيلا كافياً، ومن العدل أن نقرر أن إريكسون يرى مفاهيمه عن نمو الشخصية قد لاتكون قابلة للتحقيق التجريبي على نمو مباشر وهو لا يعتق فضلاً عن ذلك بأن المنظر عليه مسئولية بيان طرق وأساليب الدراسة التجريبية لمن يريد أن يدرس أفكاره.

غير ان بعض مفاهيم نظريته النفسية الاجتماعية قابلة لأن توضع موضع البحث الدقيق، وعلى سبيل المثال فإن إريكسون قد حدد محكات الصحة النفسية الاجتماعية وسوء الصحة بالنسبة لكل مرحلة وأزمة وذلك على أساس خصائص سلوكية حسن تعريفها وتحديدها وهذه الأوصاف الحسنة الصياغة لها ميزة واضحة تتفوق بها على نظريات التحليل النفسي التي تحاول أن تعيد بناء تاريخ حياة الفرد السابق، ذلك أن الأوصاف تسير الدراسة المباشرة لحل الأزمات السابقة من خلال المظاهر السلوكية والاتجاهات الحالية ويبدو أن النظرية أيضاً تفسح المجال للبحوث الإمبيريقية على نحو أفضل من نظريات النمو النفسي الكلاسيكية لأن الأولى تتناول الأبعاد الاجتماعية للنمو مقابل الثانية التي تركز على الطبيعة النفسية الداخلية للشخصية، ويصعب دراسة العوامل الداخلية الافتراضية إذا قورنت بالسلوك الاجتماعي الملاحظ هذا فضلاً عن أن إريكسون توصل إلى مراحل متتابعة من النمو النفسي الاجتماعي للشخصية وهذا الترتيب الطولي لمشاكل النمو لا نجده بهذا التفصيل والتوضيح عند أصحاب النظرية السابقة عليه وعلى أية حال وعلى أن يتم القيام بدراسات كثيرة دقيقة

حسن تخطيطها بحيث تؤتي ثمارها على نحو نسقي في تناول جوانب نظرية إريكسون المختلفة ستظل المضامين النمائية لهذه النظرية غامضة وكذلك يظل الإحساس الإمبريقي ضعيفاً.

الفروق بين الجنسين في لعب الأطفال:

لقد لاحظ إريكسون أن الأطفال يكشفون عن مشكلاتهم على نحو أفضل حين يلعبون باللعب أكثر مما يفعلون حيث يستخدمون الألفاظ، ولقد أدت به هذه الملاحظة إلى بحث تشكيلات ١٥٠ بنتاً ومثلهم من البنين، وقد تراوحت أعمارهم ما بين (١٠، ١٢) عاماً وكانت طريقة البحث أن يدعو الطفل بمفرده ويطلب منه أن يشكل ويبني باستخدام مجموعة من اللعب فوق منضدة منظراً مثيراً رآه في فيلم أو تخيله، ثم يطلب من الطفل بعد ذلك أن يحكي حكاية عن المنظر الذي يشكله وبناه.

ولقد أظهرت الدراسة وجود فروق واضحة بين البنين والبنات في استخدامهم لمساحة اللعب في إعداد المناظر.

فقد وجد أن البنات تمكن من إعداد مناظر داخلية مسالمة هادئة باستخدام مجموعات من الدمى لأشخاص وحيوانات بينما مال الأولاد لبناء مناظر تتميز بأبنية عالية وأبراج وما يترتب على ذلك من استمتاعهم بانهيار المباني.

ويرى إريكسون أن هذه الفروق بين الجنسين في اللعب ترجع إلى اختلاف طبيعة جسم الفتاة عن جسم الفتى فتميل الفتاة في لعبها إلى استخدام المجال الداخلي والحماية والتلقي ويميل الفتى تأكيد الانتصار والنواحي الخارجية والحركة.

ولقد هاجم عدد من النقاد هذا التفسير، فذهب السلوكيون ودعاة التعلم الاجتماعي بصفة عامة إلى أن من الأفضل أن نفسـر تشـكيل الأطفال للعب في مناظر لها خصائص معينة على أساس نوع اللعـب التي ذود بها الأولاد والبنات ونوع الأنشطة التي شجعوا على القيام بها منذ وقت مبكراً، بينما يرى إريكسون أن السلوك يتحدد دومـاً نتيجـة للعوامل البيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية والثقافية.

التاريخ النفسي:

هو دراسة حياة شخصيات تاريخية باستخدام أساليب التحليـل النفسي من ناحية وطرق التحليل التاريخي من ناحية أخـرى. وعلـى الرغم من أن فرويد دزس عـدداً مـن الشـخصيات الهامـة إلا أن إريكسون في الحقيقة هو الذي رسخ هذا النوع من الدراسة بمقالاتـه عن أدولف هتلر ومكسيم جوركي. وأشهر دراساته التي قام بها عـن مارثن لوثر المصلح الديني ودراسته عن المهاتما غاندي الذي حقـق الاستقلال للهند.

وقد بين إريكسون في تصوراته عن النمو أن جميـع النـاس يواجهون صراعات خلال الحياة، وإننا حين نحلل شخصاً يعاني مـن اضطراب أو مشكلة فإننا نبدأ من فكرة أن هناك أشياء ووقائع أدت إلى اضطرابه وعجز عن القيام بوظائفه على نحو مناسب ومـهمتنا هـي كشف الصراعات التي خلقت هذه الصعاب ومساعدته علـى تحقيـق التكامل في شخصيته أما حين ندرس شخصيات تاريخية فإننـا نبـدأ بإدراك أن هؤلاء الأفراد غيروا العالم بطريقة لها مخزى وأن علينا أن نعرف كيف استطاعوا إعلاء صراعاتهم وإلهام الآخرين ليعملوا علـى تغيير المجتمع إيجابياً كما حدث في حالة لوثر وغـاندي، أو تغيـيره

سلبياً بالعدوان والتدمير كما حدث في حالة هتلر. ويذكر إريكسون أنه على الرغم من أن هذه الشخصيات كانت مبدعة وقوية ونشطة إلا أنها لم تكن تخلو من الخوف والشقاء والقلق وكثيراً ما كان لديهم إحساس نابع من طفولتهم يسيطر عليهم ويدفعهم للبحث عن نوع من الاستقرار ولدى هؤلاء الأفراد ضمائر حية واهتموا منذ وقت مبكر بالقيم المطلقة واعتقدوا ان عليهم رسالة ومسئولية خاصة لابد أن يؤدوها نحو الإنسان.

التقويم والمكانة الراهنة:

- لقد تعرض إريكسون للنقد لأنه لا يمكن التحقق من صدق نظريته من الناحية التجريبية أو المختبرية لصعوبة تحديد مفاهيمها وصعوبة صياغة الاختبارات التي تقيس هذه المفاهيم.
- أدوات إريكسون هي الأدوات الكلينيكية التي طورت لعلاج المرض، واستخدامها مع نمو الأسوياء ليس مرضياً على الدوام.
- تقسيم إريكسون لمراحل النمو لاقى قبولاً لدى عدد من المعالجين النفسيين والأطباء النفسيين لأنه أفادهم في فهم مراحل نمو الإنسان فمن الجدير بالذكر إن مراحل التطور الثمانية في نظرية إريكسون تغطي الحياة الإنسانية منذ الولادة وحتى النهاية، إذ أن النظريات التي تشمل الحياة الإنسانية بأكملها نادرة جداً.
- يعتبر تطبيق إريكسون لنظريته على مراحل النمو النفسي على بعض الرجال والزعماء مثل هتلر وغاندي من الإنجازات الهامة التي حققها إريكسون.

- إن إريكسون ضحى بمفاهيم فرويديه أساسية كالهو واللاشعور في سبيل الأنا والشعور وهذا ليس نقداً لنظرية إريكسون وإنما اعتراض على اختلافه مع فرويد الذي لم يدعى فقط أنه كشف عن حقائق مطلقة.

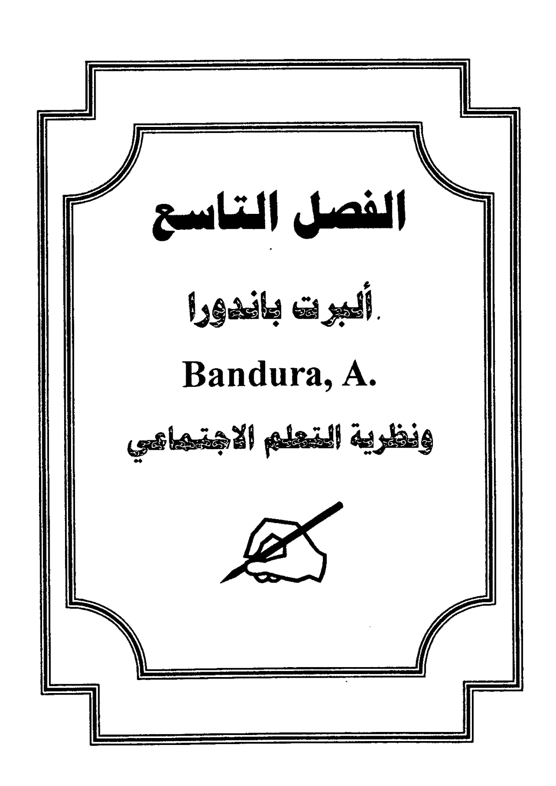
- إن إريكسون يدعم الوضع الراهن حيث يرى أنه ينبغي على الفرد أن يتوافق مع طرق المجتمع الذي يشب فيه ولكن اهتمام إريكسون بدراسة شخصيات غيرت مجتمعاتها تغييراً جذرياً كغاندي ولوثر يضعف هذه التهمة.

- إن بعض الكتاب يرون أن إريكسون متفائل جداً، وينكر إريكسون هذا الاتهام مبيناً أنه يبرز في كل مرحلة من مراحل النمو أزمة لها بعدها السلبي مثل ما يكون لها بعدها الإيجابي.

- على الرغم من النقد لنظرية فيما يتصل بالنواحي العملية والتطبيقية وخاصة في العلاج النفسي إلا أن كثيرون يعتبرونها من أكثر النظريات فائدة حيث تضمنت مصطلحات مثل "النمو النفسي الاجتماعي، وقوة الأنا، والتاريخ النفسي، والهوية وأزمتها ودورية الحياة" وهي مفاهيم بلورها إريكسون على نحو مستفيض وأصبحت جزء هاماً من علم النفس.

- كما تعرضت نظرية إريكسون للنقد لأنه ربط كل أزمة بمرحلة عمرية محددة بشكل إفراطاً في تبسط نمو الطفل بالرغم من أن المشكلات أو الأزمات التي تنطوي عليها كل مرحلة من مراحل إريكسون قد تكون هامة في حياة الطفل.





الفصل التاسع

ألبرت باندورا

Bandura, A.

ونظرية التعلم الاجتماعي

الفصل التاسع

بـــانــــــــدورا

ظهرت نظرية التعلم الاجتماعي علـــى يـد مجموعـــة مـــن السلوكيين على رأسهم باندورا وقد استفاد أصحـــاب نظريـــة التعلـــم الاجتماعي من دراسات الإشراط الكلاسيكي والإشراط الإجرائي كمـــا استفاد أيضاً من جهود أصحاب النظريات المعرفية.

ويعتبر ألبرت باندورا أبرز أصحاب هذا الاتجاه لما أبداه مـــن أهمية بالغة بالتعلم الاجتماعي وخاصة في مجـــال التعلـــم بالمحاكـــاة واستخدام فنية التشكيل.في علاج السلوك المختل عند الأطفـــال فـــهو يقرر أن إحدى الوسائل الأساسية لاكتساب وتعديل السلوك البشـــري، هي ما تتم من خلال التشكيل بالنموذج أو العمليات البديلـــة. وبذلـــك تصبح نظرية التعلم الاجتماعي نظرية توليفية، فإنها سلوكية معرفيـــة تجلل السلوك الاجتماعي، ودافعيته وتعزيزة علـــى أســـاس الوقـــائع المعرفية التي تحلل وتتوسط أثر الوقائع الخارجية.

ويمكن القول بصفة عامة أن نظرية التعلم الاجتمـــاعي عنـــد باندوا تقدم لنا ملخصا متكاملا جيدا لاسهامات نظرية التعلم المعـــاصر في حل المشكلات العلمية عند الإنسان.

المفاهيم والمبادئ الأساسية التي تقوم عليها نظرية باندورا:

نظام الذات Self-System

إن باندورا يعتقد أن سلوك الفرد بصفة عامة أكثر تباينا ممـــا يبدو عليه، وأن من الخطأ أن تعزر أنماطاً سلوكية مختلفة إلى دافـــع

مفرد أو دافعين كالكفاح من أجل النجاح (أدلر) أو الجنس والعـــدوان (فرويد) لأنه لو أن دافعاً واحدا هو الذي ينظم السلوك فإن الناس لابـد أن يكونوا أكثر اتساقاً مما هو عليه.

يستخدم باندورا لفظ نظام الذات self-system وهذا المفـهوم يشير إلى البيانات المعرفية التي توفر ميكانيزمات مرجعيـة، والـى مجموعة من الوظائف الفرعية للإدراك والتقويم وتنظيم السلوك، وهذا يعني أن الناس قادرون على ملاحظة سلوكهم وترميزه وتقويمه علـى أساس ذكريات سلوكهم الماضي الذي لقى تعزيزاً والـذي لـم يلقـى تعزيزاً، وكذلك على أساس عواقب ونتائج مستقبلية متوقعة وباسـتخدام المعرفة كنقطة مرجعية.

تنظيم الذات:

أوضح باندورا أن لسلوك الذات مكونات وهي: ملاحظة الذات ــ عملية الحكم ــ استجابة الذات.

أولاً: ملاحظة الذات:

القدرة على ملاحظة الأداء ومراقبته وليـس بـالضرورة أن يكون الانتباه كاملا مثال ملاحظة أنفسنا ونحن نرسم، أو نعمل عمـلاً مهنياً.

ثانياً: عملية الحكم:

عملية الحكم هي التي تساعد على تنظيم السلوك عن طريـق عملية التوسط المعرفي. فالإنسان يعي ذاته ويتأملها ويحكم على قيمـة فعله على أساس الأهداف التي وضعها لنفسه، تتوقف عملية الحكم على الآتي.

- **المعايير الشخصية:** وهي تتيح لنا أن نقوم أداءنا دون أن نقارنه بأداء الآخرين، فإذا استطاع طفل في العاشرة من عمره متأخراً عقلياً أن يربط حذاءه فقد يستحق على هذا العمل مكافأة. وقد لا يكون في حاجة إلى التقليل من قيمة إنجازه بمقارنته بإنجاز الأطفال الآخرين الذي سبقوه وأتقنوا هذه المهارة في وقت مبكر عنه.

- **المعيار المرجعي:** فالطالب يقارن درجات اختباره بدرجات زملائه في الصف وأيضاً تستخدم مستوياتنا السابقة في الإنجاز كمرجع أساسي لتقويم أدائنا الحاضر.

مثال: هل تحسنت قدرتي على التدريس بحيث أصبحت أفضل مما كنت عليه من قبل؟

- **القيمة الإجمالية للنشاط:** إذا كانت القدرة على غسل الأطباق ذات قيمة ضئيلة فإن الشخص سوف يقضي وقتا قليلا وينفق جهدا محدودا في العمل على تحسين هذه القدرة، وإذا كان النجاح في إدارة العمل أو الحصول على درجة جامعية أو مهنية له قيمة كبيرة فإن الشخص سوف يقضي وقتاً كبيرا وجهدا لكي يحقق النجاح.

ثالثاً: استجابة الذات:

إننا نستجيب إيجابياً أو سلبيا لسلوكنا ويتوقف هذا على كيفية بلوغه أو ارتقائه لمعاييرنا الشخصية.

ويفترض باندورا أننا نعمل لكي نحصل على مكافآت ولكي نتجنب عقوبات وفقاً لمعايير تنشئها الذات.

خصائص تنظيم الذات:

إن السلوك الشخصي لا يضبط بواسطة كيانات داخلية مستقلة كالأنا أو الضمير، ولا بالمحددات البيئية. وإنما ينظم السلوك بتفاعل بين الشخص والبيئة والسلوك السابق.

فالسلوك ينشأ عن التأثير المتبادل بين العوامل الخارجية والمتغيرات الشخصية.

أولاً: العوامل الخارجية:

العوامل الخارجية تؤثر في تنظيم الذات على أنحاء ثلاثة:

- تزودنا بمعيار لتقويم سلوكنا.
- توفر وسائل التعزيز.
- ثمة تأثير متبادل للعوامل الخارجية على وظائف تنظيم الذات ويتطلب أو يتضمن، تنشيطاً انتقائياً وابتعادا عن المؤثرات الذاتية يشير التنشيط الذاتي إلى اعتقاد باندورا بأنه لا توجد قوة اوتوماتيكية تضبط الشخص من الداخل، وهو يفترض بدلاً من ذلك أن تأثيرات تنظيم الذات تتم إذا نشطت، وتتأثر طريقة اختيار الفرد لتنشيط وظيفة التنظيم الذاتي وتوقيتها بتقويم الذات وبالظروف البيئية.

وحيث يتضح أن مساراً معيناً للفعل غير متسق مع مفهوم ذات الفرد وسوف يؤدي إلى الإضرار بآخر فإن عملية تنظيم الذات تنشط.

مثال الاعتداء على شخص يؤدي إلى إيذائه إلى جانب التعرض للسجن.

فصل السلوك عن نتائج تقويم الذات:

يتحقق هذا بأربعة طرق:

- يعاد تحديد السلوك وتعريفه (الاعتداء العسكري على دول مسالمة يطلق عليه ضربات وقائية).
- تشويه الآثار الضارة لسلوك الفرد أو تقليلها أو تجاهلها (الأب الذي يضرب أبنه ضربا مبرحاً بحيث يحدث آثاراً ضارة يقول أن الطفل يحتاج إلى هذا التأديب ليصبح رجلاً).
- تقييم العلاقة بين أفعال وآثارها بواسطة الإبدال أو تمييع المسئولية "بعزو الموظفون المدنيون مسئولية أفعالهم إلى سلطة أعلى كأن يقولوا عندما تسوءُ الأمور هذه ليست فكرتي" (لقد طلب مني أن أفعل ذلك).
- تنحية الخصائص الإنسانية عن الضحية بحيث يستحق اللوم. "في أيام الحرب يرى العدو باعتباره ليس إنساناً فلا يلام الفرد عندما يقتل جنود العدو فهم لا يختلفون عن البعوض والحشرات الضارة".
- إن مفهوم باندورا عن العزل وفكرة فرويد عن الحيل الدفاعية يوجد بينهما تشابه سطحي أكثر من كونه جوهرياً، فالحيل الدفاعية تعمل على نحو آلي ولا شعوري (حماية الأنا من القلق، أما إجراءات العزل أو الفصل عند باندورا فليست لا شعورية ولا آلية وهي ذات صبغة معرفية).

ثانياً: المتغيرات الشخصية:

إن مسلم باندورا عن تنظيم الذات على أساس من التبادل بيـــن العوامل الشخصية والبيئية يفترض وجود مؤثرات بيئية ووجود شخص نشط معرفياً. (مثال اختار غاندي أن يصوم عن الطعام لكــــي ينـــهى الحرب الأهلية في الهند).

فعالية الذات:

- توصل باندورا إلى نظرية عن الفعالية بتحقيق توازن بين مكونيـن دقيقين بين مكونين أساسيين لبناء النظرية هي التـــأمل الإبداعـــي والملاحظة الدقيقة.
- نظرية باندورا عن فعالية الذات تقوم على بيانات مستمدة بغاية من دراسة الإنسان.

تعريف فعالية الذات:

تشير فعالية الذات إلى العامل الشخصي ولهذا العامل أثر قوي وهو ليس المحدد الوحيد للسلوك وإنمـــا يرتبـــط بالبيئـــة وبالســـلوك وبمتغيرات الشخصية الأخرى لإحداث السلوك.

والذي يقصده باندورا بفعالية الذات هي "توقع الفرد بأنه قـــادر على أداء السلوك الذي يحقق نتائج مرغوب فيها في أي موقف معين.

ويعرف باندورا توقع الفعالية بأنه "الاعتقاد بأن المرء يسـتطيع أن يصدر بنجاح السلوك المطلوب لتحقيق النتائج".

مصادر فعالية الذات:

- الإنجازات الأدائية.

- الخبرات البديلة.
- الإقناع اللفظي.
- الاستثارة الانفعالية.

أولاً: الإنجازات الأدائية:

- النجاح في الأداء يرفع فعالية الذات بما يتناسب مع صعوبة العمل. مثال الشخص الماهر إذ فاز على منافس متفوق تزداد فعالية ذاته، الأمر الذي لا يحدث إذا فاز على منافس ضعيف.
- الأعمال التي تنجز بنجاح من قبل الفرد أكثر فعالية من تلك التي يتمها بمساعدة الآخرين.
- الإخفاق يؤدي على الأغلب إلى إنقاص الفعالية حين نعرف أننا بذلنا أفضل ما لدينا من جهد.

ثانياً: الخبرات البديلة:

ملاحظة الآخرين وهم ينجحون يرفع فعالية الذات، وملاحظة فرد آخر بنفس كفاءتك وهو يخفق في عمل يميل إلى خفض فعاليات الذات. وعندما يكون النموذج مختلفاً عن الملاحظ تؤثر الخبرات البديلة أدنى تأثير على الفعالية.

ثالثاً: الإقناع اللفظي:

الإقناع اللفظي في ظل الظروف السليمة يُمكن من رفع فعالية الذات أو خفضها.

رابعاً: الاستثارة الانفعالية:

الانفعال الشديد يخفض الأداء عادة، لاحظ المعالجون النفسيون أن خفض القلق وزيادة الاسترخاء الجسمي يمكـــن أن ييســر الأداء. ومتغيرات الاستثارة ترتبط بعدة متغيرات.

- مستوى الاستثارة (قلق الممثل في ليلة الافتتاح إن لم يكن شــــديدا يزيد من توقعات فعاليته).
- الدافعية المدركة للاستثارة إذا عرف الفرد أن الخوف أمر واقعي.
- طبيعة العمل: الاستثارة الانفعالية تيسر لإتمام النجـــاح للأعمـــال البسيطة وتعطل أداء الأنشطة المعقدة.

فعالية الذات كمنبئ بالسلوك:

- فعالية الذات متغير شخصي هام حين يرتبط بـــأهداف معينـــة وبمعرفة الأداء فإنها تسهم اسهاماً هاماً في السلوك المستقبلي.
- باندورا ينتقد نظريات الذات كتلك التي قدمها كارل روجـــرز، لأنها تركز على مفهوم ذات مركب أكثر من تركيزها على كثـــير من المبادئ المحددة للذات ومفهوم فعالية الذات ليس مفهوماً كليـــاً، إنه يختلف من موقف إلى آخر ويتوقف اختلافه علـــى الكفـــاءات المطلوبة للأنشطة المختلفة.
- عندما تكن الفعالية عالية والبيئة متجاوبة يغلب أن تكون النتائج ناجحة.
- وحين ترتبط الفعالية المنخفضة مع بيئة متجاوبة قـــد يصبـــح الشخص مكتئباً.

- وحين يواجه الناس، ذو الفعالية العالية مواقــف بيئيــة غــير متجاوبة فإنهم يكيفون جهودهم ليغيروا البيئة أو يتخــذون مســاراً جديداً ويبحثون عن بيئة أكثر تجاوباً.
- فعالية الذات المنخفضة مع بيئة غــير متجاوبــة تنبــئ بعــد الاكتراث والاستسلام واليأس.

الدوافع:

- الدوافع عند باندورا تكوين معرفي وله مصدرين:

- التمثيل للنتائج المستقبلية تستطيع توليد الدوافــع الحاليــة للسلوك.
- إن الناس يدفعون للأداء عند مستويات معينة عندما تتحــد الأهداف أو مستويات الأداء المرغوب فيه.

- يرى باندورا أن التعزيز هو سبب التعلم غير أنه يضع حيثيات وشروطاً لهذه العبارة

- أن نتعلم بالتعزيز البديل.
- أن نتعلم بغير تعزيز.
- العنصر الهام هو التوقع.

"ملاحظتنا للطريقة التي يكافأ بها الآخرون ويعاقبوا تنمي لدينا توقعات معرفية"

التفاعل السيكولوجي:

التفاعل الأحادي الاتجاه:

المقصود بالتفاعل ذي الاتجاه الواحــد، اعتبــار الأشــخاص والمواقف كيانين مستقلين ترتبطان لإحداث السلوك وأن السلوك يحدث نتيجة لموقف منفصل يؤثر على كائن حي منفصل.

التفاعل الثنائي الاتجاه:

المقصود بالتفاعل ذي الاتجاهين، اعتبار الأشخاص والظروف البيئية عاملين مستقلين للسلوك، وكل واحد منهما يحتفظ بخاصية أحادية الاتجاه، ويعتبر السلوك نتيجة للاعتماد المتبادل بين البيئة والشخص يؤثر أحدهما في الآخر بالدور.

التفاعل التبادلي:

إن الأنماط السلوكية يعتمد بعضها على البعض وأن العوامل الشخصية والعوامل البيئية تعمل معاً في تفاعل متبادل باعتبارها محددات متشابكة يحدد كل منها الآخر.

وهذه النظرة تعني أن الإنجازات الإنسانية تنتج عن التفاعل المتبادل بين الظروف الخارجية مع مجموعة من المحددات الشخصية بما في ذلك الشخصيات بإمكانياتها الفطرية ومهاراتها وكفاءاتها المكتسبة وتفكيرها التأملي ومستوى عالي من المبادأة الذاتية:

التفاعل الرمزي:

إن القدرات العقلية العليا تمكن الناس من استخدام الفكر في حل المشكلات بدلاً من الفعل، ويتم اختبار وتجريب مسارات العمل المختلفة من خلال الاستكشاف والارتياد الرمزي، وعلى أساس نتائجها المحسوبة عقلاً إما أن تستبعد أو تتبع ويتمسك بها.

وحين تمثل النتائج المتوقعة تمثيلاً رمزياً فإننا نستطيع أن نحول النتائج المستقبلية إلى دوافع حافزة للسلوك.

التعلم بالملاحظة: (التعلم الشهودي):

إن التعلم الشهودي يشير إلى إظهار أن الأفراد يمكنها أن تتعلم بمجرد المشاهد أو الملاحظة للآخرين أي أن الفرد قد يتعلم في موقف حتى ولو لم نجده يستجيب بما يدل على أن التعلم قد حدث له بالفعل ــ إلا أننا نجد في ظروف مستقبلية فقد يؤدي الفرد فعلاً بصورة ما لا نستطيع معها إلا أن نستنتج بأنه قد تعلم بالفعل من الموقف السابق.

أي أن الاستدلال على التعلم يتمركز حول ملاحظة الفرد موقف معين.

تعلم الاستجابة الجديدة:

تتيح المهارات المعرفية الرمزية للناس أن يحولوا ما تعلموه ــ في عدد من المواقف ــ إلى أنماط جديدة مبتكرة بدلاً من مجرد تقليد ما رأوه. (مثل الولد الصغير قد يلاحظ أنه حين تغضب أمه فإنها تمتنع عن التعبير عن غضبها وتتكلم ببطئ شديد وبصوت منخفض وقد يلاحظ أن أباه حين يغضب يبدي ملاحظات ناقدة وساخرة بصوت مرتفع فحين يغضب هذا الولد قد يعبر عن نفسه بالجمع بين هذين النمطين من السلوك اللذين صدرا عن والديه في نمط سلوكي خاص به فقد يبكي أخته الصغيرة بالسخرية منها بصوت هادئ منخفض).

آثار أخرى للنمذجة:

- استدعاء استجابات موجودة أصلاً.

- نماذج تؤدي عناصر سلوكية قد لا تكون في حصيلة الملاحظ أو قد تكون في حصيلته وغير مقبولة اجتماعياً وقد تقوي أو تضعف نتيجة لما يلقيه سلوك النموذج من إثابة أو عقاب.

النمذجة الرمزية:

يوجد قدر كبير من النمذجة الرمزية فالأفلام السينمائية أو البرامج التليفزيونية تعرض أمثلة لا حصر لها من الأنماط السلوكية التي تؤثر في الملاحظين، ولقد وجد باندورا وأعوانه أن النماذج الحية والأفلام والرسوم المتحركة تتساوى من حيث احتمال دفعها للأطفال لتقليد الأنماط السلوكية التي لاحظوها وشاهدوها.

عوامل هامة في التعلم:

العامل الهام في التعلم هو الانتباه وهناك عاملان يدفعان إلى الانتباه.

- التعزيز أو النتائج التي حققها سلوك النموذج.
- خصائص النموذج وخصائص الملاحظ.

تعلم استجابة انفعالية:

إن الملاحظ يتعلم أن يستجيب لانفعال معين في موقف معين بملاحظة نموذج يستجيب بنفس الطريقة.

التجربة التي قام بها باندورا وروسنتال:

قامت نماذج بتمثيل استجابات تألم ولقد قيل للمفحوصين في التجربة عن هذه النماذج أنهم مفحوصون يشاركونهم في التجربة. وأتيح للمفحوصين أن يلاحظوا هذه النماذج ويشاهدوا استجاباتهم

لسلسلة من أزيز الأجراس بطرق مختلفة تدل على ما يخبرون من ألـم وقيل للملاحظين أنه بعد كل أزيز يتعرض من يلاحظونهم (النمـــاذج) لصدمة كهربائية شديدة (ولم يكن هذا صحيحاً) وبعد هـــذه الجلســات المرئية التي تابع فيها المفحوصون أزيز الأجراس والصدمة والألم بدأ الملاحظون أنفسهم يظهرون استجابة انفعالية شرطية لأزيز الجـــرس حتى في الجلسات التي تغيب عنها النماذج.

تغيير السلوك غير المرغوب فيه:

يقتضي هذا الأسلوب حث الشـــخص علـــى الاســـترخاء ثـــم مساعدته على أن يتعلم تحمل موضوع يثير القلق.

وواضح أن إنقاص الخوف والخبرة البديلة غير كافيين لتحقيق إحساس مناسب بالسيطرة أي أنه على الفرد أن يؤدي بنجاح موقـــف فعلي يتضمن الموضوع المخيف إذا أريد له أن يحقق هدفه.

ما الذي يحدث السلوك غير المرغوب فيه:

- يتفق باندورا مع أيزيك على أن العلاج السلوكي ينقص علـــى نحو فعال استجابات القلق.
- يرى باندورا أن المشكلة الأساسية هي اعتقاد الشخص بأنـــه لا يستطيع أن يعالج موقفاً معيناً على نحو فعال.
- إن التغير الذي يحقق العلاج السلوكي ينتج عن تنمية النـــاس لإحساسهم بفاعلية الذات وهو التوقع بأنهم يســتطيعون بجـــهودهم الشخصية أن يسيطروا على الموقف.

ضوابط السلوك:

هناك ثلاثة أنظمة من هذا النوع تتحكم في السلوك هي:

- التحكم بواسطة المنبه.
- التحكم بواسطة ناتج التعلم.
- التحكم الرمزي.

أولاً: التحكم بواسطة المنبه:

- التحكم المباشر للمنبات يشمل ذلك مختلف الأفعال الإنعكاسية مثل سحب اليد عند لمسها لسطح ساخن.
- كافة أنواع الاستجابات المكتسبة بواسطة التطويع الكلاسيكي سواء حدثت بواسطة التقارب أو الترابط مع التعزيز.
- مثال عض الكلب طفلاً غالباً ما يستجيب بالخوف من ذلك لصوت زمجرة الكلب ويكتسب الخوف هنا بسبب التجاور أو التلازم بين الصوت والألم.
- الاستجابات الفاعلة وهي تلك التي تقع تحت تأثير المنبه بسبب وجوده دائماً أثناء التعزيز.

مثال في إحدى التجارب التي كان على المفحوص فيها أن يستجيب عندما يرى الضوء الأخضر وألا يقوم بأية استجابة إذا رأى الضوء الأحمر وجدنا أنه على الرغم من عرض ألوان متعددة فإن اللون الأخضر فقط هو الذي يميز بإحداث نشاط موجب.

ثانياً: التحكم بواسطة ناتج التعلم:

هذا النوع من التحكم يتناول الاستجابات التي يرتبط حدوثها بنتائجها وغالباً ما تحدث نتائج السلوك في شكل تعزيز أو استبعاد للاستجابة.

ثالثاً: التحكم الرمزي:

يعتمد على عمليات تتوسط بين المنبه والاستجابة أي عمليات معرفية وتشمل هذه العمليات تنظيم المعلومات وتفسير المنبهات وتكوين الفروض على نوع الاستجابات التي تؤدي إلى التعزيز واتخاذ القرار بشأن السلوك الذي يجب اتباعه.

آثار التعلم بالمحاكاة:

- تأثير المحاكاة في صياغة السلوك.
- كف وإطلاق السلوك.
- تأثير المحاكاة في استثارة أنواع من السلوك المشابة للقدوة.

- تأثير المحاكاة في صياغة السلوك:

عندما يكتسب الملاحظ استجابة أو مجموعة من الاستجابات الجديدة فنتيجة لرؤية القدوة يقوم بهذا السلوك فإننا نقول أنه قد تم تقليد واع ودقيق لما يقوم به المدرس، مثل النشاطات الحركية المختلفة خاصة المشي لدى الصغار.

- كف وإطلاق السلوك:

- الكف يؤدي إلى قمع السلوك المنحرف لدى المتعلم وعادة ما يكون ذلك نتيجة لرؤية القدوة تعاقب للقيام بنفس السلوك.
- أما إطلاق السلوك فهو العكس إذ يحدث عندما يقوم المتعلم بنوع منحرف من السلوك تم تعلمه نتيجة لرؤيته القدوة يكافأ أو لا يعاقب نتيجة لقيامه به.

تأثير المحاكاة في استثارة أنواع من السلوك المشابه القدوة:

هذا النوع من التأثير للتقليد يعني ظهور استجابات لا تتطابق مع سلوك الموديل ولا تكون أيضاً منحرفة أو مضادة له وإنما تكون لها علاقة أو صلة بسلوك الموديل أي سلوك من نفس النوع.

مثال إذا عرف عن شخص من جماعة معينة أنه مثال للكرم وذلك لما يقوم به من خدمة للآخرين في مجتمعه فإن جيرانه قد لا يتأثرون به كقدوة فيصبحون كرماء وإنما بأشكال مختلفة نجد أحدهم يقدم النصح مجاناً وآخر من المبالغ التي يدفعها للمدرس ..إلخ.

نمو الشخصية:

- يرى باندورا أن خبرات التعلم الاجتماعي تلعب دوراً هاماً في نمو سلوك الشخص وفي تعديله.
- إن السلوك لا يقلد تقليداً دقيقاً ولا تاماً وينبغي أن يشكل بواسطة القائمين بالتطبيع الاجتماعي عن طريق مبادئ التقريب المتتابع.

وتعلم الأطفال لأداب المائدة مثال واضح لضــــرورة تطبيــق المعززات واستخدامها على أنماط سلوكية منوعة لا تشبه في البداية ما ينتهي إليه التعلم من اكتساب مجموعة معقدة من الأنماط السلوكية.

- يرى باندورا أن المحافظة على العناصر السلوكية التـــي فـــي حوزة الفرد والتخلص منها يتوقف على استخدام جداول التعزيـــز المنوعة،وهو يرى على وجه الخصوص أنه تتم المحافظة علــــى السلوك من خلال تطبيق واستخدام جداول تعزيز يرتبط بعضــــها ببعض. مثال سعى الأطفال لجذب الانتباه يحاول معظم الأطفال أن يثيروا استجابة العطف من قبل أمهاتهم.

وتستجيب الأم أحياناً استجابة مباشرة ولكنها مشـــغولة وفـــي فترات متباينة تكافئ الطفل فتنبه إليه وتميل كثير من الأمـــهات التـــي تتجاهل الأشكال المعتدلة من سلوك السعي لجذب الانتباه وتملن إلــــى الاستجابة حين يصبح هذا السلوك متوفراً ومتسماً بالشدة.

- ويمكن أن نتنبأ أن أطفال هؤلاء الأمـــهات ســوف ينشـــأون مثابرين في سلوكهم الساعي لجذب الانتباه أي أن نمطهم الســلوكي سوف يحدث المعدلات وبالشدة التي جعلت من قبل تحقيق المكافأة.
- على الرغم من أن باندورا يؤكد على أهمية التعلم بالملاحظـــة والتعلم الإجرائي وتعزيز الذات، إلا أنه لا يهتم بنفس الملاحظـــة والتعلم الإجرائي وتعزيز الذات، إلا أنه لا يـــهتم بنفـس القــدر بالمحددات البيولوجية للسلوك،وهو بطبيعة الحال يدرك أن العوامل الجبلية تؤثر لا محالة في طبيعة تاريخ التعلم الاجتمـــاعي للفــرد الاجتماعي.

- يقول باندورا "أن المعالجات قد يكون لها تأثير ضئيل في بعض الخصائص الذي يعلى من قيمة امتلاك خصائص جسمية معينة، قد يتأثر تكرار المعززات الاجتماعية جزئيا بمدى الوفاء بهذه المثل العليا الثقافية .. ففي أمريكا حيث تجد أن المكافآت الاجتماعية والشهرة تخلع على أصحاب القدرات والأجسام الرياضية فإن من المتوقع بالنسبة للشباب الصغار والذين تنقصهم القوة العضلية والمهارة والذين يتصفون بخصائص أنثوية يخفقوا في الحصول على معززات إيجابية من أقاربهم".

فالعوامل الجبلية لها تأثير غير مباشر في النمو ليس ذلك فحسب بل أن العوامل البيوكيميائية لها أثر مماثل وعلى الرغم من إدراك دور البيولوجيا في نمو الشخصية إلا أنه قلل من أهميتها في نظريته لأنه يرى أن المعرفة المتوافرة لدينا عن طريق تأثير البيولوجيا في الإدراك محدودة وترتيباً على ذلك فإنه يرى أن من الأجدى أن ندرس دور متغيرات التعلم الاجتماعي في نمو الشخصية.

أسلوب باندورا في العلاج النفسي:

إن الانحراف النفسي من وجهة نظر باندورا لا يرجع إلى ضعف في الخلق أو هذا الانحراف على أساس مبادئ التعلم الاجتماعي ويصعب تغيير هذا السلوك إلى سيطرة دافع واحد على الفرد أو إلى خبرات طفلية تعسة.وإنما ينشأ هذا الانحراف عن طريق العلاج لأنه يتطلب حذف الأنماط السلوكية التي ارتبطت بظروف مشبعة أي ارتبطت بالتعزيز.

إن الهدف النهائي للعلاج أن يقوم الفرد بتنظيم نفسه وفي هـذه الحالة لا يقوم المعالج باستخدام استراتيجيات صممت لإحداث التغـير السلوكي فحسب بل استراتيجيات تحدث التغيير وتحافظ عليه.

ويرى باندورا أن هناك ثلاثة مستويات لإنجاز العلاج وهم:

المستوى الأول: هو الحث على التغيير وإحداثه.

فإذا أريد أن يكون للعلاج أي درجة من الفاعلية فلابد أن يستثير بعض التغير في السلوك.

وعلى سبيل المثال: إذا أمكن إطفاء استجابة خوف للأماكن المرتفعة فإن الشخص الذي كان لديه مثل هذا الخوف المرضي من قبل يستطيع أن يرقى سلماً يبلغ ارتفاعه عشرين قدماً وهكذا نستطيع أن نتبين أن تغيرا طرأ على سلوكه.

والمستوى الثاني التعميم:

فالشخص الذي يخاف من الأماكن العالية لا يستطيع أن يصعد السلم فحسب بل يعمم هذا السلوك ليشمل مواقف أخرى وهذا المستوى أكثر فاعلية من مجرد التغيير على سبيل المثال: يستطيع الشخص بعد ذلك أن يستقل الطائرات وأن ينظر من خلال نوافذ المباني العالية:

والمستوى الثالث: المحافظة على السلوك الوظيفي الذي اكتسبه الفرد وهو أكثر أنواع العلاج فاعلية:

فمثلاً: قد يحدث بعض أنواع العلاج التغيير ويعمم الشخص هذا التغيير غير أنه قد تضيع آثار العلاج بمضي الزمن ويعيد الفرد اكتساب السلوك المخل بوظيفته ويصدق هذا على وجه الخصوص

بالنسبة لانطفاء العادات التي تسيء إلى التوافق كالتدخين والفهم في تناول الطعام.

طرق البحث والبحوث المميزة:

- إن باندورا لا يستخدم تحليل الأحلام ولا التداعي الحر ولا أي أسلوب آخر مما يستخدم الديناميون للكشف عن خفايا النفس الإنسانية.
- لقد استطاع أن يدرس ظاهرات كالعدوان والمخاوف المرضية واستطاع أن يحقق الشفاء لبعض المرضى من النوبات وأن يساعد الأطفال على اكتساب المهارات في الرياضيات.
- إن هدف باندورا هو أن يزودنا بإطار تصوري موحد يمكن أن يضم أشكالاً منوعة عن التأثير الذي يعدل السلوك.
- لقد قام باندورا بدراسات كثيرة تبين أهمية التعلم بالملاحظة في اكتساب السلوك العدواني وفي تعديله.
- إن باندورا في الأساس يستخدم الطريقة الاستقرائية ويضع فروضا قابلة للاختبار مشتقة من نظريته العامة ثم يجمع بيانات من أفراد وجماعات ليثبت من صدق نظريته.
- الطريقة المنهجية التي يستخدمها في دراسته للتعلم بالملاحظة تقضي أن يلاحظ المفحوص سلوك نموذج ثم يختبر فيما بعد بقصد تحديد أنماطه السلوكية عندما يوضع في موقف مماثل للموقف الذي لاحظ فيه النموذج أو القدوة.

- لقد بذل باندورا جهوداً مكثفة لكي يوفر للموقف التجريبي نفس الشروط أو الظروف التي توجد في البيئة الاجتماعية الحقيقية ولقد درس باندورا عينات من جميع الأعمار بدء من سن ما قبل المدرسة وحتى سن الرشد حتى يتيح لنتائجه مزيداً من القابلية لتمتد وتعم وتشمل العالم الواقعي.

المكانة الراهنة للنظرية:

من مزايا هذه النظرية:

- إن فكرة التعلم بالملاحظة تتسق مع الخبرة والمنطقة وقد قدم لنا فرويد نفس الفكرة عندما تحدث عن التوحد أو التقمص كما أن فكرة بياجيه عن التعلم بالملاحظة لها نفس نكهة فكرة باندورا.
- من المعقول أن نتعلم بملاحظة شخص آخر. وتقليده ألم يولد الأطفال مقلدون؟ وفضلاً عن ذلك فإننا نعرف أننا نستطيع أن نتعلم دون تعزيز.
- فكرة باندورا عن التعلم بالملاحظة مفيدة في العلاج النفسي وفي الإرشاد النفسي وفي كثير من المواقف التعليمية والتدريبية يتشكك باندورا في التسليم بأي فكرة في نظريته ما لم تثبت مصداقيتها تجريبياً وتعتبر تجاربه نماذج جيدة من حيث التصميم وضبط المتغيرات.
- إنه أمكن اشتقاق أساليب علاجية سلوكية من نظرية التعلم الاجتماعي واستخدامها ناجحاً في معالجة مشكلات عديدة.

- إن فكر باندورا الأساسي له مضامين ديموقراطية ذلك أن تـــأكيده الشديد على الاتجاه البيئي (مقابل الاتجاه الوراثي) يعني أنه متفائل عن إمكانية استعادة الصحة لكل شخصية مبتئسة.

دور النظرية في مجال التطبيق:

- تشير الدلائل أن نموذج التعلم بالملاحظة من أكثر أنماط التعلم فعالية مع طفل مرحلة ما قبل المدرسة، لاسيما في مجـــال تعلـــم المهارات الاجتماعية أو الحركية.
- لو نظرنا إلى العديد من سلوكياتنا نلاحظ أنها تمت من خـــلال تعلم بالملاحظة بدون استخدام التعزيز أو العقاب وبدون الاعتمـــاد على الاشتراط الإجرائي أو غير ذلك، فمسك الطفل للقلم والقيـــام بالشخبطة أو الكتابة هي صورة من صــــور التعلـــم بالملاحظـــة والتقليد.
- يعتبر سلوك الوالدين والمعلم وغيرهم من الكبـــار بـــالمجتمع بمثابة نماذج للأطفال سلوكية مباشرة تزودهم بأمثلة يتبنون منها ما هي ملائم ومرغوب فيها من سلوك.
- إن الطفل يتعلم من خلال مشاهدة ما يعرف بالنماذج الرمزيـــة مثل الشخصيات التي تتضمنـــها الرســـوم المتحركـــة، والأفـــلام الكرتونية وبرامج التليفزيون والفيديو وغير ذلك.
- عقاب بعض الأطفال أمام باقي زملائهم في الصف من شـــأنه أن يؤدي إلى امتناع باقي الأطفال عن أداء السلوك الذي كان سـببا في عقاب زميلهم.

- تحرير بعض أنواع السلوك يعني أنـــه عندمـــا لا يتعـــرض النموذج لعواقب سيئة أو غير ضارة نتيجة ما قام به من أفعال فإن ذلك يشجع باقي الأفراد على أداء سلوكيات متوافرة في حصيلتـــهم إلا أنها مكبوتة جزئياً لعدم تعقبها من الآخرين.

- وهكذا يمكننا أن نخرج من هذا بتوضيح دور وأهمية التعلـــم بالملاحظة بالنسبة لطفل الروضة، حيث يتـــأثر سـلوك الطفـل بالنماذج المختلفة التي يتعامل معها، ومن هنـــا كـــانت المعلمـــة، ورفاق الصف والمواقف المختلفة لها تأثيراتها على طفـــل هـــذه المرحلة.

- الاتساق في التعزيز يعني أن لا يثاب سلوك في مرة ويعـــاقب في مرة أخرى كما أنه لا يعني ضروري التعزيز في كل مرة مـــا يأتي فيها سلوكاً سليماً.

- يرى باندورا أنه لا ينبغي لعلم النفس أن يحدد للناس الطريقـــة التي ينبغي أن يعيشوا بها حياتهم ولكنه يستطيع أن يقـــدم للنـــاس ويزودهم بالوسائل التي تمكنهم من إحـــداث التغيـــير الشـــخصي والاجتماعي.

- إن نظرية التعلم الاجتماعي تعتبر شـــكلاً ســـلوكياً اجتماعيـــاً معرفياً تصف لنا كيف يمكن لمجموعة من الكفـــاءات الشـــخصية والاجتماعية أن تتطور وتنمو لدى الفرد وسط الظروف الاجتماعية السائدة. والناس مهما كانت توجهاتهم يضربون النموذج والمثـــل ويعملون كقدوة للآخرين ويعززون ما يقدرونه ويعلون من قيمتـــه ويدافعون عنه بالدليل والحجة.

- إن هناك كماً هائلاً من البحوث العلمية تظهر مكانة تنشيط الجوانب المعرفية في الشخصية عن طريق التعليم بحيث يحقق خلال ذلك نتائج مرموقة فالناس يتعلمون ويحفظون باستخدام المعينات المعرفية التي يولدونها على نحو أفضل ما يتعلمون عن طريق الأداء المتكرر المعزز.
- تشير التجارب التي أجريت على التعلم بالملاحظة أنها دلالة عميقة في التفسير والتنبؤ بالنتائج المحتملة لرؤية أفلام العنف في التليفزيون.

وفي التجربة الشهيرة التي أجراها باندورا على أربع مجموعات من الأطفال تؤكد ذلك فقد عرض باندورا على مجموعة من الأطفال شريطاً سينمائياً يعرض نماذج للسلوك العدواني يقوم بها شخص كبير، قسم الأطفال إلى ثلاث مجموعات.

المجموعات الأولى شاهدت هذا الشخص يعاقب بقوة والمجموعة الثانية شاهدت الشخص يكافأة والمجموعة الثالثة شاهدت الشخص لا يكافأ ولا يعاقب وقد لاحظ باندورا أن السلوك الذي يبديه الطفل فيما بعد يختلف باختلاف النسخة من الفيلم الذي رآها.

تطبيقات نظرية باندورا في مجال الإرشاد:

استخدم باندورا النماذج السلوكية (النمذجة) في الإرشاد:

وذكر العوامل التي تؤثر في النمذجة هي:

- خصائص النموذج:

(أ) عمر النموذج وجنسه ومكانته حيث يقارب بخصائص المفحوص في هذه الجوانب وقد اتضح أن النماذج ذات المكانة الاجتماعية العالية تقلد بدرجة أكبر من ذويها.

(ب) مدى التشابه بين النموذج والمفحوص قد يكون النموذج طفلاً آخر في نفس الفرقة أو طفلا في فيلم سينمائي ويتناقص مقدار التقليد من قبل المفحوص كلما قل التشابه بين النموذج والشخص الحقيقي في دنيا الواقع.

(ج) نمط السلوك الذي يمثله النموذج أو الذي يجسمه المثال المحتذى به.

- خصائص المراقب (المسترشد أو المتعلم):

يحدد باندورا الجوانب الأربعة التالية كعوامل أو جوانب يحتاج المسترشد أن تتوافر لديه وهي:

- عمليات الانتباه Attentional Processes

لا يكفي أن يكون المسترشد في موقف يتم فيه نمذجة السلوك لكي يتم تعلم هذا السلوك فعلاً من النموذج وإنما ينبغي أن ينتبه المسترشد للموقف وأن يستوعب المعلومات التي يعرضها النموذج.

وتتوقف عمليات الانتباه على بعض الجوانب الخاصة بالمثيرات الداخلة في النموذج كوجود تنافر في الإضاءة وفي الصوت وكذلك سلامة حواس المسترشد ومستوى الاستثارة وكذلك الجوانب الإدراكية.

- عمليات الحفظ Retention Processes

بمجرد أن ينتبه المسترشد للمعلومات الأساسية الخاصة بالسلوك الذي ننمذجه ويصبح قادراً على أن يفهم جوانب هذه المعلومات فإنه ينبغي أن يكون حينئذ قادراً على تذكر المادة التي

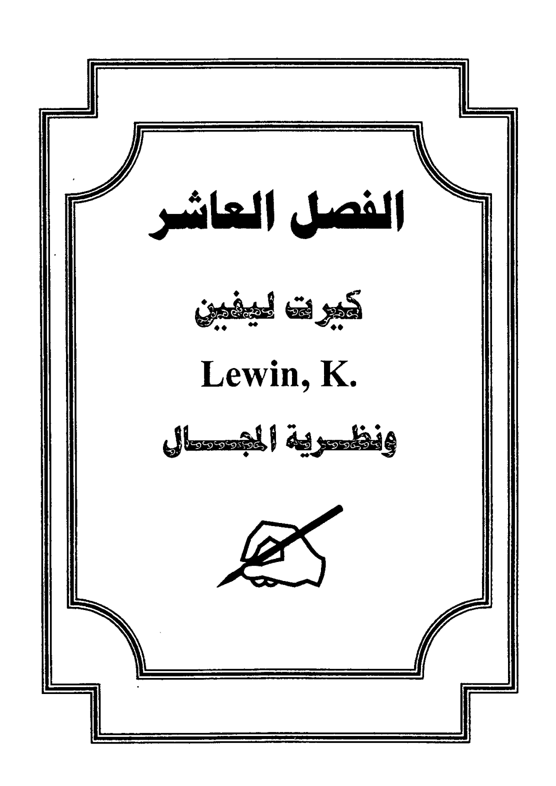
استقبلتها حواسه ويتم ذلك عن طريق حفظ هذه المـــادة فـــي صـــورة مرمزة في شكل سمعي وبصري ويساعد اقتران الجوانب البصرية مع الجوانب السمعية وتكرار المعلومات على تذكر المادة المنمذجة.

- استرجاع السلوك Motoric Reproduction

في هذه العمليات يتم استرجاع السلوك المحفوظ (في الذاكـــرة) غير أنه ينبغي أن نلاحظ أنه في بعض السلوكيات الحركية المعقدة مثل ركوب الدراجات فإن السلوك لا يكفي لأدائه تقليد النماذج المعروضـــة بل يجب أن تكون لدى الفرد المهارات الحركية المناسبة والقدرة علـــى حفظ التوازن المطلوبين لأداء هذا السلوك (ركوب الدراجات) وفي هذه الحالة فإن مشاهدة السلوك وحفظه في الذاكرة لا تكونان كافيتين لإعادة توليد السلوك وإنما متى توافرت المهارات المناسبة فإن هذه المشـــاهدة تساعد كثيرا على اكتساب السلوك المطلوب.

- عمليات الدافعية Motivational Processes

إذا توافرت عمليات انتباه المسترشد للنموذج وفهمه للمعلومات المراد توصيلها له من خلال العرض وحفظ هذه المعلومات وتوافـــرت المهارات الحركية اللازمة لتنفيذ النشاط المنمذج فإن هذا المسترشد قـد لا يؤدي السلوك المنمذج لأنه قد توقع نتائج منفردة (عقـــاب) أمـــا إذا توقع نتائج إيجابية من أداء السلوك المنمذج فإننا نتوقع أن يتقـدم لأداء هذا السلوك.



الفصل العاشر

كيرت ليفين

Lewin, K.

ونظرية المجال



الفصل العاشر

ليـــــفــيـــــن

تأثر ليفين بأفكار مدرسة الجشطلت ــ ونقل الكثير من أفكـــار هذه المدرسة من مجال الإدراك إلى مجالات أخرى من علم النفس.

وبالرغم من أن ليفين يعتبر من علماء نفس الجشـــطلت إلا أن أغلب الكتاب الأمريكيين يألفون ليفين أكثر من ألفتهم للجشطلت ولعـــل ذلك راجع إلى أن ليفين قد تخصص في تطبيق نظرية المجال علــــى ديناميكية الجامعات في علم النفس الاجتماعي.

وكانت اهتمامات ليفين مختلفة إلى حد مـــا عـــن اهتمامـــات زملائه في كثير من النواحي فبينما كانت اهتمامات أغلب علماء نفـــس الجشطلت محصورة في بعض المشكلات الفنية فـــي الإدراك والتعلـــم والتفكير كان اهتمام ليفين يدور حول موضوعات أخرى متنوعة فقـــد ركز جهوده الأولى حول المشكلات الدافعية للفرد والتـــي أدت إلـــى الاهتمام بمشكلات تنظيم الشخصية من ثواب وعقاب وصراع وتـــأثير اجتماعي. أما في المرحلة التالية من حياته العملية فقد قام ببحوث عـــن ظاهرات جماعية كالقيادة والجو الاجتماعي ومعايير الجماعة والقيـــم وآثار العديد من البحوث في هذا المجال وفي النهايـــة اهتـــم بفحـــص القيود الاجتماعية التي فرضتها التكنولوجيـــا والاقتصـــاد والقـــانون والسياسة على الجماعات.

وبالرغم من تركيز اهتمامات ليفين في الدراسة على الدوافـــع وعلى الأهداف ذاتها في علاقتها بالشخصية فإن النظام الـــذي تبنـــاه

لدراسة هذه الموضوعات من الصعب أن يشار إليه على أنــه أساســاً يحتل نظرية مستقلة في التعلم ولكنه نظام وصفي أو إطـــار يتنـــاول دراسة موضوعات التعلم والواقعية الشخصية والسلوك الاجتماعي.

وعلى الرغم من تغير اهتمامات ليفين على مدى ثلاثين عامــاً من النشاط العلمي إلا أنه التزم دائماً بفكرة نظرية أساسية وهـــي أنـــه لكي يمثل بأمانة تعقيد الواقع ومواقفه العيانية فإن ذلك يقتضي اختراق الحدود التقليدية للعلوم الاجتماعية وعدم حصر المفكر لفكره وتحديـــد لانتباهه وقصره على عدد من المتغيرات.

ولقد ظهرت للنظرية التي تأخذ بهذا المنظور تسميات مختلفــة على يد ليفين وعلى يد آخرون وهي "النظرية الدينامية"، "علم النفـــس الطوبولوجي" نظرية المجال ويفضل ليفين التسمية الأخيرة.

ويعتبر ليفين من كبار علماء النفس ووضاع نظرية المجـــال. والمبدأ الأساسي في هذه النظرية هي الرجوع إلى دراســـة الســلوك (الفردي أو الجماعي) باعتباره تفاعل الشخص والبيئة فـــي الموقــف الحاضر.

ويقول ليفين "... إن الجماعات كل اجتماعي يمكن أن يعــرف كما يعرف أي كل دينامي آخر أعنى عن طريـــق إبـــراز الاعتمـــاد المتبادل بين أجزائه، ويتضمن هذا المبدأ خصائص أفراد الجماعة مثل الأهداف والقيم والبناء المميز لهم تختلف عن أهداف الجماعة وقيمـــها وبنائها كذلك لابد للتكهن بمسلك الجماعة من تفهم هذه الأهداف والقيــم الجماعية وتحديد العلاقة بين هذه الجماعة والجماعات الأخرى".

ويقصد ليفين بنظرية المجال أن الأحداث والوقائع تتحدى بقوى مؤثرة في المجال المباشر وليس بقوى تؤثر فيها عن بعد. وفي نفس الوقت فإن نظريته عن المجال هي مجموعة من التكوينات تم تطويرها من خلال البحث الأمبريقي لوصف الظاهرات النفسية الاجتماعية وتفسيرها.

ويؤكد ليفين أن السلوك هو دالة المجال الاجتماعي الحاضر ولذلك ينبغي أن نحدد السلوك أو الواقعة باعتباره دالة للموقف الكلي المؤقت فهو يصف الموقف الذي يستجيب له الفرد من حيث مضمونه الظاهري أي الموقف كما يدركه الفرد لا من حيث طبيعة الموقف في حد ذاته. فسلوك الفرد دالة لعالمه السيكولوجي أكثر مما هو دالة للعالم الموضوعي.

الإطار العام لنظرية ليفين:

نظرية المجال Field Theory

يمكن أن نلخص الإطار العام لنظرية ليفين للسلوك فيما يلي:

- السلوك وظيفة المجال الذي يوجد في الوقت الذي يحدث فيه السلوك.
- يبدأ التحليل بالموقف ككل ومن الموقف تتمايز العناصر المكونة له.
- من الممكن تمثيل الشخص العياني والموقف العياني تمثيلاً رياضيا.

بناء الشخصية:

يرسم ليفين خريطة عقلية معرفية توضح نظرية المجال ومفاهيمها الأساسية وهذه المفاهيم هي:

- المجال الحيوي Life Space:

وهو المجال النفسي الكلي الذي يحتوي على مجموع الوقائع الممكنة التي تحدد سلوك الشخص في وقت محدد مثل حاجاته وخبراته وإمكاناته سلوكه كما يدركها.

أي أن السمات البيئية التي يستجيب لها الفرد كالأشخاص والأشياء والأفكار والخيالات وهو المجموع الكلي للأحداث التي تحدد سلوك الفرد في زمن معين.

وكان جل اهتمام ليفين ينحصر في بناء نظام نظري يمكنه التنبؤ بالسلوك الواقعي للفرد وقد وجد أن تحقيق ذلك يكمن في مفهوم المجال الحيوي.

ولا يعني التفسير السابق للحيز الحيوي أنه يضم فقط الأشياء أو الموضوعات أو الأحداث التي يكون الفرد واعياً بها أي التي يكون مدركاً لها ولكن ربما يكون الفرد متأثراً ببعض العوامل اللاشعورية التي يكون غير واع بها وهكذا يضم الحيز الحيوي للفرد كلا النوعين من العوامل الشعورية واللاشعورية ويكون سلوكه نتاجاً لكلا النوعين من العوامل معاً.

ويعتبر ليفين أن حيز الحياة ليس مفهوما ثابتاً بل مفهوما ديناميكياً يتغير باستمرار كنتيجة للتغيرات الحادثة في حالات التوتر

الداخلي للفرد وخبرته بالإضافة إلى التغيرات الحادثة في البيئة لذلـــك كي نفهم سلوك الفرد في موقف ما وفي لحظة معينة فعلينا أن نصـــف حيز الحياة "البيئة السيكولوجية" في تلك اللحظة لأن البيئة السيكولوجية الكلية قد تتغير فيما بعد.

ويرى ليفين أن مفهوم الحيز يتضمن ما يلي:

- الأهداف التي يسعى الفرد إلى تحقيقها.
- الأهداف السالبة التي يحاول الفرد تجنبها.
- **العوائق التي** تقيد حركة الفرد داخل نطاق الحـــيز الـــذي تحويـــه **الطرق أو** المسارات التي يجب على الفرد أن **يتبعها لكي يصـــــل إلى الأهداف التي** ينبغي عليه تحقيقها والتي تمثـــل الغايـــة مـــن **السلوك.**

يتضح مما سبق أن الحيز الحيوي يختلف عن الحيز الجغرافي الذي يعيش فيه الفرد أو الحيز الطبيعي الذي يحيط بـــه فـــهو يعنـــي الـــعالم الذي يدركه وليس العالم الذي يحيط به.

فمثلاً إذا فكر الشخص في شيء غير موجود أصلاً فإن ذلـــك يعد من ضمن الحيز أو المجال الحيوي وليس من ضمـــن الحـــيز أو المجال الطبيعي.

ويرى ليفين في تفسيره لطبيعة الحيز الحيوي أن السلوك هـــو وظيفة لعاملين هما:

- الفرد النفسي.
- البيئة النفسية.

- ويوضح ليفين هذه العلاقة بالمعادلة التالية:

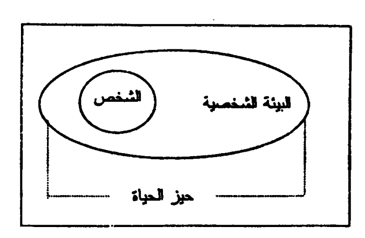
$$B = F (P, E)$$

حيث أن:

B = السلوك (Behavier) الذي يكون وظيفة F لعاملين هما:

- الفرد النفسي (Psychological person).
- البيئة النفسية (Psychological Environment).

وبمعنى آخر فإن السلوك يعد وظيفة لكل من الفـــرد النفســـي والبيئة النفسية معاً ومن الفرد النفسي والبيئة النفسية يتكـــون الحـــيز الحيوي وفي هذا الحيز الحيوي يكون الفرد والبيئة في عملية تفـــاعل متبادلة أو في حركة مستمرة من الاعتماد المتبادل وأن جوهر الحـــيز الحيوي يتمثل في طبيعة الوظيفة التي تحددها العلاقات المتبادلة بيـــن الفرد والبيئة.



شكل يوضح أن حيز الحياة يتألف من شخص وبيئته السيكولوجية

ويمثل ليفين المجال الحيوي عادة بشكل بيضاوي بداخله دائرة تمثل الشخص وليس لهذه الدائرة موضع ثابت داخـــل هـــذا الشـــكل البيضاوي على حين تمثل المنطقة المحيطة بالدائرة "الشخص" والتـــي توجد داخل المجال الحيوي "البيئة النفسية" للفرد وفـــي هـــذا المجـــال الحيوي توجد كل القوى التي تفرض على الشخص والتي تحدد سلوكه وهذه القوى تتضمن كل ما هو معروف أو غير معروف على المستوى الشعوري للفرد وفي هذا المجال الحيوي يكمن التفاعل المتبادل بيـــن الشخص وبيئته النفسية.

ويحيط بحيز الحياة "غلاف غريب" لا حدود له فيه وقائع غـير نفسية تؤثر في البيئة النفسية في حيز الحياة فتؤثر بدورها في الشخص وأطلق عليها ليفين اسم "العالم المادي الخارجي" وفي نفس الوقت فـإن المجال النفسي فيه وقائع تؤثر في العـــالم المـــادي ــ أي أن الحـــدود الفاصلة بين حيز الحياة والعالم الخارجي تتسم بخاصية النفاذيـــة فقـــد تتغير واقعة من وقائع العالم المادي مسار الأحداث في حيز الحياة وفي المجال النفسي للشخص ونحن نجد ذلك في الحياة اليومية ــ فقد يؤدي لقاء عارض أو حديث تليفوني غير متوقع أو حادث سيارة مفاجئ إلى تغيير مجرى حياة الشخص.

كذلك فإن الحدود الفاصلة بين الشخص وبين المجال النفســـي لها خاصية النفاذية أي أن وقائع المجال النفسي يمكن أن تؤثـــر فـــي الشخص كما أن الوقائع الشخصية يمكن أن تؤثر في المجال النفسي.

ويتكون الحيز الحيوي من عـــدد مـــن المنـــاطق النفســـية ــ وتحتوي كل منطقة على وقائع Facts وتتحدد هذه المناطق من الناحية الوظيفية وليس من الناحية المادية والذي يحدد عدد المناطق هو عـــدد

الوقائع النفسية المنفصلة التي توجد في أي وقت معيـــن فقـــد يكـــون هنـــاك واقعتان فقط هما الشخص والمجال فيكـــون هنـــاك منطقتـــان رئيسيتان فقط في حيز الحياة. وإذا احتوى المجال على واقعتين همــــا واقعة العمل وواقعة اللعب تنقسم منطقة المجال إلى منطقتين فرعيتيــن واحدة للعمل وأخرى للعب. وإذا كان هناك أنواع مختلفة مـــن وقـــائع العمل مثل واقعة العمل الحكومي وواقعة العمل الحر تنقســـم منطقـــة العمل إلى منطقتين جزئيتين .. وهكذا بالنسبة لمنطقة اللعب.

وبالنسبة للشخص قد يحتوي على واقعتين هما واقعة التوتـــــر Crisis وواقعة الفزع فتنقسم منطقة الشخص الرئيسية إلى منطقتيـــــن فرعيتين واحدة للتوتر وواحدة للفزع وهكذا يتحدد عدد المناطق فـــــي الشخص بعدد الوقائع الشخصية الموجـــودة فعـــلاً وتســـمى الوقـــائع الأساسية للمنطقة الشخصية الداخلية باسم "الحاجات".

وتتميز هذه المناطق بأنها ليست جامدة كالمناطق الجغرافية أو المناطق الهندسية بل أنها تكون قابلة للامتداد والإنكماش حسب قــــوة جذب كل منها فهناك حدود بين المناطق من خصائصها النفاذية وتبادل الاتصال وتتصل المناطق عن طريق الاتصال بين الوقائع الواقعة فـــي كل منهما بالأخرى ويحدث بينهما تفاعل وتأثير متبادل ينتج عنه حدث event فالكتاب واقعة بينما قراءة الشخص في الكتاب حدث ويتوقـــف مدى اتصال المناطق على عاملين هما عامل (القرب ــ البعد) وعـامل (المرونة ــ الجمود) ويعني ذلك أن الحدود بين المناطق قد تكون قابلة للنفاذية بدرجة كبيرة وقد تكون جامدة مقاومة للنفاذية.

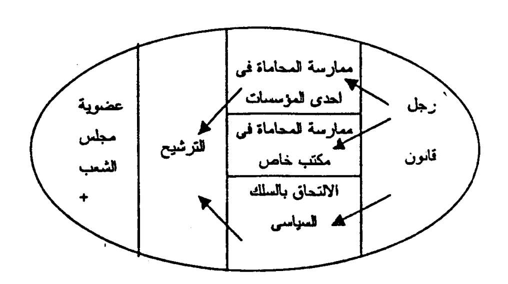
ويتأثر مدى الاتصال وبالتالي التأثير المتبادل بين حيز الحيـــاة والعالم الخارجي بصلابة أو ضعف الحدود الفاصلة بينـــــهما ــ فـــإذا

كانت الحدود صعبة النفاذية كان الاتصال والتـأثير المتبـادل صعبـاً وضئيلاً ويكون الشخص متقوقعاً داخل مجاله النفسي واتصاله بـالواقع المادي ضئيل كما في حالة الفصام وإذا كانت الحدود سهلة النفاذية كان الاتصال والتأثير المتبادل سهلاً ووثيقاً.

ويتأثر مدى الاتصال وبالتالي التأثير المتبادل بيـن الشـخص والمجال النفسي بصلابة أو ضعف الحدود الفاصلة بينهما ـ ويلاحـظ أن نظام الاتصال بين المناطق يمثل مواقف مؤقته متغيرة دائماً ـ فمن الممكن أن يضعف حد صلب ويتصلب حد ضعيف أي أنه من الممكـن أن تقترب منطقتان بعيدتان وتبتعد منطقتان قريبتان ومن الممكـن أن يتحول وسط مرن إلى وسط جامد وبالعكس وعلى هذا فـإن الواقـع النفسي يتغير دائماً ومن ثم فإن ليفين لا يثق في السـمات الثابتـة أو العادات الجامدة في الشخصية.

وقابلية المناطق للامتداد والانكماش حسب قوة جذب كل منهما دعى ليفين إلى اعتبار أن الهندسة العادية التي تتنـاول المسـافات لا تناسب تصوره عن المجال النفسي أو الحيز الحيوي ـ لذلك لجأ ليفين إلى تصور خاص من الهندسة أطلق عليها طوبولوجـي Topology والتي يطلق عليها أحياناً (هندسة المسافات المطاطة وتبعا لهذا التصور تكون مناطق الحيز الحيوي أما مناطق جذب مناطق التكافؤ الموجـب) ويرمز لها بالرمز (+) أما مناطق إعاقة وصول الفرد لأهدافه ويرمـز لها بالرمز (-) وترسم حدودها بخط أسود ثقيل يفصلـها عـن بـاقي مناطق الحيز الحيوي ذات الصفة الموجبة.

مثال: رجل قانون يرغب في الوصول إلى عضوية مجلس الشعب.



رسم طوبولوجي للحيز الحيوي لرجل قانون

وتبعاً لتصور ليفين يتضح من هذا الرسم الطوبولوجي للحيز الحيوي لرجل القانون أن رجل القانون هذا يمكنه ممارسة ثلاث أعمال هي المحاماة في إحدى المؤسسات أو المحاماة في مكتب خاص أو الالتحاق بالعمل بالسلك السياسي ولكن ممارسة هذا العمل الأخير يمثل عقبة أمامه للترشيح لعضوية مجلس الشعب الهدف النهائي له وبالتالي يوجد مانع لتحقيق هذا الهدف كما أن الفوز في الانتخابات في ذاته يمثل عقبة أخرى.

وتبعاً لرأي ليفين وأسلوبه يوجد بهذا الاسم مناطق تكافؤ موجب وأخرى تكافؤ سالب تشكل في النهاية هندسة المجال النفسي لهذا الفرد. مع ملاحظة أن مساحة وأشكال هذه المناطق يمكن أن تتغير من موقف إلى آخر ومن فرد إلى آخر بدون أن يتغير المعنى النفسي لهذا الرسم الطوبولوجي.

بذلك يمكن تعريف الطوبولوجيا Topology بأنها "ذلك الفرع من الهندسة الذي يبحث خصائص الأشكال التي تظل ثابتة تحت ظروف التحولات المستمرة".

أو هي فرع من فروع الرياضيات الذي يركز على العلاقات بين الأشياء والعلاقات بين الجزء والكل والاتصالات القائمة بين المجالات المكانية وهكذا بدلا من أن يركز على الحجم والشكل.

ولقد رأى ليفين أن هذا الفرع من فروع الرياضيات يتناسب مع تصوره عن المجال النفسي أو الحيز الحيوي.

ولقد قسم ليفين حيز الحياة إلى شخص وبيئة سيكولوجية.

الشخص:

يرى ليفين أن الشخص كيان محدد محدود داخل المجال الخارجي الأكبر منه.

ويرى أن الشخص له خاصيتان هما "الفصل" عن المجال و"الوصل" مع المجال وبمعنى آخر التفاضل أو التمايز والتكامل. أي أن الشخص يكون منفصلا عن المجال الكلي الأكبر ومندمجا في نفس الوقت داخل هذا المجال الكلي.

وهذا هو واقع الشخص الذي يمثل جلده حدوداً واضحة تفصله عن المجال الخارجي الذي يتحرك فيه والذي يكون في نفس الوقت جزءاً منه. ويذهب ليفين إلى أن بناء الشخص بناء متفاضل متمايزاً ينقسم إلى أجزاء منفصلة ومتصلة في نفس الوقت.

ويمثل ليفين الشخص بدائرة مغلقة توضح في شكل بيضاوي يمثل البيئة الشخصية وذلك يبين أن الشخص متمايز عن حيز الحياة ولكنه داخل فيه.

ويرى "دوتيشي" أن ليفين قد استخدم لفظ الشخص ثلاث استخدامات هي:

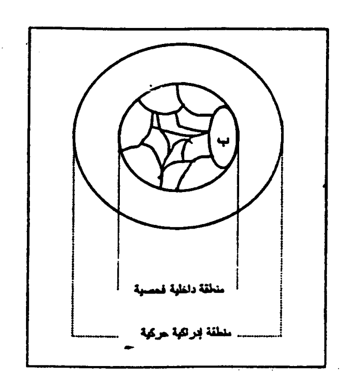
الاستخدام الأول: يشير إلى ما لدى الفرد من صفات وخصائص "حاجات ومعتقدات وقيم ونظام إدراكي حركي" والتي في تفاعلها فيما بينها، ومع البيئة الموضوعية يوجد المجال الحيوي ومن الممكن القول بأن ليفين ينظر إلى الشخص هنا نظرة سيكولوجية أكثر منها فسيولوجية.

أما الاستخدام الثاني: فهو مرادف للمجال الحيوي فتمثيل ليفين للشخص وتمثيله للمجال الحيوي يمكن النظر إليهما باعتبارهما طرفاً لتمثيل نفس الوقائع السيكولوجية.

أما الاستخدام الثالث: فيشير إلى الشخص في المجال الحيوي والشخص في المجال الحيوي أو "الذات القائمة بالسلوك" يشير إلى الفرد في ارتباطه بوحدات أخرى من المجال الحيوي والسلوك الذي نلاحظه هو في هذه الحالة عبارة عن تغير موضوع الذات القائمة بالسلوك من منطقة ما من مناطق النشاط في المجال الحيوي إلى منطقة أخرى.

ويرى ليفين أن الشخص ينقسم إلى منطقتين أساسيتين هما:

- المنطقة الإدراكية الحركية: وهي الجزء الخارجي الطرفـــي فـــي الدائرة.
- والمنطقة الداخلية الشخصية: وتمثل الجوانب الدافعية وتقـــع فـــي المركز.



شكل يوضح أن الشخص ينقسم إلى منطقة داخلية شخصية وأن هذه تنقسم إلى خلايا وأن الخطوط الثقيلة تعني استقلالية الخلية أو انعزالها وإلى منطقة إدراكية حركية

ويتضح مما سبق أن المنطقة الإدراكية الحركية تحيط بالمنطقة الداخلية الشخصية بحيث لا تتاح لها فرصة الاتصال بـــالحدود التـــي تفصل الشخص عن البيئة ـ فعندما يكون اتجاه التأثير من البيئة إلـــى الشخص فإن المنطقة المحيطة بالمجال الشخصي تمثل الإدراك وعندما ينعكس اتجاه التأثير فإن نفس المنطقة تمثل الحركة إلا أنه عن طريـــق

هذه المنطقة الإدراكية الحركية يتم اتصال المنطقة الشخصية الداخليـــة بالبيئة المحيطة بالشخص.

ويرى ليفين أن ما يوجد خارج الشكل البيضاوي الذي يمثـــل الشخص والبيئة النفسية ويحيط به يوجد العالم المادي وإن كـــان هـــذا العالم الفيزيقي والوقائع التي توجد فيه يمكن أن يؤثر تأثيرا فعليا فـــي البيئة النفسية أي أن البيئة غير النفسية تستطيع أن تغير مـــن الوقـــائع النفسية.

البيئة السيكولوجية:

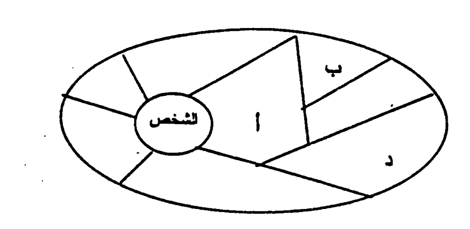
يشير لفظ البيئة إلى البيئة الموضوعية أو الموقف المثير الـــذي يواجه الفرد في وقت معين والذي يؤثر على الجهاز الإدراكي للفـــرد والذي تقوم عليه أفعاله الحركية.

ولكن استخدام ليفين لفظ البيئة للإشارة إلى البيئة الســيكولوجية التي ينظر إليها على أنـــها البيئـــة كمـــا يدركـــها الشـــخص فالبيئـــة السيكولوجية هي جزء من المجال الحيوي ومن ثم فـــإن خصائصـــها تتحدد ليس فقط بخصائص البيئة الموضوعية بل وأيضـــاً بخصـــائص الشخص.

ولقد أعطى ليفين أهمية كبرى للبيئة النفسية باعتبارها البيئـــة كما يدركها الفرد ويتأثر بها وتؤثر فيه.

ولقد مثل ليفين البيئة السيكولوجية بشـــكل بيضـــاوي يحيـــط بالدائرة التي تمثل الشخص والمساحة الموجودة داخل الشكل البيضاوي وخارج الدائرة هي البيئة السيكولوجية والمساحة الكلية داخل الشـــكل البيضاوي تؤلف حيز الحياة.

ويرى ليفين أن البيئة السيكولوجية مقسمة إلى مناطق وليس هناك فرق بين تفاصيل البيئة وتفاضل الشخص ولا يلزم أن نفرق بين أنواع مختلفة من مناطق البيئة لأنها لا تحتوي على ما يمكن مقارنته بالمنطقة الإدراكية الحركية والمنطقة الداخلية الشخصية فجميع مناطق البيئة متشابهة.



شكل يوضح أن البيئة السيكولوجية مقسمة إلى مناطق وأن بعض الحدود قابلة للاختراق (خطوط رفيعة) وأن البعض الآخر ليس كذلك

ويعتبر ليفين أن خارج حدود المجال الحيوي الذي يحوي الشخص والبيئة النفسية يوجد العالم الفيزيقي أو المادي أو ما أطلق عليه أحياناً اسم الغلاف الخارجي للمجال الحيوي وكون المجال الحيوي للفرد محاط بالعالم الفيزيقي فهذا ليس معناه أن المجال النفسي الحيوي جزء من العالم المادي ـ فالمجال الحيوي والفضاء أو الغلاف الخارجي المحيط به هي مناطق متمايزة من هذا الكل الكبير أو العالم

ــ وهذا لا يهم علم النفس إلا من ناحية واحدة وهي أن الوقائع التي توجد في المنطقة الخارجية للمجال الحيوي النفسي للفرد والتي تسمى الغلاف الخارجي للمجال الحيوي يمكن أن تؤثر تأثيراً فعليا في البيئة النفسية أي أن الوقائع غير النفسية تستطيع أن تغير من الوقائع النفسية بل أنها تغيرها بالفعل.

السلوك:

يعتبر السلوك جزء من حيز الحياة بجانب الشخص والبيئة السيكولوجية ويشير لفظ السلوك إلى أي تغير في المجال الحيوي ويقصد أي تغيير يخضع للقوانين السيكولوجية ورغم ذلك فليست كل الحركات التي يقوم بها الفرد والتغيرات التي تحدث في البيئة والناتجة عن أفعال الشخص سلوكاً.

فمثلاً إذا قذف طفل ما بكرة فاصطدمت الكرة صدفة بلوح زجاج فكسرته ــ فكسر لوح الزجاج لا يمكن حسب رأي ليفين أن يعد جزء من سلوك الطفل.

فالسلوك معناه عند ليفين يجري في المجال الحيوي للفرد أكثر مما يجرى في المجال الخارجي.

فخصائص المجال الحيوي أو الشخصي يمكن استنتاجها إذا من السلوك الذي نلاحظه في بيئة تقوم بملاحظتها ومع ذلك فبسبب أن كثيراً من مظاهر المجال الحيوي تميل إلى البقاء كما هي فترة طويلة من الزمن رغم التغيرات الوقتية لخصائص أخرى فإن معرفة هذه الخصائص ومعرفة السلوك الملاحظ يمكننا من القيام باستدلالات عن البيئة الموضوعية التي يعيش فيها الفرد.

ويعرف ليفين السلوك بأنه وظيفة كل من الفرد النفسي والبيئة النفسية معا ومن الفرد النفسي والبيئة النفسية يتكون الحيز الحيوي أو المجال النفسي وفي الحيز الحيوي يكون الفرد والبيئة في عملية تفاعل متبادلة كما يكونان في حركة مستمرة من الاعتماد المتبادل – ويرى ليفين أنه من الصعب معالجة أحدهما دون الآخر فهما معا كل واحد.

ويذكر ليفين أن السلوك الحادث لا يتأثر بالماضي أو المستقبل – ويقرر أن الوقائع الحاضرة وحدها هي التي تستطيع أن تحدث سلوكا حاضرا – أما الوقائع الماضية فلا تؤثر في الحاضر فوقائع الطفولة لا تؤثر على سلوك الراشد ما لم يظل وجوده مؤثراً طوال رحلة النمو من الطفولة إلى الرشد – وعلى ذلك فإن اتجاهات الشخص ومشاعره وأفكاره الباقية عن الماضي والحاضر وآمال المستقبل قد يكون لها تأثير على سلوكه الحاضر ولذلك فإنه يجب تمثيل الحاضر بوصفه محتويا على الماضي النفسي وعلى المستقبل النفسي.

ديناميات الشخصية:

إن التمثيلات البنائية لحيز الحياة تبين لنا كيف يبدو حيز الحياة هذا في لحظة زمنية معينة – ولكنها لا توضح لنا كيف يبدو الشخص حين يبدأ في السلوك أي أنها لا تفسر لنا السلوك في موقف فعلي ولكي نفهم السلوك فإننا في حاجة إلى مفاهيم دينامية.

ويشبه ليفين التمثيل البنائي لحيز الحياة بخريطة الطريقة – فالخريطة الجيدة تحتوي على جميع المعلومات التي يحتاج المرء إلى معرفتها لمعرفة الطريق كذلك فإن البناء الجيد لحيز الحياة أي الشخص

ومجاله لابد أن يحتوي على الوقائع التي تلزم لتفسير السلوك المحتمل للشخص ولكن كما أن الخريطة لا تحدد أي طريق سيسلكه الشخص كذلك فإن بناء حيز الحياة لا يحدد كيف سيسلك الشخص بالفعل.

ولقد وضع ليفين مجموعة من المفاهيم الدينامية الرئيسية هي الطاقة، التوتر، الحاجة والتكافؤ والقوة أو الكمية الموجهة، الفعل، التحرك.

الطاقة Energy:

يرى ليفين أن الشخص نظام معقد من الطاقة فإن الطاقة التي تؤدي عملاً نفسياً تسمى طاقة نفسية.

وتنطلق الطاقة النفسية عندما يحاول الجهاز النفسي (الشخصي) العودة إلى التوازن عند ازدياد التوتر في جزء منه بالنسبة لبقية أجزائه يؤدي إلى عدم التوازن سواء أكان ذلك نتيجة تنبيه خارجي أو تغير داخلي وعندما يتساوى التوتر داخل الجهاز كله مرة أخرى يتوقف توليد الطاقة ويتجه النظام إلى الراحة.

التوتر Grisis

يرى ليفين أن التوتر حالة يكون عليها الشخص نتيجة نقص التوازن أو هو حالة المنطقة الشخصية الداخلية بالقياس إلى المناطق الشخصية الداخلية الأخرى.

وللتوتر خاصيتين أساسيتين هما:

- أن حالة التوتر في منطقة ما أو نظام ما تميل إلى معادلة نفسها بكمية التوتر في المناطق أو النظم المجاورة. وتسمى الوسيلة

النفسية التي يتم عن طريقها تعادل التوتر باسم "عملية Process وقد تكون العملية تفكيراً أو تذكراً أو وجداناً أو إدراكاً أو عملاً وما يشبه ذلك.

فمثلا الشخص الذي يواجه عمل يقتضي حل مشكلة ما يصبح متوتراً في أحد نظمه ولكي يحل هذه المشكلة حلاً مقبولاً وفي هذا الوقت يعود الشخص إلى حالة التوازن. والتوازن يعني إما أن التوتر داخل النظام الكلي متعادل أو أنه نظاما جزئياً يوجد به قدر غير متعادل من التوتر معزولاً عزلا محكماً ومنفصلاً عن بقية النظم الشخصية الداخلية. ويختلف الشخص الذي يقيم توازنه على مستوى مرتفع من التوتر بدرجة واضحة عن الشخص الذي يقيم توازنه على مستوى منخفض من التوتر نفس الحالة الأولى يكون الضغط على الأجهزة الحركية أشد كما أن هناك احتمال تسريب الطاقة باستمرار إلى الأجهزة الحركية ويكشف مثل هذا الشخص عن قدر كبير من النشاط المشتت غير المستقر.

- إن التوتر يواصل الضغط على حدود المنطقة أو النظام فإذا كانت الحدود تتميز بالصلابة بصفة خاصة فإن انتقال التوتر من نظام إلى النظم المجاورة له سيعوق، أما إذا كانت الحدود ضعيفة فإن التوتر ينتقل بسهولة من منطقة إلى أخرى أو من نظام إلى بقية النظم. وعادة ما يشارك نظام توتر معين في حدوده في أكثر من نظام آخر من نظم التوتر وفي مثل هذه الحالات قد يكون المقاومة في جزء من الحدود أضعف من مقاومة أجزاء أخرى من نفس الحدود ويسمح هذا للتوتر بالمرور في اتجاهات معينة بقدر من الحرية لا يسمح به في اتجاهات أخرى.

يرى ليفين أن الحدود تمثل من الناحية الدينامية منطقة مقاومة أو حاجز فهي كحاجز تمثل قوة صادة أو مانعة.

الحاجة Need .

وهو اصطلاح أدخله ليفين في علم النفس في الثلاثينيات ويعني شعور المرء بأنه ينقصه شيء أو يلزمه شيء أي أنها حالة داخل الفرد والتي قد تخفض التكيف المشبع للبيئة وقد تكون الحاجة حاجة فسيولوجية كالجوع والعطش أو الجنس وقد تكون رغبة في عمل أو في قدر من المال وقد تكون قصدا لعمل شيء كاتمام عملى أو المحافظة على موعد، والحاجة الضرورية للبقاء الجسمي تسمى بالحاجات الأولية فالطعام يعتبر حاجة أولية Primary need إلا أن الحب ليس كذلك حين يعتبر حاجة ثانوية Secondary need ولكن إشباع هذه الحاجات الثانوية ضروري للنمو السوي للكائن الأولي فعلى الرغم من أنها ليست ضرورية للبقاء المادي للإنسان إلا أنها تأتي عن طريق التعلم لتكون ذات أهمية وفاعلية في التكيف الأفضل للإنسان.

والحاجة عند ليفين مساوية لمصطلحات كالدافع والرغبة والحافز وتبعا لذلك فإن حاجات الطفل تحدث الحافز drive وهو حالة داخلية تجبر الطفل على النشاط والحركة فعندما يكون الرضيع في حاجة إلى الطعام يصبح أكثر نشاط يتلوى ويصيح ويرى ليفين أن ما يفعله الرضيع يكون دليل لحافز الجوع لديه والاتجاه الذي يتخذه نشاط الحافز بصورة أولية قبل التعلم يكون غير متميز.

فعلى الرغم من أنه قد يكون معدل النشاط عال إلا أن الفرد منذ البداية لا يكون لديه هدف معين في تفكيره.

مثلاً ما نراه لدى المولود حديثاً فبعد ساعات قليلة من المولـــد نجد أن لديه حاجة قوية إلى الطعام وفـــي هـذا السـن لا نســتطيع الافتراض بصورة مؤكدة بأن الرضيـــع يعرفـون صـــدور أمهاتـــهم المخصصة لحاجاتهم حيث لا يكون لديهم حتى الآن الفرصة لاسـتقبال الطعام من خلال أفواههم. إلا أن حافز الجوع يجبرهم على نشاط عـلم حيث نجدهم يصيحون ويتلون من الجوع وكلما ازدادت الحاجة تبعـــا لرأي ليفين فإنها تفعل أو توجد الحافز المحصل أو الناشئ Resultant فكلما كانت الفترة أطول التي يقضيها الرضع بدون إطعام من الممكـن أن نتوقع أنه سوف يصيح لفترة أطول وبعد أن يطعم فقـط وتخفـض حاجته يمكن أن نتوقع بأن نشاطه سوف يتوقف وبطبيعة الحال نجـــد الرضيع كلما تقدم به العمر يخبر تخفيض الحافز من خلال صـدر الأم ــ ويسمى هذا السلوك بالسلوك الموجه وتحدث الدافعية فقـط عندمـا يتعلم الطفل من خلال اقتران هدف الموضوع مع تخفيـــض الحـافز كمباشرة نشاطات في طرق معينة للحصول على هدف معين ويـــرى ليفين في تفسير الدوافع أن النشاط بكل أنواعه يرجع إلى حالة توتـر ، والتوتر يمثل الحاجة للنشاط في رأيه أن التوتر والحاجة والدافع كلـها شيء واحد وحياة الإنسان من الوجهة البيولوجية أو البيولوجية النفسية هي توافق داخلي خارجي مستمر لاستعادة الاتزان.

ولم يحاول ليفين أن يضع مثبتا بجميع الحاجات ولا أن يـــرد الحاجات النفسية إلى حاجة واحدة فقد شعر أن معرفتنا محدودة جـــداً عن الحاجات بحيث يتعذر أن نضع لها نسقاً وترتيبا على نحو ما. وهو يرى أن الحاجات التي توجد حالياً لدى الفرد والتي تؤثر في الموقـــف الحاضر هي الحاجات الهامة وحدها وعلى سبيل المثال فإن كل فـــرد

قادر على أن يشعر بالجوع ولكن لا ينبغي أن ندخل هذه الحاجة في الاعتبار إلا حين تكون الحاجة للطعام مقلقة لتوازن الشخص.

ويقول ليفين "تقع مشكلة بزوغ الحاجات على مفترق الطرق بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس الارتقائي – وسيكولوجية الدوافع وقد عاق بحثها المحاولات التأملية والمفتقرة إلى النضج لتصنيف الحاجات في فئات قليلة. كما يرى أن كل حاجة واقعة عيانية ملموسة وما لم توصف بكل خصائصها وتفاصيلها فلن يستطع المرء فهم الواقع النفسي الحقيقي.

بالنسبة لكثير من الحاجات يمكن أن تميز فيها ثلاث حالات – حالات الجوع – حالات الامتلاء – الامتلاء المفرط ويقابل هذه الحالات على التوالي تكافؤ موجب متعادل وسلبي لحالات النشاط المتصلة بحالة معينة أو نظام توتر وفرط الامتلاء كالإسراف في أي شيء يؤدي إلى النفور والتقزز.

ويعني فرط الامتلاء أن الموضوع أو النشاط الذي كان مرغوباً من قبل قد أصبح غير مستساغ بفعل الخبرة المستمرة به وتظهر أعراض الامتلاء المفرط في النقاط السبع الآتية:

- ظهور وحدات فرعية في النشاط تؤدي إلى فقدان تكامل النشاط الكلي وفقد معناه.
- يصبح نوع أداء العمل أكثر ضعفاً.
- ميل متزايد لتغيير طبيعة العمل مصحوبة بميل للتشبع بسرعة من كل تغيير.

- الميل إلى محاولة جعل النشاط المتشبع نشاط جانبيا وذلك بالتركيز على شيء آخر عند القيام بالعمل.
- زيادة نفور الفرد من النشاط "الأنشطة المتشابهة" مصحوبة بزيادة تكافؤ الأعمال الأخرى المختلفة عنها.
- ثورات انفعالية.
- ظهور التعب والأعراض الجسمية المتشابهة والتي سرعان ما يتغلب عليها الفرد حين ينتقل إلى نشاط آخر.

ويذكر ليفين مجموعة من العلاقات الممكنة بين الحاجات منها:

- الإبدال:

فقد يريد الشخص مثلا أن يشاهد برنامجا تليفزيونياً ويريد أيضا أن يقرأ كتابا وبعد مشاهدة البرنامج قد يشعر بعدم الرغبة في قراءة الكتاب عندئذ نقول أن نشاط إبدال آخر حيث أدى إلى التخفيف من التوتر من النظامين.

- الاندماج:

إن السلوك في أي موقف معين ينتج عادة من ائتلاف مجموعة من الحاجات ولقد أطلق ليفين على الحاجة التي تشتق من هذا الاندماج حاجة مشتقة فالشاب الذي يرغب في دراسة الطب قد يشتق حاجته هذه من الحاجة إلى الشهرة والمال وقد تظل الحاجة المشتقة معتمدة على مصادرها وقد تستقل عنها.

- سيطرة حاجة على أخرى:

فإذا كان لدى الشخص حاجة قوية للقيام برحلة بحرية حـــول العالم فلكي يشبع هذه الحاجة فيتجه إلى توفير المال والحصول علـــى إجازة من عمله وشراء بعض لوازمه فالحاجة للقيام برحلة حول العالم تسيطر على مقاصده التي تتصل بالرحلة وهذه المقـــاصد المحكومـــة بحاجة تسيطر عليها وتعمل كما لو كانت هي نفسها حاجـــات ولذلـــك يطلق عليها أشباه الحاجات Quasi-needs.

ولذلك يفرق ليفين بين الحاجات وأشباه الحاجات.فالحاجة ترجع إلى حالة داخلية كالجوع أما أشباه الحاجة فهي مقصدا محددا كثيرا مـــا تشكله العوامل الاجتماعية.

ويؤكد ليفين أن مفهوم الحاجة هو المفهوم الذي يربـــط بيـــن جميع المفاهيم الدينامية الأخرى فالحاجة تطلق القوة وتزيـــد التوتـــر وتعطي القيمة أنها المفهوم الرئيسي أو المركزي الذي ينتظـــم حولـــه المفاهيم الأخرى.

التوتر والنشاط الحركي "الفعل":

ما هي العلاقة بين التوتر والفعل أو النشاط؟ قد نخمن أنه حين تتراكم ضغوط التوتر على أحد الحدود بين منطقة داخلية لدى الشخص ومناطق حركية لديه فإن فعلا ينتج عن ذلك.

إلا أن ليفين يرفض مثل هذا الموقف فالتوتر الضاغط علـــى الحدود الخارجية للشخص لا يمكن أن يسبب حركة ــ كذلك فـــهو لا يربط بين الحاجة أو التوتر والنشاط الفعلي عن طريق الجهاز الحركي وبين خصائص معينة للبيئة التي تحدد نوع التحرك الذي سيحدث وتلك

طريقة بالغة البراعة في الربط بين الدوافع والسلوك ـ وهناك حاجة إلى مفهوم التكافؤ والقوة لتحقيق هذا الهدف.

التكافؤ Ralence

ويقصد به تكافؤ منطقة في المجال النفسي عند الشخص ـ وهو خاصية تصورية ذهنية لمنطقة ما في البيئة النفسية للفرد.

وهناك نوعان من التكافؤ تكافؤ موجب وتكافؤ سالب والمنطقة ذات التكافؤ الموجب هي تلك التي تحتوي على موضوع يهدفه الفرد ويؤدي إلى خفض التوتر إذا ما دخل الفرد هذه المنطقة ـ فالمنطقة التي تحوي طعاما ما يكون لها تكافؤ موجب بالنسبة إلى الشخص الجائع أما المنطقة ذات التكافؤ السالب فهي تلك التي تزيد من التوتر فالمنطقة التي تحتوي على كلب يكون لها تكافؤ سالب بالنسبة للشخص الذي يخاف الكلاب ـ والتكافؤ الموجب يجذب والتكافؤ السالب يطرد.

وتتحدد التكافؤات في الإحساس بواسطة الحاجات أي أن قيمة الطعام تتوقف على درجة جوع الفرد ومهما يكن من شيء فإن العوامل الأخرى تؤثر في التكافؤات أيضاً وعلى سبيل المثال فإن أطعمة معينة قد يكون لها حتى بالنسبة للشخص الجائع تكافؤ سالب إذا كان لا يميل إليها.

ولما كان وجود نظام ما في حالة توتر يؤدي إلى حدوث التحرك فقد احتاج ليفين إلى مفهوم آخر هو القوة أو الكمية الموجهة.

القوة أو الكمية الموجهة Rector:

يستخدم ليفين مفهوم القوة ليشير إلى النواحي الدافعية Motivation للسلوك فالفرد يختبر القوة السيكولوجية بطريقة شعورية

كعوامل دافعة نحو هدف Goal معين وتستنتج هذه القوى عن طريـق الحركات والتصرفات التي يأتي بها الفرد والتي تتجه نحـو الأشـياء والمواقف أو بعيد عنها أو عن طريق وجود مؤثرات داخل الفرد.

والقوة ليست توتراً ــ فالقوة الموجهة توجد في البيئة النفسـية بينما التوتر يعتبر خاصية للنظام الداخلي ــ الشخصي ــ وخصـائص القوة هي الوجهة والعزم ونقطة الانطلاق.

ويرى ليفين أن الوجهة التي تشير إليها الكمية الموجهة تمثـل وجهة القوة بينما يمثل طول الكمية الموجهة شدة القوى ويمثل المكـان الذي يرتطم به رأس السهم من الحدود الخارجيـة للشـخص نقطـة الانطلاق.

ويذكر ليفين أن اتجاه القوى وشدتها وظيفة للتكافؤات الموجبـة والسالبة لمنطقة أو أكثر في البيئة السيكولوجية فـإذا كـانت إحـدى المناطق في هذه البيئة ذات تكافؤ موجـب تحتـوي علـى الطعـام المرغوب فيه فإن القوة الموجهة التي تشير إلى اتجاه تلـك المنطقـة سوف تؤثر على الشخص ــ وإذا كانت هناك منطقة أخرى ذات تكافؤ سالب أي تحتوي على كلب مخيف فإن قوة موجهة أخرى تؤثر علـى الشخص وتدفعه بعيدا عن تلك المنطقة.

وإذا وجدت قوى موجهة أخرى عديدة كما في المثال السـابق ذي التكافؤ الموجب أي إذا كان الشخص متعبا وجائعا والطعام يحتـاج إلى إعداد أو أنه على الشخص أن يحضر اجتماعا مهما ولديه وقـت ليتوقف لتناول الغذاء في مطعم فإن الحركة الناتجة سوف تكون نتيجـة كل هذه القوى الموجهة وهذه المواقف كثيرا ما تتضمـن صراعـات نفسيه. أما إذا كانت هناك كمية موجهة واحدة فقط تؤثر على الشـخص

فسوف تكون هناك حركة أو ميل إلى التحــرك فــي وجهــة الكميــة الموجهة.

أما إذا كانت هناك كميتان موجهتان أو أكثر تدفعان الشــخص إلى وجهات عديدة مختلفة فإن الحركة الناتجة ستكون محصلـــة هــذه القوى مجتمعة.

وتتسق القوة مع الحاجة وترسل القوة الموجهة دائمـــاً خــارج الشخص وليس بداخله وذلك لأن القوى النفسية من خصائص المجـــال Field وليست من خصائص الشخص.

ولقد أوضح ليفين العلاقة بيــن التكــافؤ والقــوى أو الكميــة الموجهة كما يلي:

فهو يرى أن المنطقة ذات التكافؤ الإيجابي تتجه نحوها القــوى المؤثرة على الشخص بينما المنطقة ذات التكافؤ السالب فهي التي تتجه فيها هذه القوى المؤثرة إلى اتجاه مضاد فالمنطقة ذات التكافؤ الموجب تجذب والمنطقة ذات التكافؤ السالب تطـــرد. وترتبـــط شـــدة الكميـــة الموجهة بشدة التكافؤ بالبعد النفسي بين الشـــخص والتكـــافؤ وبـــالقوة النسبية للتكافؤات الأخرى.

التحرك:

مفهوم ليفين عن التحرك يشير إلى الحركة النفسية أكثر ممـــا يشير إلى الحركة الفيزيقية أي يشير إلى تحول من نقطة يركز عليـــها انتباهه وفكره إلى نقطة أخرى. فيتحرك الشخص خلال مجاله النفســي مدفوعاً بحاجة تطلق الطاقة وتستثير التوتر وتضعف قيمة إيجابية على المنطقة التي فيها ما يشبع هذه الحاجة فيتحرك الشخص نحو منطقـــة

إشباع الحاجة وقد تكون الحدود بين المناطق Regions سهلة العبور فيتحقق الإشباع ويزول التوتر وقد تكون الحدود صعبة العبور تحول دون الإشباع فيحاول الشخص اتخاذ ممرات جانبية للحركة Locomotion نحو الهدف وهو إشباع الحاجة.

فمثلاً الشخص الجائع تكون لديه حاجة إلى الطعام ويكون الهدف هو إشباع هذه الحاجة بوجبة غذاء ــ وهذه الحاجة تطلق الطاقة Energy وتستثير التوتر في منطقة شخصية داخلية هي الجهاز الهضمي وتضفى تكافؤ موجب على المنطقة التي يوجد فيها الطعام وتوجد قوة تدفع وتوجه وتحرك الشخص نحو الطعام ــ وقد يكون التحرك سهلاً ومباشراً نحو الهدف وقد يكون صعباً ومعوقاً فيحاول الشخص اتخاذ ممر جانبي للتحرك نحو الهدف ــ وهكذا يفسر ليفين التحرك في ضوء مفاهيم الحاجة والتوتر والقوة.

نستنتج من عرض المفاهيم الدينامية عند ليفين أن مفهوم الحاجة هو المفهوم الوحيد الذي يرتبط به جميع التصورات الدينامية الأخرى فالحاجة تطلق الطاقة وتزيد التوتر وتعطي التكافؤ وتخلق القوة.

فالطاقة هي مفهوم ليفين الرئيسي الذي ينظم حوله المفاهيم الأخرى.

ولقد استغل ليفين بذكاء هذه المفاهيم الدينامية التي وصف بها البيئة النفسية في إلقاء الضوء على طبيعة الأنماط Patterns المختلفة من مواقف الصراع.

ويرى ليفين أن مواقف الثواب والعقاب تتضمن صراعاً مــن نوع الإقدام أو من نوع الإحجام ففي المواقف المثابة نجد المتعلم يعاني من ممارسة العمل ولكنه لا يتركه بسبب جاذبية المكافأة المترتبة عليـه فيستمر في التعلم تحت صراع الإقدام وقد لجأ إلى التحايل للوصـــول إلى المكافأة كالغش في الامتحانات أما في المواقف المعاقبة فإن المتعلم يميل إلى ترك العمل الذي يمارسه تحت التهديد غير أن حواجز معينـة تحول دون ذلك فيستمر في العمل تحت صراع الإحجام.

ولقد حدد ليفين أربعة أنواع من الصراعات هي:

- **صراع الإقدام:** وفيه يكون الفرد في موقف وسط بيـــن تكـافؤين موجبين متساوي القوى تقريبا وينشأ الصراع حين يريـــد الفـرد الاختيار بين الموقفين اللذين لكل منهما جاذبية موجبـــة فكلاهمـا يوجه الفرد في نفس الوقت من الاقتراب من هدف معين والصراع في هذه الحالة لا يستمر طويلا حيث سرعان ما ينتهي الفرد إلـــى اختيار أحد الهدفين كأن يختار الطفل بين الذهاب إلى تناول الطعام أو الاستمرار في اللعب ويكون الاختيار على أسس أقربها منـــالاً بالنسبة إليه.
- **صراع الإحجام:** وفيه يقف الفرد بين تافؤين سالبين متساوي القوى تقريبا ويقوم بين دافعين يوجه لكل منهما الفرد في نفس الوقت إلى الابتعاد عن الهدف فكل من الموقفين قوة ســـالبة ففـــي صـــراع الإحجام يكون الفرد محصوراً بين قوتين تدفعه كل منهما بعيدا عن الهدف فيأخذ الفرد في التذبذب بين الطرفين ما لم يجد سبيلا ثالثاً.
- **صراع الإقدام والإحجام:** وفيه يتعرض الفرد لقـــوى متعارضـــة مستمرة من تكافؤات موجبة وسالبة فهناك دافعان يستثار أن فـــي

وقت واحد ولكن في اتجاهين متضادين فيكون لأحدهمـــا تكـــافؤ موجب وللآخر تكافؤ سالب كالصراع الذي ينشأ في نفس الطفـــل بين حبه لأبيه وكراهيته له.

وتكون نزعة الفرد إلى الإقدام قوية كلما كان بعيدا عن الهدف وليكن هدفا مخيفا فمثلاً على حين تكون نزعته لتجنب هذا الهدف أقوى كلما كان الفرد قريبا منه ولذا نلاحظ أن الفرد كلما كان بعيدا أو ميلـــه إلى الاقتراب بعض الشيء ثم التوقف بعد ذلك أما حين يكون قريبا من الهدف المخيف فإنه يحاول الابتعاد عنه قليلا ثم التوقف بعد ذلك ويظل الفرد في منطقة يحدث فيها حالة توازن بالنسبة إليه.

والحقيقة أن تحديد نقطة التقاء واقعة الإقدام والإحجام يتوقـــف على قوة كل منهما بالنسبة للآخر.

إعادة البناء الدينامي للمجال النفسي:

يرى ليفين أنه يمكن تغيير وإعادة بناء Structure ديناميـــات المجال النفسي بإحداث تغييرات في المناطق وخصائصـــها والحـــدود بينهما وفي القوى في المجال النفسي.

فمثلا يمكن تغيير البناء الدينامي للمجال النفسي عند اكتشـــاف حل جديد لمشكلة أو تذكر حدث منسي أو إدراك شيء جديد في المجال لم يكن مدركا من قبل أو اقتحام عوامل غريبة مـــن العـــالم المـــادي للمجال النفسي.

ويرى ليفين أنه من الممكن تغيير ديناميات البيئـــة النفســـية بأربع طرق مختلفة هي:

- تغيير قيمة المنطقة كميا فتتحول مثلا من منطقة أقل إيجابية إلـــى منطقة أكثر إيجابية كما يمكن أن تتغير كيفيا من منطقة إيجابية إلى

منطقة سلبية ـ ويمكن أن تظهر تكـــافؤات جديـــدة وأن تختفـــي تكافؤات قديمة.

- تغيير شدة القوى الموجهة أو تغيير وجهتـــها أو تغيـــير شـــدتها ووجهتها معاً.
- تغيير الحدود الفاصلة بين المناطق لتصبح أكثر صلابة أو أكـــثر ضعفاً أو تظهر حدودا جديدة أو تخفض حدود قائمة.
- تغيير الخصائص المادية للمنطقة من المرونـــة إلـــى الجمـــود أو العكس.

كما يرى ليفين أنه قد يحدث إعادة تكوين بناء البيئة النفســـية نتيجة تغيرات في نظم التوتر عند الشخص كنتيجة للتحرك او كنتيجـــة لعمليات معرفية ويحدث إعادة تكوين البناء المعرفي عندمـــا يكتشـــف الشخص طريقة جديدة لحل مشكلة ما (الاستبصار) أو يتذكر شيئا كان قد نسيه أو يدرك شيئا في بيئة لم يكن قد لاحظه من قبل كما قد ينتـــج إعادة تكوين البناء عند اقتحام عوامل غريبة من الغلاف الغريب للبيئة النفسية.

ومتى توافرت طرق كثيرة لإعادة بناء البيئة فإن هذا يعنـــي أن ليفين يؤكد على الجانب الدينامي في تصوره للشخصية.

فقد التوازن:

وفقد التوازن أو انعدام التوازن هو حالة عدم تساوي التوتـــر داخل المناطق المختلفة للشخص وارتفاع التوتر في النظام كله وتزايـــد الضغط Stress الواقع على الحدود الفاصلة بين المنطقة الشـــخصية ـــ الداخلية وبين المنطقة الإدراكية ـــ الحركية وإذا تكرر هـــذا مـــرارا

تراكم واشتد التوتر الداخلي Cintermal لا تتحمله حـــدود المنطقـــة الشخصية الداخلية ــ يحدث اندفاع مفـــاجئ للطاقـــة فـــي المنـــاطق الإدراكية الحركية يؤدي إلى حدوث سلوك هياجي.

المحافظة على`التوازن (استعادة التوازن) Homeostasis

تعتبر المحافظة على حالة التوأزن عند الشخص هدفا لجميـــع العمليات السيكولوجية وللعودة إلى حالة التوازن عدة طرق يقوم بـــها الشخص في المجال النفسي منها:

- تحرك مناسب في المجال النفسي يؤدي إلى منطقة إشباع الحاجـــة وتحقيق الهدف فالشخص المتوتر لأنه جائع يؤدي حصوله علـــى الطعام إلى إزالة التوتر وإشباع الحاجة والعودة إلى التوازن. وهي أكثر الطرق انتشاراً لاستعادة التوازن.
- تحرك بديل يؤدي إلى خفــض التوتــر والعــودة إلــى التــوازن Equilibrium ويتحقق هذا في حالة وجود اعتماد متبادل وثيـــق بين حاجتين بحيث يؤدي إشــباع إحداهمـــا إلـــى إزالـــة التوتـــر المصاحبة للحاجة الأخرى.
- ويمكن إنقاص التوتر إلى حد ما بواسطة التحرك التخيلي الصرف وتستطيع أن نكتسب نوعان من الإشـــباع البديـــل عـــن طريـــق الانغماس في أحلام اليقظة وفيها أنك صرت إلى ما تريد أن تكون عليه أو أنك تفعل ما يحقق رغباتك ولا ينبغي أن نعتقد أن العـــودة إلى التوازن تعني أن الشخصية يحتمل أن يحقق تسوية بين جميـــع التوترات التي تسود المنطقة الشخصية الداخلية.

ويوضح ليفين أنه في النظم المعقدة لا يقصد باستعادة التـوازن فقدان التوتر وإنما يقصد توازن بين التوترات الداخلية.

نمو الشخصية:

تعتبر نظرية ليفين في نمو الشخصية نظرية سيكولوجية ولذلك فهو حين يناقش النمو فإنه لا يتناول مسألة شغلت معظـــم المنظريـــن الآخرين وهو الطبع والتطبع، ولم يرفض ليفين الـــدور الـــذي تلعبـــه الوراثة والنضج في نمو الفرد وارتقائه كما أنه لـــم يذهـــب إلـــى أن آثارهمالا مغزى لها ولكنه يرى طالما أن الوراثة والنضـــج يدخـــلان ضمن نطاق الوقائع البيولوجية فهما بالتالي يوجدان خارج حيز الحيـــاة Life speace مع الظواهر الفيزيقية والاجتماعية ولهذا فـــإن ليفيـــن يتجاهلهما.

ويتناول ليفين بعض التغيرات السلوكية التي تحدث خلال النمو ويقول أن هذه التغيرات تنتج عن التنـــوع فـــي نشـــاطات الشـــخص وانفعالاته وحاجاته ومعلوماته وعلاقاته الاجتماعية التي تـــتزايد مـــع نموه. ومع النمو يتزايد تنظيم نشاطات الشخص وفـــي نفـــس الوقـــت يتزايد التعقيد الذي يطرأ عليه وتمتد مناطق النشاط مع النمو فيســتطيع الشخص القيام بسلوك جديد لم يكن ممكنا من قبل ومع النمـــو أيضـــاً يتزايد الاعتماد المتبادل للسلوك بمعنى حدوث تكـــامل Integration بين الأفعال المستقلة في شكل سلوك كلي وتزايد درجة الواقعية واتجاه الشخص نحو الواقع Realily والحقيقة.

ويزداد التفاضل أو التمايز في جميع جوانب المجال النفسي مع النمو ويزداد التفاضل والتمايز بين الماضي والحاضر والمستقبل وبين

الواقع واللاواقع وبين الحقيقة والخيال. وبين الإمكـان والاحتمـال — ومع النمو يتزايد عدد الحدود الفاصلة بين المناطق وتختلف من حيـث القوة وتصبح الحدود بين الشخص ومجاله النفسي أقوى من ذي قبـل. ويقل تأثير المجال على الشخص عن ذي قبل ومع النمو يزداد التكامل في السلوك.

ويرى ليفين أن النمو عملية مستمرة يصعـب تقسـيمها إلـى مراحل منفصلة ولكنه يقول أن تغيرات ارتقائية هامة تحدث في حوالي سن الثالثة وأن فترة من الاستقرار Stablity النسبي تعقبـها حتـى المراهقة — التي تعتبر مرحلة إعادة التنظيم الدينامي ويتـم النضـج والاستقرار في الرشد.

ويعتقد ليفين أن استخدام مقاييس السن لوصف النمو لا يكفـي في الحقيقة لفهم النمو النفسي. فلابد في النهاية مـن الاسـتغناء عـن مقياس العمر وأن نفضل عليه درجات التمايز، والتنظيم والتكامل ومـا يشابهها كما أن على علم النفس أن يتخذ هدفا لـه اكتشـاف الوقـائع الدينامية المتزاملة والتي تقدم ظروف التغير في الوقت الذي يحدث فيه فلا يكفي أن نقول أن الأطفال في السادسة من عمرهم يفعلون أشياء لا يفعلها الأطفال في الثالثة من عمرهم وأن على المرء أن يفسـر هـذا التغير باستخدام مفهومات نظرية المجال.

النكوص:

على أي نظرية للنمو والارتقاء أن تدخل في اعتبارها أشـكال النكوص التي تحدث من وقت لآخـر. ولقـد أسـهم ليفيـن ببعـض الاسهامات الهامة نظرية وتجريبية في فهمنا للنكوص فهو يفرق بين:

- الارتداد Retrogession

ويشير الارتداد إلى العودة إلى شكل مبكر من أشكال السلوك.

- النكوص Regression

يشير النكوص إلى أي تغير إلى شكل أكثر بدائية من أشـــكال السلوك وبصرف النظر عن احتمال أن الشخص نفسه قد سلك علـــى هذه الصورة فيما مضى. وأنه لأسهل بكثير أن ندرس النكوص من أن ندرس الارتداد كما يعرف هو هذه الاصطلاحـــات ذلـــك ليـــس مـــن الضروري أن نتحقق من أن السلوك قد وقع فيما مضى في حياة هؤلاء الأفراد كما أن المجرب بالإضافة إلى ذلك. يستطيع أن يســـتفيد مـــن معايير السن التي تم تحديدها لمختلف أشكال النشاط فإذا كان الأطفـــال في الثانية من عمرهم مثلاً يلعبون بالدمى بصورة معينة علـــى حيـــن يلعب الأطفال في الرابعة من عمرهم بالدمى بطرق مختلفة. فإن المرء يستطيع أن يتساءل تحت أي من الظروف سينكص أطفال الرابعة إلـــى مستوى لعب أطفال الثانية. ولقد أجرى ليفين وزملائه تجارب من هـذا النوع ووجدوا أن الإحباط هو أحد العوامل التي تحدث النكوص.

وقد تحدث ليفين عن الشخصية السيكوباتية فقد أطلـــق لفـــظ السيكوباتية بغير تحديد على أنماط مختلفة من السلوك غـــير الســـوي بالنماذج الآتية:

- مدمنوا الخمر.
- مدمنوا المخدرات.
- المنحرفون جنسياً.
- السيكوباتيون الهستيرون.
- السيكوباتيون العدوانيون.
- السيكوباتيون المكفوفون أو الخجلون
- السيكوباتيون الذي يظهرون نماذج أخرى من السلوك العصابي.

- المجرمون السيكوباتيون.

التغيرات السلوكية:

تناول ليفين بعض التغيرات السلوكية التي تحدث خلال النمـــو وبين أن هذه التغيرات تحدث نتاجاً للتنوع في نشاطات الفرد وحاجاتــه ومعلوماته وعلاقاته التي تتزايد مع نموه. وهذا التنوع قد يبــــدأ فـــي التناقص في وقت متأخر من الحياة وفضلاً عن ذلك فإننا مـــع نمونـــا نكتسب حرية في الحركة وامتداد في الزمن مثلاً الأطفال الصغار أبناء الحاضر إلى حد كبير ومع تزايد نضجهم يبدأون فـــي التفكـــير فـــي الماضي والتخطيط للمستقبل وبالتالي يستوعبون في حيز حياتهم الحالي منظوراً زمنياً أطول من أن يكون دقائق معدودة أو ساعة أو بعـــض ساعة أو يوماً أو بعض يوم ومع التقدم في العمر يظهر الفرد شـــواهد على عدد من التغيرات الهامة في التنظيم كما يصبح السلوك أيضـــاً ذا تنظيم هرمي وأكثر تعقيداً.

من المعروف أن سلوك الوليد يتضمن عادة استجابات موزعـة على الجسم كله ويطلق ليفين على هذا النشاط الكلي اعتماد بيني بسيط أي أن أنظمة التوتر لدى الطفل الصغير تبادلية ــ أي أنه مهما كـــان مصدر التوتر جوعا أو عطشا أو بللاً أو خوفا فإن التوتر ينتشر علـــى نحو متساو في الكائن الحي كله مما يؤد إلى نشاط كلي.

ويرى ليفين أنه مع تزايد النضـــج يجـــيء الاعتمـــاد البيئـــي التنظيمـــي Organizational interdependence ويتكـــون هـــذا الاعتماد التنظيمي من ربط وتكامل أشـــكال النشـــاط المنفصـــل، أو الحاجات في كل أكبر.

فمثلاً بناء بيت يتطلب من الشخص أن يجمع بين عـــدد مـــن الأنشطة معا كوضع خطة، وجمع المواد، القيام بأعمال النجارة.

ويشير ليفين إلى أن النشاطات الكلية تتناقص بتقدم السن علـــى حين يتزايد التنظيم الهرمي. كما تتذبذب درجة الوحدة المبنيـــة علـــى تبادل الاعتماد التنظيمي بتقدم السن.

وكذلك تحدث ليفين عن مفهوم الواقعية واللاواقعية فالواقعيـــة تتضمن حركة فعليه واللاواقعية تتضمن حركة تخيليـــة أو وهميـــة ــ فمثلا يستطيع الشخص أن يحل مشكلة حلا واقعيا في إطار الواقع وقـد يحلها حلا لا واقعياً في حلم اليقظة. وتزداد الواقعية في الإدراك علـــى وجه الخصوص في مجال العلاقات الاجتماعية.

إن الميل المتزايد في الاقتصاد في أفعالنا كما يرى ليفين دليـــل على النضج والكفاح لتحقيق أقصى نتائج بأقل جهد في عمل يتطلـــب تشكيل حياتنا بل يتلاءم مع الخصائص الواقعيـــة للبيئـــة الخارجيـــة الفيزيقية الاجتماعية ومثل هذا السلوك يكون عادة سلوك الراشدين أكثر من كونه سلوك الأطفال.

التمايز والتكامل:

لقد وجد ليفين أنه يحتمل ألا نستطيع تطبيق أبســـط المبـــادئ الطوبولوجية على الوليد الجديد وذلك بسبب القصور في نمو مجالـــه الإدراكي. ولذلك ينبغي أن نبدأ بالرضيع لأن حيز الحياة يمثل الوقـــائع الممكنة الكلية وهذا الكل محدود جدا بالنسبة للرضيع ومن هنـــا فإننـــا نتوقع تمايز قليلاً جدا في البيئة السيكولوجية وفي منطقة الشخص.

والتمايز مفهوم من مفاهيم ليفين الأساسية وهو يفيد في تفسير التنوع المتزايد في السلوك وحرية الحركة المرتبطة بالقدرة على القيام بأشياء مختلفة وكثيرا امتداد الزمن والتمييز بين ما هو واقعي وما ليس كذلك.

ويعرف ليفين التمايز باعتباره تزايد في عدد أجزاء الكل ويتضاعف عدد المناطق أو الخلايا في المجال الداخلي الشخصي مع التقدم في العمر ويتزايد أيضاً عدد المناطق في البيئة السيكولوجية مع هذا التقدم.

وفي تعلمنا للتميز بين الواقع واللاواقع فإننا نتعلم أن نميز لا بين الحقيقة والخيال فحسب بل وكذلك بين الدرجات المختلفة من الممكن والمحتمل.

ومع تزايد التمايز تنشأ كثير من الحدود وبصفة عامة فإن قوة الحدود تتزايد مع العمر وهذا يفسر تناقص القابلية للتشتت مع التقدم في العمر. ونمو القدرة على الانغماس في أنماط سلوكية معقدة. فالطفل معرض بدرجة أكبر للتأثر بالبيئة أكثر من الرشاد ويستطيع بناء على ذلك أن يتخلص من التوتر بسهولة أكثر وعلى نحو مباشر.

ويمكن أن يفسر التمايز وتزايد الانفصال بين المناطق كثيرا من التغيرات الملاحظة في السلوك ولكنهما لا يستطيعان تفسير تزايد السلوك من حيث التنظيم والتكامل مع التقدم في العمر. فلابد من مفهوم آخر وهو ما يسميه ليفين الاعتماد البيئي التنظيمي كما ذكرنا من قبل وهذا المفهوم يفسر لنا كيف تصبح المناطق المختلفة للشخص والبيئة منظمة على نحو هرمي بحيث تعمل معاً وتنتج سلوكا متكاملاً على الرغم من تزايد استقلالها الذاتي – إن القابلية للتبادل السهل بين

المناطق أي من منطقة إلى أخرى يختفي ويظهر تنظيم هرمي كـــامل من العلاقات السائدة والتابعة ــ فمثلا تحكم المنطقة (أ) المنطقــة (ب)، تحكم المنطقة (ب) المنطقة (ج) ..هكذا.

فمثلاً قد يلعب الطفل الصغير بدمية بسيطة كان يضرب بـــها الأشياء أما الطفل الأكبر سناً فقد يلعب بالدمى لعبـــاً يتطلـــب تنظيمـــاً هرمياً معقداً للأهداف الفرعية ــ وكل هدف من هذه الأهداف الفرعيـة يتطلب مقاصد أو أشباه حاجات مؤقتة والتنسيق بينهما يحقق هدفاً أعلى ويفي بالأهداف الفرعية التي تندرج تحته.

ويشبه ليفين الوحدة التنظيمية للشخص بمنظمة لها رئيس واحد فعندما تنقسم هذه الرئاسة إلى رئاسات متعددة تتناقص الوحدة وعندمـــا يظهر رئيس مركزي جديد تزداد الوحدة ــ وعلى هذا فوحدة الشخص الراشد تتفرع وتتشعب بدلاً من أن تنمو في خط مستقيم.

تطبيقات نظرية المجال (ليفين):

تعتبر نظرية ليفين من أكثر النظريات انتشاراً فـــي التطبيـــق ويظهر ذلك من خلال تطبيقها في مجال التعليم وفي مجـــال الإرشـــاد النفسي والتوجيه وسوف نعرض لبعض التطبيقات التي تساعد المعلمـة كتربوية وكذلك كمرشد نفسي للصغار.

التطبيقات التربوية:

لقد كان لهذه النظرية والمفاهيم المتصلة بها آثار كبيرة علـــى عملية التعلم وأيضاً على المنهج وطرق التدريس.

ومن أهم الجوانب التي تتصل بعملية التعلم في هذه النظرية ما يلي:

- يتم التعلم من خلال عمليات التمايز والتعميم وإعادة بناء الحيز الحيوي بالنسبة للبيئة النفسية التي يتواجد الفرد فيها بطريقة ما تجعله يكتسب عمليات استبصار جديدة أو معاني جديدة لمناطق المجال المعرفي الذي يتصل بذاته أو أن الفرد يقوم بعملية إعادة صياغة إدراكية جديدة لهذا المجال وما يتضمنه من مناطق وظيفية ذات قيمة نسبية له ويترتب على ذلك أن تنشأ لديه حالة من التغيير في الدافعية والانتماء إلى الجماعة وإدراك الزمن وأيديولوجيته الاجتماعية مما يؤدي بالتالي إلى اكتساب الضبط الكافي لذاته وللعالم الخارجي المحيط به.
- وظيفة المعلم كموجه لعملية التعلم وكأهم عنصر من العناصر المؤثرة في توجيه التعلم أن يساعد الأطفال على تهيئة نمو عمليات الاستبصار التي تخدم مواقف التعلم المختلفة ولذلك فعلى المعلم تحديد الوضع النفسي بهذا الطفل بالنسبة لمناطق الحيز الحيوي له والتي تعتبر بمثابة الأهداف التي يسعى هذا الطفل إلى تحقيقها سواء ما هو ممكن من هذه الأهداف أو ما هو غير ممكن منها وفهم الوضع النفسي للحيز الحيوي لهذا الطفل يساعد على تحديد خصائص البيئة المعرفية المميزة له كما يساعد هذا الفهم على تحديد الإمكانات التي يرتكز عليها في حياته النفسية في المواقف التي يتعرف لها مستقبلاً أو مكونات الحيز الحيوي لهذا الطفل وكذلك العوامل التي تعمل خارج نطاق هذه المناطق.

- كما يجب على المعلم أن يحدد بدقة الخصائص الديناميكيـــة لـــهذا الحيز الحيوي بما في ذلك معوقات تحقيق الأهداف التـــي يســـعى الفرد إلى تحقيقها وأن يكون إدراك المعلم متسقا مع إدراك التلميـذ لذاته وللبيئة النفسية التي يتواجد فيها أي على المعلـــم أن يكـــون إدراكه للتلميذ ولبيئته من زاوية إدراك التلميذ إلى ذاته والى مجاله النفسي.

أما التطبيقات المتصلة بالمنهج وطرق التدريس فهي تتمثل في عدد من التطبيقات التربوية التي أبرزها مايلي:

- التأكيد على استخدام طريقة حل المشكلات واستخدام مواد وطـرق مفتوحة لتنمية الابتكارية وتشجيع الكشف.
- النظر إلى التعلم على أنه تفاعل بين المحتويات والتلميذ.
- الدعوة إلى ضرورة أن يكون هناك تفاعل مشترك بيـــن التلميـذ والمعلم وبين التلميذ وتلاميذ الصف الآخرين.
- قيام المعلم بإيجاد بعض الأهداف المشتركة بين التلاميـذ لتحقيـق الاهتمام المشترك بينهم.
- التأكيد على أن كثرة التكرار لا تؤدي في ذاتها إلى تحسين التعلـــم وإنما تؤدي إلى تحسين التنظيم الجيد للمشكلة.
- تسليط الأضواء على أهمية الجماعة التي ينتمي إليها الفرد كمصدر من مصادر الدافعية.
- التعرف إلى الأهداف التي يسعى الفرد إلى تحقيقـــها والمســـارات التي عليه أن يتبعها لكي يصل إلى هذه الأهداف بالإضافـــة إلـــى

تحديد العوائق التي قد تقيد حركة الفرد وتحول دون تحقيقه لبعض الأهداف بهدف اتخاذ الإجراءات الكفيلة لمواجهتها والتغلب عليها.

تطبيقات نظرية المجال في الإرشاد النفسي:

لم يكتب ليفين مباشرة عن تطبيق نظرية المجال في الإرشاد النفسي ولكنه طبق نظريته على دراسة السلوك في الطفولة والمراهقة وديناميات الجماعة وحل الصراع الاجتماعي – مشكلات جماعات الأقليات وإعادة التعلم وهذا يرتبط بطريق غير مباشرة بالإرشاد النفسي.

وقد حاول بعض علماء مدرسة الجشطلت تطبيق نظرية المجال في ميدان الإرشاد والعلاج النفسي ومن هؤلاء "بيراز" استخدم مصطلح علاج الجشطلت Gestal therapy منذ عام ١٩٥١.

ومن أهم تطبيقات نظرية المجال في الإرشاد النفسي ما يلي:

– عند الاستقصاء عن أسباب الاضطرابات والمشكلات النفسية يوجه الاهتمام إلى أمور هامة مثل:

- شخصية العميل وخصائصها المرتبطة بالاضطراب والمسببه له.
- خصائص حيز الحياة الخاص بالعميل في زمن حدوث الاضطراب.
- أسباب اضطرابه شخصياً وبيئياً مثل الاحباطات والعوائق المادية والحواجز النفسية التي تحول دون تحقيق أهدافه والصراعات وما قد يصاحبها من إقدام وهجوم غاضب أو إحجام وتقهقر خائف.

– ينظر إلى أعراض الاضطراب والمرض النفسي في مجال له عـــدة مكونات منها:

- مجال الفرد عند بدء رد الفعل للاضطراب أو المرض.
- مجال البيئة المادي والثقافي والاقتصادي.
- مجال المرشد والمعالج وتأثيره.
- مجال طريقة الإرشاد نظرياً وعملياً.

– في عملية الإرشاد والعلاج تؤكد نظرية المجال ما يلي:

- أهمية تغيير الإدراك: لأن طبيعة ما يدركه الشخص تتقرر بحالـــة مجاله الإدراكي ولأن سلوكه الشخصي هو وظيفة لحالـــة مجالـــه الإدراكي لحظة الإدراك.

والإدراك يتأثر بعامل الوقت إذ يجـــب أن يكـــون التعـــرض للموقف كافيا حتى يسمح للحواس بالقيام بوظيفتها بكفاءة. وتؤثر قيـــم الشخص وأهدافه على إدراكه وهو يدرك عادة ما يرغب في إدراكه أو ما تدرب على إدراكه ويلعب الإغلاق (أي ميل الخبرة الجزئية لإكمال نفسها) دوراً هاما في الإدراك ويؤثر إدراك التهديد أو الشعور به على مدى الإدراك ونوعه إذ يؤدي التهديد إلى تطبيق مجال الإدراك ويدفـــع الشخص إلى الاحتفاظ بتكامل تنظيم شخصيته باللجوء إلى حيل الدفـــاع النفسي المختلفة وهكذا تحتاج عملية الإرشاد إلى تغيير الإدراك.

- أهمية مساعدة العميل لجعل العوائق الموجودة في شخصيته أكـــثر مرونة ومعنى هذا جعلها أقل جمودا مما هي عليه ومساعدته فـــي وضع أهداف لحياته ومستويات طموح واقعية حتـــى لا يتعـــرض

للاحباط ــ ومساعدته في توسيع مجال حياته حتى تتوافــر لديــه المرونة ومساعدته على التقليل من جمود العوائق التي تحول بينــه وبين تحقيق أهدافه.

- أهمية تغيير مفاهيم الفرد واتجاهاته وهذا يتطلب تغييراً في ثقافتــه وفي قيمته وفي قيمه وهذا يتطلب بدوره ــ بين أشياء أخـــرى ــ تهيئة جو يتاح فيه حرية الاختيار مما ينتج تحقيق الهدف.
- أهمية التغيير خطوة خطوة Step by Stepإعادة التعليـــم حيــث ينظر إلى هذه الخطوات في إطار تدريجي.
- أهمية الاستبصار Insight في التعلم وفيه يؤدي البحث عن حـــل المشكلة إلى إعادة تكوين المجال وإعادة تنظيم المعلومـــات ممــا يؤدي إلى حل يبدأ وكأنه يــأتي فجــأة ــ ويتــم التوصـــل إلـــى الاستبصار في الإرشاد والعلاج النفسي وتعديل مجاله الإدراكــــي حتى يتم التوصل إلى الحل ويتطلب الوصول إلى حل بالاستبصار (تلقائياً وفجأة) إلى فترة (حضانة) تستغرق بعض الوقت.

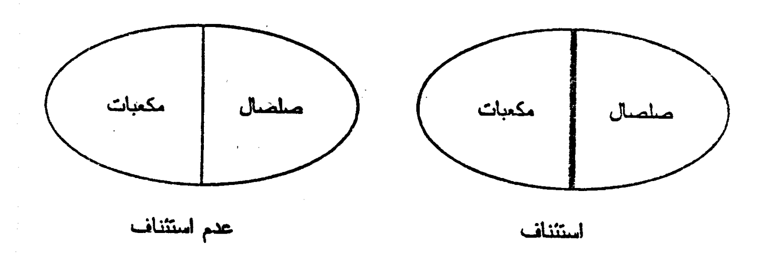
هذا وقد قام ليفين بكثير من الدراســـات وصمــم اختبــارات امبريقية للكثير من فروضة الأساسية ولعل أعظم إسهاماته تتجلى فـــي تأثيره في تلاميذه وزملائه بل وفي أجيال علماء النفس ممــن جــاءوا بعده.

وحتى ليفين الذي اشتهر هو نفسه كمنظر لامع كان دائما عالما نشيطا كان له فضل السبق في صياغة الاختبارات العملية التجريبيـــة لكثير من فروضه الأساسية ولقد انتقل حماسة البالغ للبحـــث لأجيـــال كثيرة من تلاميذه في ألمانيا والولايات المتحدة.

وكانت الدراسات التجريبية لليفين وتلاميذه الكثيرون تدور دائما حول نظريته. أي أنها كانت تجارب تجرى بقصد اختبار الفروض التي توحي بها نظرية المجال ولم تكن تجري بحال بقصد مجرد جمع الوقائع وجدير بنا أن نذكر في هذا الصدد الدراسات التي تمت عن مفهوم ليفين الخاص بنظام التوتر.

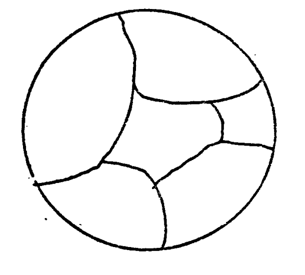
لقد خطط ليفين الاستراتيجية التجريبية الآتية:

لنفترض مثلا أن طفلا أتيحت له الفرصة ليبني شيئا ما بالمكعبات الخشبية ولنقل أن القصد إلى بناء منزل قد استثير في الطفل ولنتذكر أن القصد يتسق مع منطقة شخصية داخلية في حالة توتر وقبل أن تتاح للطفل فرصة إنجاز العمل ومن ثم يتخلص من التوتر تماما يقاطع ويعطي نوع آخر من مواد اللعب. كالصلصال مثلا ويستثار فيها قصد جديد كبناء حصان مثلا ويعني هذا تصوريا أن منطقة شخصية داخلية قد استحدث فيه حالة من التوتر ويسمح للطفل باتمام المشروع الثاني. ثم يعطي بعد ذلك الفرصة ليعود إلى العمل الذي لم ينجزه أي بناء المنزل بالمكعبات فإن لم يستأنف العمل المقاطع فإن هذا يعني أن التوتر في النظام الأول قد تم تعريفه عن طريق إنجاز العمل الثاني بذا يقال: أن العمل الثاني أصبح بديلا للعمل الأول. أما إذا كان الأمر على عكس ذلك واستأنف الطفل العمل المقاطع فقد دل ذلك على أن التوتر الخاص بنظام بناء المكعبات لم يمتصه النشاط الذي أكمل في بناء الحصان. أي أن النشاط المكتمل ليس له قيمة بديلة بالنسبة للنشاط المقاطع ويمكن تصوير كل من هاتين النتيجتين التمثيل التصوري الذهني كالتالي:

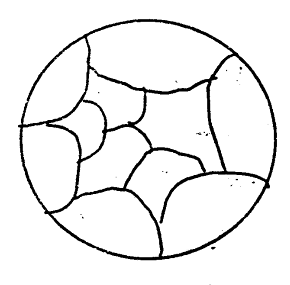


نجد في الشكل الأيمن أن المنطقتين يفصل بينهما حد قوى غير قابل للاختراق بحيث يحول دون تفريغ التوتر في نظام المكعبات عن طريق نظام الصلصال. أن التوتر المتبقي في نظام المكعبات يجعل الطفل يستأنف البناء بالمكعبات. أما في الشكل الأيسر فالحدود ضعيفة والتوتر في نظام المكعبات يمكن تصريفه بسهولة عن طريق نظام الصلصال.

وقد استخدم كوبكه Kopke خطة تجربة الإبدال لاختيار تطبيق خاص لنظرية ليفين في الشخص.



طفل ضعيف العقل



طفل سوى

فقد ذكر ليفين اعتقاده أن الحدود بين خلايا الغلاف الشخصي الداخلي للطفل الضعيف العقل يتعين أن تكون أكثر صلابة عن مثيلاتها عند الطفل العادي فإذا كان هذا الفرض صحيحاً فإن إمكان إبدال الأعمال عند الأطفال المتخلفين يكون أقل منه عند الأطفال العاديين: وقد أبدت نتائج كوبكة هذا الفرض ويصور شكل هذا الفرق بين خصائص الحدود عند الأطفال العاديين والأطفال الضعاف العقول.

ولقد أدى اهتمام ليفين بالديناميت الداخلية للدافعية إلى أن يبادئ بلا قيام بسلسلة أخرى من البحوث التي أجريت على عملية التشبع السيكولوجي وقد اكتشف كارستن Karsten ١٩٢٨ وتلاميذه آخرون

لليفين من أمثـــال كونيـــن Kounin ١٩٤١ وسيبشـــور وبلافيـــلاس Seashore & Bavelas أن الزمن المستغرق لبلوغ مرحلة التشـــبع بالعمل تتوقف على المعنى الشامل بســـياق النشـــاط، وعلـــى الحالـــة الفسيولوجية للشخص وعلى درجة جمود الأنظمة السيكولوجية البيـــن شخصية.

ولقد قامت كيت لسنر Kate Lissner عام ١٩٣٣ وهي إحدى تلميذات ليفين بتجربة عن إبدال العمل ــ درست تأثير تشـــابه العمـــل الثاني مع العمل الأول على التواصل بين نظامين للتوتر. وبينت أنـــه كلما إزداد التشابه بين العملين زادت فاعلية الإبدال وقل توتر أو تكرار الاستئناف التلقائي للعمل الأول كما بينت لسنر أن المجرب إذا أبـــرز الفروق بين العملية وهو يقدم تعليمات التجربة فإنـــه يـــزداد احتمـــال استئناف الأطفال للعمل الأصلي عما لو لم يؤكد المجرب علـــى هـــذا الاختلاف بين العملين.

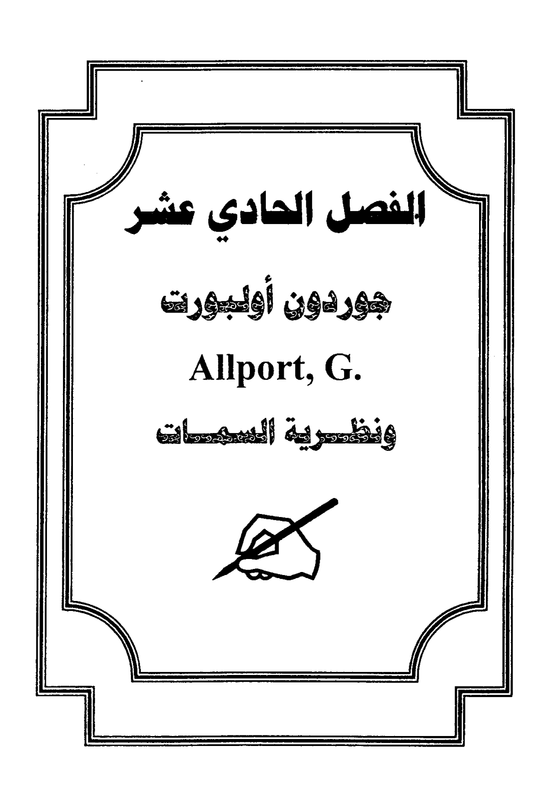
وإسهامات ليفين في علم النفس الاجتماعي وديناميات الجماعة غنية عن البيان كدراسة أنواع القيادات والأجواء الاجتماعية وتأثيرهـــا على الإنتاجية والتوافق.

وفي هذا المجال وضع مقياس ليفين للكفاءة الاجتماعية وهـــو يستخدم في قياس استقلال الأطفال المتخلفين عقلياً القـــابلين للتدريـــب Trainable من ذوي الأعمار خمس سنوات حتى ثلاث عشـــر ســـنة وأحد عشر شهرا ويطبق المقياس خلال مقابلة معدة ومرتبة مع شخص آخر تكون له صلة قوية جداً بالشخص المراد قياس كفاءته الاجتماعية ــ وهذا يعني أنه لا تجرى مقابلة مباشرة مع الشخص موضوع القياس

ويتكون المقياس من ٤٤ فترة مقسمة إلى أربعة مقاييس فرعيـــة هـــي (المساعدة الذاتية ــ المبادأة ــ المهارات الاجتماعية ــ الاتصال).

هذا وقد أدت نظرية ليفين إلى إجراء بحـــوث فـــي ظـــروف طبيعية على الأطفال في لعبهم، ووجه مزيد من الاهتمام إلـــى تـــأثير العوامل غير السيكولوجية على حيز حياتهم.





الفصل الحادي عشر

جوردون أولبورت

Allport, G.

ونظـرية السمـات

الفصل الحـــادي عشر

أولبـــــــورت

تابع جوردن أولبورت في اتزان طريقه الخاص مبينا أهميـــة الدراسة الكيفية للحالة الفردية ومؤكدا الدوافع الشعورية. ويمثل فكـــر أولبورت التآلف بين الفكر السيكولوجي التقليدي ونظريـــة الشـخصية خيرا مما يمثله أي من أصحاب النظريات المعاصرة الآخرين.

ويعد موقفه المنهجي استخلاصاً لأفكار مستمدة من مصــــادر ذائعة الصيت كسيكولوجيا الجشطلت، ووليام شيزن ووليـــام جيمـــس ووليام ماكدوجال. وذلك يتضح في عدم الثقة في الطـــرق التحليليـــة المألوفة في العلوم الطبيعية والاهتمام العميق بتفرد الفرد. وكذلك ثبات سلوكه ووحدته فضلاً عن اهتمامه بالذات وكذلك في شكوك دائمة فـــي القدرة المطلقة للمناهج السيكولوجية على إتاحة الوصف الكافي والفـهم الكامل منفر السلوك الإنساني وتأكيده البالغ على أهميـــة المتغـيرات الدافعية.

ولعل الخبرات التي حفلت بها بيئة أولبورت الأسرية هي التي دفعته إلى الاهتمام طيلة حياته بصالح الإنسان وهي التي برزت فـــي اتجاهه الإنساني في علم النفس.

فقد ولد أولبورت بولاية انديانا بالولايات المتحدة الأمريكية في نوفمبر (١٨٩٧) وكان أصغر الأبناء لأب يعمل طبيبـــا ولأم تعمـل معلمة.

ولقد التحق بجامعة هارفرد عام (١٩١٥) نتيجة لتأثير أخيه (فلويد) الذي أصبح عالماً نفسياً مشهوراً وكان قد تخرج من جامعة هارفرد قبله بسنتين وبعد تخرجه لم يكون واثقا في مطامحة المهنية ولم يكن قد حدد العمل الذي يريد أن يخصص حياته له وقض السنة الأولى بعد التخرج يدرس اللغة الإنجليزية وعلم الاجتماع في كلية روبرت مما دفعه إلى قبول منحة دراسية من جامعة هارفرد للدراسات العليا في علم النفس ولقد توقف أولبورت في طريق عودته إلى الولايات المتحدة في فيينا ليزور أحد أخوته وبينما هو في هذه الزيارة مر بخبرة كان لها أثر عميق على توجهه النظري في دراسة الشخصية. وهي زيارته لفرويد.

ولقد تعلم أولبورت من هذه الخبرة أن من الممكن بالنسبة لعالم النفس المتعمق أن يذهب في تعمق إلى حد يغفل معه حقائق أكثر أهمية ولقد شعر أولبورت أن لديه أسبابا شعورية صادقة لزيارة فرويد واختار تلك القصة الأمر الذي أدى إلى انشغال فرويد بالبحث عن الحقيقة العميقة وراء هذا السلوك مما حاد به عن حقائق هامة.

وقد حصل على درجة الماجستير عام (١٩٢١) والدكتوراه الفلسفة عام (١٩٢٢). ويتجلى شمول وتنوع جهوده الدراسية والعلمية في القضايا التي انشغل بها وظهرت في كتب ألفها وأبحاث قام بها واختبارات صممها بمفرده حينما وبالاشتراك مع آخرين حين آخر فله دراسات في الحركة التعبيرية وكتب عن سيكولوجية الراديو وسيكولوجية الإشاعة وطبيعة التعصب والفرد ودينه، هذا فضلا عن كتاباته الكلاسيكية في مجال الشخصية. وقد اشترك في وضع اختبارين نفسيين ذاع صيتهما وهما السيطرة والخضوع ودراسة القيم.

وقد كان أولبورت له وجهة نظر خاصة في قضية التعصب ورأى أن أكثر تعريفات التعصب إيجازاً هو أن "التفكير السيئ" عن الآخرين دون وجود دلائل كافية وقد وضع أولبورت مقياسا متدرجا من الأنشطة السلوكية التي يمكن أن تتولد نتيجة الحقوق بين المجتمعات.

ولقد كان أولبورت توفيقياً يأخذ الأفضل من نظريات عديدة في الشخصية ومن نظريات منوعة. ولكنه أنتقد بعض النظريات مثل التحليل النفسي والسلوكية. ويرى أولبورت أن هناك انفصالاً بين السوي والشاذ والطفل والراشد والحيوان والإنسان. وقد تكون لنظرية التحليل النفسي فاعلية كبيرة باعتبارها معبرة عن السلوك المضطرب أو الشاذ ولكنها تصبح ذات قيمة ضئيلة في محاولة لتفسير سلوك الإنسان السوي. وكذلك يعارض باستمرار الإسراف في الاستعارة من العلوم الطبيعية وذلك لاعتقاده بأن مناهج البحث والنماذج النظرية التي أثبتت فائدتها في العلوم الطبيعية تكون مضللة في دراسة السلوك الإنساني المعقد ولذلك فقد ظل ينتقد لسنوات طوال تقوقع علم النفس داخل جدران المعامل كما أن نشاطه في مجالات التعصب والعلاقات الدولية يعد من أكثر الأمثلة دلالة على تطبيق علم النفس في القضايا الاجتماعية.

بناء الشخصية ودينامياتها عند أولبورت:

لقد اعتدنا أن ننظر إلى كل بناء الشخصية وديناميات الشخصية على حده. وعلى أية حال فإن هذا التمييز لا يبدو قابلاً للتطبيق بالنسبة لنظرية أولبورت حيث يتم عرض بناء الشخصية أساساً من خلال مصطلحات السمات وفي نفس الوقت السمات هي التي

تدفع أو تحرك السلوك، فإن البناء والديناميات تكون في غالب الأحيان شيئاً واحداً.

وتتجلى نزعة أولبورت التوفيقية في ذلك التنوع الثري من المفهومات التي يميل قبولها باعتبارها تقوم بدور له بعض الفائدة وفي وصف السلوك الإنساني. وهو يعتبر أن التصورات الجزئية كالأفعال المنعكسة النوعية والتصورات الشاملة كالسمات الأصلية الجوهر لها قدر من الأهمية في فهم السلوك.

وبرغم اعتراف النظرية بجميع تلك التصورات فإن تركيزها الأساسي إنما ينصب على السمات وتحتل السمات في هذه النظرية موضع القوة الدافعية الرئيسية ولنتناول تعريف أولبورت للشخصية قبل أن نتناول مفهوم السمة بالتفصيل.

الشخصية والخلق والمزاج:

يميز أولبورت بين المصطلحات الأربع الآتية: الشخصية والخلق والمزاج والنمط.

أولاً: الشخصية:

لقد درس أولبورت خمسين تعريفاً للشخصية يقترحها مختلف الفئات الآتية في هذا المجال منها: التعريفات التاريخية للمصطلح، التعريفات اللاهوائية، التعريفات الفلسفية والتعريفات الفقهية، الاجتماعية، النفسية........

وخلص بعد مراجعة وفحص للتعريفات إلى تعريفه المشهور للشخصية ويعتبر تعريف يستريح إليه العلم اليوم. وهو: "الشخصية هي

التنظيم الدينامي داخل الفرد للأجهزة النفسية الفيزيقية التي تحدد للفـرد تكيفه الفريد مع بيئته".

وقد أدخل على هذا التعريف عام (١٩٦١) تعديلاً، فأحل عبارة "التي تحدد للفرد طابعه المميز في السلوك والتفكير محل عبارة "التـي تحدد للفرد تكيفه الفريد مع بيئته".

وثمة جوانب معينة من هذا التعريف تستوجب تأكيداً خاصاً.

فالشخصية نظام دينامي أي أنها ليست جمعاً مـن العنـاصر وإنما هي بيئة منتظمة ترتبط أجزاؤها بصلات التبعية المتبادلة وأنـه ليس بنظام أساس بل هو يخضع دائما وأبداً للتغير.

ووضع الأجهزة النفسية الفيزيقية:

بأن الجهاز هو وحدة بنيوية أي وحدة منتظمة البنية وإننا لنجد أجهزة كثيرة على مستويات أقل من مستوى الشخصية كما هو الحـال بالنسبة للأجهزة الفرعية من عادات واتجاهات وسمات ويشير التعريف إلى أن هذه الأجهزة هي نفسية ــ فسيولوجية وذلك لأن الوقائع العيانية لا يمكن أن تكون نفسية خالصة أو فيزيقية خالصة، فهي تعـبر عـن وجودها في صور فيزياقية وتنطوي في الوقت نفسه على دلالة نفسية.

تشير هذه اللفظة إلى صلة العلية ما بيـن الشـخصية كعلـة والسلوك كمعلول. فالشخصية هي هذا الجهاز الذي يحدد الأفعال.

أما عن الطابع المميز في السلوك والتفكير:

فقد نقد أولبورت تعريفه للشخصية فاستبعد عبارة "التي تحـدد للفرد تكيفه الفريد مع بيئته" ووضع مكانها "التي تحدد للفـرد طابعـه

المميز في السلوك والتفكير وقد فعل هذا الاعتقاد أن العبارة الأولى تدل على معنى البقاء وبالتالي إشباع الحاجات البيولوجية. ولكن التعديل الجديد تناول جميع أنماط السلوك والتفكير سواء ما تصل منها بالتوافق مع البيئة أولا ولقد اكدت الصياغتان للتعريف على أهمية التفرد في الشخصية.

ثانياً: الخلق:

وهي تتضمن حكما خلقيا على الشخص كأن نقول هذا الفرد حسن الخلق أو سيئ ويرى أولبورت أن الخلق مفهوم أخلاقي ويقرر أن "الخلق هو "الشخصية مقيمة وأن الشخصية خلق غير مقيم".

ثالثا المزاج:

يشير أولبورت إلى المزاج والذكاء والجسم باعتبارها المواد الخام التي تتشكل منها الشخصية وهي جميعاً تتحدد وراثياً وهو يعرف المزاج على أنه.

يشير المزاج إلى تلك الظواهر التي تميز طبيعة الفرد الانفعالية والتي تشمل على قابلية للاستثارة الانفعالية وقوة الاستجابة العادية وسرعتها ونوعية حالته المزاجية السائدة وجميع الخصائص المميزة لتقلب هذه الحالة المزاجية وشدتها وتعتبر هذه الظواهر معتمدة على التكوين الجبلي وبالتالي فإنها من حيث المنشأ وراثية إلى حد كبير.

رابعا: النمط:

النمط فئة يمكن أن يصنف فيها شخص شخصا آخر. فالأنماط طرق لتصنيف الناس ووضعهم في فئات. فإذا كان الشخص

يتصرف على نمو عدواني دائماً فقد نقول أنه من النمـــط العدوانـــي. ونستطيع أن نقول أن الشخصية تولد العناصر السلوكية التي يمكـن أن نصنفها بالأنماط أو الطرز.

السمة:

هي ميل محدداً واستعداد مسبق للاستجابة.

إن كل صفة تميز الشخص عن غيره من الناس تؤلف جانبـــاً من شخصيته فذكاءه ومواهبه الخاصة وثقافته وعاداته ونوع تفكـــيره وآراءه ومعتقداته من العناصر التي يتألف بعضها مع بعض لتكويـــن شخصية كذلك مزاجه ومدى نضجه الانفعالي وقدرته علـــى احتمـــال الشدائد وأسلوب حياته.

وقد مثل ذلك فيما يتسم به مـــن ســـمات اجتماعيـــة وخلقيـــة كسياسته لمشكلات المجتمع وما يصف به من صدق وكذب من رحمـة أو قسوة من انطواء أو انبساط ولا ننسى أخيراً مميزاته الجسمية هـــي جملة الصفات التي تميز الشخص عن غيره تمييزاً واضحاً.

ويعرف أولبورت السمة على أنها "نظام نفسي عصبي يتمـــيز بالتعميم والتركز أو يختص بالفرد، ولديه القدرة على نقل العديد مـــن المنبهات المتعادلة وظيفياً وعلى الخلق والتوجيه المستمرين لأشـــكال متعادلة، من السلوك التعبيري والتوافقي. فنجد أن أولبـــورت يحـــاول تفسير السلوك الظاهري بافتراض أن للفرد استعدادات معينـــة تحـــدد سلوكه وهي المسئولة عن الثبات الذي نلاحظه ظاهرياً في سلوك الفرد ويجدر بنا أن نلاحظ تأكيد هذا التعريف على الفردية وتضمنه أن الميل

لا يرتبط على نطاق ضيق بعدد صغير من المنبهات أو الاستجابات النوعية.

كيف تكتسب السمات:

أما السمات المزاجية التي تدخل في تكوين الشخصية كالحيوية أو الخمول وكدرجة التأثير الانفعالي. وكقوة الاستجابة أو ضعفها، سرعتها أو بطئها فتتوقف في المقام الأول على العوامل الوراثية منها حالة الجهازين العصبي والغددي وفيها عملية الأيض. لذا فهي ككل صفة فطرية، لا يحتاج ظهورها إلى تعليم خاص أو تدريب.

أما السمات الاجتماعية والخلقية فيبدأ الطفل في اكتسابها في سن مبكرة وهو لا يكتسبها عن طريق التعلم الشرطي وحده كما يزعم السلوكيون، بل وعن طريق المحاولات والأخطاء وعن طريق الاستبصار أيضا. هذا إلى ما تقوم به المحاكاة غير المقصودة والمشاركة الوجدانية والقابلية للإيحاء وعملية التقمص لها دور كبير في هذا الاكتساب وتؤكد مدرسة التحليل النفسي أن إحباط دوافع الطفولة يخلق سمات ثابتة باقية ومن هذا نرى أن التعلم المقصود وغير المقصود أو التعلم الناجم عن تربية الآباء وغيرهم هو العامل الرئيسي في تكوين السمات وتشكيل الشخصية إلا أن هناك عوامل أخرى تقوم بدورها إلى جانبه مثل الذكاء وما جبل عليه الفرد من دوافع قوية أو ضعيفة ومالديه من قدرة احتمال الإحباط أو الحرمان.

أنواع السمات:

إذا نظرنا الى السمات من ناحية محتوياتها فمن الممكن القول بوجود أنواع كثيرة ممكن من السمات وتحت هذا المدى من المحتويات

تندرج سمات الدافع التي تشير إلى أنواع الأهداف التي يتجه نحوها السلوك، وسمات القدرة التي تشير إلى القدرات والمهارات العامة والخاصة والسمات المزاجية كالنزعة إلى التفاؤل والاكتئاب والنشاط وغيرها والسمات الأسلوبية التي تتضمن الإيماءات وأساليب السلوك والتفكير غير المرتبط وظيفياً بأهداف هذا السلوك.

ويعتبر أولبورت أن سمات الشخصية يمكن ترتيبها في مدرج هرمي تبرز فيه سمة واحدة رئيسية أو عدة سمات مركزية يتبعها سمات متعددة ثانوية ويرى أولبورت أن الأشخاص الذين يتميزون بسبب سمة رئيسية تسيطر على سلوكهم وتجعلهم نماذج لقياس شخصيات الآخرين، قليلين نسبيا وأن المهم هو أن نعرف ما بين السمات من ترتيب وتنظيم وأهمية بعض السمات بالنسبة للبعض الآخر لكي نتمكن من وصف الشخصية، وقد ميز أولبورت بين نوعين من السمات الوراثية والظاهرية وأكد أن ما قد يظهر على أن نفس السمة عند عدد من الأفراد قد يرجع إلى مصادر مختلفة.

وقد أكد أولبورت فكرة أن السمات هي خصائص متكاملة للشخص وليست مجرد جزء من خيال الملاحظ ويمكن التعرف عليها من خلال الملاحظة وعن طريق الاستدلال مما هو مركزي وأساسي ومما هو هامشي وغير هام بالنسبة للشخص. كما أكد وحدة كل شخص ليس فقط في كل سمة فردية ولكن في تنظيم السمات في كل متكامل وقد ميز أولبورت بين سمات رئيسية وسمات مركزية وسمات ثانوية فبعض الناس تسيطر عليهم بؤرة والجدة للسلوك ويعرفون عادة بهذه السمة البؤرية وهذه البؤرة عندما توجد تمثل السمة الرئيسية ومثال ذلك "دون جوان الاسطوري" الذي خضع أسلوبه في الحياة إلى

مغامراته الجنسية الغيرية. وقد أعتقد أولبورت أيضا أن هناك عددا من أسماء السمات يتراوح من خمسة إلى عشرة ويغطي عادة الخصائص الأساسية التي تميز فرداً عن آخر وقد أطلق عليها اسم السمات المركزية أما السمات الثانوية فهي صفات أما هامشية أو ضعيفة ومن ثم فهي قليلة الأهمية نسبياً في تحديد الشخص وأسلوب حياته.

تصنيف السمات:

يذكر أولبورت أنه يوجد في اللغة الإنجليزية ما يقرب من (١٨,٠٠٠) مصطلح ومعظمها من الصفات التي تشير إلى أشكال محددة وشخصية من السلوك وقد أضطلع "أولبورت" أودبرت" بمهمة جمع هذه الأسماء التي تشير إلى السمات الإنسانية على أساس معيار هام هو قدرة المصطلح على تمييز سلوك أحد الآدميين عن غيره من الناس ثم صنفت إلى أربع أعمدة هي:

العمود الأول:

ويشمل السمات الحقيقية للشخصية والميول المحددة العامة والأشكال المنسقة والثابتة من توافق الفرد ببيئته، ويحتوي على ٢٥% من القائمة الإجمالية.

العمود الثاني:

يحتوي على المصطلحات التي تصف الأنشطة الراهنة والحالات العقلية والمزاجية الوقتية ويحتوي على ٢٥% من القائمة الإجمالية.

العمود الثالث:

ويحتوي على تقويمات للطباع بالإضافة إلى الأحكام الخلقيـــة وتمثل (٢٩% من القائمة) الإجمالية.

العمود الرابع:

وتحتوي على المصطلحات ذات القيمة في فـــهم خصـــائص الشخصية، وليس لها مكان في الأعمدة الســـابقة ولـــذا فـــهو عمـــود "المتنوعات" ويحتوي مصطلحات تهدف إلى تفسير الســلوك وأخــرى عن الخصائص الفيزيقية (ويشتمل على ٢١% من القائمة).

مقاييس الشخصية "مقاييس السمات":

يمكن قياس سمات الشخصية عن طريق موازيـــن للتقديـــرات التي يقوم فيها قاضي أو حكم بتقويم ما لدى الفرد من السمة وتـــتراوح الدرجات على موازين التقدير من أقل ما لدى الفرد من السمة إلـــى ٧ درجات وهي أعلى الدرجات.

وتقاس الشخصية باختبارات الحصر إذا كان النجاح في قيـــاس الذكاء قياساً موضوعياً حافز لمحاولة قياس سمات الشخصية بــــالمثل فوضعت اختبارات تشمل في العادة ما بين مائة وثلاثمائة مفـــــردة أو أكثر وعلى الفرد أن يجيب عليها بنعم أو بعلامة استفهام ويشترط فـــي هذه الاختبارات أن تكون لها درجة ثبات وصدق كما هو في اختبارات الذكاء وقد يقيس الاختبارات سمة واحدة أو قد يقيس عدة سمات.

معايير لتحديد السمة:

وضع أولبورت ثمانية معايير لتحديد السمة وهي:

- السمة لها أكثر من وجود اسمى (أي أنها عادت على مستوى أكثر تعقيداً).
- السمة أكثر عمومية من العادة (فعادتان أو أكثر وتتسقان معا فـــي صورة سمة).
- السمة دينامية أو على الأقل تلعب دوراً واقعياً محـــرك فـــي كـــل سلوك يقوم به الفرد.
- وجود السمة قد يتحدد تجريبياً أو إحصائياً.
- السمات مستقلة نسبياً فقط كل منها عن الأخرى (وهي عادة ترتبط ارتباط موجبا إلى درجة ما).
- سمة الشخصية إذا نظر إليها من الناحية السيكولوجية لا يكون لـــها دائماً نفس الدلالة الخلقية. بمعنى أنها قد تتفق أو لا تتفق والمفـــهوم الاجتماعي المتعارف عليه.
- الأفعال والعادات غير المنسقة وسمة ما ليست دليلاً علـــى عـــدم وجود السمة (فقط تظهر سمات متناقضة لـــدى نفـــس الشـــخص كالنظافة والإهمال).
- السمة قد ينظر إليها في ضوء الشخصية التي تحتويها أو في ضوء توزيعها في المجموع العام من الناس. أي أن السمات قـــد تكـــون فردية وهذا ما أسماه أولبورت فيمـــا بعـــد باســـم الاســـتعدادات الشخصية أو قد تكون سمات عامة مشتركة.

إن من الضروري أن نميز بين مفهوم السمة وبين المفـــاهيم المقارنة له:

السمات ليست عادات:

تعد كل من السمات والعادات ميولا محددة ولكن السمة أكـــثر عمومية سواء من حيث المواقف الخاصة بها أو من حيث ما تـــؤدي إليه من استجابات.

فإن السمة عادات على مستوى أكثر تعقيداً وهي أكثر عمومية من العادة لأنها تجمع عدة عادات تنتظم وتتسق معاً وليـــس للعـــادات القدرة على السيطرة على السمات ولكن السمات قد تحمل الفرد علـــى اكتساب عادات جديدة منسقة معها.

السمات ليست اتجاهات نفسية:

يعد التمييز بين السمة والاتجاه أمر أكثر صعوبة إلى حد مـــا ويعتبر أولبورت كلاً منها عبارة عن استعدادات مسبقة للاستجابة كمـــا أن كليهما نتاج مشترك بين العوامل الوراثية والتعلم وقد يختلف الاتجاه في عموميته من التخصص الشديد إلى العمومية النسبية علـــى حيـــن يجب أن تكون السمة عامة دائماً.

التعبير الثاني أن الاتجاهات النفسية عادة تتضمن التقويم أي أن الاتجاهات عادة تكون من شيء أو ضدها أي أنها إما أن تكون موجبة أو سالبة وتتضمن تقبل شيء أو نبذه أما السمات فإنها مســـئولة عـــن جميع الأنماط السلوكية والجوانب الإدراكية أو المعرفية سواء تضمنت تقويماً أم لم تتضمنه.

السمات ليست أنماط:

يميز أولبورت بين السمة والنمط بمقدار اقتراب كل منهما من الفرد فالأنماط تكوينات نموذجية يضعها الملاحظ ويستطيع أن يحدد مدى التطابق بينها وبين الفرد والسمة تعبر عن تفرد الشخص أما النمط فيقلل من هذا التفرد على ذلك فإن الأنماط تمييزات بعيدة الشبه عن الواقع بينما السمات إنعكاساً حقيقياً لما هو موجود بالفعل.

أهم المبادئ التي تقوم عليها نظرية أولبورت في الشخصية:

أولاً: العمومية:

يعد تمييز أولبورت بين الفرد والسمات المشتركة من الأمور الجوهرية لفهم نظريته وهو يؤكد أنه لا يوجد أبداً في الواقع شخصان لهما نفس السمة بالضبط وبرغم ما قد يوجد من تشابهات في أبنية السمة لدى أفراد مختلفين فإن الطريقة التي تعمل بها أية سمة بالذات لدى شخص معين تكون لها دائماً خصائص فريدة تميزها عن جميع السمات المشابهة لدى الأشخاص الآخرين.

يحدد أولبورت موقفه عن العمومية والفردية هذه صراحة بقوله "....وإذا كان هدفنا هو الكشف عن المبادئ العامة لنمو الشخصية وتنظيمها وتعبيراتها فإن الخاصية الجوهرية للإنسان هي فردية".

وفقاً للمعنى المحدد لتعريف السمات فإن السمة الفردية هي فحسب التي يمكن اعتبارها سمة حقيقية.

- لأن السمات توجد دائماً في أفراد وليس في المجموع شكل عام.

- لأنها تتطور وتعمم إلى استعدادات دينامية بطـــرق فريـــدة وفقـــاً لخبرات كل فرد إن السمة المشتركة ليست ســـمة حقيقيـــة علـــى الإطلاق بل إنها مجرد جانب صالح للقياس من السمات الفرديـــة المعقدة.

يذكر أولبورت تعريفا للسمة المشتركة بأنها فئة تصنف فيـــها أشكال السلوك المتكافئة وظيفياً لدى المجموعة العامة من الناس ورغم تأثرها باعتبارات اسمية مصطنعة فإن السمة المشتركة تعكس. إلى حد ما الاستعدادات الحقيقية والتي يمكـــن مقارنتـــها لـــدى الكثـــير مـــن الشخصيات ونتيجة للطبيعة البشرية العامة والثقافة المشـــتركة فإنـــها تنمي أساليب متشابهة من توافقهم مع بيئاتهم ولكن بدرجات مختلفة.

ويعتقد أولبورت بوجود تشابهات بين الشـــخصيات المختلفـــة ولكنه يرد هذه التشابهات إلى أثر الثقافة ومراحـــل النمـــو المختلفـــة والظروف الجوية المحيطة وغير ذلك من العوامل رغم ذلك فإن هـــذه التشابهات هي مجرد نواحي تقريبية وليست بمثابة قانون عام للجنـــس البشري إن الفردية هي الأساس في نظرة وجودية كـــل كـــائن حـــي تقريبية وليس بمثابة قانون عام للجنس البشري إن الفردية هي الأساس في نظرة وفردية كل كائن حي إنساني وهي حجر الزاوية في الإطـــار النظري للشخصية عند أولبورت.

ورغم توضيح أولبورت لأهمية كلا النوعيـــن مـــن الســـمات العامة والخاصة أو المشتركة والفريدة إلا أنه يضع السمات المشـــتركة في مستوى أدنى من الفريدة إذا يرى أن الأخيرة الجديرة بالدراسة.

ثانياً: مبدأ الدافعية:

مشكلات الدوافع من المشكلات العامة في دراسة الشخصية بل إن أولبورت يذهب إلى أن ليس ثمة مشكلة في علم النفس هي أكـــثر تشابكا وتعقيداً من مشكلة الدافعية كما يذهب أيضاً إلـــى أن نظريـــات الدوافع بما فيها نظريته ناقصة وتعجز عن أن تمدنا بتفسير كامل.

يرى أولبورت أن أكثر نظريات الدوافع تقوم علـــى فـرض أساسي مشترك هو أن الفرد يتجه إلى التخلص مـــن حالـــة الإثـــارة واستعادة التوازن أي أن السلوك يعمل على خفض التوتر فإذا حققنـــا هذا الانقاص للتوتر بنجاح ملنا إلى إعادة نفس النمـــط مـــن الســـلوك الخافض للتوتر عندما يحتل توازننا الحيوي والحق أننا نستهدف تحقيق التوازن فيما يتصل بالحاجات الفسيولوجية ولكننا أيضاً نســـعى إلـــى التنوع والتعبير والنمو لا يتحقق إلا بالتغيير والطريقة التي تبدو ملائمة لخفض التوتر قد لا تصلح للمشاركة في الكفاح الموحد المميز.

وهكذا يمكن القول أن الدوافع نوعان: دوافع خفض، ودوافـــع نمو الأولى تتطلب خفض التوتر والثانية تتطلب الإبقاء عليه للاهتمـــام بأهداف بعيدة وهكذا تتميز صيرورة الإنسان ونموه عن نمو الحيـــوان وصيرورته ويختلف نمو الراشد عن نمو الطفل. ودوافع النمو تعنى أن المثل العليا تكتسب متزامنة مع عملية النمو.

وقد عرض أولبورت لنوعين من نظريات الدوافع: تلك التـــي تقول بوجود دوافع ثابتة غير متغيرة لدى جميع الأفراد وتلـــك التـــي تسمح بتقديم مبادئ إضافية تلقى الضوء على تنوع السلوك البشري من الطفل إلى البالغ وتنوع دوافع السلوك عن الكبار وقد عرض أولبورت

هذه النظريات بشكل يسمح له بوضع الأسس أو المتطلبات التي يجب توافرها لإقامة نظرية دافعية سليمة لتفسير الشخصية.

المتطلبات الرئيسية لأية نظرية صحيحة في الدافعية عند أولبورت:

- أن تعترف بالطبيعة الحاضرة الراهنة للدوافع وكل ما يدفع السلوك إنما يدفعه الآن فإن أية نظرية دافعية يجب أن تنظر إلى الحالة الراهنة للكائن الحي أي أن الدوافع الماضية لا تفسر شيئا مالم تكن هي أيضا دوافع قائمة في الوقت الحاضر.
- أن تكون من النوع الذي يسمح بالقول بوجود دوافع من أنواع مختلفة متعددة فالنظريات التي تذهب إلى القول بنمط واحد كالحوافز أو البحث عن اللذة أو الرجوع إلى اللاشعور أو البحث عن القوة أو تحقيق الذات إنما هي تمس جانبا واحداً فقط من الحقيقة، وكل ما يمكن قوله بالنسبة لأولبورت هو أن دوافع الإنسان تتضمن كل ما يمكنه عمله (شعوريا ولا شعورياً، منعكسا أو إرادياً).

(وقد أكد في نظريته أهمية الوعي والحاضر في تحديد نوع سلوك الفرد وهذا يتعارض مع النظريات التي سبقته المؤكدة لأهمية اللاشعور والخبرات القديمة في تحديد نوعية سلوكه الآن).

- يجب أن تكون من النوع الذي يسمح بغزو قوى دينامية للعمليات المعرفية كالتفكير والقصد فالفطريات القديمة قد أضعفت من دور العقل ولكن ظهرت اتجاهات جديدة ردت إلى الوظائف المعرفية أهميتها أما أولبورت فإنه لايميل إلى الفصل فصلا تاماً بين الدوافع

المعرفية وتلك التي يطلق عليها نزوعيـــة أو وجدانيـــة فالنـــاس يحاولون القيام ببعض الأعمال التي تشارك فيها النزعات والأفكار وتتعاون معا في أدائها دافع واحد يسميه أولبورت باسم "القصد".

- يجب ان تسمح بالقول بوحدة عيانية محسوسة للدوافع فكما نقبـــل الدوافع في صورتها المجردة النظرية يجب أن نقبل أيضاً وجـــود الدوافع المحسوسة وننظر إليها في صورتها العيانية وقـــد أشـــار أولبورت إلى ذلك في تمييزه بين الدوافع ببعض الأمثلة منها قولنـــا إن ماري لديها رغبة ملحة في أن تصبح مربية محترفة (صـــورة عيانية للدافع) وقولنا إنها تقوم بعملية تفريغ لرغبة جنسية مكبوتـــة (صورة مجردة حسب تفسير فرويد).

ثالثاً: مبدأ الاستقلال الوظيفي:

حظى هذا المبدأ باهتمام كثير من الباحثين كما كـــان موضـــع مناقشة وبحث المشتغلين بدراسة الشخصية ويذهب أولبورت إلـــى "أن قانونه هذا يسمح بالقول بالوحدة العيانية المحسوسة للدوافع كما يســـمح بالمعايير التي يجب أن تتوافر في أية نظرية سليمة للدوافع".

ويقرر ذلك المبدأ ببساطة أن أي نشاط معين أو شـــكل مـــن أشكال السلوك قد يصبح غاية أو هدفاً في حد ذاته برغم حقيقة أنه قـــد بدأ فيه أصلا لبعض الأسباب الأخرى. وبرغم أن أي سلوك مركباً كان أو بسيطاً قد يكون نابعاً أصلا من توترات عضوية أو جزئية فإنه قـــد يكون في مقدوره اثبات نفسه على الـــدوام فـــي غيـــاب أي تدعيـــم بيولوجي.

ويجب على القارئ أن يميز بعناية بين مبدأ الاستقلال الذاتي الوظيفي وبين الفكرة الشائعة عن أن سلوكا معيناً قد يستمر من أجل دافع مختلف ولقد أشار أولبورت في عرضه بوجهة النظر هذه إلى القول المشهور عن وودورث وهو أن الميكانيزمات قد تتحول إلى بواعث ولقد أشار أولبورت في تبريره للمفهوم إلى وجود ميل لدى الكائن للاستثمار في استجابة معينة حتى ولو لم يعد السبب الأصلي للقيام بتلك الاستجابة موجودا ولقد واجه أولبورت لهذا المبدأ هجوما قاسيا على يدي بيرثوشي الذي آثار عدة تساؤلات خطيرة هل صحيح حقاً إن أي شكل من أشكال السلوك إذا ما تكرر مرات كافية سوف يصبح مستقلاً؟ أليس ثمة حدود أو شروط يجب أن توضع على هذا التعميم ونشير مرة أخرى إلى أن أولبورت لا يطمع في أن يكون الأنا كلاعب العرائس الذي يتناول الدوافع وصراعاتها بشكل سحري إلى حد ما محققاً وحدة الشخصية فالاتساق لا يتحقق بواسطة "رجل صغير داخل الصدر" بل من خلال التكامل التدريجي للأنماط الدينامية التي تتكون من السمات المركزية، والمقاصد والسعي الجوهري وصور الذات أو غير ذلك من الوحدات الوظيفية التي قد نتعرف عليها تجريبياً في الشخصية بعد أن يتم فحصها بدقة بجميع الطرق المتاحة فعلى أي حال فإن مدى استقلالية دوافع الفرد بعد مقياسه لنضجه. فكلما كان دوافعه الراهنة مرتبطة بالماضي وبالحالات البيولوجية الكامنة كان أقل نضجاً وأقل ابتعادا عن الحالة الطفلية وماضي الفرد يصبح أمراً عديم الأهمية نسبياً إذا ما كان يدفعه في فترات سابقة فإننا يمكن أن نتوقع أن دوافع الأفراد المختلفين لن يكون بينها سوى قدر ضئيل من التشابه.

ولقد ميز أولبورت بين نوعين من الاستقلال الوظيفي:

- **الاستقلال الوظيفي المداوم أو المستمر:**

ويشير إلى أنشطة متكررة ينغمس فيها الفرد على نحــو آلـــي وكانت تخدم في الماضي غرضا وتحققه ولكنها لم تعد تفعل ذلك وهذه الأنشطة تحدث دون أن تلقى إثابة وهي مستقلة عن الماضي ولكنـــها أنشطة قليلة الأهمية. ومن أمثلة ذلك الشخص الذي أحيل إلى التقـــاعد ومع ذلك يظل يصحو الساعة السادسة صباحاً كل يوم.

- **الاستقلال الوظيفي الجوهري:**

ويشير إلى ميول الفرد وقيمه ومراميـــه وعواطفــه ويـــرى أولبورت أن هذا النوع من الاستقلال الوظيفي محكوم، ومع ذلك فلـــم تدّع أولبورت أن مبدأ الاستقلال الذاتي هو المبدأ الوحيد الصادق لتنمية الدوافع الإنسانية أو تفسير كل دوافع السلوك عند الإنسان وإنما الشيء الذي أضافه أولبورت هو بيان أن شخصية الفرد ليست خاضعة كليـــة لحوافز فطرية أو خاضعة لتكوينات جامدة أو عقد مبكرة فهو يختلــف عن فرويد وأدلر في أنه لا يذهب إلى أن الخطـــوط الأساســية فـــي الشخصية توضع بذورها في سن الثالثة أو الخامسة.

ومع ذلك فليست كل الدوافع مستقلة وظيفياً هي:

- الحوافز البيولوجية: فالفرد منذ الولادة حتى الوفاة لابد أن يخضـــع لمجموعة من الدوافع البيولوجية كالحاجة إلـــى النـــوم والـــهواء والطعام والإخراج.
- الفعل المنعكس كرمشة العين وسحب الركبة: لا يمكن أن تصنـــف كدوافع.

- الزاد الجبلي أو التكويني للفرد: فبعض القدرات أو التكوينات يحسن النظر إليها على أنها ثابتة نسبياً وغير قابلة للتغير خلال مجرى حياة الفرد.
- العادات: إن كثيرا من العادات ليست دافعية إطلاقاً إنها أنظمة وسيلية تقوم بدورها في خدمة الدافع.
- التدعيم الأولي: جميع أنواع السلوك التي تحتاج إلى تدعيم أولي يخرج من نطاق فكرة الاستقلال الوظيفي.
- الطفلية والتثبيت: عندما يقوم شخص كبير بحل صراع طفلي أو صراع في مرحلة الشباب فإنه لا يمكننا أن نتحدث عن استقلال وظيفي وإنه ينبع دافعاً لم يتغير أساساً من سنوات مبكرة.
- بعض حالات العصاب: إن الدوافع العصابية ليست دوافع مستقلة وظيفياً لأن الأفعال الراهنة للعصابي مشبعة أساساً باعتبارات ماضية. فبعض أصداء الماضي تتملك وتسيطر على سلوك المريض والعصابي يبدو عاجزاً عن التركيز بصورة مناسبة على الحاضر أو المستقبل.
- الإعلاء: إن إعلاء الحافز الأولي أو التثبيت المبكر ليس دافعاً مستقلاً وظيفياً في نظر أولبورت.

رابعاً: مبدأ الأنا أو الذات:

صرح أولبورت أنه رغم صعوبة وصف طبيعة الذات فإن مفهوم الذات مفهوم جوهري وأساسي في دراسة الشخصية ويمكن أن يرجع ذلك من الناحية التاريخية إلى التأثير القوى الذي تركه فرويد. ويعتقد أولبورت أن فرويد قد مات قبل أن يتم بصورة كاملة نظريته

في الأنا ومفهوم الأنا عند أولبورت هو أنا والأنا يوجد بداخلها عملية دينامية ذات قوة إيجابية كبيرة أكثر مما هو متمثل في مفهوم الأنا عند فرويد والذي يتمثل في صورة "رجل يفوق حصانا" والأنا عند فرويد يتحكم في الهو وبضبطها من حيث هي منفذة أو موجهة لاندفاعات الهو أما الأنا أو الذات عند أولبورت فهي القوة الموحدة لجميع عادات وسمات واتجاهات ومشاعر ونزعات الهو.

نمو الشخصية:

لقد رأينا أن أولبورت عرف الشخصية كتنظيم دينامي. وقد أعتقد أن الشخصية تتألف من بنيات بيولوجية وسيكولوجية كالاستعدادات الشخصية أو السمات وإذا كانت جميع جوانب الشخصية مستمرة ومنظمة فإن ذلك يعني وجود فاعل ينظمها وأطلق على منظمة الشخصية الجوهري. ويشمل الجوهر على جميع الحقائق عن الشخصية التي تجعله فريداً ولقد اعتقد أولبورت أن قيام جوهر الشخصية بوظائفه على نحو تام يميز المرحلة الأخيرة من مراحل النمو الثمانية المتتابعة التي تبدأ عند الميلاد وتستمر حتى الرشد.

- الإحساس بالذات الجسمية (السنة الأولى):

تتألف الذات من تيارات الإحساسات التي تبعث من داخل الفرد من الأحشاء والعضلات والأعصاب والمفاصل وغير ذلك من أجزاء الجسم الأخرى ونحن نخبر هذا التيار الحسي عادة على نحو غامض ويحدث أن نجد متعة في التدريب الجسمي وأن نشعر باللذة أو الألم الحسي ولكنها أساس ضروري لإحساسه بذاته، والإحساس بالذات ينمو

من الإحباطات المتكررة التي تصدر عن العالم الخارجي ومن الخبرات التي يتعرض لها الطفل.

- الإحساس بهوية الذات (السنة الثانية):

إن الإحساس ينمو تدريجياً جزئياً نتيجة لما يرتديه الطفل من ملبس ولما يطلق عليه من اسم ولما يميزه من البيئة التي تحيط به والتفاعل الاجتماعي له أهميته في هذا الإحساس، فأعمال الآخرين التي يتكيف معها الطفل تكيفاً متميزا هي التي تخبره على أن يدرك أنه ليس هو الآخر بل كائناً حياً مستقلاً ــ ويبدو أن الهوية الشخصية كما يدركها الطفل غير مستقرة حتى يبلغ الرابعة أو الخامسة.

- الإحساس بتقدير الذات (السنة الثالثة من العمر):

يحاول الطفل في هذه المرحلة أن يعمل بنفسه فإذا واجه عائقا شعر بأن هذه الإعاقة موجهة لتقدير الذات لأنها تشعره بضعفه ولذلك ينتابه الشعور بالغضب ويميل الطفل في هذه المرحلة إلى مخالفة أوامر الكبار والى كثرة استخدامه لكلمة "لا" أن الأطفال في هذه المرحلة يسعون إلى الاستقلال عن إشراف الكبار.

- الإحساس بامتداد الذات (السنة الرابعة):

التعلم سرعان ما يؤدي إلى تقدير الطفل لما يملكه ويحبه من أشياء وينبغي أن تكون أشياء لها أهميتها عند الطفل فالطفل حيث يحب قطته أو يتعلق بدميته أي أن ذات الطفل تمتد في هذه المرحلة لتشتمل على الأشياء الخارجية الوثيقة الصلة به.

- **بزوغ صورة الذات (من الرابعة إلى السادسة):**

ينمي الأطفال في هذه المرحلة ضميراً يكون بمثابة الإطار المرجعي لذاته الخيرة ولذاته السيئة ذلك أنه عن طريق التفاعل مع الكبار ومع الأبوين يستطيع أن يقارن سلوكه الفعلي وتصرفاته وما هو متوقع منه أي أن لدى الأطفال في هذه المرحلة ذاتا واقعية وذات مثالية وخلال هذه المرحلة يبدأ الأطفال في صياغة مرامي مستقبلية لأنفسهم.

- **نمو الذات المنطقية العاقلة (من السادسة وحتى الثانية عشر):**

في هذه المرحلة يتبين للأطفال أن التفكير وسيلة للوصول إلى الحلول الصحيحة لما يواجهونه من مشكلات في حياتهم وللتكيف السليم أي أنهم يوفقون بين متطلبات الذات ومقتضيات الواقع. وقد يخفقون في حل بعض المشكلات فيلجأون إلى إبداء المعاذير والتبريرات حفاظا على الذات.

شخصية الراشد السليمة:

إن اهتمام أولبورت بدراسة الأصحاء من البشر بدلاً من دراسة العصابيين قريب مما نجد عند ماسلو الذي شعر بأن الاهتمام الزائد لعلماء النفس بالأفراد المضطربين انفعالياً كان عائقاً حال دون فهم الأصحاء والبارزين ولقد حاول ماسلو تصحيح هذا الموقف بدراسة حياة إناس حققوا ذواتهم. وانتهى من هذه الدراسة إلى قائمة من الخصائص لهؤلاء الأفراد شبيهة بقائمة الخصائص الآتية التي شعر أولبورت إنها تميز الشخصية الناضجة السوية.

- القدرة على تحقيق امتداد الذات:

ويعني ذلك أن حياة الفرد لا ينبغي أن تنحصر في نطاق محدود وذلك بالإنغماس في الأنشطة الضرورية لإشباع حاجاته الأساسية وواجباته المحدودة المباشرة. وينبغي أن يكون للشخص الناضج اهتمامات حقيقية في مجالات الحياة المختلفة غير اهتماماته وممتلكاته المادية. ويتضمن هذا الامتداد للذات توجها نحو المستقبل وتخطيطاً لتحقيق الآمال المعقودة عليه.

- القدرة على التفاعلات الإنسانية الدافئة:

إن الأصحاء من الراشدين قادرون على تكوين علاقات وثيقة وحميمة مع الآخرين دون أن يمتلكهم حقد أو غيرة. مثل هؤلاء الأشخاص يتميزون بالعطف كما يتضح من تقبلهم للفروق الأساسية بين الناس واختلافهم عنهم في القيم والمعتقدان.

- تتميز بالأمن الانفعالي وتقبل الذات:

يتميز الأسوياء من الراشدين بالسماحة التي تلزم ليتقبلوا ويتحملوا الصراعات والإحباطات التي لا يمكن تجنبها في الحياة. كما أن لديهم صورة موجبة عن أنفسهم. ويقابل هذا ما نجده عند الشخص الأقل نضجاً الذي تمتلئ نفسه بالإشفاق على الذات ويتميز بصورة سلبية عن نفسه.

- تتميز بإدراكات واقعية:

إن الأصحاء من الراشدين يرون الأشياء على ما هي عليه وليس على ما يأملون أن تكون عليه ومثل هؤلاء الأفراد يظهرون

تعقلاً حين يقدرون موقفا من المواقف وحين يعملون على التكيف معه، ولذلك يقدرون على التصدي لمشكلات الحياة، إنهم يعلمون إلى أين هم ذاهبون وكيف يبلغون هدفهم.

- تظهر الموضوعية نحو الذات:

إن الأصحاء من الراشدين لديهم صورة صحيحة ودقيقة عن نواحي قوتهم ونواحي قصورهم إنهم يفقهون الفرق بين ذواتهم الحقيقية وذواتهم المثالية، ويعرفون الفرق بين ما يعتقدونه عن أنفسهم وما يعتقده الآخرون عنهم ويرى أولبورت أن هناك مكونين أساسيين لتلك الخاصية وهما الاستبصار والمرح ويقصد بالاستبصار قدرة الفرد على فهم نفسه.

- الشخصية الصحيحة لديها فلسفة موحدة للحياة:

إن حياة الأصحاء من الراشدين مرئية وموجهة نحو بعض المرامي المنتقاه ولدى كل شخص شيء خاص جدا يعيش لأجله أو مقصد هام يكافح لبلوغه. إن أولبورت يشبه يونج وإريكسون حيث يهتم اهتماما كبيراً بالدين وأهمية الدين لا تتحقق إلا في الرشد. إن أولبورت يعتقد أن جميع الراشدين الأصحاء لديهم حاجة إلى توجه موحد، وعلى الرغم من هذا التوجيه عادة ما يكون دينيا طبيعياً إلا أنه ليس في حاجة أي أن يكون كذلك وقد رأى أولبورت أن التوجه الديني جزء من شخصية الراشد الصحيح وهو يختلف في ذلك عن أصحاب التحليل النفسي الذين رأوا غير ذلك.

التعليم:

لقد أكد أولبورت على أهمية التعليم باعتباره عاملا من عوامل نمو الشخصية. ولقد أدرك أن التعلم متضمن في الشخصية باعتبـــاره شكلا من أشكال الدافعية فتحقيق الذات يساعد على تقدم الإنسان نحـــو أهدافه وعلى الرغم من أن الحتمية الآليـــة وتحقيـــق الـــذات يبـــدوان طريقين متناقضين إلا أن الإنسان يتعلم عمل أشياء وتكوين شـــخصية بسبب هذين العاملين ولقد قصد أولبورت بحديثه عن الحتمية الآليـــة أن يشير إلى نظريات المثير ــ الاستجابة، والاشتراط والتعزيز في مجال التعلم وأراد بحديثه عن تحقيق الذات أو الصيرورة التقدم نحو المرامي والأهداف فالإنسان يتعلم أن يكون لديه شخصية وهو يفعل ذلك مـــن خلال التمايز والتكامل.

ولقد استخدم أولبورت اللفظ جوهر Proprion استخداماً مكثفاً باعتباره مصدر التعلم عن الذات والتوصل إلى الشـــخصية. إن هـــذا الجوهر يمثل جوانب الشخصية التي تشكل معا فردية شخص معيـــن وتضمن وحدته.

محكات نظرية الشخصية الجيدة:

لقد وصف أولبورت عام (١٩٦٠) خمس خصائص أعتقـــد أن أية نظرية جيدة في الشخصية ينبغي أن تتصف بها وهي كما يأتي:

- **النظرية الجيدة هي التي تـــرى أن الشـــخصية متضمنـــة داخـــل الشخص وبعبارة أخرى ينبغي أن تفهم الشخصية وأن تفسر علـــى أساس الميكانزمات الداخلية أكثر من تفسيرها وفهمها في ضـــوء**

الميكانزمات الخارجية وواضح أن نظرية أولبورت تستوفي هـــذا المحك أو الشرط وهذا ليس غريبا.

- النظرية الجيدة تنظر إلى الشخص باعتباره مليئا بمتغيرات تســـهم في أفعاله وقد تفاخر العلماء من أمثال سكنر لأنهم درسوا الإنســان ككائن حي فارغ. ولقد شعر أولبورت بطبيعـــة الحـــال أن هـذا الموقف غير إنساني وغير مستساغ وكتب قائلا "...إن أي نظريـــة للشخصية تتظاهر بالكفاءة ينبغي أن تكون دينامية ولكـــيْ تكـــون دينامية ينبغي أن تسلم بوجود كائن حي ممتلئ على نحو حســـــن" ويلاحظ أن نظرية أولبورت تحقق هذا الشرط من شروط النظريـــة الجيدة.

- النظرية الجيدة تبحث عن دوافع السلوك في الحاضر بـــدلا مـــن البحث عنها في الماضي.

- ينبغي أن تكون وحدات القياس التي تستخدمها نظرية الشـــخصية الجيدة قادرة على وصف شخصية كلية دينامية.

وإن نظرية أولبورت لم يغب عنها أن الشخص كل وآن وحـدة القياس التي تمكن من فهم الشخصية هي السمة.

- سوف تفسر النظرية الجيدة الوعي بالذات تفسيرا سليما إن الإنسان هو الحيوان الوحيد القادر على إدراك وعيه.

وواضح أن نظرية أولبورت تستوفي هذه المحكـــات الخمســـة التي حددها كشروط للنظرية الجيدة في الشـــخصية غـــير أن هنـــاك منظرين آخرين لهم محكاتهم التي لا تستوفيها نظرية أولبورت.

البحوث وطرق البحث:

لقد فضل أولبورت المنهج الإيديوجرافي (دراسة الحالات الفردية) على المنهج الناموسي أي الجمعي ومع ذلك فإن معظم دراساته تندرج في النوع الأخير. يقول أولبورت "...سوف يصبح علم النفس أكثر علمية أي أقدر على التنبؤ حين يعرف كيف يقيم نزعات مفردة بجميع ما تحويه من تعقد في الجوهر، وحين يعرف كيف ينبئ بطريقة معينة" ويدعم نفس الاتجاه حين يقول في موضع آخر طالما اقتصر علم النفس في تناوله على الشموليات وليس الخصوصيات فإنه لن يتناول الكثير بخاصية الشخصية الإنسانية.

إن هذا التأكيد على تفرد كل شخص يلزم الباحث باختيار مناهج البحث التي لا تخفي تلك الفردية والتي تقدر على الكشف عن السمات الفردية لأنها تحدد السلوك والسمات هي الوحدات الحقيقية للشخصية التي تميز الشخص المفرد.

المقاييس المباشرة وغير المباشرة للشخصية:

اتفق موقف أولبورت في هذا الموضوع تماما مع الأهمية التي يضعها على المحددات الشعورية والمنطقية للسلوك ولقد أدى به اعتقاده بأن الفرد السوي يسلك في ضوء دوافع معروفة ومعقولة إلى تأكيد أن للأساليب الإسقاطية اسهاماً فريدا في حالة العصابي أو المضطرب فحسب حيث قد تتزايد في الحقيقة أهمية الدوافع اللاشعورية ويرى أولبورت أن الطريقة المباشرة وغير المباشرة سوف تسفر عن صورة منسقة في حالة الفرد السوي ويستنتج أولبورت أن الطرق غير المباشرة قد تكشف عن محددات السلوك اللاشعورية ولكن

ذلك لا يتحقق إلا بمقارنتها بنتاج الطرق المباشـــرة وينتـــج ذلـــك أن الطرق غير المباشرة يجب عدم استخدامها إلا إذا كانت مقترنة بالطرق المباشرة. وبالنسبة للشخص السوي تعطي الطرق المباشرة صور عـن البنيان الدافعي للمفحوص أكثر اكتمالاً وأكثر فائدة مما تعطيه الطـرق غير المباشرة، ويجب ألا نغفل في مقارنة تلك الطرق ما تتمـيز بـه الطرق المباشرة من زيادة في كفاءتها وبساطتها.

دراسات السلوك التعبيري:

لقد بدأ أولبورت ومعاونوه منذ فترة مبكرة في عـــام (١٩٣٠) في إنجاز سلسلة من الفحوص المتعلقة بإبراز دلالة واتساق الســـلوك التعبيري.

الجانب التعبيري .. تعمل كقـاعدة بشـكل لاشـعوري ودون قصد. ومن ناحية أخرى فإن الجانب التوافقي هو نظام أكـثر تحديـداً ويعتمد اعتمادا وثيقا على المنبة وعلى الجهد الإداري أو على عـادات المهارة. وينبغي البحث عن سبب فعل السلوك الحاضر فـي رغبـات ومقاصد الفرد الحالية (برغم أن تلك قد تبعث بدورهـا مـن سـمات واهتمامات شخصية بالغة العمق) ولكن أسلوب التنفيذ يتـم توجيهـه مباشرة ودون تدخل من جانب الاستعدادات الشخصية العميقة والثابتة، وهكذا فإن أولبورت متفقا في ذلك مع نظريته ــ يـدرس المجـالات التعبيرية للسلوك بوصفها وسائل تكفل مدخلا جاهزا للمنـابع العامـة للدافعية والصراع في الفرد ــ إن أسلوب السلوك لا تحدده عوامل بـل أن الحالات الشخصية فحسب بل أيضاً الحالات المزاجية. والظـروف العضوية وغير ذلك من المتغيرات. ومن الممكـن نضيـف السـلوك

التعبيري في ضوء نمط الفعل الذي يتضمنه كالتعبير بالوجه مثـــلاً أو بطريقة المشي أو الصوت أو الكتابة.

وقد بدأ أولبورت وفيرنون في دراستهما للإنساق بفحص ثبات التكرار (اتساق القياس في مناسبتين مختلفين) في مختلف المقـــاييس التعبيرية وعلى العموم فقد أتضح أن تقديرات الثبات هذه كانت مرتفعة ارتفعاً ملحوظا وكانت الارتباطات المتبادلة معادلة تقريبـــاً لتقديـــرات ثبات التكرار بالنسبة لوسائل القياس النفسي التقليديـــة وقـــد اســـتنتج المؤلفان من هذا الاتساق أن عادات التعبير بالوجه، هـــي خصـــائص ثابتة للأفراد في مجموعتنا التجريبية.

التنبؤات العلمية:

ما مدى قابلية نظرية أولبورت عن الفرد للاستخدام وما مـــدى فائدتها وما هي البحوث التي أثارتها وأدت إليها؟ وإن الإجابة أقـــرب إلى أن تكون بما تنفي هل معنى هذا أن هذه النظرية لا قيمـــة لـــها. الإجابة أميل إلى أن تكون بالنفي أيضاً ولو أن الأمر مرهون بمعنـــى القيمة هنا.

ويبدو أن هناك صعوبة في ترجمة أفكار أولبورت وتجســيمها في بحوث منهجية معاصرة وتتناوب أساليب ذلك بين ما هو جوهـــري وما هو هامشي لقد أكد أولبورت على الطريقة الأيديوجرافية ودراســـة الحالة وهذا المجال لا ييسر التحليل الإحصائي للبيانات وبالتالي لا يجد مجالاً للنشر في المجالات العلمية في سهولة. ولقـــد اهتـــم أولبـــورت بدراسة الأسوياء، والأسوياء لا يمثلون الموضوع المفضل للبحث لـــدى كثير من علماء النفس كما أنه كان الكتيكيا أو انتقائيا وخاصة الجـــزء

الأخير من حياته المهنية الأمر الذي آثار إحباط كثير من علماء النفس. ولقد كتب أولبورت شأنه شأن مورو بكثرة عن قيمة المفاهيم الدينية للفرد وديناميانها وهذا المجال لا يثير اهتمام علماء النفس ذوي الاتجاه التجريبي.

وينتهي أولبورت إلى القول بأنه لا توجد طريقة واحدة ووحيدة لتشخيص الشخصية ويرى مادي Maddi في كتابة عن نظريات الشخصية عام (١٩٦٨) أن الدراسات التي أجريت على محكات النضج وتقدير الذات ورفع الدعابة والحركات التعبيرية تأثرت بفكر أولبورت وأن هذا يصدق أيضاً على عمل ماكيلاند عن تمايز الدوافع والسمات.

تقويم نظرية أولبورت في الشخصية:

إن هذه النظرية تتحاشى التطرف الذي وقعت فيه نظرية الأنماط والتي لا ترى من الظواهر إلا قصارها وأطرافها فنجد أن نظرية السمات تسمح بوصف الشخصية من عدة نواحي أو من عدة أبعاد:

- تسمح نظرية السمات بالقياس والتجريب كما تسمح بالملاحظة والوصف أي أنها تتميز بأنها تمدنا بشيء يمكن قياسه ويمكن إجراء التجارب عليه.

- تعتبر نظرية أولبورت بداية حقيقة للنظريات الإنسانية في الشخصية لأنها أكدت على التفرد في الشخصية.

- فكر أولبورت يحتل مكانة هامة في التنظير النفسي لأنه يؤكد على مفاهيم ومشكلات لم تلق ما تستحق من عناية من قبل المناظرين النفسيين المعاصرين.
- لأولبورت تأثيره البارز في إعادة الاهتمام بمفهوم الأنا والذات وذلك لأنه وضع هذا المفهوم في سياقه التاريخي.
- إنه أكد على أهمية المحددات الشعورية للسلوك ودافع عن الطرق المباشرة لدراسة الدوافع والشخصية.
- لأولبورت تأثيره الواضح في التقبل المعاصر لاعتبار الدراسة الفردية وتاريخ الحياة ودراسة الوثائق الشخصية من الأعمال العلمية.
- تأكيد أولبورت على الاهتمام بالمستقبل وعلى دراسة الحاضر واستبعاد الماضي نسبياً، أعاد إلى البحث النفسي قدرا من التوازن بسبب انتشار التحليل النفسي ويعظم تأثيره في الاهتمام بالخبرات الماضية في حياة الفرد.

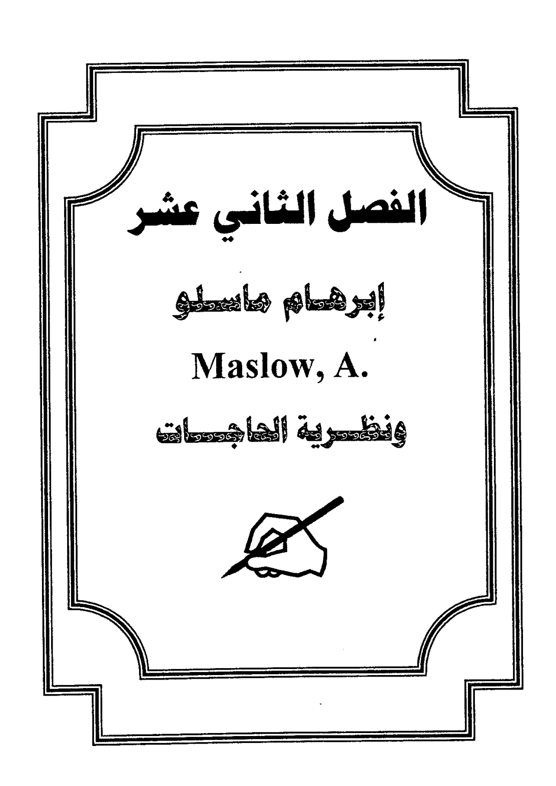
مآخذ نظرية أولبورت:

- قد تعرض للنقد باعتباره غير علمي من حيث المنهج، ذلك أن جميع العلوم تحاول الكشف عن القوانين العامة واستخدام الطرق الناموسية أو الجماعية وتأكيد أولبورت على الطريقة الأيديوجرافية ودرساة الحالة الفردية دراسة مكثفة تبدو غير علمية.
- إن فكرة أولبورت عن عدم الاستمرارية بين الحيوان والإنسان وبين الطفل والراشد وبين السوي والشاذ مرفوضة من أغلب علماء النفس.

- إن اهتمام أولبورت بالدوافع المقبولة اجتماعياً والشعورية، وتقليله من أهمية الحاجات البيولوجية واللاشعورية جعله في موقف مخالف لما أسفرت عنه دراسات التحليل النفسي وما حققته من تقبل وذيوع في الدوائر العلمية.
- اهتم أولبورت بالعوامل الداخلية المسببة للسلوك أكثر من اهتمامه بالعوامل الخارجية.
- إن نظرية أولبورت قد تعرضت لنقد مؤداه أنها لم تولد فروضا يمكن وضعها موضع التحقيق إثباتاً ورفضا. وهذه الخاصية من خصائص النظرية الجيدة أي أنها لم تقدم لنا مجموعة من الأبعاد التي يمكن على أساسها دراسة الشخصية.
- ولعل مفهوم الاستقلال الوظيفي من أكثر المفاهيم العلمية تعرضا للنقد ذلك لأنه من المقبول لدى أغلبية علماء النفس أنه لكي نفهم شخصية فرد ما لابد أن نحدد علاقة شخصيته كراشد بخبراته المبكرة.
- إن البروفيل الذي يحصل عليه الباحث لشخص ما أو لدرجاته على مقاييس السمات حتى وإن كان صحياً من حيث دقة التقدير إلا أنه ليس وصفاً كافيا أو تاما للشخصية وإذا يلزم لكي توصف شخصية فرد ما أن تعرف التفاعل بين هذه السمات أو التنظيم العام الذي يوضح العلاقات الوظيفية القائمة بينها وليس مجرد حصرها كما يؤكد ذلك "أحمد عزت راجح" إذ يقول "ومن هذا التفاعل الدينامي بين الفرد والبيئة يمكن تعديل وتحرير وتهذيب السمات".

- إن السيكولوجي الذي يصف الشخصية عن طريقها يواجه صعوبة كبيرة في تحديد عددها فقد بين كل من أولبورت و"أطبير" إن عدد الكلمات التي تعبر عن السمات في اللغات المتحضرة يتراوح بين ٣٠٠٠، ٥٠٠٠ كلمة.
- إنه لا يمكن إسناد السمات إلى الشخص كما لو كانت أشياء أو مكونات معينة يمتلكها وتكمن في مكان ما حيث أنها ليست طرفا للسلوك في ظروف بيئية معينة.
- إذا نظرنا للسمات باعتبارها صفات سلوكية ظاهرية وليست تكوينات داخلية فكيف تنشط هذه الصفات.

وما هي الظروف أو العوامل الهامة التي تؤدي إلى تكوينها أو بنائها وإلى اختلافها من فرد لآخر والتي تحدد ظهورها تارة واختفائها تارة أخرى.



الفصل الثاني عشر

إبرهام ماسلو

Maslow, A.

ونظرية الحاجات

الفصل الثاني عشر

ماسلو

ولد إبراهام ماسلو في إبريل (١٩٠٨) بمدينة بروكلين بنيويورك، وبدأ بدراسة القانون بالجامعة تحت تأثير ضغط والديه ولكنه سرعان ما ترك مدينته ليدرس في جامعة وسكنس حيث حصل على بكالوريوس في الآداب عام (١٩٣٠).

وحصل على الماجستير في الآداب عام (١٩٣١) ودكتوراه الفلسفة عام (١٩٣٤)، وتزوج بصديقة طفولته (برثا جودمان) وأنجبا طفلين وكان قد بلغ من العمر عشرين عاماً، وهو يعتبر أحد مؤسسي معهد ايسالن في كاليفورنيا.

ومن أبرز مؤلفاته:

- نحو سيكولوجية كينونة (١٩٦٨).
- الدافعية والشخصية (١٩٥٤).
- أبعد ما تستطيعه الطبيعة البشرية (١٩٧٢).

بدايته مع علم النفس:

قد يبدو من الغريب أن ماسلو قرر أن يدرس علم النفس حين اكتشف سلوكية "واطسن" B. Watson وقال ماسلو "أنني واثق من أنه يقدم لي درباً أسير عليه وطريقاً قادراً على أن يحل مشكلة بعد أخرى من المشكلات التي تحيرني .. طريقاً يغير العالم.

ولكن سرعان ما انتهى هذا الولع والشغف بالسـلوكية حيـن أنجب ماسلو طفله الأول .. ومن هنا بدأ نظريته وأصبـح المتحـدث الرسمي لعلم النفس الإنساني أو القوة الثالثة لعلم النفس باعتبار القوتين الأخرتين السلوكية والتحليل النفسي.

كان ماسلو يأمل أن يلتفت علم النفس الإنساني إلى الجوانـب الموجبة من الناس وأن يوفر المعلومات التي يمكن أن تستخدم لصياغة نظرية كاملة عن الدافعية الإنسانية، نظرية يمكـن أن تشـتمل علـى الجوانب الموجبة والجوانب السالبة من الطبيعة الإنسانية "وأن الصحـة لا تعني ببساطة غياب المرض كما أنها ليست ضده، فأي نظرية فـي الدافعية تستحق الاهتمام ينبغي أن تعالج أعلى قدرات الإنسان السـليم والقوى كما تناول المناورات الدفاعية التي تستخدمها الدوافع المعاقـة المعقدة.

وكان من بين الذين أثروا في ماسلو أقوى تأثير في هذه الفترة "رث بندكت" وهي من علماء الأنثروبولوجيا الأمريكييـن المرموقيـن والحقيقة أن إعجاب ماسلو العميق بكل من "مـاكس فرتيمـر" و"رث بندكت" هو الذي آثار اهتمامه في النهاية بدراسة أفراد حققوا ذواتـهم ويصف ماسلو جهوده لفهم هذين العالمين وكيف تطورت لتصبح العمل الذي شغل حياته.

يقول ماسلو "...إن بحوثي في تحقيق الذات لم تخطط لتكـون بحوثاً ولم تبدأ كبحوث وإنما بدأت كمجهود لشاب مفكر يحاول أن يفهم أثنين من معلميه أحبهم وأعجب يهم وكانا مدهشين جـداً، ولـم أكـن أستطيع أن أقنع بمجرد الإعجاب بهما وحاولت أن أفهم لماذا يختلـف هذان الشخصان عن بقية البشر في العالم، ولقد كانا معلمي بعد مجيئي

حاملاً دكتوراه الفلسفة من الغرب إلى مدينة نيويورك ولم يكن تدريبي في علم النفس يؤهلني لفهمهما على الإطلاق وقد بدا لي كما لم يكونا من البشر، وبدأت بكتابة ملاحظات وشعرت ببهجة غريبة ولقد حاولت أن أتبين هل يمكن العثور على هذا النمط في مكان آخر ولقد وجدته في مواضع أخرى في أشخاص الواحد بعد الآخر".

واهتم ماسلو بدراسة الأشخاص الأسوياء أكثر من المرضى وكذلك اهتم بالصحة النفسية للأسوياء وحالات التفرد والمحققين لذواتهم.

وقد عنف ماسلو السيكولوجيا التشاؤمية لسلبية ومحدودية مفهومها في الإنسان فهو يعتقد أن السيكولوجيا قد اعتمدت على ضرب عجز الإنسان أكثر من اعتمادها على نقاط قوته وتكتشف بشكل دقيق آثامه مهملة في الوقت ذاته فضائله ويسأل ماسلو أين السيكولوجيا التي تأخذ بعين الاعتبار الحب والصحة والتوافق بقدر ما تدرس الشقاء والصراع والاغتراب والكراهية والعدوان.

ولقد أعتقد ماسلو في الحقيقة أن علم النفس ركز على الجوانب المظلمة والسلبية والمريضة والحيوانية من الإنسان ويذكر في ذلك أنه من الواضح تدريجياً أن دراسة غير الناضجين وغير الأصحاء يمكن أن تؤدي إلى علم نفس كسيح ولقد أخذ ماسلو على عاتقه تقديم النصف الآخر من الصورة، النصف المشرف والأحسن، وأن يقدم صورة للإنسان كله وعلى ذلك فاهتمام ماسلو ودراساته كانا منصبان على الأشخاص المتمتعين بالصحة النفسية.

ويؤكد ماسلو أن سيكولوجية الصحة سوف تغير حتماً من تصوراتنا الأعمق عن الطبيعة الإنسانية. وسوف تجعلنا نكف عن

عاداتنا الشائعة في اعتبار السواء كحالة خاصة من غـــير الأســوياء وتعلمنا بدلاً من ذلك بأن غير الأسوياء حالة خاصة من الأسوياء.

كما رفض ماسلو دراسة سلوك الإنسان ودوافعه الإنسانية إلـى الحيوانات المعملية وسلوك الفأر بدلاً من دراسة سلوك الفرد نفسه.

وحدة بناء الشخصية عند ماسلو:

وحدة بناء الشخصية عند ماسلو هي الزملة وقد عرفها بأنــها "مركب منظم من الخصائص الظاهرة التنوع (عناصر سلوكية، وأفكار ونزعات للفعل ومدركات ..إلخ) التي لها وحدة مشتركة".

فالفرد الذي ينخفض لديه تقدير الذات قد ينغمس فـي أفعـال وأفكار ومدركات تبدو في ظاهرها منفصلة ولا رابط بينــها بـالمرة، ولكن الدراسات والتعمق تكشف على علاقة دينامية بينها وبين محاولته استعادة تقديره لذاته.

خصائص الزملة الشخصية:

- إن أجزاء الزملة يحل بعضها محل البعض الآخر أي أنـها قابلـة للتبادل فإذا بذل الفرد جهداً لينال الحظوة عند رئيسه فـي العمـل وذلك لإشباع حاجته إلى الأمن ولم يفلح فإنه يستطيع أن يلجأ إلـى عدد من المسارات الأخرى لتوفير الأمن النفسي لذاته.
- تتميز الزملة بخاصية الدائرية من حيث التأثير والتـأثر وتتصـل أجزائها كلها اتصالاً دينامياً. فالخوف من الآخرين ليس ببسـاطة سبباً للعداء نحوهم، كما أن العداء نحوهم ليس سبباً للخوف منهم.

- الزملة تقاوم التغيير، وتميل إلى المحافظة على نفسها، وأن تعيد ترسيخ نفسها بعد التغيير، غير أن الزملة حين تتغير فإنها تفعل ذلك ككل وليس جزئياً لأنها وحدة جشطلت.

الفردية:

يرى ماسلو أن عالم النفس الذي يدرس الشخصية غالباً ما يركز على الجوانب الفريدة ويهتم بها كما يهتم بالخصائص المشتركة فكل إنسان يشبه الآخرين في بعض النواحي ولكنه يتميز ويختلف عنهم في نواحي أخرى ولا ينبغي أبداً التضحية بالنواحي الأخيرة سعياً وراء الانتظام والإطراد.

وكثيراً من علماء النفس الأمريكيين يدرسون الأفراد بغية التوصل إلى نواحي التشابه ويميلون إلى اعتبار نواحي الاختلاف أخطاء قياس ويبتكرون فئات يصنف فيها الأفراد بدلاً من أن يعطي الفرد ما يستحق من تقدير كما لو كان فئة بمفرده. وإن هذه التجريدات الناموسية والتعميمات مفيدة إذا ساعدتنا على إعطاء التفرد حقه أي إذا كانت بمثابة الأرضية أو الخلفية التي يبرز عليها الشكل. وينبغي أن نقدر على معرفة الفرد وفهمه في تفرده الرائع..

النمو عند ماسلو:

يعتبر ماسلو الوليد ليس صفحة بيضاء، كل وليد يجيئ إلى هذا العالم وله طبيعته وإمكانياته الأساسية الداخلية ويصف ماسلو هذه الطبيعة بأن لها جذورها الغريزية وهذه الخاصية أميل إلى الضعف منها إلى القوة ويسهل التغلب عليها وكفها وقمعها من البيئات التي تكف عن النمو وهذه الطبيعة الداخلية ليست سيئة ولكنها إما أن تكون

حيادية أو خيرة. والنمو الصحي المشبع للطفل وتطوره لا يصدر من الخارج، أنه ليس ببساطة استجابات لمتطلبات بيئته فإن الطفل لا يدفع للأمام ولكنه يختار أن ينمو ويرتقي.

الضمير عند ماسلو:

أعتقد ماسلو أن مفهوم الإنسان باعتباره ذا جانب حيواني سيء، أو باعتباره صفحة بيضاء عند ميلاده قد أديا إلى القول بأن الضمير ينبغي أن يفرض عليه من الخارج وذلك بسبب الخوف من العقاب. هكذا نجد عند فرويد أن الأنا الأعلى هي تمثل الطفل لنواهي الوالدين خوفاً من الخصاء وإن الإخفاق في طاعة أوامر الضمير يؤدي إلى الخوف من العقاب، وموقف ماسلو كعادته في المسائل النظرية الأخرى يعتبر وجهة نظر فرويد لا تمثل إلا نصف الحقيقة، ذلك أن ماسلو يقترح بالإضافة إلى هذا الجانب من الضمير الذي ينتج عن المؤثرات الخارجية جانباً آخر ينبع من الداخل ومن الذات وفي ضوء إدراك الطبيعة الداخلية يقتضي الضمير الحقيقي أن نكون صادقين مع أنفسنا ومع إمكانياتنا ومواهبنا وحاجاتنا الأساسية .. أن الذين يحققون طبيعتهم الداخلية يعملون ما هو خير لأنفسهم وللآخرين من منطلق الحب وليس من منطلق الخوف، إنهم يسعون لتحقيق الخير لأنهم يريدون عمله وليس لأن عليهم أن يعملوه.

البيئة عند ماسلو:

يرى ماسلو أن الشخصية تتفتح خلال النضج وعندما يصبح الإنسان عصابيا أو شريراً أو بائساً، فالسبب في ذلك أن البيئة قد جعلته كذلك بسبب الجهل والمرض الاجتماعي، إن الإنسان الخير يصبح

شريراً لأن البيئة شريرة ويمكن للبيئة أن تقوم بدور حميـــد فتســاعد الإنسان في محاولاته لتحقيق ذاته. فيكفي من البيئة أن تلزم جانبـاً ولا تتدخل في تحقيق الشخص لذاته. فالعدوان والنزعة إلى التدمير ليســا صفتين أصيلتين في الإنسان فهو يصبح محباً للمقاتلة نزاعا إلى التدمير حينما تعاق طبيعته الداخلية أو تقابل بالإنكار والإحباط وما أن يرفــع الإحباط حتى يختفي العدوان.

ووجهة نظر ماسلو تؤكد على التنظيم باعتباره الحالة الطبيعية للكائن العضوي ويذهب إلى أن اختلال هذا التنظيم يؤدي إلـــى حالــة مرضية ويرجع ذلك إلى البيئة غير المواتية. وأن الفرد يســـتطيع أن يحقق ذاته لو أتيحت له الفرصة بطريقة منظمة عن طريق بيئة مواتية وذلك أيضاً أدعى إلى أن تتطور الشخصية تطوراً سليماً ومتكاملاً.

ومع ذلك فماسلوا يقدم تصورا هاما في تفسير العلاقات بيـــن الدوافع والفرص التي توفرها البيئة في تقرير قـــوة بعـض الدوافــع وسيطرتها على البعض الآخر كما أنه أبرز الجوانب الإيجابيـــة فـــي الدوافع الإنسانية.

السلوك عند ماسلو:

قسم ماسلو السلوك إلى قسمين: سلوك التصـــدي ــ الســلوك التعبيري

سلوك التصدي: هو سلوك غرضي لأنه يحاول تغيير البيئة أما السلوك التعبيري فغير غرضي ويغلب ألا تثيره دوافع وهو لا يستهدف تحقيق شيء معين على وجه التحديد.

سلوك التصدي يكون عادة متعلما ويعكس آثار الثقافة التـــي يعيش فيها الفرد والموقف المباشر الذي يوجد فيه في حين أن السـلوك التعبيري كثيرا ما لا يكون متعلما ويتحدد في الأساس نتيجـــة لحالـــة الشخص.

سلوك التصدي يتطلب عادة بذلك الجهد ويسهل السيطرة عليـه وكفه أو قمعه، أما السلوك التعبيري قد حدث بغــير جُــهد ويصعــب السيطرة عليه.

ومعنى هذا أن سلوك التصدي سلوك تحدده الحاجة ويسـتهدف حل مشكلة كالسعي إلى مطعم لتناول طعام. أمـــا الســلوك التعبــيري فيتحدد بحالة الشخص فهو يبتسم حين يكون سعيداً ويبكي حين يكــون حزيناً.

دوافع القصور ودوافع الكينونة:

قد يسمى دافع القصور بدافع النقص أو نموذج خفـض توتــر الدافع. حيث تتضمن معظم حالات النقص شعوراً بالتوتر من النـــوع الذي يعرفه الفرد بخبرته عندما يحس بـــالبرد أو الجـوع أو التعـب وعندما نمر بحالة توتر من هذا القبيل فإننا نحـــاول خفـض التوتــر بارتداء معطف أو بالأكل أو النوم أو الشراب وخفض التوتـــر يشــبع الدافع.

أما عن دوافع الكينونة التي رأى ماسلو أنها تسيطر على الذين حققوا ذواتهم تشتمل على الصدق والخيرية والجمال والوحدة الكليـــة، البعد عن التفكير الثنائي والحيوية والتفرد والاتقان والعدالة والنظـــام والبساطة والغنى والشمول والاكتفاء الذاتي واكتمال المعنى، وإذا لـــم

يعبر الفرد عن هذه القيم يحدث حرمان مرضى وهذه القيم ليست مرتبة ترتيباً هرمياً ولذلك فلها قيم متساوية، ولكن بعضها يؤثر في البعض الآخر وأنه لكي يحقق الفرد ذاته حقاً فإنه في حاجة إلى أن يعبر عن هذه القيم جميعاً وعلى ذلك فقيم الكينونة حاجات عليا وسامية والإخفاق في إشباع هذا النوع من الحاجات يؤدي إلى ما يسميه ماسلو ميتا باثولوجي "ما بعد المرض".

وعلى ذلك فحاجات النقص لها الأولوية على حاجات الكينونة حيث الأولى بدونها لا يعيش الإنسان ككائن حي ولكن الثانية يكون بها وجوده كإنسان وهي حاجات إثراء له وبها تنمو إنسانيته وتزدهر لهذا يسميها بحاجات الكينونة أي أن يكون إنساناً وإشباع هذه الحاجات هو السمة الرئيسية عند العظام أو المحققون لذواتهم.

التنظيم الهرمي للحاجات:

لقد ارتبط هرم ماسلو للحاجات باسمه كأنه ملازم له. "وكانت هذه المساهمة تحقيقاً لفكرة نادي بها (اوليورت) من قبل وهي أنه إذا كان من الممكن أن تنسب سلوك الطفل إلى دوافع فسيولوجية فإنه من غير المعقول أن نفكر في هذه الحاجات كدوافع لسلوك الراشدين فالكثير من تلك الحاجات النفسية لاتظهر إلا متأخرة في الحياة.

ومن هذا فإن نظرية ماسلو في الدافعية الإنسانية تفترض أن الحاجات تنتظم في تدرج هرمي من الأولوية أو القوة وعندما تشبع الحاجات صاحبة القوة أو الأولوية فإن الحاجات التالية في التدرج الهرمي تبرز وتلح في طلب الإشباع هي الأخرى وعندما تشبع نكون قد صعدنا خطوة أخرى على سلم الدوافع.

قسم ماسلو الحاجات إلى قسمين:

- حاجات المحافظة على البقاء: مثل الحاجات الفسيولوجية أو الحاجات الأولية وهي حاجات موجودة في قاعدة الهرم.
- الحاجات النفسية أو ما بعد الحاجات الأساسية: وكذلك يطلق عليها حاجات النمو كالشعور بالأمن والانتماء والحب والتقدير، وتحقيق الذات إلى أن نصل إلى الحاجات المعرفية والحاجات الجمالية.

ولا يتم تحقيق هذه الحاجات دون أن تشبع الحاجات الفسيولوجية. ومن الأشياء التي يمكنك تبنيها بوضوح إذا قمت بدراسة للأشخاص الأسوياء نفسياً أو أي قطاع بشري لهذا الغرض، هو أن الأشخاص المختلفين تحركهم دوافع مختلفة والى هذا فإن للفرد الواحد دوافع كثيرة.

ويؤكد ماسلو من البداية أن الكائن الحي ككل هو الذي ينشط لتحقيق حاجات يبغى إشباعها وكثيراً ما يسلك الفرد سلوكاً واحد لتحقيق أكثر من حاجة. كما أن الحاجة الواحدة تتحقق بأكثر من سلوك أو عن طريق مراحل متعاقبة من السلوك. وهكذا تتعقد خريطة الدوافع والسلوك فالسلوك يتعدد في دافعيته، والحاجات والدوافع تشبع بأساليب سلوكية متعددة.

ولقد لخص ماسلو الفروق بين الحاجات العليا والحاجات الدنيا عام (١٩٧٠) فيما يأتي:

- كلما ارتفعت الحاجة كان ظهورها متأخراً في عملية التطور.
- الحاجات العليا تحدث متأخرة نسبياً في نمو الفرد.

- للحاجات العليا علاقة بالبقاء أقل من تلك التي للحاجات الدنيا.
- على الرغم من أن الحاجات العليا لا تتصل اتصالاً مباشراً بالبقاء إلا أن إشباعها مرغوب فيه بدرجة أكبر من إشباع الحاجات الدنيا.
- تتطلب الحاجات العليا شروطا مسبقة أكثر من الحاجات الدنيا حتى تبزغ وحتى تشبع.

هرم الحاجات لماسلو:

- الحاجات الفسيولوجية:

تتعلق هذه الحاجات بالحفاظ على الجسم باعتباره كياناً عضوياً حيوياً ومن الأمثلة الجيدة لهذه الحاجات إلى الطعام والماء والأكسجين والدفء، وعدم إشباع هذه الحاجات يؤدي إلى الموت وإشباعها لا يضمن سوى الحياة العضوية المادية.

- حاجات الأمن:

حين تشبع الحاجات الفسيولوجية يبدأ الفرد في إشباع حاجاته إلى الأمن والابتعاد عن الخطر: ويظهر الحاجة إلى تجنب مايسبب فقدان الأمن والحاجة إلى أن يعيش الفرد في هدوء وطمأنينة.

- حاجات الانتماء والحب:

كالحاجة إلى تلقي الحب والحاجة إلى منع الحب والحاجة إلى التعاطف مع الآخرين والحاجة إلى الانتماء وهذه الحاجة تقوم على الأخذ والعطاء.

ويرى ماسلو إنه لم تشبع الحاجة إلى الانتماء والحب فإن الشخص يشعر بالوحدة والخواء والغربة والعزلة.

- **حاجات التقدير:**

تتعلق هذه الحاجات باحترام الذات والشعور بالكفاية (الكفـــاءة) الشخصية ورأى الأخرين الذي يعبر عن الاستحسان. ويؤدي غيـــاب هذا الاحترام إلى قمع رغبة الشخص في المشاركة والمساهمة الفعالـــة في عالمه ومناشطه.

وهذا النوع من المشاعر ينتج من الانغماس في الأنشطة التـــي تعتبر نافعة اجتماعياً.

- **حاجات تحقيق الذات:**

ويقصد بتحقيق الذات التحقيـــق المســـتمر لإمكانيـــات الفـــرد وقدراته ومواهبه باعتبار ذلك تحقيقاً لرسالة وأداء لها أو تلبية لدعـــوة أو قدر أو مصير أو مهنة "وكمعرفة تامة بطبيعة الشخص وتقبله لـــها وكاتجاه لا يتوقف نحو الوحدة والتكامل والتعاون داخل الشخص.

- **الحاجات المعرفية:**

هي الحاجات المرتبطة برغبة الإنسان في تحصيل المعرفـــة وليس من الضروري أن تكون الرغبة في المعرفة مرتبطـــة بتحقيـــق غايات نفعية ولكن للمتعة والإشباع الذي يحصل عليهما الفـــرد مـــن المعرفة والكشف.

وكذلك تعتبر الحاجة إلى المعرفة مـــن أدوات التكيـــف ولـــها بعض الوظائف مثل إشباع الحاجات الأساسية وحل المشكلات والتغلب على العقبات.

- الحاجات الجمالية:

وهي قمة الحاجات الإنسانية وعند هذا المستوى يكون الفرد قد أشبع جميع حاجاته ويمكنه حينئذ أن يستمتع بالتناسق والإنسجام المتمثلين في القيم الجمالية في الكون.

وقد وجد ماسلو أن هذه الحاجات في كل ثقافة وكذلك عبر التاريخ وأعتقد ماسلو أن الحاجات الجمالية حاجات فطرية وأنها تعبر عن نفسها أكمل تعريف لدى الأفراد الذين يحققون ذواتهم.

وفي النهاية وقبل وفاة ماسلو قام بإدخال تعديل باستبدال مفهوم تحقيق الذات بمفهوم الإنسانية الكاملة ويرى أن الإنسانية الكاملة تتحقق في احتضان الفرد للقيم الإنسانية، وأن يكون لديه القدرة على التجريد وأن تكون لديه القدرة على الحب والسمو.

ويرى ماسلو أن الحاجات الفسيولوجية تنشأ من عدم إشباعها اضطرابات عضوية وإن لم تشبع الحاجات النفسية تؤدي إلى اضطرابات نفسية أما القيم العليا فإن لم تتحقق أدى ذلك إلى اضطرابات روحية.

إن التنظيم الهرمي لا يبدو أنه يحكم سلوك الأفراد فقط بل وسلوك الجماعات والشعوب أيضاً فالجماعات الفقيرة يكون دافعها الأساسي البحث عن الطعام بينما نجد في الجماعات الغنية دوافع أخرى أعلى في التنظيم الهرمي.

ومن الأعمال المميزة لماسلو اهتمامه بالمحققين لذواتهم:

الخصائص المميزة للمحققين لذواتهم:

إذا كان ماسلو قد وصل في قمة التنظيم الهرمي للحاجات إلـى الحاجة لتحقيق الذات. وأكد في عدد من أبحاثه على دراسة الأصحـاء والأسوياء لكنه وسع دائرة اهتمامه بدراسة أولئك الأشخاص المتمتعين بدرجة عالية من الصحة النفسية ولذلك فإن أهم جوانب إنجازه تظـهر في دراساته لصفات الأفراد الذين يتسمون بتحقيق الذات.

كما اهتم ماسلو بدراسة الشخص المحقق لذاته ويذكر أنه ينبغي أن يكرس علماء النفس وقتاً أكثر للدراسة المتعمقة للشـخص الفريـد الواحد ويرى أن علم النفس هو العلم الوحيد الذي لا يـدرس أوجـه التشابه فقط بل يقوم بدراسة الفردية.

ويرى ماسلو أن المحققون لذاتهم هو أولئك الذيـن يطـورون إمكاناتهم إلى أقصى درجة.

وأن عملية تحقيق الذات عملية مستمرة ودءوبة ولم تتوقف أبدً وليس لها نهاية ولذلك وصفهم بأنهم يحققون لذواتهم وليس أنـهم قـد حققوا ذواتهم.

ويذكر ماسلو أن معظم الناس يمرون بلحظات استثنائية مـن تحقيق الذات أسماها ماسلو بالخبرة القيمة: وهي خبرة وجودية تتمـيز بالسعادة والتحقيق والإنجاز، أو حالة مؤقتة من الكمال وتحقيق الـهدف والوصول إليه.

كما وصفها ماسلو بالتجارب القيمة أو تجارب الذروة وأنـها التجارب الأروع في حياة الفرد. توجد أن الفرد عندما يعاني التجربـة

القيمة يحس أنه أكثر تكاملاً وأشد إنسجاماً مع الكون وأقصى عقوبة وأقل وعياً بالمكان والزمان وأكثر تميزاً وحساً وتحدث الخبرة القيمة في مستويات مختلفة وفي سياق متعدد مثل الأنشطة الإبداعية، تقدير الطبيعة والإدراكات الجمالية، والمشاركة في الألعاب الرياضية.

تعريف ماسلو للمحققين لذواتهم: هم إنساس بدون استثناء يلتزمون بأهداف معينة في حياتهم، ويكافحون في حياتهم في سبيل هذه الأهداف ويشعرون بأنهم خلقوا لتحقيق هذه الأهداف، وأن هذا هو قدرهم وقد يفنى البعض منهم حياته في سبيل القيم الخالدة أو قيم الوجود مثل الخير والحقيقة والعدل والجمال.

وقد قام ماسلو ببحث متعمق وشامل لجماعة من الأشخاص حققوا ذواتهم وهم أشخاص يندر وجودهم وقد وصلوا إلى نسبة ١% من المجتمع فكان من بين من قام بدراستهم بعض شخصيات التاريخية مثل إبراهام لينكولن وجفرسون وبيتهوفن وكان البعض الآخر لا زال على قيد الحياة عندما قام بدراستهم مثل روزفلت وأينشتين. وقد درسهم ماسلو دراسة إكلينيكية لاكتشاف الخصائص المميزة لهم عن بقية الناس العاديين، كما أنه قام بدراسة بعض من طلابه ومعارفه المميزين.

وقد ظهر اهتمام ماسلو بالذين يحققون ذواتهم عندما أعجب بأستاذين من أساتذته هما رث نبدكت وماكس فرتيمز ووجد بينهم جوانب كثيرة مشتركة.

ولقد انتهى ماسلو من بحثه إلى أن الذين يحققون ذاتهم يظهرون الخصائص الآتية:

- **أنهم يدركون الواقع إدراكاً صحيحاً وتاماً:** ومدركاتهم لا تتخذ لونا بسبب حاجات معينة أو حيل دفاعية. وبعبارة أخرى أن إدراكهم للعالم يتميز بأنه إدراك كينونة وليس إدراك حاجة أو نقص.
- **تقبل الذات والآخرين والعالم بوجه عام:** إن لديهم فكرة واضحة عن نواحي القوة والضعف في أنفسهم وفي الآخرين، ولكن قبولهم لها حيادي. ولا يكون هناك تصرف انفعالي من حيث تفسير العيوب أو الأخطاء تفسيرا مغلوطاً، ثم يتم تجاهلها إن هناك اعترافا بها، فهي موجودة واتخاذ موقف انفعالي سوف لن يغير معظم هذه الأخطاء.
- **أنهم يتميزون بالتلقائية والبساطة والطبيعية:** إنهم يعبرون عن أنفسهم بصراحة وأمانة اللهم إلا إذا كانت الصراحة تؤدي بالضرورة إلى إزاء مشاعر شخص آخر. إنهم لا يخافون من التعبير عن آرائهم وأحكامهم المستقلة.
- **إنهم يميلون إلى الاهتمام بالمشكلات وليس الاهتمام بأنفسهم:** إنهم يلتزمون عادة بإنجاز ما يتصدى له من عوامل لتحقيق هدف أو للدفاع عن قضية أو خدمة رسالة، ويوجهون معظم طاقاتهم لهذا. ويقابل هذا الإنشغال بالذات الذي كثيراً ما نجده فيمن لا يحققون ذواتهم.
- **الميل إلى الخصوصية والعزلة:** من المعروف كراهية بعض الناس للخصوصية أو العزلة، أما المحققون لذاتهم، فيحبون العزلة وأن يخلو الإنسان بنفسه أحياناً، ولما كان الذين يحققون ذواتهم يعتمدون على قيمهم ومشاعرهم في توجيه حياتهم فإنهم عادة لا يحتاجون إلى احتكاك مستمر مع الآخرين.

- **وهم مستقلون ذاتياً وبالتالي يميلون إلى الاستقلال عـــن بيئتـــهم وثقافتهم:** إن المحققين لذاتهم مدفوعين بدوافع الكينونـــــة وليـــس بدوافع النمو فإنهم أكثر إتكالاً على عالمهم الداخلـــي منـــه علـــى عالمهم الخارجي بمعنى أن المحققين لذاتهم صاروا من القوة بحيث يستغنون عن رأي الآخرين الجيد فيهم أو حتى من عاطفتهم وحبهم فيكون اهتمامهم الأول هو النمو الداخلي وتطوير الذات وارتقائها.
- **أنهم يظهرون تذوقاً مستمراً ومتجدد:** أن المحققين لذواتهم يجدون متعة متجددة في خبراتهم فكل وليد وكل شروق جميل بالنسبة لـــهم كأنهم يرونه لأول مرة.
- **إن لهم خبرات شبه صوفيه أي خبرات سامية:** لا تخلـــو حيـــاة المحققين لذواتهم من مناسبات النشوة الغامرة، الشبيهة بـــالوجد، أو الانجذاب الصوفي، حيث يشعرون بقوة عظيمة وتسام أو تجـــاوز لذواتهم (أكثر نسبياً مما يحدث لغيرهم).
- **أنهم ينمون علاقات بين شخصية عميقة مع عدد قليل من الأفراد:** المحققون لذواتهم يصطفون أصدقاءهم من بين من على شـــاكلتهم وصداقاتهم عميقة فصداقاتهم قليلة في العدد ولكنها عميقة وخصبة.
- **أنهم يميلون إلى التوحد مع الإنسانية كلها:** إذا أردت أن تعـــرف موضع كل إنسان فإن عليك الرجوع إلى وجهات نظرهم عن العالم وهل يشاركون الآخرين بغض النظر عن أشكال ضعفهم وفشلهم.
- **إنهم يميلون إلى تقبل القيم الديمقراطية:** يتصفون بالانفتاح الكبير والصراحة الحقة والتلقائية في علاقاتهم مع الآخريـــن. ولا أثـــر لإحساسهم بالتفوق في تعاملهم مع الآخرين أي أن طرقـــهم فـــي

التعامل مع الآخرين لا تعكس الشعور بالتفوق أيــا كــان هــؤلاء الآخرون.

- **أنهم مبدعون ومبتكرون:** لقد وجد ماسلو هذه السمة فـــي جميـــع المحققين لأنفسهم أنها خاصية تميز بصفة عامة جميع الذين درسوا أو لوحظوا من هذه الفئة، وهم يتصفون بالأصالة والإبداع بطــرق تتجاوز الطرق الفنية والتقليدية وتعبر أنشطتهم وإنجازاتـــهم عــن أصالة وحدة، ولا يخافون من ارتكاب الأخطـــاء فــي المواقــف الجديدة.

- **أنهم يقاومون التطبيع الثقافي:** بسبب فرديتـــهم فـــهم يقـــاومون الضغوط التي تؤدي بمعظمنا إلى التسليم بقيمنا الثقافية ويعملـــون على تغيير بعض القيم من أجل أن تتوافق مع مواقفه، فالقيم ليست أشياء جامدة ولكنها قابلة للتغير.

وقد وجد ماسلو بعض الخصـــائص الســـليمة أيضـــاً للذيـــن يحققون أنفسهم: من هنا يوضح ماسلو أن الذين يحققون أنفسهم لـــن يبلغوا الكمال فيذكر ماسلو أن لديهم عادات سخيفة كما أنـــهم مملـــين. عنيدين يثيرون ضيق للآخرين وهم ليسوا متحررين من غرور سطحي وتحيز وعجب بالنسبة لإنتاجهم ولا يتسمون بمجاملة الآخريـــن فـــي سلوكهم أحياناً. ونوبات الغضب ليست نادرة لديهم.

كيف يتم تحقيق الذات:

يتم ذلك من خلال مراجعة الذات والتفاهم معـــها، فعليـــك أن تعتبر الخيارات والدوافع بصدق وأمانة واختر مع قبول درجـــة مـــن المحاولة والخطأ، الأسلوب الأكثر انسجاماً مع ذلك.

هذا بالإضافة إلى إشباع الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمن والحب والانتماء فيجب أيضاً أن تتيح البيئة للفرد أن يحقق ذاته من خلال حرية التعبير وحرية الفرد في أن يعمل طالما أنه لا يؤذي أحد وحرية الدفاع عن النفس والنظام والعدالة والاستقامة، وقد أضاف إليها فيما بعد التحدي أو الإثارة المناسبة كخاصية للبيئة التي تيسر تحقيق الذات.

لماذا لا يشيع تحقيق الذات:

يفسر ماسلو هذه الحقيقة على النحو التالي:

- لما كان تحقيق الذات على رأس التنظيم الهرمي للحاجات فهو إذن أضعف هذه الحاجات ويسهل إعاقتها.
- معظم الناس يخافون التوصل إلى معرفة النفس التي يتطلبها تحقيق الذات.
- يمكن أن تقمع البيئة الثقافية ميل الفرد نحو تحقيق ذاته لأنها تفرض معايير معينة على قطاعات من المجتمع السكاني.
- ولكي يحقق الفرد ذاته ينبغي أن يختار النمو على الأمان.

التطبيقات التربوية للنظرية:

في مجال التربية يجب أن يعي المدرس بالحاجات التي يحسها تلاميذه فمثلاً هناك بعض الحاجات البيولوجية الأساسية يجب إشباعها فالطالب الجائع أو العطشان سيكون من الصعب عليه التركيز في الدرس والأمر بالمثل مع المدرس. وكذلك الحال بالنسبة للحاجات النفسية التي تتطلب رعاية من المدرس كالحاجة إلى الود والانتماء

والإنجاز وتحقيق الذات ولا ريب أن المدرسين الذين يستطيعون إشباع مثل تلك الحاجات سيكونون أكثر نجاحا من غيرهم. ولا شك أنه يمكن استخدام الكثير من النشاطات الصيفية في إشباع الحاجات النفسية ولا يجب أن تكون هذه الأنشطة بسيطة لدرجة الملل أو معقدة لدرجة الفشل بل يجب أن تكتسب معنى أو أهمية في حياة التلميذ كما يجب أن يكون معلوماً أن دور المدرس في إشباع تلك الحاجات هو دور معاون إذ أنه يسهل لتلاميذه تحقيق هذه الحاجات الموجودة لديهم.

نظرية الحاجات لماسلو بين النظريات:

نظريتي روجرز وماسلو: بمقارنة نظريتي روجرز وماسلو يتضح أنهما تختلفان في قضايا كثيرة ومع ذلك فإنهما تشتركان في الكثير أيضاً. والموضوعات التي يجمع عليها روجرز وماسلو تعد تمثيلا جيدا للموضوعات التي يشترك فيها كل العاملين تحت لواء علم النفس الإنساني.

فنجد أن كلا من روجرز وماسلو يؤمنوا بعلم النفس الإنساني عموما إيماناً راسخا بالقوة الجوهرية للطبيعة الإنسانية وخبرتها، فالإنسان يولد مزودا بدوافع للنمو والإبداع والحب ولديه قوة لتوجيه حياته الخاصة وإذا ما توافرت البيئة المناسبة فإن كل الناس لديهم القدرة على تحقيق هذا الوعد.

ووجد أن هذه الفرضية الإيجابية عن الطبيعة الإنسانية ذات فعالية في مواقف كثيرة ومن أمثلة ذلك ما وجد روجرز وغيره من العاملين في ميدان علم النفس الإنساني أثناء تعاملهم مع كثير من الناس الذين يرجعوا لهم طلباً للمساعدة والعلاج النفسي، حيث يلح المعالجون

على أن يتلمس عملاؤهم مواطن قوتهم وأهدافهم الخاصة إذ يجب عليهم أن يبحثوا بأنفسهم عن علاج لمشاكلهم، فإن عالم النفس بإمكانه أن يقدم المعونة ولكنه لا يستطيع قيادة العميل إلى الإحساس بالصحة ويستجيب الكثيرون لهذا النوع من العلاج ويبدو عليهم أنهم يحققون تقدماً ملموساً وهنا اتجاه موازي يمكن أن يستخدم في مكان العمل فإذا عومل المستخدمون على أساس أنهم لا يتحملون المسؤولية وكسالى وكما لو أن دوافعهم إلى العمل دافع مادي فقط فإنهم سوف يعملون بما ينسجم مع هذه التوقعات وهذا مما دعا ماسلو إلى وجوب توقع النشاط من قبل العاملين وأنهم مدفوعون بدوافع الإبداع والجمال وكذلك لأجل المردود المالي، وإذا عوملوا وفق هذا النمط فإنهم سيصبحون أصحاء نفسياً وأكثر فاعلية في ميادين العمل. وقد وجد أن هذا الأسلوب ذو مردود فعال. وبالطبع لا يمكن حل جميع مشاكل العالم بافتراض فروض إيجابية عن الإنسان ولكن كثيرا من هذه الفروض الإيجابية ذو دور إيجابي بالفعل.

ويفترض علماء النفس الإنساني أيضاً أن الخبرات الذاتية (الشخصية) هي أهم الجوانب في كون الفرد إنساناً ورغم أن خبرة الفرد الذاتية والخصوصية قد لا تعكس "عالم الواقع" بطريقة صحيحة فليس بإمكان هذا الشخص أن يتصرف إلا في ضوء خبرته الشخصية والفهم الأمثل للسلوك الإنساني هو ذلك الذي يقوم على فحص ما يشعر الناس به وما يعتقدونه وليس بمعرفة ما يجرى فعلاً في البيئة المحيطة بهم.

اختلاف ماسلو مع فرويد:

- يرى ماسلو أن التحليل النفسي نظر إلى الإنسان باعتباره ضحيـــة لغرائز حيوانية ولصراعات إثارتها الحضارة في نفسه إنما كـــانوا يحدثونا عن جانب واحد من جوانب الحقيقة.
- ويرى ماسلو أن أكبر خطأ وقع فيه فرويد أنه تصور أن اللاشعور هو موطن للشر وكل مرفوض. ويذكر ماسلو أن اللاشعور كمـــا نراه يحتوي أيضاً على جذور الابتكارية والخير والقيــم والخلــق الإنساني.
- ويذهب ماسلو إلى أن فرويد حاول أن يربط بين جميـــع الأنمــاط السلوكية بما في ذلك الأعراض المرضية والأحلام وبين الدوافـــع الغريزية، وقد قام فرويد باستقصاء بحث فيـــه عــن الدفــع وراء الأحلام المزعجة إلى افتراض غريزة الموت. ويرى ماسلو هنا أن السلوك قد يرجع إما إلى سلوك تعبيري أو إلى ســـلوك التصــدي وليس إلى الغرائز والأنماط السلوكية غير المدفوعة.

تقويم النظرية:

استخدم ماسلو في اختياره للأشخاص المحققين لذواتهم محكات غامضة وعند النظر إلى هذه الشخصيات قد نجدهم قد نجحـــوا فـــي مجالات ولم ينجحوا في الأخرى مثال: أن بعض الأشـــخاص الذيــن عرفوا باهتمامهم بتقدم الإنسان ورفاهيته لـــم تكــن لديـــهم علاقــات اجتماعية مرضية مع أزواجهم أو أبنائهم وهناك مثالان لكل من "الينور روزفلت، إبراهام لنكولن اللذان حققا إمكاناتهم فـــي بعــض مجـــالات الحياة على حين أهملوا مجالات أخرى.

إن ترتيب حاجات الهرم قد يكون عكسـياً بالنسـبة لبعـض الحاجات فالثائر السياسي قد يعرض حياته للمخاطرة (الحاجة للأمـن لكي يؤصل ويعزز أفكاره المثالية (الحاجة لتحقيق الذات).

وعلى هذا فإن التسلسل الهرمي مقيد ولكنه لا يجب أن يستعمل بطريقة متصلبة ومتطرفة دون تفكير.

أي أنه قد يصبح أفراد منتجين مبتكرين حتى ولو لـم تشـبع حاجاتهم الأساسية.

تعرض ماسلو لنقد مؤداه أنه لم يلتزم بالمنهج العلمي واستخدم أساليب بحثية غير موثوق بها وغير مضبوط في نتائجه عن المحققيـن لذواتهم وقد اختار عينته للمفحوصين وفقاً لمحاكاته الحدسية.

رفض ماسلو لعلم النفس الذي لا ينظر إلى الأسوياء وينظـر لغير الأسوياء، قد يوضح لنا أنه يجب دراسة الأسوياء فقد اهتم بعـض العلماء بإبراز أهمية الدوافع الفسيولوجية وتأثيرها في السلوك والبعض الآخر إنشغل بالشروط والملابسات التي تسهم فـي تعـرض البشـر للعصاب والذهاب.

مما لا شك فيه أن جهود ماسلو بالإضافة إلى جهود روجـرز وأولبورت قد خلقت قوة ثالثة في علم النفس وهي علم النفس الإنساني.





الفصل الثالث عشر

هانز جورجين أيزنك
Eysenck, H. J.
وأبعاد الشخصية
(نظرية العامل)

الفصل الثالث عشر

أيـــزنـــك

ولد هانز جورجن أيزنك H. K. Eysenck في مارس عـــام (١٩١٦) في ألمانيا ولقد ترك أيزنك ألمانيا (١٩٣٤) وكان قـــد بلـــغ الثامنة عشرة من عمره وقد تلقى تعليمه في مدارس بألمانيا وفرنســـا وإنجلترا.

ولقد درس لفترة في جامعتي ديجون واكســـتر Digon and Extra قبل حصوله على درجتي البكـــالوريوس فـــي الآداب B. A. ودكتوراه الفلسفة من الكلية الجامعية في لندن (١٩٤٠) حيث حصـــل أيضاً على دكتوراه في العلوم doctor of Sience Fegree.

ولقد تزوج من مارجريت مالكوم عام (١٩٣٨) وانجبـــا ابنـــاً واحدا وفي عام (١٩٥٠) تزوج أيزنك من سيبسيل روستال وأنجبـــا ٣ أبناء وبنت وقد عمل كأخصائي نفسي بمستشفى ميل هيـلى Mill Hill من (١٩٤١-١٩٤٦) وعمل أستاذا زائرا في جامعة كاليفورنيا وعمـــل أستاذا لعلم النفس في جامعة لندن عام (١٩٥٥) وكذلك عمـــل مديـــرا لقسم علم النفس في مستشفى مودزلي ومستشفى بتلهام عـــام (١٩٤٦) ولقد تأثر في بحوثه بسبيرمان رائـــد التحليـــل العـــاملي وباســـهامات ثرستون كما تأثر في فكره السيكولوجي "بكـــارل يونـــج" وأرنســـت كرتشمر واستفاد في كتاباته الأخيرة من الاتجاه السلوكي الشرطي عند بافلوف وكلارك هل.

وأيزنك رجل نشط جدا يروح عن نفسه بالمشي ولعب التنس والشطرنج ولقد نشر أكثر من ٢٠٠ من البحوث والمقالات في مجلات علم النفس البريطانية والأمريكية والألمانية والفرنسية.

وبرغم أن بحوث أيزنك قد تركزت إلى حد كبير في مجال الدراسات الأكلينيكة للشخصية فإنه قد قام أيضاً ببحوث تتعلق بالاتجاهات والفكاهة والجماليات والكثير من المجالات الأخرى وفيما يلي استعراض لبعض عناوين كتبه التي تدل على التنوع والخصوبة في الإنتاج العلمي منها:

- أبعاد الشخصية ١٩٤٧ Dimensions of Presonality
- سيكولوجية السياسة ١٩٥٤ The psychology of politics
- الحقيقة والوهم في علم النفس ١٩٦٥ Fact and fiction psychology
- الجريمة والشخصية ١٩٦٤ Crime and personality.
- نموذج الشخصية ١٩٨٠ Amodel for personality

من حيث مساهمات أيزنك في دراسة الشخصية فهي متعددة ويعتبر أهمها: نظريته في أبعاد الشخصية التي كشفت عن وجود خاصية رئيسية في الشخصية أهمها قائمة أيزنك للشخصية eysenck personality inventery.

وتتميز عبارات أيزنك للشخصية ببساطة صياغتها حيث يمكن أن يستوعبها شخص محدود الذكاء أو التعلم والاختبار مكون من (٧٥) عبارة يجيب المفحوص عنها بنعم أو لا والاختبار بسيط في تعليماته

ولا يتطلب تطبيق خبرة مهنية خاصة ويمكـــن للأخصـــائي النفســـي المبتدئ إجراء الاختبار وتصحيحه.

العامل:

هو ما يكشف عنه التحليل العاملي أو ما يصل إليه وذلك علـــى نحو ما ذهب البعض في تعريفهم عن الذكاء بأنه هو ما تكشف عنـــه اختبارات الذكاء.

التحليل العاملي:

التحليل العاملي يعتمد على تحليل معاملات الارتباط بين ألوان السلوك وثيقة الصلة بالشخصية والتي يكشف عنها العديد من طـــرق الملاحظة والاختبارات بحيث يمكن تحديد أي مقاييس الشخصية تتفـق معا وأيهما لا تتفق معاً.

الوصف النفسي الإحصائي للسلوك الإنساني:

يقول أيزنك: (...أنه لم يحن بعد الوقت لتعريـــف الشـــخصية وأقصى ما يمكن تحقيقه حالياً هو وصف الشخصية بأقل عدد ممكـــن من العوامل المتداخلة وبتحديد موقعها على أقـــل عـــدد ممكـــن مـــن الأبعاد).

ويذكر أن هناك بعض الاتفاق على أن الشخصية ترجع إلـــى تراكمات مستمرة في تكوين الفرد وإنها تشمل الأساس الواقعي الـــذي يمكن خلق الفروق الفردية الهامة في السلوك.

ويرى أيزنك أن أي نظرة للشخصية يجب أن تعتمد على النتائج التجريبية التي تعالج نتائجها بالطرق الإحصائية وقد بين أيزنك أهمية العوامل الوراثية في تطور الشخصية.

ويدور تعريف أيزنك للشخصية في أنها المجموع الكلي لأنماط السلوك الفعلية أو الكامنة لدى الكائن ونظراً لأنها تتحدد بالوراثة والبيئة فإنها تنبعث وتتطور من خلال التفاعل الوظيفي لأربعة قطاعات رئيسية تنتظم فيها تلك الأنماط السلوكية: القطاع المعرفي (الذكاء)، القطاع النزوعي (الخلق)، القطاع الوجداني (المزاج) والقطاع البدني (التكوين).

وقد استخدم أيزنك تعريف روباك Roback للشخصية (١٩٣٤) وهو التنظيم المتكامل لجميع خصائص الفرد المعرفية والوجدانية والنزوعية والجسمية كما تظهر ذاتها في تمايز مركز بالنسبة للأخيرة ويدخل في تعريف الشخصية هذا عند أيزنك اعتقاده في استمرارية السلوك واتصاله.

بناء الشخصية:

بينما يهتم كارل بالسمات نجد أن أيزنك يهتم بالانماط فالهدف في بحوثه ظل البحث عن أنماط.

ونجد أنه بينما تنشأ السمة من الارتباط بين الاختبارات فإن النمط ينشأ من الارتباط بين الأشخاص ومن ثم يصبح النمط مجموعة من الأشخاص المرتبطين والنمط زملة من السمات أو مستوى أرقى تنتظم فيه السمات.

ويرى أيزنك أن هناك ثلاثة أبعاد رئيسية للشـــخصية وهــذه الأبعاد هي:

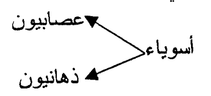
الانطواء	Introversion	الانبساط	Extroversion
العصابية	Neuroticism	اللاعصابية	Non-Neuroticism
الذهانية	Psychoticism	اللاذهانية	Non-Psychoticism

ووفقاً لأيزنك يجب اعتبار أن كل فرد موجود في نقطة معينــة في أي من الأبعاد الثلاثة ولذلك فإن الأفراد المنحرفين وهم يوصفــون (عصابيون ــ ذهانيون) يختلفون عن الأسوياء في الدرجة فقط وليــس في النوع.

وفي معظم دراسات الشخصية التي تعالج السلوك المنحرف يتم اتخاذ المنحنى كأساس حتى يتوزع الأسوياء في وسط المنحنى بينمـــا يقع العصابيون والذهانيون في الطرفين.

عصابيون أسوياء ذهانيون

وفي محاولة أخرى لبيان الفرق بين العصابيون والذهـــانيون والأسوياء ينقسم الأسوياء حين ينحرفون إما لعصابيون أو لذهـــانيون كما في الشكل التالي:



ويشعر أيزنك أن الأبعاد الثلاثية الســابقة للشــخصية ليســت الاحتمالات الوحيدة الممكنة وأن البحوث التالية قد تكشف عن مزيد من هذه الإمكانيات.

ونجد أن الأبعاد الأساسية للشخصية ما هي إلا أطـــر تنتظـــم داخلها مظاهر السلوك في مجموعات متماسكة إلى حد كبير يجمع بين أفراد كل منها جامع الاتفاق في سرعة النضج واتجاهه فهي تزداد معا وتنقص معا وتثبت على قدر معين معا وقد سماها المحاور التي تـدور عليها الشخصية أو السمات التي تتسم بها الشـــخصية وهـــي أســـماء متعددة لمسمى واحد والبعد بحكم طبيعته هو مسافة أو مستقيم يمتد بين نقطتين.

المنطوي:

المنطوي الخالص هادئ ومترو ومتأمل ومغرم بالكتب أكـــثر من غيره من الناس ومحافظ متباعد إلا بالنسبة لأصدقائه المقربين وهو يميل للتخطيط مقدما أي أنه ينظر قبل أن يخطو أي خطوة ولا يحـــب الاستثارة ويأخذ شئون الحياة اليومية بجدية ويخضع مشاعره للضبـــط الدقيق ويندر أن يسلك بأسلوب عدواني ولا ينفعل بسهولة ويعتمد عليه ويميل للتشاؤم ويعطي أهمية كبيرة للمعايير الأخلاقية.

وقد أتضح أن المنطويين يتم اشتراطهم على نحو أفضل مـــن المنبسطين بطريقة هل وبافلوف وهم أسرع من مجال العد والحســـاب ويعيدون إنتاج الرسوم على نحو أسرع من المنبسطين ويتذكرونها لمدة أطول وهم أكثر تأثراً بالمنبهات ويفضلون الصور الأقل فـــي اللـــون والأهدأ في الظلال وهم أقل ميـــلاً للمغـــامرة ويرتبطـــون بـــالنمطين السوداوي والبلغمي عند أبقراط.

المنبسط:

المنبسط الخالص اجتماعي يحب الحفلات وله أصدقاء كثيرون ويحتاج إلى إناس حوله يتحدث معهم ولا يحب القـــراءة أو الدراســـة منفرداً ويسعى وراء الاستثارة ويتصرف بسرعة دون تـــروي وهـــو شخص مندفع على وجه العموم ويحب التغير عادة، ويـــأخذ الأمـــور ببساطة ومتفائل وغير مكترث ويحب الضحك والمرح ويميل للعـدوان وينفعل بسرعة ويصعب إشراط المنبسطين بطرق هل وبافلوف، وهـــم يفضلوا أن يكونوا دائمي الحركة والنشاط وأن يقوموا بأعمال مختلفـــة ولا يميلون في ظروف العمل إلى الأعمال المتكررة ويتميزون بذاكـرة أطول للأرقام وأقل تأثراً بالمثيرات ويفضلوا الصور الأكـــثر ألوانـــاً وإشراقاً ويرتبطون بالنمط الدموي والصفراوي عند إيقراط.

ويذهب أيزنك إلى أن الهو تبدو لها السيادة لـــدى المنبســـطين والأنا الأعلى لدى المنطويين.

العصابية:

إن بعد العصابية يشبه فكرة عدم الاتزان الانفعـــالي فـــالأفراد الذين يقعون عند طرف بعد العصابية يميلون للتعرض للقلق ويســـهل استثارتهم ويحتمل أن يشكون من الصـــداع والأرق وفقـــدان الشـــهية ويقومون بدورهم الأسري والمجتمعي على نحو مناسب وأقـــل قـــدرة على الرؤية في الظلام من الأسوياء ومستوى حافزهم أعلى مما نجـــد عند الأسوياء.

ويذكر أيزنك أنه يجب التميز بعناية بين العصابيـــة أي عـــدم الاتزان الانفعالي الموروث الذي يهيئ الشخص ويجعله مستعداً لتكوين

أعراض عصابية عند التعرض لضغط ويصاب في النهايـــة بانـــهيار عصبي، وبين العصاب وهو ينتج عن ضغط انفعالي علـــى الجـــهاز العصبي فيميل للاستجابة عن طريق الأعراض العصابية وقـــد ظـــهر العصاب عند شخص لديه درجة منخفضة من عدم الاتزان الانفعـــالي نتيجة ضغط بيئي قوي وشامل وقد لا يظهر عند شخص آخر اســتعداد شديد للعصاب نتيجة لعدم توافر الضغوط عليه.

الذهانية:

الذهانيون أقل طلاقة من الناحيـــة اللغويـــة وتركـــيزهم أقـــل وذاكرتهم أضعف هم بطيئون في الأعمال العقلية والإدراكية وقليلـــوا الحركة وغير قادرين على التكيف مع التغير في البيئة ويرى أيزنك أن الأفراد يختلفون في ٣ خصائص:

- يختلفون في السرعة التي يتم بها الكف والاستثارة فـــي الجـــهاز العصبي.
- سرعة تبدد توزع في الجهاز العصبي.
- قوة أو شدة الناتج والانطفاء.

الذكاء:

لقد دعم أيزنك في مجال الذكاء النموذج ذو التنظيم الـــهرمي مثله في ذلك مثل سابقيه من البريطانيين فهناك عوامل أولية كـــالقدرة العددية والقدرة اللغوية والقدرة المكانية والطلاقة في الكلمات والذاكـــرة الصماء والاستدلال ولكن هذه ترتبط بعضها مع البعض الآخر لكـــي تكون عاملاً عاما للذكاء.

ولقد كان تحليل أيزنك المفضل للأداء في نسبة الذكاء بالتعامل مع فورينيه وهوايت قائما على تقسيم درجات اختبارات نسب الذكـــاء لثلاثة جوانب تتباين على نحو مستقل إلى حد ما وهي:

- سرعة الأداء العقلي ولها علاقة بمستوى الصعوبة ذلك أنه كلمـــا ارتفع هذا المستوى زاد الزمن المستغرق للأداء.
- الدقة في الأداء وهي وظيفة لميكانيزم مراجعة الخطأ أي أنه كلمـا تكونت في المخ محاولة الحل فإن صلاحيتها تختبر كإجابة للمشكلة الحقيقية موضع للاعتبار.
- وتستمر عملية القيام بحلول تجريبية واختبارها حتى يتم التوصـــل لحل صحيح أو حتى يؤدي نقص المثابرة لتحويل الانتباه لمشـــكلة أخرى.

ونسبة الذكاء تمثل اتحادا مفيداً لهذه المكونات الثـــلاث هـــي السرعة والدقة المثابة والاختيار الجيد للذكاء أو مجموعة الاختيـــارات هي التي تزودنا بقياسات منفصلة لهذه الأبعاد كما تزيد من قدرتنا على التنبؤ بالنجاح في الحياة العملية.

ويرى أيزنك أن الذكاء مستقل نسبياً عـــن أبعـــاد الشـــخصية الأخرى ولكنه يتفاعل معها جميعاً بطرق معقدة ومتعددة وقـــد يبحـــث هذه العلاقة بالنسبة لبعد هام في الشخصية هو الانبســـاط والإنطـــواء فيذكر أن الذكاء اللفظي لدى المنطوي بينما السرعة عند المنبسط أعلى إذ يحفل بالسرعة على حساب الدقة ومعـــروف أن الســـرعة والدقـــة وجهان أو مظهران هامان للعملية العقلية.

ويرى أيزنك أن اختبارات الذكاء المستخدمة قد تكون لها قيمة كبيرة في قياس نسبة الذكاء أو القدرة العقلية وقد استخدمها فقط على افتراض ثبوت نسبة الذكاء ولكنها لا تكون لها نفس القيمة في حالة التنبؤ بالنجاح في المستقبل إذا طبقت على الأطفال، ومن هنا يمكن الاعتماد على اختبار واحد إذا أردنا التعرف على قدرة الطفل الحالية وفي نفس الوقت أن نتنبأ عن قدرته في المستقبل على التحصيل مثلا بل يجب استخدام اختبارين أحدهما لقياس ما لدى الطفل من ذكاء والآخر محاولة قياس حجم الزيادة المحتملة في الذكاء والتحصيل.

السلوك الاجتماعي:

لقد وسع أيزنك نسق الشخصية بحيث يصل للسلوك الاجتماعي المعقد فلقد أظهر أيزنك أن حصول فرد على درجات عالية في عوامل الشخصية الثلاث وهي الانبساط والعصابية، والذهانية وخاصة العامل الأخير يهيئ الفرد للسلوك الجانح والإجرامي.

وينظر أيزنك للبنيات التشريحية والفسيولوجية والمفاهيم النيرولوجية كالتنبيه والتنشيط إلى الفروق الفردية في التعلم والاشتراط والإدراك وغيرها من الظاهرات المعملية كسوابق لمفهوم الشخصية وهي مع مؤثرات بيئية معينة تحدد الأنماط الظاهرة للانبساط والعصابية وهلم جراً التي تتوصل إليها وإذا أضفنا مؤثرات بيئية أخرى للمعادلة نجد ظاهرات اجتماعية مختلفة كالعصيان أو الجريمة، والقابلية للتعليم، والسلوك الجنسي والاتجاهات السياسية كما نجد أنماط سلوكية أكثر تحدداً كالاستهداف للحوادث والفكاهة والاختبار المهني.

الأساس البيولوجي للشخصية:

هناك شواهد كثيرة تدل على أن لنظرية أيزنك في الشخصية أساس بيولوجي واضح، فالشخصية لا تورث على حد مباشر بل يسر الفرد على الأرجح نمطاً معيناً من الجهاز العصبي يجعله ميالا للنمو في اتجاه معين، ويتحدد الشكل النهائي للشخصية نتيجة للتفاعل بين استعدادات الفرد البيولوجية والمؤثرات البيئية التي يتعرض لها في حياته.

فالخصائص الوراثية ليست هي العامل الذي يفرض انماطاً معينة في السلوك الفردي على نحو معين بغض النظر عن تباين البيئات واختلافاتها؛ فالعوامل الوراثية تعمل في نطاق وبيئات مختلفة وتأثير البيئة يتمثل هنا لا في "تعديل" هذا النمط الوراثي وتغييره بل في تطويع هذه الخصائص وفي ملائمة الفرد مع بيئته الاجتماعية وإذا ما كان الإنسان في البداية هو الكائن البيولوجي الذي يشارك الكائنات العضوية الأخرى في كثير من الخصائص فإن هذه الحقيقة المسلم بها لا تهدم أبدا الحقيقة الأخرى بأن الإنسان هو الكائن الاجتماعي الذي "يمتص" التقاليد والقيم وهو الذي يقوم بتطويرها ونقلها عبر الأجيال.

واقترح أيزنك أن لبعض قوانين السلوك أساس بيولوجي كامل وثمة بعدان متضمنان في هذه النقطة أحدهما يتناول الانفعالية والعصابية وعدم الاتزان والثاني الأنطواء ـ الانبساط وكلاهما يتأثر بالعوامل الوراثية البيولوجية عند الإنسان.

تنمية السلوك العصابي:

وفقاً لما يراه أيزنك يمكن تصنيف كل الأعصبـــة باعتبارهــا ناتجة أما عن زيادة في الاشتراط أو نقص فيه ويطلـــق علـــى الفئـــة الأولى النمط الأول Type I في الاضطراب ويطلق على الفئة الثانيـــة من الأعصبة النمط الثاني Type II وهناك ثلاثة خطوات في اكتسـاب النمط الأول من الاضطرابات.

في الخطوة الأولى:

يتعرض الشخص لحادثة صدمية واحدة أو سلسلة من الحادثات الصدمية الفرعية مما يؤدي إلى ردود أفعال قوية غير شرطية انجذابية في الجهاز العصبي المستقل. وقد تكفى ردود الأفعال هذه لأحداث خلل في السلوك ويتوقف هذا على شدة الصدمة أو فترة بقائها، كما يتوقـف على الاستجابة الفسيولوجية للفرد.

وفي الخطوة الثانية:

من نمو العصاب ترتبط الإمارات الحيادية سابقا بمثيرات غير شرطية تنتزع ردود الأفعال الإنفعالية العنيفة ومـــن خـــلال ارتبـــاط المثيرات الحيادية سابقاً مع الاستثارة الاتونومية ينتزع المثير الأصلـي غير الشرطي (الصدمة) والمثيرات الشرطية (والتي كانت مـــن قبـل حيادية) السلوك الانفعالي غير المنتظم وغير المتوافق والذي كثيرا مـا يميز العصابي.

فإذا انتزعت الاستجابة الشرطية مرة أخـــرى دون الصدمـــة المرتبطة بها فإن الاستجابات تنطفئ ــ وهكذا فمواجهـــة المثـيرات الشرطية التي ارتبطت بها تضعف قدرة المثـــيرات الشـــرطية علـــى

انتزاع الاستجابات الشرطية وينطفئ العصاب ولما كان جميع العصابيين لا يظهرون تحسنا خلال مواجه المثيرات التي تولد الخوف (وبالتالي تفسح المجال للانطفاء) فإننا في حاجة إلى خطوة ثالثة لاكتساب السلوك العصابي.

وتتم الخطوة الثالثة:

حين يدور الشخص استجابة تجنب وذلك برفضه مواجهة المثيرات التي تؤدي للخوف عنده ــ ولما كان كل منا قادر على أن يتصور أو يتخيل الصدمة تصوراص حيا فإنه يستطيع أن يستعيد الظروف التي خلقت عصابة وأن يعزز باستمرار الصدمة الأصلية، وفضلاً عن ذلك فإنه من خلال المزاوجة بين الصدمة المتخيلة مع مثيرات أخرى غير التي ارتبطت بها في الأصل، تزداد الإمكانية لحدوث مثيرات شرطية إضافية وامتداد للسلوك العصابي بغير صدد.

ومن بين الزملات التي يضيفها أيزنك في النمط الأول باعتبارها ناتجة عن زيادة في الاشتراط حالات القلق وردود الأفعال للمخاوف المرضية، والاضطرابات الوساسية القهرية. ومهما يكن من شيء فإن الاضطرابات المهجورة من النمط الأول لا تحدث كلها بسبب استجابات التجنب ــ ويبدو أن هناك مجموعة ثانية من النمط الأول من الاضطرابات تتكون من خلال الإخفاق في إنطفاء المثيرات الشرطية ووفقاً لما يراه أيزنك فإن استعادة الخوف المرتبط بالمثيرات الشرطية التي لا يتبعها تعزيز تثير خوفاً أكبر وبالتالي تحدث تغذية راجعة موجبة ــ ويعزز المثير الشرطي وبالتالي بمنع انطفاء الاستجابة الشرطية.

ويمثل النمط الثاني من الاضطرابات الإخفـــاق فـــي إشـــراط العادات المستحسنة اجتماعياً والتوافقية وهنا يسلم أيزنـــك أنـــه حيـــن ينغمس الطفل في السلوك غير اللائق فإنه يتلقى عقاباً يتفاوت في شدته من الاتراب والمعلمين أو الأباء مشروطاً بالسلوك غير اللائق ومرتبـا عليه وهكذا يصبح السلوك غير اللائق المثير الشرطي ويصبح العقـاب المثير غير الشرطي الذي يؤدي إلى استجابات الألـــم والخـــوف مـــع تكرار اقتران السلوك غير اللائق مع العقاب، ترتبط اســـتجابة القلـــق الشرطية والخوف على نحو مباشر بالسلوك غـــير اللائـــق وارتبـــاط الخوف والقلق بالسلوك غير اللائق تؤدي إلى كفه.

وهذا الكف يميل إلى التعميم ليشمل الأنماط الســـلوكية غـــير اللائقة الأخرى والتي يطلق عليها الآباء أنماط سيئة وهكذا ففي النمـــو السوي ينشأ النسق الخلقي والذي نسميه ضميراً عن طريق الاشـــتراط الكلاسيكي وفي الاضطرابات من النمط الثاني، يخفق الاشتراط وتظهر أنماط سلوكية مختلفة مثل الكذب المتأصل والتبول الـــلاإرادي الليلـــي وثمة الثالث من الاضطرابات ويعالجه أيزنك باعتبـــاره فئـــة فرعيـــة خاصة من النمط الثاني من الاضطرابات وينمو حيـــن يعـــزز الفـــرد بسبب سلوكه غير اللائق كالفتشيه غيرها من الانحرافات الجنسية.

التعلم والعلاج السلوكي:

الأعراض العصابية يتم تعلمها عن طريق عملية الاشتراط فإذا أردنا التخلص من هذه الأعراض العصابية المكتسبة فلابد أن نبحـــث عن الوسائل التي تساعد على حل الروابط الشرطية أو الاقتران السيء التوافق. وترتبط بعض خصـــائص الشـــخصية علـــى نحـــو مباشـــر

بالاشتراط يختلف الأفراد في سرعة اكتساب الاستجابات الشرطية كما يختلفون في قوة هذه الاستجابات المعتادة ومقاومتها للتفكك.

وقد أتضح لأيزنك من خلال دراساته أن الأشخاص المنطوين يتميزون بسرعة اكتساب الاستجابات المعتادة وبقوتها أما المنبسطون فإنهم ضعاف في الاشتراط، وأكثر ميلا أو استعداداً لفقدان الاستجابة الشرطية حيث لا تتوافر الإثابة.

ويذكر أيزنك أن التعلم عامل قوي ومؤثر في الشخصية الإنسانية فالفرد لا يتعلم أن تكون له شخصية فحسب بل أنه حين يعاد بنائها وتكوينها فإن ذلك يتم وفقاً لقوانين التعلم وخاصة تلك التي سلم بها بافلوف وهل. .

ولقد قسم الاضطرابات لمجموعتين تلك التي يتم فيها تعلم عادات خاطئة على أساس الخوف الشرطي، والتي لم يتم تعلم العادات القيمة فيها، أو أن العادات الخاطئة قد تعلمت وليس لتجنب الخوف والمجموعة الأولى تتطلب إجراء إنطفاء أما الثانية فتتطلب تكوين الارتباطات بين المثير والاستجابة التي تنقصنا، والعلاج السلوكي لا يسعى إلى تغيير السلوك المضطر فحسب بل إلى دعم تنمية الأنماط السلوكية الفعالة البديلة.

البحوث المميزة وطرق البحث:

لقد جمع أيزنك بين طرق القياس النفسي وبين الإجراءات الكلينيكية كما أنه استخدم المقاييس التجريبية بغية التقليل من أخطاء الذاتية مع مراعاة تطبيقها على أعداد كبيرة والاستعانة بالتحليل العاملي لتحاشي ضيق النظرة التي تميز التجريبيين.

كما استخدم خلال سنوات طويلـــة طرقـــاً منوعـــة لدراســة متغيرات كثيرة منها:

اشتراط جفن العين، الاستجابة الجلفانية للمثير، إفراز اللعـاب، التدخين، والرسم في المرآة، النكات، دراسة الخط، التنويم المغناطيسي وطرائق أخرى في مجال الإنسان كما درس الحيوان أيضا ــ وهـــذه القائمة من الطرق تدل على مدى اتساع منهجه في البحث.

وطريقة أيزنك الأساسية طريقة فرضية اســـتدلالية، أي أنـــه يضع الفروض ثم يختبرها استدلالياً. وهو يرى أن النظرية الفرضيـــة الاستدلالية تقوم على الجهد العلمي الذي يحاول تخطـــي الأمبريقيـــة الخالصة والاستقرار البسيط إلى افتراض القوانين والنظريات العامـــة والاستدلال منها على كل من العواقب الملحوظة وغير الملحوظة بعــد وتكمن القيمة التي يمكن أن تقدر بها النظرية في التوصل لمثل تلـــك الاستدلالات واختبارها، ومن خلال هذا النوع فحسب من الإجـــراءات التجريبية يمكن إنجاز تلك التحسينات وتحقيق مزيد من التعقيـــد دون الإخلال من الدقة.

وأيزنك مثل كاتل وجيلفورد يفضل التحليل العاملي في معالجته للبيانات التي يجمعها وهو يختلف عن كاتل ويقترب من جيلفورد مـــن حيث أنه يركز على المستويات العليا من التجريـــد حيـث يتجـاهل العوامل من المرتبة الأولى التي تظهر عند تحليل البيانات التي جمعـها عن الشخصية وهذا معناه أن أيزنك يستخلص عاملين أو ثـــلاث فـــي حين أن كاتل يستخلص عشرين عاملا أو قد تزيد عن ذلك ويتوقـــف هذا على المواد الخام التي يستخدمها وهناك فرق أساسي بيـــن هذيـــن المنظرين ذلك أن كاتل يفضل محك التدوير وصولاً إلى تكوين بســيط

وكثير ما يكون مائلا وكاتل يشعر أنه بذلك يقترب من الطبقية الحقيقية لبناء الشخصية ويعتمد أيزنك من ناحية أخرى على التدوير المتعـــامد على محكات خارجية أخرى.

التنبؤ العلمي أو المعملي:

إن تنبؤ أيزنك بالسلوك الإنساني يقوم أساســاً علـــى المنـــهج الناموسي الذي استخدمه في تجاربه العلمية وسنعرض خلاصة لعـــدد من الدراسات التي أسفرت عن نتائج تتســق مـــع نتــائج ودراســات وتجارب أيزنك فيما يلي:

- في دراسة للشخصية والكلام لدى المنبسطين والمنطويين وجــد أن المنبسطين يستخدمون في أحاديثهم أصواتا أعلى وفترات صمـــت أقصر في أنماطهم الكلامية وهذه النتيجة تدعم إلى حد ما نظريـــة أيزنك.
- درس جوتيمان ٣٤ من التوائم المتماثلة، ٣٤ من التوائم الأخويـــة، طبق عليها اختبار الشخصية المتعدد الأوجه واختبار كاتل للمرحلة الثانوية كما استخدم عددا من المقاييس الأخرى المختلفـــة كعــدد وخطوط بصمات الأصابع والصور وفصائل الدم، وحلـــل هــذه البيانات عامليا وتوصل عامل من المرتبة الثانية للإنطواء الانبساط مما يعتبر تدعيماً لنظرية أيزنك فيمـــا يتصـــل بقابليـــة العوامـــل للوراثة.
- لقد استمر أيزنك في الهجوم على العلاج النفسي وطرائقه التقليديـة باعتبار أنها لا تحقق نتائج أفضل مما يحدث أو تركـــت للصدفـــة وفي محاولة قام بها كيسلر ليثبت بطلان البدء التلقائي توصل إلـــى

ما يقترب من تدعيم أيزنك فيما يتصل بالعلاج والى أن الأنماط التقليدية في العمليات العلاجية اخفقت في تحقيق أهدافها.

- ولقد قرر أيزنك أن تذكر المنبسطين يتحسن بعد فترات الراحة وبعد ممارسة متجمعة على نحو أفضل من المنطويين وذلك بسبب ما تتصف به المجموعة الأولى من مستوى عال من الكف ولقد ثبتت صحة هذه النتيجة.

والدراسات السابقة ما هي إلا قليل من كثير يدعم نتائج بحوث أيزنك وأفكاره غير أن هناك بحوثاً أخرى وشواهد مستمرة من التجريب والبحث العلمي تنتقض ما توصل إليه أيزنك في مجال الشخصية ومنها:

- إن عمل سبنسي ينقض ماذهب له أيزنك من أن الانبساط ــ الانطواء يرتبط بالقابلية للاشتراط والإنطفاء.
- أعاد فرانكس تجربة لإشراط إغماضة للعين باستخدام عينة صغيرة وأسفرت نتائجها عما يناقض ما وصل إليه أيزنك، كما بينت أن أسلوب الاستخبار أسلوب خاطئ من حيث ارتباطه بإشراط إغماضه العين.
- على الرغم من تصدي الكثيرين لتنفيذ انتقادات أيزنك للعلاج النفسي ونتائجه إلا أن من أبرزهم روزنز ويج لأنه قدم عرضا من أفضل العروض التي تدل على أهمية العلاج النفسي للسلوك الإنساني.

المكانة الراهنة والتقويم:

- إن تنبؤات أيزنك عن العلاقة بين الانبساط والاشتراط أدخلته في صراع نظري مع بعض الباحثين والذين يعملون في إطار نظرية هل ــ سنبس الذي يرى أن الاشتراط يتصل بالحافز فلقد قرر سنبس أن معدل الاشتراط والانطفاء يتناسب مع الانبساط ــ الأنطواء ــ وليس القلق ونتيجة لهذا الخلاف قام سبنس (١٩٦٤) بتجارب قرر بعدها أنه لم يجد ارتباطاً بين درجات الانبساط ومعدل الاشتراط وإنما وجد ارتباط بين الدرجات على مقاييس القلق الظاهر والدرجات على مقياس العصابية وقام دافيس وبين وسلون (١٩٦٤) بتجربة في محاولة لحسم هذا الخلاف وتوصلوا لنتائج تدعم وتؤيد موقف سنبس وتناقض ما توصل إليه أيزنك من ملاحظات فيما يتصل بالاشتراط.

- ولقد تعرض موقف أيزنك القائل بأبعاد ثلاثة لنقد عنيف من الباحثين من أمثال ريموند كاتل وأعوانه وهم يذهبون إلى أن الشخصية الإنسانية خصبة ومعقدة وإن اختزال تعقد الشخصية الإنسانية لهذين العاملين لهو من قبيل الإيجاز المخل الذي لا يفيد في عملية التنبؤ بالسلوك ويذهب كاتل إلى أننا يمكن أن نميز بين العصابيين والأسوياء على أساس مجموعة من العوامل وليس على أساس اختلافهما بالنسبة لعامل واحد ودراسات كاتل تؤكد على أن العصابية حالة معقدة موقفيا ومحددة نشوئياً وهذا يخالف ما توصل إليه أيزنك وماينادي به.

- ونظرية أيزنك في أضعف مواقفها عند تنـــاول عمليـــة التطبيـــع الاجتماعي ففي غيبة الشواهد والأدلة القاطعـــة الدالـــة علـــى أن المنطويين يتعلمون بالاشتراط على نحو أسرع مـــن المنبســطين فليس لدينا سند قوي لإصدار تعميمات عريضة عن تنمية الأنمــاط السلوكية الاجتماعية لدى هاتين الجماعتين على أساس الاختـــلال في قابليتها للاشتراط.

وهذا يعرض أيضاً محاولات أيزنـــك للربـــط بيـــن الســـلوك الاجتماعي والعوامل البيولوجية للمزالق ولعل أفضل طريقة لتلخيـــص العمل العملي والمعملي الذي قام به أيزنك أن نقتبس من مقال كلايـــن وزملائه في المجلة السنوية لتقويم علم النفس عام ١٩٦٧:

"...وكيف تقوم نظريات أيزنك إذن والكم الضخم من البحـــوث التي أثارتها هذه النظريات. إن هذه النظريات قفزة من مستويات أعلى من المعمل لمستويات أعمق ويبدو أن كثيرا من النتائج التي ظـــهرت في التقارير العلمية وخاصة التي قدمها أيزنك وتلاميـــذه تؤيـــد هـــذه النظريات.

غير أن هناك على أية حالة كثير من النتائج المتضاربة التـــي كثيرا ما يغفلها دون تدقيق كاف وأوضح قصور هو مـــا ظـــهر فـــي الدراسات الفسيولوجية التي تعالج على نحو مباشـــر بدرجـــة أكـــبر المسائل التي يتصدى لدراستها.

وقد تتحقق هذه في المستقبل مع زيادة المعرفة في هذا المجال.

وتمثل دراسة العقاقير محاولة في هذا الاتجاه من الجوانب المشجعة بالنسبة لنا أن النتائج المتضاربة دفعت أيزنك لا إلى توضيح مفاهيمه بل لتقصي الأبعاد ذات العلاقة في أعماله المعملية".

هذا وسوف نعرض في الجزء التالي لأهم ما ورد في كتاب أيزنك الشهير "الحقيقية والهم في علم النفس" (١٩٦٥) والذي يتضمن موضوعات ثرية هي زيارة لمعمل سيكولوجي، والشخصية وشيطان أيزنك، وطريقة جديدة لشفاء العصاب وعلاج أم غسيل مخ، وأخيراً الحوادث الشخصية.

زيارة لمعمل سيكولوجي:

يعد تعبير المعمل السيكولوجي بالنسبة لمعظم الناس تعبيراً يناقض نفسه، فعلم النفس كما يعتقدون هو في الأساس دراسة للعقل أو النفس فكيف يمكن لمثل هذا الشيء اللطيف غير المادي أن يحبس ويقيد ويحصر في الحدود الضيقة لغرفة مليئة بالأجهزة مثل هذه الأسئلة جديرة بالإجابة، وسوف أصحب القارئ في هذا الجزء إلى عدد قليل من الغرف في معمل مبيناً ما يجري فيها من أمور.

في الغرفة الأولى على اليمين حيث نرى هناك جهازا ليس بالغ الشهرة ولا التأثير، بل هو مجرد نوع بسيط من الأجهزة يسمى جهاز المتابعة الدائرية. ويتكون الجهاز من قرص جراموفون دوار مصنوع من البلاستيك، يدور حول نفسه بسرعة ٦٠ دوره في الدقيقة وقد ثبت فيه بالقرب من حافتة قرص معدني صغير يدور معه أمام المفحوص الذي يمسك في يده بقلم ذي مفاصل وطرف معدني ومهمة المفحوص هي أن يحاول المحافظة على القلم في تلامس مع القرص

المعدني ويمكننا هذا الجهاز أن نقيس ببعض الدقة، الدوافع الإنسانية والحوافز التي تمكن وراء بعض النشاط وأن نحلل آثار الشيخوخة وتلف المخ.

هنا في الغرفة رقم ٢ نجد ما يشبه الحلزون مرسوما على قطعة من الورق المقوى تدور في اتجاه عقارب الساعة بسرعة حوالي مائة لفة في الدقيقة. ويتم إظلام الحجرة تماماً ثم يسلط على الحلزون شعاع من الضوء ذو بريق معين، ويطلب منا أن ننظر بثبات لمركز الحلزون وأن نحاول قدر الإمكان ألا نطرف. ويعد هذا الاختبار أن مقياساً جيداً لتلف المخ بشرط أن يعرف المرء نتائج شخص ما قبل وبعد تلف المخ.

الغرفة رقم ٣ هي غرفة خالية تماما إلا من مفحوص يجلس على مقعد ومن وجود شريط مسجل. ويكن الشريط قائمة طويلة من الأرقام الأحادية، رقم كل ثانية. وفي أحيان متباعدة جدا تتالى ثلاثة أرقام فردية (١، ٩، ٣) أو مجموعة متتابعة من الأرقام الزوجية مثل (٨، ٤، ٦) وفي كل مرة يحدث ذلك يضغط المفحوص على مفتاح يمسكه بيده وتسجل الاستجابة في الغرفة التالية بالحبر بواسطة كاتب أوتوماتيكي.

وتسمى هذه التجربة تجربة التيقظ ويتم استخدام هذا النوع من الاختبار لقياس الاختلافات في الشخصية متنبئين بأن الانبساطيين سيظهرون تدهورا في القدرة أكبر مما قد يبديه الانطوائيين.

كذلك في إمكاننا أن نستخدمه لدراسة الظروف التي تساعد على التيقظ أو التي تجعله من جانب آخر — أقل تأثيرا كما يمكننا أيضا أن ندرس أثر العقاقير على الظاهرة.

وهناك غرف كثيرة أخرى لزيارتها في المعمـــل لكننـــا الآن يجب أن نندفع لنقضي على الأقل بضع دقائق قليلة في معمل الحيوان.

الغرفة الأولى: توجد مساحة دائرية كبيرة على الأرض مقسمة إلى مربعات ومحاطة بجدار عال وهذه المساحة مضيئة بضوء مبـــهر وفوقها عدد من مكبرات الصوت التي تصدر مستوى ثابت من الضجة ويضع المجرب في هذه المساحة فأرا أبيض ثم يسجل بدقة على رقعـة من الورق حركات الفأر وهو ينتقل من مربع إلى مربع آخر كذلك يعد عدد مرات البراز التي يتبرزها في هذه الفترة وعدد المرات التي يبول فيها. ويسمى هذا الاختبار (اختبار المجال المفتوح) يعد أساساً مقياســا (للانفعالية) فعندما يكون الفأر في حالة خوف شديد جدا فإنــــه يميــل للتكوم في ركن بدلاً من القفز والانتقال من مربع لآخر، وهـــو يميــل أيضاً إلى أن يتبرز ويتبول تماما كما يمكن أن يفعل الآدميـــون فـــي ظروف مشابهة.

وهكذا فإن لدينا اختباراً يقيس بطريقة موضوعية كمية الخوف التي تعانيها الحيوانات التي توضع في ظل ظروف متطابقة، وتتعرض لاختبارات متطابقة ومما يستحق الملاحظة أن الحيوانات تختلف كثيرا جدا عن بعضها البعض في ظل هذه الظروف، فالبعض سيكشف عـــن جسارة كاملة ولن يبول أو يتبرز بينما يتكوم البعض الآخر وقد يبـــول ويتبرز عدة مرات.

الغرفة الثانية: هنا تعلمت الحيوانات أن تتوقع مكافـــأة عندمـــا يقرع جرس، فهي تندفع لحوض في ركن قفصها حيث وضع طعـــــام طعمه ذو مذاق طيب وتأكله بشراهة وبعد أن يتـــم المجـــرب تعويـــد الحيوانات على الذهاب إلى الركن وتناول الطعـــام ســـاعة أن يقـــرع

الجرس، فإنه يحاول بعدها أن يعلمها طرق التعـــامل أي يحـــاول أن يعلمها نوعا معينا من الاتيكيت وهو أن عليها أن تنتظر ثلاثـــة ثـــوان على الأقل قبل أن يسمح لها بالإنقضاض على طعامها وفي تعليمها هذا الاتيكيت يعد المجرب ترتيباته بحيث تصاب الفئران بصدمة كهربائيـــة عن طريق السلوك المعدنية لأرضية القفص عندما تبدأ في الأكل قبـــل مضي ٣ ثوان بعد دق الجرس. فماذا تفعل الفئران؟

إن لديها ٣ أساليب للاستجابة لهذا التدريب – يمكننا أن نســمي الأسلوب الأول أسلوبا جانبا أو سيكوباتيا، وفي هذه الحالة فإن الفـــأر سيمضي في أكل الطعام فور وضعه، بغض النظر عن العقوبة التـــي يتلقاها والنوع الآخر من الاســـتجابة يمكننـــا أن نســـميه بالاســـتجابة العصابية فالفأر يربض في ركن بعيد ويرفض أن يأكل نتيجة خوفـــه الشديد والاستجابة الثالثة يمكننا أن نســـميها بالاســـتجابة الســـوية أو المتكاملة وفيها يتعلم الفأر أن ينتظر ٣ ثوان ثم يأكل طعامه.

وما زالت هناك أربعون غرفة أخرى ليس هناك وقت لزيارتها لكن من المحتمل أن يعطي ما رأيناه القارئ فكرة عن نوع العمل القائم وربما أظهر له بعض الأسباب التي تجعل علمـــاء النفـــس الفـــردي يقومون بنوع الأعمال التي يقومون بها.

الشخصية وشيطان أيزنك:

هناك بعض الاتفاق على أن الشخصية ترجع إلـــى تراكمـــات مستمرة في تكوين الفرد وإنها تشكل الأساس الواقعي الذي يكمن خلف الفروق الفردية الهامة في السلوك.

ولقد تعرضت مجموعة من الدراسات لتحليـــلات إحصائيـــة معقدة، وتحليل للارتباطات، وتحليل للمكون الرئيسي وللتحليل العـاملي ولغير ذلك، بأمل التوصل لتحديد الأبعاد الرئيسية للشخصية، ولقد تمثل نتاج هذا العمل في اكتشاف محورين أو عاملين أو بعدين غايـــة فـــي القدرة والقوة والتأثير وقد أسمينا أحد المحـــاور مجــور الإنطــواء/ الانبساط ويطلق على البعد الآخر أسماء مختلفة العصابية أو الانفعاليـة أو عدم الاتزان مقابل للاتزان أو السواء.

وأود أن أقدم هنا الشيطان الصغير الذي أعطى هـــذا الجـــزء عنوانه قد يذكر القراء شيطان ماكسويل، الذي قدمه لنا الرجل الشـــهير الذي أبدع نظريات المجالات في الكهرباء لكي يوضح أنواعاً معينـــة من سلوك الجزئيات في المواد الغازية. وكان ما افترضه عبارة عـــن شيطان صغير موضوع بالقرب من ثقب في حاجز يفصـــل نصفـــي غرفة كبيرة مملوءة بالغاز. وكانت مهمة الشـــيطان هـــي أن يســـمح لجزئيات الغاز بالمرور من الغرفة أ إلى الغرفة ب ولكن لا يسمح لـــها بالعودة من ب إلى أ وبهذه الطريقة تخلق الجزئيات حالة مـــن عـــدم تساوي الضغط بين أ و ب وهي حالة لم يكن من المتوقع ظـــهورها إذا ما تركت قوانين الإحصاء العادية لحركة الجزئيات تفعل فعلها وليـــس لشيطان ماكسويل أي وجود بالطبع، وقد قدمه كحيلة تعليمية للتوضيح. ولكن شيطان أيزنك أقوى بكثير وإنى لأرجو أن أتمكن من إظهار أنـــه قد يكون له وجود حقيقي بشكل ما على الأقل في تجاويف مخنا.

دعونا نتصور أن هذا الشيطان نوع من الأقزام الأســـطورية جالسا بالقرب من النقطة التي تدخل فيها المســـالك الطويلـــة للجـــهاز العصبي المركزي إلى الأجزاء السفلى من المخ. وهو يضع يديه علـــى

ذراعية، أحدهما مكتوب عليها (إثارة) والأخرى مكتوب عليها (كــف) وكلما جاء منبه حسي عبر هذه المسالك فإنه يضغط مرة علـــى ذراع ومرة على الأخرى وأحياناً على الاثنين معاً. وعندئذ تصل المنبـــهات التي تثيرها الزراعان إلى المخ وهناك أما أن تؤدي لتســـهيل مـــرور وتفاعل المنبهات العصبية القادمة أو تقمعها وتكفها.

ولنفرض أن بعض الشياطين يستخدمون اليد اليمين، وبعضـــهم يستخدم اليد اليسرى، ولذلك فسيميل بعض الشياطين إلـــى شـد ذراع الكف بقوة أكبر من الأخرى بينما ستميل الشياطين الأخرى لشـد ذراع الإثارة بقوة أكبر ولنرى ما إذا كان بالإمكان أن ننزل بهذا الشـــيطان للواقع.

فإذا ألقينا نظرة على تركيب الجهاز العصبي المركزي. لرأينـا في المقام الأول المسالك العصبية الطويلة من مراكز الاستقبال للمـــخ، وهي تأتي بالمعلومات عن حالة العالم الخارجي، ولدينا أيضاً مجموعة من المسالك الحركية الطويلة التي تمتد من المخ للعضـــلات فتــؤدي للنشاطات التي تتفق مع المعلومات التي وصلت عبر المسالك الحسـية. ولدينا ما يسمى بالتشكيل الشبكي الصاعد وهو موجود في جذع المـــخ في الجزء الأسفل منه، ومن الممكن اعتبار هـــذا التشـــكيل الشـــبكي الصاعد مسلكاً إضافيا لنقل النبضات لجانب المسالك الموردة الأصلية.

وتلك النبضات التي تنقل وتنقي عبر التشكيل الشـــبكي تبـــدو وكأنها هي المسئولة عن تأثيرات التسهيل والقمع القادر على تحويـــل مرور النبضات عبر مراكز أخرى، ولهذه النبضات أهمية عظمى، فلقد وجد أن وصول نبضات عصبية معينة للمخ لا يكفي للإدراك الواعـــي بهذه النبضات في غياب نشاط التشكيل الشبكي ومن الضرورة ملاحظة

أن التيقظ لا يمكن أن يتحقق دون تكامل التشكيل الشبكي في جذع المخ، لأنه في حالة غيابه لن تستمر عملية التنشيط، وهكذا فإن التشكيل الشبكي يقوم بمهمة من مهام الإيقاظ والتي يمكن أن نعرفها بشكل أدق بتعبير (الإثارة).

ومع ذلك فهناك أجزاء معينة من التشكيل الشبكي لها أيضاً نوع نشط من التأثير الكاف ويتصل نشاط هذا الجهاز بشكل وثيق بما قد أسميناه (الكف) وهكذا نجد أن التشكيل الشبكي له على التأثيرين السهل والكاف بشكل يماثل لحد كبير شيطاننا المفترض.

ونوجز القول فنقول أن هناك احتمالاً واضحاً لوجود تركيبات معينة في الجهاز العصبي المركزي وهي الأجزاء المختلفة لما يسمى بالتشكيل الشبكي الصاعد والتي تقوم بالمهام التي كنا رجعها ليدي الشيطان اليسري واليمنى، لذلك فإن بإمكاننا الآن التخلي عن ذلك المخلوق الخرافي ناقلين مهامه لتركيبات فيزيائية يمكننا إيجادها في الجهاز العصبي.

طرق جديدة لشفاء العصاب:

من الواضح ان الاستجابة الشرطية التي أحدثتها لدى الصغير ألبرت قد شملت الجهاز العصبي السمبتاوي، وبعبارة أخرى فإننا قد أحدثنا استجابة سمبتاوية لمنظر وصوت وملمس الفئران البيضاء، ومن الطرق الواضحة للتخلص من تلك الاستجابة الشرطية وإخمادها نهائيا أحداث استجابة شرطية باراسمبتاوية لمنظر وصوت وملمس الفئران البيضاء، ولما كانت الاستجابات الباراسمبتاوية مناقضة للاستجابات السمبتاوية فإنها ستلغيها لذلك فإن ماري كوفر جونز لم تفعل سوى أنها

وضعت الفئران في الركن البعيد من الغرفة ووجدت أن الطفل كان في ظل هذه الظروف راغبا تماما في أخذ الشيكولاته رغم أنه كان لا يزال ينظر قلقا للفئران. وقد تم إحداث استجابة شرطية باراسمبتاوية أي ربطت بين منظر الفئران ولذة الأكل وهي التي تكون الاستجابة الشرطية الباراسمبتاوية الأكثر جلبا للذة ولابد أن الزيادة في التشريط الباراسمبتاوي تنتقض الآن من مجموع التشريط السمبتاوي الذي سيعيد إحداثه بحيث يمكن أخيراً وضعها بجوار الطفل تماما حيث يلعب معها ويشعر بالسعادة وعندما تنتهي المخاوف بلا رجعة ـــ لن نكون في حاجة لتقديم الشيكولاته.

وقد أطلق ج. وولب على هذه العملية اسم العلاج بالكف المتبادل.

حالة فتاة الماء:

هذه الحالة سجلها ب. م. بنتلر عن فتاة تبلغ من العمر ١١ شهراً تدعى مرجريت أنها كانت تحب الخوض في بركة السباحة الصغيرة الخاصة بها وكانت تستحم في استمتاع وذات مرة حاولت الوقوف في حوض الحمام فانزلقت وبدأت تصرخ وأخذت بعد ذلك ترفض أي حمام بصرخات عنيفة، من الواضح أن الخوف الذي تملكها من انزلاقها قد سبب لها تشريط للخوف وقد تكون علاجها الذي استمر لمدة شهر من ٤ أجزاء.

وفي الجزء الأول وضعت الدمي في حوض الحمام الفارغ وتركت مرجريت حرة تماما في الذهاب للحمام وتناول الدمي، فكانت

تدخل غرفة الحمام وتخرج الدمية من الحوض ولكنها لا تبقى بالقرب منه وقد استمرت تصرخ إذا ما حاولوا تشطيفها.

وفي الجزء الثاني وضعت مرجريت مرتين على مائدة المطبخ بجوار حوض الغسيل المملوء بالماء، والدمى تطفو فيه وصرخت في البداية عندما اقتربت منه وتم وضع الدمى على الجانب الآخر من الحوض بحيث تضطر مرجريت إلى أن تمشي في الحوض لكي تصل إليها وأخيراً دخلت الماء مترددة وبكت قليلاً حينما ابتلت.

وفي الجزء الثالث تم إعطاء مرجريت الحمام في أثناء تبديل ملابسها في حوض في غرفة الحمام، وتم أعطاؤها دمية محببة تلعب بها وسرعان ما تحول بكاؤها في البداية إلى صرخات سعيدة ثم بدأت تلعب بالماء وبالرشاشة في الفناء.

وفي الجزء الرابع تم إعطاء مرجريت الحمام في أثناء تبديل ملابسها في حوض الحمام وبماء حار وعارضت ذلك في البداية بالصراخ لكن بالأحضان الأبوية والحزم توقفت عن البكاء وقد شفيت بعد شهر واحد من العلاج وصارت تلعب بشكل طبيعي في الحوض ولا تخاف من الاستحمام ولم يعد لديها أية بقايا لمخاوفها الأصلية.

علاج أم غسيل مخ:

إن الاضطرابات التي سيتم مناقشتها في هذا الجزء تتميز بأعراض قد يجدها الأفراد ممتعة تماما، وإن كانت تعارض مع مصالح المجتمع بشكل عام وأعني هنا تلك الانحرافات مثل الجنسية المثلية أو عبارة الأثر أو إدمان الكحول أو إدمان المخدرات. أو بلل الفراش وربما الإجرام وقد يعاقب المجتمع قانونا بعض تلك النشاطات.

ومن المكن للمرء أن يعتبر ببساطة أن الفشل في اكتساب لعادة الاستيقاظ والذهاب للمرحاض يمكن اعتباره اكتساباً لعادة بلل الفراش لدى الفرد الذي يعاني من الاضطراب وطريقة العلاج المناسبة لإحداهما تتناسب مع الأخرى في أغلب الحالات وسوف نناقش في هذا الفصل مجموعة من الأنماط السلوكية المقبولة التي تحدث لدى المريض عند اتيانها إثارة بالسبمبتاوية وسارة ومريحة، ويطلق على تلك العملية أحياناً (العلاج بالرفض) وهي تشبه لحد ما تلك الوسائل القديمة التي حاول الجنس البشري عن طريقها منع الاثمين والشواذ وغيرهم من التعبير عن رغباتهم بمعاقبتهم.بالسجن والجلد وغير ذلك من وسائل القمع المؤثرة.

حالة المهندس مرتدي الكورسية:

كان المريض مهندساً يبلغ من العمر ٣٣ سنة متزوج وله أبنا وكانت طفولته غير مستقرة، وترجع إلى أن والده كان عصابياً، وإن شقيقته الكبرى كانت شديدة التوتر، وقد بدأ في ممارسة إرتداء ملابس الجنس الآخر منذ سن الرابعة، وكثيرا ما استمد سرورا خلال طفولته من ارتداء ملابس أمه أو شقيقته، وفي سن الثانية عشرة أحس بسعادة بينما كان مرتديا كورسيه ومنذ ذلك الوقت أصبح ارتداء الملبس المخالف مصاحبا لسعادة كبيرة ولقد وجد أنه أثناء الفترة الأولى من حياته أنه من الضروري ارتدائ الملبس المخالف حتى يتمكن من الشعور بالسعادة وقد اعترضت أخته على ذلك.

ولقد تم العلاج في حجرة صغيرة تقسمها ستارة في منتصفها يوجد خلفها كرسي ومرآة بطول الشخص وشبكة أرضية كهربائية

يمكن بواسطتها إعطاء صدمة حادة وموائمة لقدم ومفصل أي شـــخص يقف على السجادة أثناء تشغيل المولد.

وفي بداية كل محاولة من المحاولات يقف المريض متيقظـــاً على السجادة وحين يشار إليه يبدأ في ارتداء الملابس النسائية المفضلة لديه وكان المريض عند ارتدائه تلك الملابس إما أن يتلقـــى صدمـــة كهربائية أو يسمع رنينا، وكان أي منهما بمثابة علامـــة لبـــدء خلـــع الملابس وكانت العلاقة تتكرر على فترات حتى يتم خلـــع الملابـــس تماما، وامتد العلاج بستة أيام ويبدأ من الساعة ٩ صباحا حتى وقـــت متأخر من بعد الظهر ولتحاشي تماثل عدد قطع الملابس كان يراعـــي أن تختلف الفترة التي تسبق علامة خلع الملابس وكذلك الفترة الفاصلة بين تكرارات هذه العلامة خلال عملية الخلع نفسها من محاولة لأخرى ولقد تم تتبع تقدم الحالة عبر عدة سنوات ووجد أن المريض لـــم يعـــد لديه أي رغبة في ممارسة ارتداء ملابس الجنس الآخر.

الحوادث والشخصية:

تستنزف الحوادث كافة البلدان المتحضرة استنزافاً مروعاً ففي بريطانيا العظمى في عام ١٩٥٨ وجد أن الحوادث تقتل ضعف الذيـــن تقتلهم الأمراض المعدية، وتعد الحوادث أكبر مســـببات الوفـــاة فـــي الولايات المتحدة والغالبية العظمى من الحوادث يتسبب فيها البشر.

وتلقى قبولاً دون تفكير لدى أغلب الناس فكـــرة الاســـتهداف للحوادث فنحن نعتقد بشكل يبدو طبيعياً أن بعض الأشـــخاص أكـــثر تعرضا لوقوع الحوادث من غيرهم، وقد تكون استعداداتهم للوقوع فـــي الحوادث راجعة إلى الإهمال أو البطء أو الغباء أو القصور بشـــكل أو

آخر وإذا نظرنا لأولئك الذين تقع لهم حوادث، فقد يترتب على الحادثة تأثيرات معينة في سلوك الشخص كأن تجعله أكثر حذرا واهتماما مما يقلل إمكانية وقوع المزيد من الحوادث، إما أن تجعله أكثر خوفاً وقلقا مما يؤدي لزيادة إمكانية وقوع المزيد من الحوادث وعلى أية حال ينبغي أن ينظر بالطبع لمشكلة الوقوع في حوادث من خلال حقيقة أن الأشخاص يصبحون أكثر اعتياداً على نمط معين من العمل، ومن ثم يصبحون من خلال الخبرة، والتعليم ...إلخ أكثر توافقا ومن المحتمل بالتالي أن ينخفض معدل حوادثهم. كذلك فإن هناك قدراً كبيرا من الأدلة على انخفاض معدلات الحوادث تبعا للسن والخبرة.

هناك طريقتان رئيسيتان يتناول بهما عالم النفس هذه المشكلة تجريبياً فهو قد يأخذ أولاً مجموعتين تتكون إحداهما من الأشخاص الذين وقعت لهم حوادث كثيرة، وتتكون الأخرى من الأشخاص الذين وقعت لهم حوادث قليلة، ويراعى أن يكون لكلا المجموعتين نفس التكوين الجسمي ومتشابهين في نواح أخرى، ثم يقوم عالم النفس بوضع الفروض المتعلقة بأسباب توافر الاستهداف للحوادث في إحدى المجموعتين، وقلتها في الأخرى، ثم يضمن تلك الفروض في شكل اختبارات متنوعة تكون بطارية تقدم للمجموعتين. فإذا ما كانت الفروض صحيحة فإن المجموعتين سوف تتميزان بحدة عن بعضهما من حيث استجابتهما لمختلف اختبارات البطارية.

أما الطريقة الثانية، والتي تصحب الأول، فهي طريقة الاختبارات وفيها يصوغ عالم النفس فرضه فيما يتعلق بالخصائص التي يحتمل وجودها لدى الأشخاص المستهدفين للحوادث ثم يكون الاختبارات لقياس تلك الحقائق ثم يختار المتقدمين لعمل معين وفقاً

لأدائهم على الاختبارات، بحيث يرفض ذوي الأداء الضعيف ويقبـــل ذوي الأداء الجيد وإذا كان فرضه صحيحاً، فينبغي أن يحدث انخفاض حاسم في عدد الحوادث التي يرتكبها الأفراد الذين اختارهم بمقارنتـــهم بالمجموعات غير المختارة ويتم أحياناً تطبيق اختبارات الاختبار ثـــم يقبل المتقدمون بصرف النظر عن درجاتـــهم، بحيـــث يمكــن تتبـــع الأشخاص الذين أدوا عملهم فيما بعد بشكل جيد وأولئك الذيـــن كـــان أداؤهم سيئاً، وذلك لمعرفة ما إذا كان أولئك الذيـــن حصلـــوا علـــى درجات مرتفعة كانت حوادثهم أقل بالفعل عن أولئك الذيـــن حصلـــوا على درجات منخفضة.

وينبغي أن نؤكد على أية حالـــة أن اصطـــلاح الاســـتهداف للحوادث كثيرا ما يستخدم بطريقتين مختلفتين، ومن المـــهم التميـــيز بينهما، فقد نعني بالاستهداف للحوادث ــ وقد اعتاد بعض النـــاس دون شك على استخدام الاصطلاح بهذا المعنى ــ إن لدى بعـــض النـــاس استعداداً فطرياً للوقوع في الحـــوادث تحـــت أي الظـــروف تقريبـــاً، وبالنسبة لأي نوع من العمل كذلك، وأظن أن ذلك الاصطـــلاح بـــهذا المعنى ينبغي ان يرفض بالتأكيد فمن غير المرجح إطلاقـــاً أن تبلـــغ الحوادث هذا القدر من العمومية بالنســـبة لمســـبباتها بحيـــث يصبـــح الشخص المعرض لحوادث القيادة معرضا أيضاً للحوادث بالنسـبة لأي نشاط آخر قد يقوم به.

والمفهوم الآخر للاستهداف للحوادث، أكثر تحديدا لحـــد مـــا، وهو يقرر ببساطة أنه بالنسبة لأي نشاط معين فهناك قدرات أنمـــاط، وسمات شخصية، واهتمامات واتجاهات معينة وما شابه ذلـــك تكـــون ضرورية للأداء الأمن لذلك العمل، وإنها إذا ما افتقـــدت لـــدى ذلـــك

الشخص بدرجة تزيد أو تقل، فإنه يكون أكثر أو أقل عرضة للحوادث خلال ذلك النشاط. وبالتالي فلا يعتقد أن الشخص المستهدف للحوادث ـ تبعاً لذلك التعريف ـ سوف يقع حتما في حوادث لأنه الحادثة ـ وفقا للتعريف ـ يمكن حدوثها وتحاشيها بأسلوب تفرضه الصدفة جزئياً ـ وعلى أي حال فإنه إذا ما وقعت حادثة فإن الأكثر ترجيحاً هو أن تحدث للشخص الذي تنقصه الصفات الشخصية أو القدرات اللازمة وما إلى ذلك.

ولقد لوحظ في عدة دراسات أن المستهدفين للحوادث من السائقين وغيرهم يكون بالغي الانبساط وهناك بعض الشكوك في وجود مكونات عصابية أو انفعالية وبالإضافة إلى ذلك فإن السمات التي اكتشفت لدى المستهدفين للحوادث تميل جميعا لأن تقع في نفس المربع. فالإهمال والعدوانية، وعدم تحمل السلطة، والانفعالية والقابلية للتأثر بالنزوات الطارئة كلها سمات سيكوباتية أو هيسترية يجمع العلماء اجتماعاً ملحوظا على نسبتها لمخالفي المرور، والسائقين المستهدفين للحوادث، وبالمثل أيضاً الأشخاص الذين تقع لهم حوادث في المجالات الصناعية وغيرها، وهناك بالطبع بالإضافة إلى العوامل العامة للشخصية عوامل عديدة أخرى، كالسن والجنس والتدريب.

وهناك عامل آخر قد درس كثيرا وله علاقة وثيقة بهذا الخصوص وهو الكحول، ويجب أن نتوقع أن نجد أن تعاطيه يمثل عاملا بالغ القوة بالتأكيد في التسبب في الحوادث.

ولقد أجريت آلاف من التجارب في المعمل لاكتشاف تأثيرات الكحول على الأداء، وليس هناك من شك في أنه قد ظهر تدهور حتى في المستويات المنخفضة تماما من تركيز الكحول في الدم، وإن هذا

التدهور يزداد بازدياد التركيز كما أن شدة الحوادث تميل للتزايد بتزايد نسبة الكحول في الدم.

الجريمة والضمير والتشريط:

هل لدى علم النفس أي بديل معقول يقدمه فيما يتعلق بالأسـلس النظري للسلوك الإجرامي والسلوك المطيع للقانون؟

من الغريب أن التفسير سيكون هنا مشابهاً لتفســير السـلوك العصابي، ويستفيد خلال ذلك من مفهوم الضمير الذي يستخدم علــى نطاق واسع كفرض بديل لحساب ما نجنيه من سلوك وما نتجنبه مــن ألم لتفسير السلوك الأخلاقي ويرى الكثير مــن النــاس أن الكائنــات الإنسانية لا يدفعها تمامًا، أو حتى أساسا، شكل من أشكال السعي إلــى اللذة وتجنب الألم وإن السلوك يحده بالأحرى ضمــير الشــخص، أو الضوء الهادئ الداخلي.

فكيف ينبع الضمير:

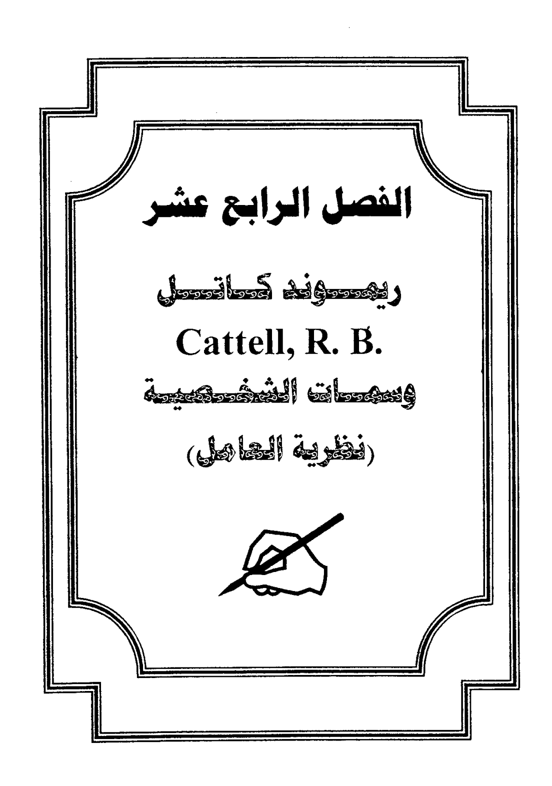
فنحن نزعم أن الضمير ببساطة هو فعل منعكس شرطي وأنــه يصدر عن نفس الأصل الذي تصــدر عنــه الاســتجابات العصابيــة واستجابات الخوف المرضية، فالذي يحدث أنه يطلب من الطفل، خلال نموه، أن يتعلم عددا من الأفعال ليست في حد ذاتها ســارة أو جالبــة للسرور بل قد تكون معارضة لرغباته وشهواته. فعليه أن يتعلم النظافة وألا يتبرز أو يتبول حيث يشاء وقت ما يشاء، وعليه أن يقمع التعبــير المكشوف عن بواعثه الجنسية والعدوانية. ويجب عليه عــدم ضــرب غيره من الأطفال عندما يقومون بأعمال لا تعجبه وعدم أخذ الأشــياء التي لا تخصه وكما أشرنا من قبل لا يبدو أن ذلك ممكن التحقيق عــن

طريق أي عملية رسمية من العقاب المؤجل لأنه المطلوب لمعادلة اللذة العاجلة المستخلصة من الفعل يجب أن يكون العقاب عاجلاً أعظم مـن اللذة وأن يحدث على مقربة وثيقة من الجريمة إن أمكن. ومن الممكـن خلال الطفولة بالنسبة للآباء والمدرسين أن يوقعوا مثل تلك العقوبة في اللحظة المناسبة، فالطفل الذي يرتبك خطأ يصفع على الفور، أو يوبـخ أو يرسل لغرفته، أو ما شئت من أنواع العقاب.

وهكذا يمكننا اعتبار الفعل الشرير ذاتـه منبـها شـرطياً ــ والعقاب ــ أي الصفعة أو التوبيخ ــ المنبه غير الشـرطي وبالتـالي الاستجابة مواتية ونتوقع الآن وفقاً لمبدأ التشريط أنه بعد تكرار ذلـك عدداً من المرات سوف يحدث الفعل نفسه الاستجابه الشرطية.

ولقد سبق أن أوضحنا أنه يوجد أساس نظري للاعتقـاد بـأن الضمير هو في الحقيقة استجابة شرطية ويبدو أنه يستتبع ذلك منطقيـاً أن غياب الضمير لدى المجرمين والسيكوباتيين قد يرجع لفقرهم الشديد في تكوين الاستجابات الشرطية ــ هذا إذا كانوا يستطيعون تكوينـها على الإطلاق وحتى عندما تتكون هذه الاستجابات فإنها تنطفئ بسرعة ولقد وجد أن الأنطوائيين يجيدون الاستجابات الشرطية بينمـا يفتقـر الانبساطيون لذلك، وربما يجب أن نضيف أن علم النفس يقترح نقطـة ذات أهمية خاصة وهي أنه لا يوجد مـبرر عقلـي لمعاملـة كافـة المجرمين نفس المعاملة ولو لتصور واحد أن المعاملة الواحدة ستفيدهم جميعاً، فمن الواضح أن المعاملة يجب أن تصمم خصيصاً لكل شخص على أساس درجته من الانبسـاط أو الانطـواء ومـن العصابيـة أو الاتزان.

ويصدق نفس الشيء بالطبع على تربية الأطفال فقد آن الأوان لكي نتوقف عن التأرجح ما بين سياسة العصا وسياسة التهاون وندرك أن الطفل المنبسط الذي يتم التشريط لديه بصعوبة يتطلب نظاماً حازما حتى لا نراه في الكبر وقد تحول إلى بلطجي أو جـــانح أو مشـــروع مجرم بينما الطفل المنطوي الذي يتم التشريط لديه بســـهولة يتطلـــب نظاماً متهاوناً حتى لا ينقلب السلوك بدوره في الكبر إلـــى عصـــابي ولكن قبل ان نقترح أي وسيلة كتغيير السلوك الإنساني يجب أن نعـــي حقيقة أن الكائنات الإنسانية ليست سيلا لا ينتهي من التوائم المتماثلـــة ولكنها تختلف اختلافاً عميقاً فيما بينها، فمعاملة كافة النـــاس معاملـــة واحدة، يعني تنازلاً نهائياً عـــن الموقـــف الـــذي يجـــب أن يتخـــذه السيكولوجي وهو أن الفردية شيء مقدس.



الفصل الرابع عشر

ريموند كاتل
Cattell, R. B.
وسمات الشخصية
(نظرية العامل)

الفصل الرابع عشر

كـــــاتـــــل

ولد ريموند كاتل في ستانفورد شاير بإنجلترا عـــام (١٩٠٥)، ويذكر أن طفولته كانت سعيدة ومليئة بالحيوية والنشاط فارتاد الكهوف ومارس السباحة والإبحار. ويذكر أنه نشأ بينه وبين أخيه الذي يكـبره بثلاث سنوات قدر كبير من التنافس. وحين اشـــتركت إنجلـترا فـي الحرب العالمية الأولى كان كاتل قد بلغ التاسعة من عمره. وكان لـهذا تأثير أساسي على حياته: وذلك أن رؤيته لمئـــات الجنــود الجرحـــى يعالجون في منزل تحول إلى مستشفي قريب من مســـكنه علمتـــه أن الحياة يمكن أن تكون قصيرة وأن المرء ينبغي أن ينجز أكـــبر قـــدر يستطيعه خلال حياته الأكاديمية.

ولقد التحق بجامعة لندن وهو في السادسة عشر مـــن عمـــره حيث درس الكيمياء. وتخرج في التاسعة عشر من عمره حائزاً علـــى درجة البكالوريوس بمرتبة الشرف وكان ذلك عـــام (١٩٢٤). ولقـــد تزايد اهتمام كاتل خلال هذه السنوات بالمشكلات الاجتماعيـــة، كمـــا تزايد وعيه بأن خلفيته في العلوم الطبيعية لم تـــهيؤه لمعالجـــة تلـــك المشكلات. ولقد أدى به هذا إلى الالتحاق بمدرسة الدراسات العليا فـــي علم النفس في جامعة لندن حيث حصـــل علـــى درجـــة الماجســـتير ودكتوراه الفلسفة. ولقد عمل خلال تلك الفترة مع شارلز سبيرمان عالم النفس والإحصائي المشهور والذي ابتكر التحليل العاملي فـــي تحليـــل نتائج دراساته في الشخصية على نحو مكثف.

وبعد أن حصل كاتل على درجة الدكتوراه وجد صعوبات في العثور على عمل يتناسب مع إعداده الأكاديمي والمهني، فقبل القيام بعدد من الأعمال الهامشية. عمل محاضراً في جامعة أكستر في انجلترا في الفترة ما بين (١٩٢٨-١٩٣١م). وعمل مديراً للعيادة النفسية في لايستر بانجلترا في الفترة من (١٩٣٢-١٩٣٧م). ولقد دعاه أدوارد ل. ثورنديك عام (١٩٣٧) للحضور إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليصبح باحثاً مشاركاً في جامعة كولومبيا. ولقد قبل كاتل دعوة ثورنديك وهو يذكر أن عامه الأول في نيويورك كان مقبضاً، وقد شعر بالحنين إلى انجلترا.

ومنذ عام (١٩٣٨) وحتى عام (١٩٤١) شغل وظيفة أستاذ كرسي. لعلم النفس التكويني في جامعة كلارك في وركستر ماساشستس. ثم انتقل إلى جامعة هارفرد عام (١٩٤١) وظل يحاضر بها حتى عام (١٩٤٤م).

ولم يفقد كاتل حماسه بعد تخرجة من الجامعة في تطبيق التحليل العاملي في دراسة الشخصية. وفي سن الأربعين عام ١٩٤٥ عرض على كاتل وظيفة أستاذ باحث في جامعة الينوى ومديراً لمعمل الشخصية وتحليل الجماعة. ولقد كان إنتاج كاتل العلمي في هذه الفترة من عام (١٩٤٥-١٩٧٣) إنتاجاً ضخماً لا يصدقه عقل.

ولقد ذكرنا من قبل أن كاتل أعتقد منذ وقت مبكر من حياته أن المرء ينبغي أن يعمل بجد ولا يضيع وقته. ولقد نشر كاتل ما يزيد على ثلاثمائة مقال وعشرون كتاباً، وهذا معناه أنه كان ينشر في المتوسط كتاباً أو مقالاً كل شهرين في الخمسين سنة الأخيرة. والأمر لا يتوقف عند كم إنتاجه، ذلك أن الكيف لا يقل عن الكم. ولقد حقق

نتيجة لعمله في جامعة ألينوى وفي معمل الشخصية وتحليل الجماعة شهرة عالمية كصاحب نظرية في الشخصية.

وخلال خمسة وعشرين عاماً، نشر كاتل عدداً كبيراً من المقالات التي لا تغطي مجال بحوث الشخصية والقياس العقلي فحسب. بل تمس أيضاً موضوعات في المجالات التقليدية لعلم النفس التجريبي، وعلم النفس الاجتماعي، وعلم الوراثة البشري.

وقد نشر خمسة كتب تبدأ بكتاب مختصر عنوانه "الدليل إلى الاختبارات العقلية A Guide To Mental Testing وتبعه كتاب علم النفس العام General Psychology وهو مرجع تمهيدي. والأكثر أهمية هي الكتابان التاليان، وعنوان الأول هو: وصف الشخصية وقياسها. وقد حاول فيه أن يستخرج من وجهة النظر العرضية Cross Sectional أساساً وضعها لنظرية مناسبة في الشخصية. أما عنوان الكتاب الثاني فهو الشخصية دراسة نظامية ونظرية وواقعية Personality: A Systemic Theoretical And Factual Study. وقد حاول فيه أن يقيم على الأساس الذي أرساه في الكتاب السابق وجهة نظر تركيبية في الظواهر الكبري للشخصية، وتضم كلاً من المنظورين الارتقائي والعرضي: أما كتابه: مقدمة ودليل للأخصائي النفسي ولأخصائي العلوم الاجتماعية Factor Analysis: An Introduction .. And Manual For Psychology And Social Scientist. وهو محاولة للوصول إلى أسلوب البحث الرئيسي الذي أتبعه كاتل ووضع هذا الأسلوب في منظور مناسب للباحث المهتم بالسلوك الإنساني. وقد أعد كاتل العديد من الاختبارات منها الاختبار غير الحضاري للذكاء The Culture

Free Test Of Intelligence، واختبـــارات A-O الشـــــخصية (١٩٥٤). واستبيان الـــ١٦ عاملاً من عوامل الشخصية (بالاشـــتراك مع سوندرز، ستايس).

وفي عام (١٩٧٣) أسس معهد البحوث في خلق وتحقيق الذات في بولدر كولارادو ليواصل عمله العلمي.

Institute For Research On Morality And Selfealization In Boulder. Colorado.

السمات الرئيسية لنظرية كاتل :

يلاحظ أن نظريات كل من فرويد ويونج وروجرز، نظريـــات إكلينيكية، أي أن المعلومات التي بنيت عليها جـــاءت مـــن ملاحظـــة الأفراد في العلاج.

ومع أن الملاحظات كانت منتظمة والأسلوب العلمـــي المتبـــع معترف به، إلا أن هؤلاء المنظرين لم يعرفوا مفاهيمهم إجرائياً ولـــم يختبروا فرضياتهم ولم يقيسوا ملاحظاتهم.

أما نظرية كاتل في الشخصية، فهي ليست نظريـــة إكلينيكيـــة لكنها في نفس الوقت ليست تجريبية بالمعنى الضيق. بل تأخذ نظريـــة كاتل من التجريب التعريف الإجرائي للمفاهيم واستخدام القياس، كمـــا أنها تأخذ من الإكلينيكية تأكيدها على الفروق الفردية وفعاليات الفـــرد ككل. وتقوم نظرية كاتل على استعمال الوسائل الإحصائيـــة وعلـــى رأسها التحليل العاملي. وهي معروفة باستخدام الاختبارات وبنائها.

- فهي تمثل اتجاه التحليل العاملي للشخصية، ورغـــم أنـــها ليســـت الوحيدة في هذا بين النظريات، فهناك مثلاً نظرية ألبورت ونظرية

أيزنك اللتان تقعان في إطار هذا الاتجاه أيضاً إلا أن نظرية كـــاتل أكثر شمولا، لأنها تلتقي مع نظرية ألبورت فـــي تأكيدهـــا علـــى السمات ومع نظرية أيزنك في تأكيدها على التصنيـــف وأهميـــة الدراسات الموسعة في الشخصية.

- كما أن نظرية كاتل تمثل الجســـر بيـــن النظريـــات الإكلينيكيـــة والنظريات التجريبية فقد عرفت بأنها تستخدم مختلف المقاييس في الشخصية وهي بذلك تساعد على التعرف علـــى الرابطـــة بيـــن النظرية والتقييم والبحث.

السلوك الإنساني :

إن هدف علم النفس ونظرية الشخصية هو صياغة القوانيـــن التي تمكننا من التنبؤ بالسلوك في ظل ظروف كثيرة. وتعريف كـــاتل للشخصية يقوم على التنبؤ "الشخصية هي تلك التي تتيح لنا تنبؤاً بمـــا سوف يعلمه الشخص في موقف معين". ويؤكد كاتل علـــى أن هنـــاك متغيرات دافعة كثيرة ينبغي أن نحددها ونوضحها بعناية. وهو يـــدرك أن نظرية الشخصية ما تزال انتقالية أي في مرحلة التكوين. وهو يعتقد أن أصحاب نظريات المعاصرين الشخصية قد أهملوا الجوانب الوراثية في الشخصية الإنسانية. وهو يؤكد في بناء الشـــخصية علـــى أهميـــة الخلفية البيولوجية والمحددات الاجتماعية. ولقد نما اهتمام كاتل بنظرية الشخصية ودينامياتها من خلال البحوث المستمرة التي قام بـــها ومـــا أسفرت عنه من نتائج ولم يصدر عن تفكير تأملي.

ويشعر كاتل بقوة أنه إذا لم يكن في الإمكان قياس الشـــخصية تجريبياً والتعبير عن ذلك كمياً فإننا ينبغي أن نطلق على ما نتوصـــل

إليه فلسفة أو فناً، ولا يمكن أن نطلق عليه نظرية في الشخصية. وهو لا يقصد بالتجريب هنا تجريبا باستخدام أجهزة ومعدات معملية، وقد بين ذلك في ندوة عقدت في كنتكي عام ١٩٥٤م فقال: "إننا ندع الوقائع تحدث في الحياة ثم نعالج بالدقة الإحصائية ما لا نستطيع معالجته بالضبط التجريبي الصارم" وفي نفس الندوة يجادل مبيناً أن علم النفس ينبغي أن يجيب على الأسئلة الصغيرة أولاً قبل أن يحاول الإجابة على الأسئلة الشاملة. وقد تكون العيادة النفسية هي أفضل مكان لدراسة الشخصية، ولكنها ليست أفضل مكان للتحقق من صحة الفروض التي تتنبأ بتغير السلوك، لأن طرقها ضعيفة ولا تلتزم بضبط المتغيرات في القياس ولا بالتحليل الإحصائي الحاذق. وهناك فرق في نظرية الشخصية وبين ما هو مقبول اجتماعياً وما هو محترم علمياً. وهكذا فإن التغير الذي قد يطرأ على الشخص خلال العلاج قد يكون مقبولاً تماماً من قبل المجتمع ولكنه مع ذلك لا يمكن البرهنة عليه بأي ثبات علمي. وكاتل يتبني وقفاً قوامه: الدراسة المركزة للشخصية والتي ينبغي أن تتم في مواقف الحياة، وبعد جمع الحقائق والبيانات ينبغي أن تعالج إحصائياً وليس فلسفياً.

وقد كتب كاتل عام (١٩٥٧) مقالاً عن "قائمة عامة أو فهرس للعوامل النفسية A Universal Index for Psychological Factors، ودعى في هذا المقال إلي البحث عن رموز مقننة لوصف البيانات النفسية حتى نتوصل إلى تحديد للمفاهيم وتطويرها. ويمكن أن تضع هذه القائمة لجنة تحدد معايير للبحث الدولي، وأن تنشر هذه المعايير بحيث تتيح لكل دارس للعوامل المشتركة في الشخصية أن يعمل مستخدماً لهذه الأطر. ولقد أقلقت هذه الرغبة وهذا الحماس

والسعي للوصول إلى لغة مشتركة بين البــاحثين فـــي هــذا المجـــال وخاصة أن كاتل نفسه استخدم في البداية حروفاً لتسمية بعض العوامل التي توصل إليها في دراسته، ثم مضي في العشرين سنة الأخيرة إلـــى بلورة مفاهيمه وتسميتها، ثم تغيير هذه التسمية مرة ثانية.

بناء الشخصية عند كاتل:

لما كان اهتمام كاتل ينصب بالدرجة الأولى علـــى التصنيــف لعناصر الشخصية ومكوناتها فإن من المتوقع أن تمثل مظاهر البنــــاء مركز نظريته في الشخصية.

إن العنصر الأساسي في بناء الشخصية لدى كاتل هو الســـمة Trait، وتعد السمة بالنسبة له "بنياناً عقلياً" أو استنتاجاً تقوم بـــه مـــن السلوك الملاحظ لتفسير انتظام أو اتساق هذا السلوك. وليس المقصـــود باصطلاح بنيان الدلالة على الحالة الفيزيقية أو العصبيـــة، برغـــم أن كاتل كان صريحاً نسبياً في إبرازه للمصاحبات الفيزيقية والفسيولوجية التي تكمن وراء السلوك.

أنواع السمات وأشكالها :

اعتمد كاتل على فنيات التحليل العاملي في تحديد السمات التي تنتظم بها الشخصية، وقد تمخض عن المنهج العلمي (الذي يعتبر بحق إسهامه فذة في الدراسات النفسية عامة والشخصية خاصــــة) ســـمات متعددة تجسدت في اختبارات عن "عوامل الشخصية" نسبة إلى طريقـــة التحليل العاملي التي حدد بها "تجمعات" سمات الشخصية.

وقد صنف كاتل السمات بأكثر مـــن طريقـــة، مـــن أبرزهـــا التصنيفات التالية :

- **من حيث العمومية :**

يميز كاتل بين نوعين من السمات .. سمات فريدة وسمات مشتركة Unique Traits And Common Traits. يتفق كاتل مع جورن ألبورت في أن هناك سمات مشتركة يشارك فيها الأفراد جميعاً أو جميع أعضاء بيئة اجتماعية معينة. وهو يوافق – بالإضافة إلى ذلك – على أن هناك سمات فريدة لا تتوافر إلا لدى فرد معين ولا يمكن أن توجد لدى أي شخص آخر في هذه الصورة بالضبط. وهو على أي حال يمضي خطوة أبعد مقترحاً تقسيم السمات الفريدة إلى سمات فريدة نسبياً وسمات فريدة جوهرياً بحيث تستمد الأولى تفردها من فروق طفيفة في ترتيب العناصر التي تكون السمة، في حين يتسم الفرد في الأخيرة بسمة مختلفة أصلاً ولا يتسم بها أي شخص آخر.

- **من حيث الشمولية :**

هناك نوعان أساسيان من السمات وهما سمات المصدر Source Traits وسمات السطح Surface Traits وسمات السطح هي تجمعات من الوقارات الشخصية. أنها عبارة عن خاصيتين من نوع ما ترتبط احداهما بالأخرى وارتباط هاتين الخاصيتين يمكن أن يكون له أسباب عديدة. أما سمات المصدر فهي أسباب السلوك. أنها تشكل أهم جزء في بنية شخصية الفرد وهي مسئولة في النهاية عن جميع العناصر المتسقة في سلوك الفرد وهكذا فإن كل سمة سطحية مسببة ومعلولة لسمة أو أكثر من سمات المصدر، وسمة المصدر يمكن أن تؤثر في عدة سمات سطحية.

والبحث عن سمات المصدر عند كاتل يبدأ بقياس كل شيء يستطيع المرء أن يقيسه لدى مجموعة كبيرة من الناس، ثم يحسب

معامل الارتباط بين هذه القياسات وتحلل هذه الارتباطـــات والتحليـــل العنقودي Cluster Analysis لها يزودنا بمعلومـــات عـــن ســـمات المصدر.

وثمة طريقة أخرى لوصف الفرق بين سمات المصدر وسمات السطح وهي أن نقول أن الأخيرة دائماً ما تكـــون مظـــاهر الأولـــى. ويمكن اعتبار سمات المصدر عناصر الشخصية من حيث أن كل مـــا نعمله يتأثر بها. وينتهي كاتل إلى القول بأن جميع الأفـــراد يمتلكـــون نفس سمات المصدر ولكنهم يحورونها بدرجات مختلفة. وعلى ســـبيل المثال فإن جميع الناس لديهم ذكاء (سمة مصدر) ولكنهم لا يمتلكـــون نفس القدر من الذكاء وتؤثر قوة سمة المصدر هذه لدى فرد معين فـــي كثير من الأشياء التي تتعلق به. فهي تؤثر على سبيل المثال فيما يقـــرأ وفيمن يتخذ من الأصدقاء وفي العمل الذي يتكسب منه عيشـــه وفـــي اتجاهه نحو التعليم الجامعي. وجميع هذه المظاهر الخارجيـــة لســـمة المصدر (الذكاء) هي سمات سطح ويمكن أن نسوق مثالاً أخر يتعلـــق بالجوع. فجميع ما يعمله الشخص كاستجابة للجـــوع وكذهابـــه إلـــى المتجر وشراء الطعام والعودة إلى البيت وإعداد الطعام وتناوله، هـــي كلها عناصر سلوكية قابلة للملاحظة وتتصل بتناول الطعام تمثل سمات السطح، بينما حافز الجوع الذي سببها جميعاً يمثل سمة مصدر. غـــير أن أمثلتنا مضللة إلى حد ما، لأنه يصعب أن نجد شيئاً يعمله شـــخص يمكن أن يكون مسبباً بسمة مصدرية واحدة.

وننتقل الآن إلى إسهام من أهم إسهامات كاتل وأكثرها صعوبة وتعقيداً في مجال نظرية الشخصية. أن القائمة الآتية وهي قائمة سمات مصدرية هي نتيجة لقدر هائل من التحليل العاملي لبيانات جمعت عـــن

الشخصية خلال خمس وعشرين عاماً. وإحدى صعوبات معالجة هـذه المادة أن كاتل لم يسمي السمات في المبدأ بل ميزها باستخدام حـروف أبجدية وذلك لأنه شعر بأن اللغـة لا تجيـد التعبـير عـن المفـاهيم السيكولوجية التي،توصل إليها من التحليل العـاملي لأداء الإنسـان. وعبر السنوات وضع لهذه السمات المصدرية أسماء وتعـرض للنقـد فعدل الأسماء تدريجياً لتصبح من التسميات المألوفة.

العوامل الستة عشر أو السمات المصدرية :

العامل أ A السيكلوثيميا اجتماعي	مقابل الشيزوثيميا عنيد، يرفض الانسحاب بعيداً عـن الناس
العامل ب B الذكاء العام	مقابل الضعف
العامل ج C الثبات الإنفعالي أو قـوة الأنا. القدرة على إحداث التكامل المباشـر والتحكم فـي الدفعـات الانفعاليـة والاستجابات البدنية.	مقابل عدم الاتزان الانفعالي
العامل د E السيطرة أو السيادة.	مقابل الخضوع
العامل هـ F غير الجاد Anxiety Syrgency Desurgency or Depressive	مقابل الجاد أو القلق الاكتئابي
توكلي، مبتهج	مقابل مفيد (متحفظ)، مهموم نتيجـة الكف الناتج عن التعـرض للعقـاب والحرمان
العامل و G قوة الخلق أو قوة الأنا. أو إيجابية ضد الكسـل والإهمـال الغبث والتواكل الانفعالي وضعـف الشخصية أو تحمل المسئولية. عامة	مقابل ضعف المعاير الداخلية
العامل ز H مخاطر سهل التكيـف تلقائيا وفقا لتغيير طارئ. صناعة بارا سمبثاوية ضد التـهديد (ومن ثم العارض)	مقابل الانعزال الثينروثيمي المتأصل Parmia Vs Threcita مقـابل سـرعة القابليـة للتـهديد (مصحوبة بعتبات منخفضة)

العامل ح I الحساسية الإنفعالية.	مقابل النضج الصلب (الحساسية ضد الصلابة). Premiavs Harria
العامل ط L البارانوية توتر مسبق اسقاط وتوتر بارانوي	مقابل الغيرية المفعمة بالثقة مقابل استرخاء داخلي مقابل وجود النزعات المسقطة والتوتر.
العامل ى M عدم المبالاة المستيرية استرخاء تلقائي يستغرق الذات (انتباه للمثيرات الفكرية أكثر من الانتباه للمثيرات الحسية)	مقابل الاهتمام العملي Autia Vs Prexermia. مقابل عدم القدرة على التخلص من مشاعر عدم الكفاية.
العامل ك N الحذلقة. السرعة والكفاية الواقعية.	مقابل البساطة (الدهاء مقابل السذاجة). مقابل الغموض والعاطفية والعجز عن ضبط النفس.
العامل ل O عدم الطمأنينة والقلق.	مقابل رباطة الجأش والثقة بالنفس (الميل للشعور بالاثم مقابل الثقة بالنفس) وكان هذا العامل يسمي من قبل بالقلق العائم، والجبن وعدم الكفاية وتحقير الذات عند القطب الموجب.
العامل م Q1 التحرر	مقابل المحافظة
العامل ن Q2 الاكتفاء الذاتي	مقابل الافتقار إلى الثبات والتصميم على أمر ما
العامل Q3 ضبط الإرادة وثبات الخلق	مقابل ضعف اعتبار الذات واستقرار الخلق
العامل ع Q4 التوتر العصبي	مقابل عدم الاحباط، والسكينة والبلادة

جدول رقم (١)

ولم يتوقف كاتل عند أدائه الماضي بل استمر في استخراج سمات مصدرية جديدة باستخدام تحليل عاملي واستخراج عوامل من المرتبة الثانية والثالثة .. علينا أن نتأمل السمات الأربع الأخيرة التي

أطلق عليها Q1, Q2, Q3, Q4. ولقد أطلقت على هذه أسماء فيما بعد. ويطلق كاتل على سمات المصدر العوامل الأولية في الشخصية باستثناءات قليلة فإن هذه العوامل ثنائية القطب. ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أن كثيراً من المنظرين في مجال الشخصية استخدموا مفاهيم ثنائية ولعل الاستثناء نجده عند شلدون وهورني الذين استخدما مفاهيم ثلاثية.

قلنا أن كاتل انتهي بعد بحوث مستفيضة وخلال سنوات طويلة إلى قائمة من السمات المصدرية وعددها ١٦ سمة. ويمكن أن نقارن بين الناس على أساسها. ولقد وضع كاتل مع سوندرز وستايس Saunders & Stice اختياره المشهور: اختيار عوامل الشخصية للراشدين Sixtee Personaluty Factor Questionnaire بحيث يقيس سمات المصدر الستة عشر التي كشفت عنها البحوث. ولقد استخدمت نتائج هذا الاختبار في المقارنة بين مجموعات كبيرة ومنوعة. ولقد استخدم هذا الاختبار على نطاق واسع للتنبؤ بالنجاح المهني والإكاديمي.

ولا تساعد حقائق اختبارات الشخصية العلماء السلوكيين فقط في وصف عضو في جماعة، ولكنها تساعد أيضاً في تفسير السلوك والتنبؤ به. ففي إحدى الدراسات مثلاً حاول كاتل ومساعدوه دراسة الأفراد المتزوجين السعداء والتعساء. وذلك لدراسة فكرة "أن الطيور ذات النوع الواحد تعيش مع بعضها في تآلف ووفاق" وفي الحقيقة فلأن الثنائيات ذوي الشخصيات المختلفة. ويبدو إنه من الأهمية للأفراد أن يكونوا متشابهين في ثلاث سمات: (متحفظ – منطلق)، (موضع ثقة – مشبوه)، (معتمد على الجماعة – مكتفي ذاتياً). قد اتجه الأزواج في

المجموعات الراضية نسبيا إلى أن يكونوا أكثر سيطرة من زوجاتـــهم. وقد وضعت هذه البيانات كاتل والباحثين الآخرين في وضـــع يكمـــن التنبؤ منه بدقة لمعرفة مَن من الأفراد المخطوبين سوف يقيمون روابط ناجحة في النهاية وبنفس الأسلوب اكتشف فريق البحث بقيـــادة كـــاتل العناصر التي تدخل في النجاح الإكـــاديمي، الكحوليـيـــن، العدســـات اللاصقة، والعديد من الإنجازات الأخرى.

- من حيث النوعية :

يقسم كاتل السمات إلى ثلاث أنواع :

- سمات القدرة Ability Traits تعنى طريقة استجابة الفرد لموقف معين ولما ينطوى عليه في تعقيدات تحقيقاً لأهداف معينة.
- السمات الدينامية Dynamic Traits، تتضمن الدوافع والميـــول والاتجاهات وتكوينات الأنا والأنا الأعلى.
- السمات المزاجيـــة Temperament Traits، وهـــي تكوينـــات تكوينية بدرجة كبيرة، تبدو في درجة السرعة والحركة والطاقـــة والمثابرة، وتغطي مجموعة متنوعة من الاستجابات النوعية.

وفيما يلي توضيح لهذه الأنواع من السمات :

- سمات القدرة : Ability Traits

بعض سمات المصدر التي يمتلكها الشخص تحدد مدى فاعليـــة الشخص في العمل نحو هدف مرغوب فيه، ويطلق على هذه الســـمات "سمات قدرة" ومن أهم هذه السمات الذكاء ولقد ميز كاتل بين نوعيـــن من الذكاء: الذكاء المتبلور والذكاء السائل.

وهو يعرف الذكاء السائل بأنه هذا الشكل من أشكال الذكاء العام الذي يرجع إلى حد كبير إلى الفطرة، والذي يتوافق مع جميع أنواع المواد بغض النظر عن الخبرة السابقة، أي أن هذا الذكاء المرن قدرة عقلية يتطلبها التكيف مع المواقف الجديدة. ويرجع بدرجة أكبر إلى عامل الوراثة أكثر من الذكاء المتبلور. ويتوقف على الحالة الفسيولوجية العامة للفرد ويثبت نموه عادة في سن الخامسة عشر أو السادسة عشر ويميل إلى النقصان مع تقدم الفرد في العمر.

ويعرف كاتل الذكاء المتبلور بأنه "عامل عام يظهر إلى حد كبير في نمط القدرات المتعلمة في المدرسة، ويمثل أثر التطبيق الماضي للذكاء السائل، ومقدار التعليم المدرسي وكثافته ويظهر في اختبارات مثل المقاييس اللفظية والعددية". ويعتمد الذكاء المتبلور على البيئة وهو للتذبذب، كما أنه يعتمد على مقدار التدريب وعلى اهتمام الفرد بالبيانات والحقائق. ويشعر كاتل أن الذكاء المتبلور قد يزداد وينمو حتى سن الخامسة والعشرين أو الثلاثين وأنه يثبت عند هذا السن. وقد يظهر زيادة منتظمة مع تقدم الفرد في السن.

ويعتقد كاتل أن ذكاء الفرد يقدر في معظم الأحوال باعتباره الذكاء المتبلور وذلك باستخدام اختبارات الذكاء التقليدية. ولكي يصحح هذا الموقف وضع كاتل اختبار الذكاء العادل ثقافياً Culture-Fait Intellegence وقد صمم ليقيس الذكاء السائل.

وقد قام أحمد عبد العزيز سلامة، عبد السلام عبد الغفار بتعديل هذا الاختبار للاستخدام في البيئة المصرية .. ويتكون هذا الاختبار من جزئين يستخدمان معاً، ويشمل كل جزء منهما على أربعة اختبارات تغطي أربعة أنواع من استنباط العلاقات التي ثبت علمياً

ارتفاع درجة تشبعها بالعامل العام أو القدرة العقليـــة العامـــة وهـــي: اختبار المسلسلات – اختبار التصنيفـــات – اختبـــار المصفوفـــات – اختبار الظروف.

ويمكن إجراء هذا الاختبار بصورة جماعية أو بصورة فردية، وفي كلتا الحالتين يراعي ضرورة التقيد بالزمن المحدد للإجابة عن كل قسم من أقسامه.

ويمكن إجراء الجزئين معاً في جلسة واحدة، ويشترط وجـــود فاصل زمني مناسب بينهما بحيث يستريح فيه المفحوص حتى تتوفـــر نفس الظروف في إجراء كلا الجزئين .. كما يمكن إجراء هذا الاختبار في جلستين منفصلتين .. ولا يحتاج إجراء الجزئين لأكـــثر مـــن ٥٠ دقيقة.

وتصحح الإجابة باستخدام مفتـــاح تصحيـــح خـــاص يعطـــي المفحوص درجة عن كل إجابة صحيحة – ثم تجمع هـــذه الدرجـــات للحصول على الدرجة الكلية في الاختبار والتي تستخدم بعد ذلك فـــي الحصول على معاملات الذكاء المقابلة للدرجة الخـــام مـــن الجـــداول الملحقة بالاختبار.

ولقد اهتم كاتل منذ فترة طويلة منذ عام ١٩٥٣ بأثر الوراثـــة والبيئة على الذكاء ولقد فضل كاتل – إذا قورن بأيزنك الذي عمل على دراسة التوائم والمقارنة بين التوائم المتماثلة والتوائم الأخوية – تحليـل التباين المتعدد حيث تناول متغيرات مستمرة في دراسته للتوائم. وفـــي هذا النسق حاول أن يتوصل إلى أربعة مكونات هي :

- الفروق بين الأسر في الوراثة.

- الفروق بين الأسر في البيئة.
- الفروق بين الأخوة والأخوات داخل نفس الأسرة في الوراثة.
- الفروق بين الأخوة والأخوات داخل نفس الأسرة في البيئة.

وهكذا استخدم كاتل أسلوباً متطوراً وعمل فعل أقرانه من العاملين في مجال الشخصية.

ولقد أدت بحوث كاتل به إلى الاعتقاد بأن ٨٠% من ذكاء الشخص يتحدد بالوراثة. وهو يشعر أن ما نسميه ذكاء ما هو إلا استعداد عقلي تحدد وراثياً بنسبة ٨٠% (وهو الذكاء السائل) وأن ٢٠% من ذكاء الشخص تحدد من خلال الخبرة التحصيل (الذكاء المتبلور) غير أن الأخير هو الذي تقيسه عادة اختبارات الذكاء وليس الأول.

- سمات المزاج : Temperament Traits

وهي خصائص الشخص التي تحدد وراثياً وتتحدد أسلوبه العام وإيقاعه. أن سمات المزاج تحدد السرعة التي بها يستجيب الفرد للمواقف والطاقة والإنفعال. أنها تحدد مدى مثابرة الشخص واعتداله في آداب سلوكه، ومدى قابليته للإثارة فسمات المزاج إذا سمات جبلية "تكوينية" مصدرية تحدد انفعالية الشخص.

- سمات دينامية : Dynamic Traits

وبينما نجد أن السمات الأخرى هي وحدات بناء الشخصية.

فإن السمات الدينامية تهيئ الشخص للحركـــة نحـــو بعـــض الأهداف وهي لذلك عناصر دافعية في الشخصية ولقد حدد كاتل أربعة أنواع من السمات الدينامية وهي الدفعة الفطرية، وما بعـــد الفطريـــة، والعواطف والاتجاهات وسوف نتناول كل منها على حدة.

الدفعات الفطرية : Ergs

الدفعة الفطرية تشبه إلى حد كبير الغريزة. أن كلمة Erg.

جاءت أصلاً من ميدان الفيزياء وهي في أبسط تعريـــف لـــها "وحدة للطاقة". وتعرف الدفعة الفطرية بأنها :

"استعداد فطري نفسي جسمي يتيح لصاحبه اكتساب اســـتجابية (انتباه وتعرف) لفئات معينة من الأشياء على نحو أيسر من اكتســـابها بالنسبة لفئات أخرى، كما يتيح له أن يخبر انفعالاً معيناً بالنسبة لـــــها، وأن يبدأ في سلسلة من الأفعال تتوقف على نحو تام عند هدف معيـــن أكثر من توقفها عند آخر مما يعزز السلوك المفضل للهدف المفضل".

واضح من التعريف السابق أن للدفعة الفطرية أربعة جوانـــب هي :

- أنها تحدث إدراكاً انتقائياً، أي أنها تجعل الفرد ينتبه إلـــى بعض الأشياء ولا ينتبه إلى أخرى. فالشخص الجائع ينتبه إلى الوقائع التي ترتبط بالطعام أكثر من انتباهه إلـــى مـــا ليس كذلك.
- أنها تثير استجابة انفعالية نحو أشياء معينة ففكرة تنـــاول الطعام فكرة سارة.

- أنها تثير سلوكاً موجهاً نحو هدف. فالشخص الجائع سوف يعمل ما يلزم من أعمال ليحصل على الطعام.
- أنها تؤدى إلى استجابة نهائية. أي أنه حين يحصل الجائع على طعام سوف يأكله.

وكما أوضح كاتل، فأن لهذا التعريف أربعة أجزاء رئيسية هي:

- الاستجابة الإدراكية.
- والاستجابة الانفعالية.
- والأفعال الأدائية الموصلة إلى الهدف.
- ثم إشباع الهدف نفسه.

وإذا ما أُدمجا الجزئين الأخيرين فسوف يتكون التعريف عندئذ من مكونات معرفية، ووجدانية، ونزوعية كما في تعريف ماكدوجال الشهير "الغريزة". وبالفعل فأن الدفعة الفطرية تؤدى في نظرية كاتل عن الشخصية وظيفة تطابق في الغالب الوظيفة التي يحققها مفهوم الغريزة أو النزعة الطبيعية Propensity في نظرية ماكدوجال.

ولقد كشفت بحوث كاتل عن إحدى عشرة دفعة فطرية هي : الجنس والجوع والحماية الوالدية وتأكيد الذات وحب الاستطلاع والنزعة إلى التجمع والغضب ولوم الذات والاشمئزاز وخضوع الذات. وكاتل يستخدم لفظ دفعة فطرية للتخلص من الخلط اللغوي بين الغريزة والحافز.

الدفعات المكتسبة أو ما بعد الفطرية : Metaergs

الدفعة المكتسبة سمة مصدر دينامية تشكلها البيئة. أي أنه فـــي حين تتشكل الدفعة الفطرية نتيجة لمحددات تكوينية، تتشــــكل الدفعـــة المكتسبة نتيجة لعوامل اجتماعية حضارية.

وتدخل في هذه الفئة الاتجاهات والعواطف. والعواطف هـــي: "بنيات سمات دينامية رئيسية مكتسبة تؤدى بأصحابها إلى الانتباه إلـــى موضوعات معينة أو فئات من الموضوعـــات، وأن يشـــعر بـــها وأن يستجيب إليها بطريقة معينة". ويعتقد كاتل أن العواطف تتركز عــــادة حول: المهنة، والرياضة، والديـــن، والوالديـــن، والـــزوج، والـــذات. والاتجاه النفسي أكثر تحديداً ولكنه مشتق من العاطفة وهـــذه بدورهـــا مشتقة من الدفعة الفطرية. والاتجاه النفسي كما يراه كاتل هو ميل إلـــى الاستجابة بطريقة معينة في موقف معين لشئ أو واقعة معينة.

وقد مكنت البحوث كاتل من تحديد عدد صغير من العواطـــف الهامة تتضمن: الاهتمام بالمهنة، وبالرياضـــة وبالألعـــاب، والديـــن، والاهتمامات الميكانيكية، الوطنية، بنيان الأنا الأعلى، عاطفة الذات.

مفاهيم النظرية:

نتوقع من دراسة السمات المترابطة وجود هدف نهائي للفـــرد يتوصل إليه من خلال سلسلة من الأهداف التابعة أو الأدائيـــة وتعـــد السمات التي تتصل بهدف أولى تابعة للسمات التي تتصل ببلوغ هـدف نهائي وهكذا يمكن التمييز بين الدفعة الفطرية والعاطفية والاتجاه مـــن حيث كونها جميعاً سمات دينامية مـــن حيـــث أن الاتجاهـــات تابعـــة للعواطف والعواطف تابعة للدفعات الفطرية ويقترح كاتل لتوضيح هذا

التعقيد استخدام الشبكة الدينامية ويمكن توضيحها برسم بيـــاني يبيــن الممرات التي تربط بين اتجاهات معينـــة مـــن اليســـار مثـــلاً إلـــى موضوعات معينة على مستوى العاطفة في الوســط ونحـــو أهـــداف دفعات فطرية في الطرف الآخر. وهكذا يمكن أن يكـــون الموضـــوع المعين تابعاً لعدد من الدفعات الفطرية والعديد من الاتجاهـــات تابعـــة للموضوع ويندر أن يشبع الفرد رغباته الفطرية على نحو مباشـــر أي أنه يشبع هذه الدفعات الفطرية بطرق غير مباشرة فقد ينمي الإنســـان مهاراته ليحصل على عمل وذلك لكي يتزوج وينشئ أسرة أو ليعـــول أسرته الأصلية ويطلق كاتل على الإشباع غير المباشر للدفعة الفطريـة الدوران الطويل ويمكن أن نرى أيضاً أن لكل عاطفة وظيفة لعدد مـــن الدفعات الفطرية أو تابعة لها: فالعاطفة نحو الزوجة تعكس فيما يبـــدو الجنس والعواطف والنزعات الفطرية يتفاعل بعضها مع البعض الآخر باستمرار وتعكس الظروف الحاضرة كمـــا تعكـــس أهـــداف الفـــرد المستقبلية.

الذات : Self

ويعطي كاتل لمفهوم الذات مكانة هامة في نسقه، ويتحدث عن عاطفة الذات التي تضفي استقراراً على سمات المصدر كما تضفـــي عليها درجة عالية من التنظيم. وعلى ذلك فأن قيام أي ثمة مصدريـــة دينامية يعملها سوف يتطلب قدراً من المشاركة من عاطفة الذات.

وسوف ترتبط درجة يسر تعبيرها عن نفسها بمدى اتساقها مع الذات وهناك بطبيعة الحال سمات تنفصل عن الذات ويغلب أن تعـــبر عن العصاب والحالات المرضية. وكاتل يتحدث عن ثلاثة جوانب فيما يتصل بالذات هي عاطفة الذات والـــذات الواقعيـــة والـــذات المثاليـــة

والمقصود بعاطفة الذات Self اهتمام الفرد بذاته المتطورة، ويقصد بالذات الواقعية Real Self الفرد كما يقر بذلك في أكثر لحظاته منطقية، والذات المثالية Ideal Self هي الفرد كما يود أن يكون إذا توافرت له كل الأشياء وكل السلطة. ولقد كان أمل كاتل في بحوثه الكثيرة أن يدرس الشخصية الفريدة حين تلتقي وتواجه موقفاً فريداً.

وقد تكون الذات الفعلية في بداية الارتقاء بمثابة أنعكاس غير كامل للذات المثالية، وقد تعتبر تابعة لها. وعلى أي حال فقد يؤدى مرور الوقت والارتقاء السوي إلى تكامل هاتين الذاتين في حدود ما تمليه عاطفة الذات.

الدور :

ويتناول كاتل مفهوم الدور ويرى أنه لغز على عالم النفس أن يتصدى لحله. والسؤال الذي يطرحه هو: هل التغير في الإدراك الذي يولد تغيراً في الفعل حين يبدأ الفرد في أداء دوره يرجع إلى تغير في المؤشرات الموقفية أو إلى تغير في البنية الأساسية للشخصية ذاتها؟ وهكذا فإنه يقول: هل يرى الفرد فعلاً الموقف مختلفاً؟ أم أن الفرد يغير فعلاً موقف الدور؟ وهو بصفة عامة ينتهي إلى القول بأن هذين النوعين من التغير يحدثان، ذلك أن القيام بالدور يغير الفرد كما أن الفرد يغير الدور.

معادلة التخصيص : The Specification Equation

يهتم كاتل بالأسوياء من الناس في الأساس. وهو مهتم بالقدرة على التنبؤ بالكيفية التي يستجيب بها الناس للمواقف المختلفة بقدر ملحوظ من الدقة. وكاتل يؤمن بالحتمية في تنبؤاته. أي أنه يعتقد

أن السلوك وظيفة ونتيجة لعدد محدود من المتغيرات وإذا عرفنا هـــذه المتغيرات معرفة تامة فإننا نستطيع أن نتنبأ بالسلوك بدقة تامة. ولكـــن كاتل وغيره ممن يؤمنون بالحتمية يدركون أنه لا يمكن معرفة جميـــع المتغيرات التي تؤثر في السلوك ولذلك فإن التنبؤ بالسلوك سيظل دائماً احتمالي. ومتى ما أدركنا هذا فإنا كلما أزدادت معرفتنـــا بـــالمتغيرات التي تؤثر في السلوك الإنساني أزدادت دقة تنبؤاتنا به. ويرى كاتل أن هذا يصدق أيضاً في مجال بحوث الشخصية، فكلما أزدادت معرفتنـــا عن السمات المختلفة للشخص، أزدادت قدرتنا على التنبؤ بسلوكه.

ويمكن بصفة عامة أن نعبر رمزياً عن موقف كاتل في هـــذه المسألة على النحو الآتي:

$$R = P \times S$$

استجابة الشخصية = وظيفة (الشخصية والمواقف)

وحيث :

R = استجابة الشخص

P = شخصية

S = الموقف

وبعبارة أخرى إن سلوك الشخص ما هو إلا وظيفة أو نتيجـــة للشخصية والموقف الذي توجد فيه.

واضح أن هذه المعادلة تبسيط زائد لوجهة نظر كاتل. لأننا إذا أردنا أن نتنبأ بدقة بأداء الشخص، فإننا لابد أن نحلل العنـــاصر التـــي تدخل في الشخصية، بتفصيل أكبر. ومعروف أن شخصية الفرد عنـــد كاتل هي جميع السمات التي يمتلكها ذلك الفرد. وهكذا لابد أن نضـــع في المعادلة مقياساً لكل سمة من سمات الشخصية وســـوف تتفـــاوت

أهمية سمات الشخص من موقف إلى آخر، ولذلك لابد من تحديد كـــل سمة في كل موقف. ونطلق على هذا التحديد تشبع الســـمة بالعــامل. وهناك ظروف مؤقتة قد تؤثر في السلوك في أوقات معينة بالإضافـــة إلى السمات المستقرة وعلى سبيل المثال قد يكون الشخص مريضـــاً أو متعباً. وبالمثل فإن مواقف معينة قد تتطلب من الشـــخص أن يلعــب دوراً، وهذا الدور يؤثر في السلوك تأثيراً كبيراً. ويطلق علـــى هــذه الحالات الجسمية المؤقتة كالتعب والمرض والقلق والأدوار الاجتماعية المطلوب أداؤها المتغيرات لأنها تغير التعبيرات السلوكية.

ويتضح الآن أن التنبؤ بسلوك شخص عمل معقـــد، لأننـــا إذا أردنا أن نتنبأ بسلوك فرد معين في موقف معين فإنه ينبغي علينـــا أن نعرف سمات هذا الشخص، ومدى أهميتها في هذا الموقـــف المعيـــن، وحالته الجسمية الراهنة، والأدوار التي عليـــه أن يلعبـــها فـــي هـــذا الموقف. وتصبح المعادلة العامة التي سبق عرضـــها أكـــثر تحديـــداً وتفصيلاً ويسميها كاتل معادلة التخصيص.

حيث :

PJ = الأداء في الموقف

A = سمات القدرة

T = سمات المزاج

E = توترات الدفعة الفطرية الراهنة

M = العواطف والاتجاهات

R = الأدوار التي يطلبها الموقف

S = حاجات الجسم المؤقتة كالتعب والمرض والقلق

SJ = الوزن أو التشبع Loadipg الذي يبين أهمية كـــل مـــا تقدر من مؤثرات في الموقف.

فإذا أردت أن تعرف كيف يستجيب الشخص إلى موقف معين، فعليك أن تكتب قائمة بسماته وأن تقدر وزن كل منها وأهميتها بالنسـبة للموقف. وعلى سبيل المثال فإذا كان الفرد يواجه موقفاً يتطلب حـــلاً، فإن سمة القدرة (الذكاء) سيكون لها وزن كبير. فإذا فعلنا هذا بالنســبة لكل سمات الشخص وأدخلنا في اعتبارنا المتغيرات الموقفيـــة. فأننـــا نستطيع أن نتنبأ بسلوك الشخص في هذا الموقف بدرجة كبيرة.

نمو الشخصية :

تناول كاتل عملية الشخصية بشمول بالغ لمفاهيمـــه البنائيـــة وأيضاً في مناقشته للسلوك في مستويات العمل المختلفة، بحيث أصبـح استخلاص صورة وافية لأرائه أمراً بالغ الصعوبة. ولا نستطيع سـوى أن نحدد معالجته لعملية التعلم، وأن نعرض في شكل تخطيطي إلى حد كبير أسسه لتكوين الشخصية.

ويبدو من الصواب أن نقول أن كاتل قد استمد ما أقامـــه مـــن علم نفس ارتقائي من كل من التحليل النفسي ونظرية التعلـــم، ولكنـــه أدخل الكثير من أفكاره الخاصة في الصياغة. وبالنسبة له تتكون عملية الارتقاء أساساً من تعديل الدفعات الفطرية، وتفصيل الدفعات المكتسبة، وتنظيم بناء الذات. ويتوقف مدى سهولة هذا النوع من التعديل والنمـو على الذكاء وعلى مقدار جمود الاستعداد. وقوة الذاكرة.

مبادئ التعلم :

لقد اختار كاتل في عرضه لعملية التعلم أن يركز على سلاسل من نقاط الاختيار أو كما يسميها الطرق المتقاطعة الدنيوية والتي تمثل الوقائع التي تلي تنشيط بعض الأنماط الفطرية للسلوك. أي أنه حين يبدأ التوافق الأكثر فطرية في العمل، فإن هذا الميل المصحوب بالظروف البيئية الخاصة سوف يؤدى إلى إحدى النواتج المتعددة. ولقد حاول كاتل أن ينظم تلك النواتج في شكل نمط متعاقب من الاختيارات أو الطرق المتقاطعة.

وقبل أن نعدد تلك الطرق المتقاطعة فلنعرض باختصار لمواقف كاتل بالنسبة لقوانين التعليم فهو برغم قبوله لفعالية كل من التجاور (الاشتراك التقليدي)، والتعزيز (قانون الأصل)، فإنه يرى بوضوح أن أكثر القوانين أهمية هو القانون الدنيامي للأثر.

ووفقاً لصياغة كاتل فإن الاستجابات التي تنزع إلى أن تتعلم هي تلك التي تقرب المسافة بين الشخص والهدف ولكنه يضيف إلى جانب ذلك أن استجابات المحاولة والخطأ تستثار طبقاً لمبادئ التجاور أو الارتباط.

ويحدث أول تلك الطرق المتقاطعة الدينامية حين يقدم الفرد على محاولة أولية لإشباع دفعة فطرية معينة، فهناك أربع نواتج محتملة قد تتبع أثاره الدفعة الفطرية :

أولاً : قد يحصل الفرد على الإشباع نتيجة لنمط سلوكي محدد فطرياً.

ثانياً : قد يفشل الفرد في الحصول على الإشباع لعدم فعالية الأنماط الفطرية للاستجابة إدراكياً في مواجهة العوامل البيئية الحالية.

ثالثاً : قد يتعدل النمط الفطري أو يبطل من خلال تنشيط دفعة فطرية أخرى تابعة له.

رابعاً : قد يفشل الفرد في الوصول إلى الهدف بفعل العوائق برغم أن الطريق إلى الهدف فيما عدا ذلك مناسب ومدرك بوضوح.

السياق الاجتماعي :

يرى كاتل أن الأبعاد الموضوعية قد تستخدم لوصف الجماعات بطريقة تماثل تلك التي استخدمت بها السمات لوصف الأفراد. وتمثل تلك الأبعاد شخصية الجماعة.

وهو ما يقابل الشخصية الفردية. وهكذا فإن وصف شخصية الجماعات المختلفة التي تؤثر على شخصية الفرد يعد مهمة هامة بالنسبة لمن يدرس الشخصية في علاقاتها بالقالب الاجتماعي الحضاري، ولا نستطيع الحصول على معرفة تفصيلية فيما يتعلق بالتفاعل بين شخصية الفرد وشخصية الجماعة إلا من خلال الوصف الكافي لكل من هذين البنائين.

والكثير من المؤسسات الاجتماعية تمارس تأثيرها في تعديل أو تشكيل الشخصية ولكن أهم تلك المؤسسات هي الأسرة. وإلى جانب هذا المصدر الأساسي للتأثير توجد مؤسسات أخرى تلعب دوراً يستحق الاعتبار مثل المهنة، والمدرسة، ومجموعة الأقران، والدين، والحزب السياسي، والأمة.

وقد يكون لمثل تلك المؤسسات تأثيرها على الشخصية بـإحدى الطرق الثلاثة التالية:

فأولاً : قد يكون هناك قصد معتمد لخلق نوع معين من الخلـق أو الشخصية أو أن تعريف السلوك المقبول اجتماعيـاً قـد يتضمـن تخصيصاً لسمات الشخصية، وبالتالي فقد تقوم المؤسسة الاجتماعيـة بمعادلة واعية لخلق تلك المميزات.

ثانياً : فأن العوامل الموقفية قد يكون لها تأثير غير مقصـود يمارسه المجتمع أو ما شابه من مؤسسات.

ثالثاً : فإنه كنتيجة لأنماط السلوك التي استقرت خلال العمليـة الأولى أو الثانية، قد يجد الفرد أنه من الضروري إدخال المزيد مـن التعديلات على شخصيته للتعبير عن الدوافع الهامة أو إرضائها.

وبذلك فإنه ينبغي أن يتضمن الفهم الصحيح لارتقاء الشـخصية لإسهام مختلف المؤسسات الاجتماعية التي تتدرج من الأسرة إلى الأمة أو الجماعة الحضارية. وبالإضافة إلى ذلك فأن هذه الخطوة لا يمكـن أن تتخذ إلى حين يتم استخلاص الأبعـاد المناسـبة لوصـف تلـك المجموعات والمؤسسات والتفرقة بينها. ونجد أن التحليل العاملي يلعب في وصف الشخصية .. شخصية الجماعة نفس الدور الذي لعبه فـي وصف شخصية الفرد. وبالرغم من أن البحث في هذا المجـال ليـس جديداً، فأن كاتل قد أورد نتائج دراسة واحدة أجريت على مجموعـات صغيرة وأدت إلى سبعة عوامل أو أبعاد اعتبرها كاتل مبشرة بوصفـه شخصية الجماعة. وكانت تلك العوامل هي: الاستجابة المنبسطة مقابل الانسحاب، وروح الجماعة الذكية، والواقعية والاعتمادية مقابل عـدم الاتزان والمراوغة، والاسترخاء الواقعي عن معرفـة مقـابل الكـد

والعدوانية الجامدة، الدهاء العملي والعناد مقابل الاسترسال في التخيل والتغير المستمر الدينامي، الجلد مقابل النشاط اللفظي السهل، والتمديد الودى والكياسة مقابل أفقاد السيطرة الذاتية للجماعة. وإلى جانب تلك المتغيرات ووسائل قياسها موضوعياً فإنه من الممكن أن نتقدم لتخطيط العلاقات بين العائلات التي تختلف من حيث بيئاتها بالنسبة لمثل تلك المتغيرات وبالنسبة لشخصيات الأفراد كما توصف في ضوء سمات المصدر.

ولقد قدم كاتل أيضاً (١٩٤٩) مجموعة من الأبعاد لوصف شخصيات الأمم.

وقد استخرج في هذه الحالة عشرة عوامل من دراسة إجراها على سبعين أمة باستخدام ٧٢ مقياساً مختلفاً. ومن بين تلك العوامل العشرة لم يظهر سوى ثمانية لها دلالة واضحة وكانت: الحجم، والضغط الحضاري، والوفرة المستنيرة، والجهد المتأمل، والنظام الأرادى الذاتي الصارم، والمادية البورجوازية، والبوذية – المونجولية، والتكامل الحضاري، والروح المعنوية.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان لدى كاتل الكثير ليقوله فيما يتعلق بتفاصيل كيف تؤثر المؤسسات النوعية على شخصية الفرد. ويكفي أن نتعرف على الدور الكبير الذي أسنده إلى مثل تلك المتغيرات الحضارية والاجتماعية، وأن نري أن اتجاهه إلى تلك الدراسة التجريبية لهذا التفاعل يتسق مع اتجاهه إلى دراسة شخصية الفرد في عزلة نسبياً. وفي كلتا الحالتين فإن إيضاح المتغيرات الأساسية من خلال استخدام التحليل العاملي يمثل خطوة تمهيدية حاسمة.

تصميمات الأبحاث في نظرية كاتل :

يمكن تلخيص التصميمات التي استخدمها كاتل في البحث والأساليب التي اتبعها في دراساته منذ بداية عمله فيما يلي:

- أسلوب ر : R. Technique

وهو الأسلوب التقليدي لعلماء النفس، ويتلخص في إيجاد معامل الارتباط بين الدرجات التي حصلت عليها مجموعة من الأفراد في اختبارين أو أكثر لمعرفة مدى الارتباط بين هذه الاختبارات.

- أسلوب ب : P. Technique

ويهدف هذا الأسلوب إلى إيجاد الارتباط بين عينات مختلفة من سلوك نفس الفرد باستخدام عدد كبير من المقاييس وتطبيقها على الفرد في ظروف وأوقات مختلفة.

- أسلوب كيو : Q. Technique

ويهدف هذا الأسلوب إلى إيجاد الارتباط بين فردين على عدد كبير من المقاييس المختلفة. ويمكن أن توجد الارتباطات فيه بين عدد كبير من الأفراد بالنسبة لعدد كبير من المقاييس، وفي هذه الحالة يمكن أن يتجمع الأفراد المتشابهون في مقاييس معينة تمكن الباحث من تصنيفهم إلى طرز Types.

- أسلوب ك الفارقي : K. Technique

وهو أسلوب يشبه أسلوب، الاعتيادي، إلا أن القياس هنا يعاد مرتين ويحسب الارتباط وتوجد العوامل للتغيرات الناتجة عن القياسين، وهذا الأسلوب مفيد في دراسة الحالات النفسية.

وبالإضافة إلى هذه الأساليب الأربعة التي استخدمها كاتل كثيراً فإنه وصف وشرح في كتاباته الغزيرة عدداً كبيراً من التصميمات الأخرى التي يمكن استخدامها من قبل الباحثين في الشخصية.

ويحصل كاتل على المعلومات في بحوثه في الشخصية من ثلاث مصادر:

- سجل الحياة : L. Data

ويشمل هذا السجل السلوك اليومي كعدد الإصابات أو تكرار الزيارات الاجتماعية أو عدد الجمعيات التي ينتمي إليها الفرد والدرجات المدرسية وما شابه.

- الاستبيانات : E. Data

وتعتمد هذه على التقرير الذاتي، وتعد خصيصاً لقياس اتجاه معين أو بعد من أبعاد الشخصية.

- الاختبارات الموضوعية : OT. Data

وهي اختبارات أعدت لقياس سلوك الفرد للتعرف على الشخصية بدون أن يعرف المفحوص كيف ستفسر استجاباته. وتتوفر الموضوعية عندما يقاوم الاختبار أي تحريف أو حساسية نحو البلحث أو كذب من قبل المفحوص، ويعتبر هذا المصدر للمعلومات من أكثر المصادر صدقاً، وقد أكد عليه كاتل، ولقد ظهر هذا بوضوح من جهوده المتواصلة في بناء الاختبارات رغم دعوته إلى الاستعانة بالمصادر الثلاثة بصورة متكاملة لفهم شخصية الإنسان المعقدة.

ويمكن تلخيص المدخل لفهم بناء الشخصية لدى كاتل بالآتي:

- المقارنة بين المعلومات كما هي مستقاة من سجل الحياة، والاستبيانات والاختبارات.
- دراسة مستعرضة لكل الأعمار.
- دراسة العلاقات بالتحليل العاملي.
- دراسة الثقافات المختلفة لإيجاد بناء وديناميات الشخصية الثابتة.
- دراسة المتغيرات بطريقة التجربة المتعددة للمتغير.

– مناهج البحث في نظرية كاتل وبحوث مختارة حولها :

تدل كتابات كاتل وأساليب بحوثه على التزامه التام بالأسلوب العلمي باتجاه تنمية حقل الشخصية كعلم، ولذا فقد أكد على وجوب استخدام الطرق الموضوعية والبحوث الكمية، ودعى إلى تطبيق الأساليب الرياضية العالية على البيانات والمعلومات النفسية. وقد أعطي الرياضيات أهمية خاصة وسماها ملكة العلوم.

والحق أن الارتباط بين النظرية وأسلوب البحث في نظرية كاتل أكبر مما هو في أي من نظريات الشخصية الأخرى. إذ يدعو كاتل إلى ضرورة الاهتمام بالأسلوب العلمي في البحث بدل الاستكشافات غير المنظمة أو استخدام الطرق التقليدية التي لم تؤد إلى نتيجة واضحة.

- طريقة الأبحاث متعددة المتغير :

يميز كاتل بين ثلاثة تصميمات لدراسة الشخصية هي:

- التجربة ثنائية المتغير. Bivariate
- التجربة متعددة المتغير. Multivariate
- التصميم الإكلينيكي Clinical

إن تصميم البحث على أساس التجربة، ثنائية المتغير، هي الطريقة التجريبية التي أدخلها "فنت" في علم النفس التجريبي، وهي التجربة التقليدية التي تستخدم للقياس في علوم الطبيعة، وفيها يسيطر الباحث على المتغير المستقل ويغير فيه ليرى تأثيره على المتغير التابع.

أما التصميم الذي يستخدم طريقة التجربة، متعددة المتغير، فإن الباحث يدرس فيه العلاقات بين عدد من المتغيرات في نفس الوقت، كما أن الباحث لا يغير في المتغيرات إنما يلاحظ التغيرات الطبيعية التي تقع عليها في الحياة ولو أن بإمكانه أحياناً إجراء التغير إذا أراد.

ورغم أن الطريقتين: الثنائية والمتعددة المتغير، تلتزمان بالأسلوب العلمي، إلا أن كاتل ينتقد أسلوب التجربة ثنائية المتغير، لأنها محدودة بمتغيرات قليلة العدد، في حين أن السلوك الإنساني معقد، ويفصح عن التداخل بين عدد كبير من المتغيرات عادة، ولذا فإن فهم العلاقة بين متغيرين يترك الباحث أمام مشكلة فهم تعامل هذين المتغيرين وكيف يتم مع المتغيرات الكثيرة الأخرى المهمة في تحديد السلوك المدروس. كذلك يرى كاتل أن البحث باستخدامه التجربة ثنائية

المتغير يلجأ إلى خوض موضوعات بسيطة وغير هامة أحياناً لمجرد أنه يستطيع بفاعلية أكبر ضبط العوامل فيها، وقد يلجأ إلى الموضوعات الفسيولوجية أو إلى استخدام الحيوان بدل الإنسان لإيجاد إجابات لأسئلته العويصة.

أما التصميم الإكلينيكي فإن طريقته تدرس موضوعات هامة في السلوك على نحو ما يحدث في الطبيعة. كما تؤكد هذه الطريقة على دراسة الفرد ككل، فلا تجزؤه كما في طريقة التجربة الثنائية المتغير.

وهكذا يرى كاتل أن الطريقة الإكلينيكية، وطريقة التجربة متعددة المتغيرات، يتفقان فيما بينهما في القصد العلمي وبالمسلمات الفلسفية ويختلفان عن طريقة التجربة ثنائية المتغير. فإن الإكلينيكي والباحث متعدد المتغيرات، يهتمان بالأحداث الشاملة وبالنماذج المعقدة في السلوك كما تحدث في الطبيعة، وكلاهما يستخدم الحياة نفسها كمصدر وكلاهما يريد فهم الشخصية ككل بدلاً من فهم عمليات متفرقة وأجزاء متقطعة منها. والفرق بينهما هو أن الإكلينيكي يستعمل الحدس لتقييم المتغيرات، والذاكرة لضبط الحوادث، بينما يستخدم الباحث متعدد المتغيرات الأساليب التجريبية والتحليل الإحصائي.

وباختصار، ولما تقدم، فأن كاتل يرى أن طريقة التجربة متعددة المتغير تجمع بين المميزات الجيدة لكل من التجربة ثنائية المتغير والطريقة الإكلينيكية. فهذه الطريقة، موضوعية وعملية وتسمح بدراسة ما لا يمكن ضبطه. وبالإضافة إلى ذلك، فأنها اقتصادية، إذ يمكن للباحث الذي يستخدمها أن يدرس عدة متغيرات في آن واحد، كما يمكن له دراسة عدة أشخاص وفي مواقف كثيرة في تجربة واحدة.

- طريقة التحليل العاملي :

إن الطريقة الإحصائية التي ارتبطت بالبحوث متعددة المتغير هي ما يوصف بالتحليل العاملي. ويتلخص التحليل العاملي في أن يبدأ الباحث الذي يستخدمه بعدد كبير من فقرات اختبار تعطي إلى عدد كبير من الأفراد.

والسؤال الذي يتعين الإجابة عليه فيها هو إيجاد الفقرات التي تستجيب لها مجموعات من الأفراد بنفس الاستجابة؟ ويتوصل الباحث إلى تجمعات للفقرات أو العوامل باستخدام عدد من الأساليب الإحصائية.

وهكذا تكون الفقرات في أي تجمع مرتبطة ببعضها ارتباطاً عالياً، بينما يكون ارتباطها معدوم أو منخفض جداً مع فقرات التجمعات الأخرى وفي هذه الحالة يمثل كل تجمع عاملاً مستقلاً.

أما بالنسبة لمنطلق التحليل العاملي، فلأنه يوجد في الشخصية عناصر مفردة طبيعية تقابل العناصر في علم الطبيعة، فإنه تحرك هذه الأشياء (استجابات الاختبار، المتغيرات) معاً ظهوراً أو اختفاءاً مثلاً، يمكن الاستدلال منه على أن هناك وراءها صفة مشتركة، أي أنها تعود إلى نفس الوحدة في فعاليات الشخصية. ويفترض التحليل العاملي أن السلوكين اللذين يتغيران مع بعضهما البعض هما مرتبطان وظيفياً، وأنه يمكن التوصل بالوسائل الإحصائية إلى تحديد الارتباط بين أي سلوك وآخر. وعلى هذا النحو تتحدد الوحدات الوظيفية أو العناصر الطبيعية أو السمات أو العوامل في الشخصية.

وهناك تصميمات مختلفة للتحليل العاملي وتشترك كلها في أنها تحدد مصادر الاختلاف المشتركة أو وحدات البناء بقصد الحصول على معلومات نظرية منظمة ذات أهمية وذات معنى من الغابة الفوضوية للسلوك الإنساني.

- الطريقة الاستقرائية – الفرضية – الاستنتاجية :

ويقترح كاتل استخدام الطريقة الاستقرائية – الفرضية الاستنتاجية Deductive Inductive -Hypo Thetico وتتلخص هذه الطريقة في أن يبدأ الباحث بالاستكشاف الذي هو أكثر مراحل عملية البحث العلمي إبداعاً. ويقترن هذا الاستكشاف ببعض الملاحظات التجريبية بحيث يؤدى ما فيها من انتظام إلى التفكير الاستقرائي والوصول إلى نقطة يستنتج منها ما هو قابل للبحث، ليؤدى هذا بدوره إلى الاستقراء ثانية.

ويرى كاتل أن الطريقتين: الفرضية الاستنتاجية والفرضية الاستقرائية، ضروريتان في بحوث الشخصية، إلا أن معظم علماء النفس الباحثين في الشخصية يكتفون عادة بواحدة فقط فيستخدمون إما الاستقراء أو الاستنتاج في البحث الواحد.

ويرى كاتل أنه يجب أن نتعلم كيف نصف، وكيف نقيس بدقة، الوجوه المختلفة للشخصية لأن هذه الوجوه ما هي إلا السمات المختلفة أو الأبعاد التي يجب أن نحددها بمقاييس كمية دقيقة لفهم الشخصية.

كما أنه اهتم بمحددات أبعاد الشخصية وكيف تتكون السمات وقد قام ببحوث رائدة في ميدان الوراثة والتعلم وأثرهما في بناء السمات. وقد رأى – أن هناك ثلاثة أنواع من التعلم التي يمكن أن

تؤثر في تكوين الشخصية وهي التعلم بالشرطية التقليدية والتعلم بــأثر الثواب والتعلم التكاملي، ويؤكد كاتل على النوع الأخير لأنـــه يشــبع حاجات الشخصية ككل وليس حافزاً واحداً أو حاجة فيها، فضلاً عـــن أنه أسلوب التعلم الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان.

أما تأثير عامل الوراثة في تكوين السمات في نظرية كـــاتل، فواضح من تأكيده عليه في كتاباته فقد اعتقد أن السمة تتأثر في الواقع بعاملي البيئة والوراثة. وقد ابتدع تصميماً لتحديد أثر كل مـــن هذيـــن العاملين في كل سمة، وهي طريقة تحليل التباين المجـــرد المتعـــدد. (MAVA) Multiple Abstract Variance Analysis Method. ويتلخص هذا التصميم في أن يعطي الباحث عدداً كبيراً من اختبارات الشخصية إلى أفراد عدد كبير مـــن العـــائلات، ثـــم تحلـــل المعلومات المتجمعة بالنسبة لأربع أنواع من التأثيرات: وهي الوراثيـــة داخل العائلة والفروق البيئية بين العائلات، والفروق الوراثيـــة داخـــل العائلة والفروق الوراثية بين العائلات، ثم باستخدام عدد من المعادلات الرياضية يستطيع الباحث أن يتوصل إلى تحديد مساهمة كل من البيئـــة والوراثة في تكوين السمة أو السمات التي هو بصدد دراستها.

تقويم نظرية السمات :

رغم أهمية سمات الشخصية، فإنه ينبغي أن نضع في اعتبارنا الملاحظات التالية:

- أن تحليل الشخصية إلى سمات، هو نوع من التجريد يفقـــد أهـــم خصائص الشخصية وهو وحدتها فوجود السمات لا يعنى تفكـــك الشخصية أو أنها مجموعة متراصة من السمات المستقلة بجـــوار بعضها البعض، بل أن الشخصية وحدة متكاملة لا تتجزأ، أي أنـــها

بناء متكامل من السمات، بينها تفاعل ديناميكي متبادل. أي يؤثـــر بعضها في بعض باستمرار. فشدة الانفعال تعطل التفكير وتشـــوه الإدراك والتهور أو التعصب يفسد الحكم على الأمور، هكذا.

- إن نظرية السمات، لا تصف لنا ما تتسم به الشخصية من حيـــث هي وحدة وصيغة متكاملة، من صفات فريدة لا توجد فـــي أيـــة واحدة من السمات المنفردة. مثال ذلـــك، مرونـــة الشـــخصية أو جمودها، وهي صفات تصف الأداء الوظيفي الكلي للشخصية.

- أن تحليل الشخصية قد لا يساعدنا على فهم تنظيم الســـمات فـــي الإطار الكلي للشخصية. فقد يكون لدى شخصيتين نفس المجموعة من السمات وع ذلك يختلف تنظيم السمات في كليهما. مثال ذلـــك، قد يتسم شخصان بالتملك والسيطرة، إلا أنه في الأول قـــد يكـــون حب التملك وسيلة للسيطرة على الناس. بينما في الثاني قد تكـــون السيطرة وسيلة لاستحواذ أو التملك.

الدراسة العلمية للسمات وقياسها غاية في الصعوبة لأســـباب عديدة منها:

- أنها غالباً ما تكون غامضـــة أو مبهمـــة المعنـــي. فالأشـــخاص المختلفون غالباً يبدون ضروباً مختلفة من الســـلوك فـــي الســـمة الواحدة. فهناك سمات موضوعية من السهل قياسها، ولا يختلـــف في ذلك أثنان مثل طول الشـــخص أو وزنـــه. وكذلـــك القـــدرة الميكانيكية والتحصيل الحسابي، وما شابه ذلك، يمكن أن تتضمـــن أنماطاً سلوكية معينة يمكن التعرف عليها بسهولة كبـــيرة ويتفـــق عليها الملاحظون (وبالرغم من ذلك، فأن عـــدم اتســـاق أحكـــام المختبرين وثباتها يشير إلى موضوعيتهم محددة) ولكـــن هنـــاك

سمات أكثر تعقيداً مثل: القيادة والأمانـــة والمثــابرة والانطــواء والعدوان والجبن، الخ. فالسلوك الذي يفسره شخص ما بأنه سلوك عدواني، قد يسميه آخر مخاطرة، ويطلق عليه ثالث استعراض أو حب الظهور؛

- الذاتية في التفسير: يعتمد تفسير السمات، جزئياً، علـــى المشــاهد حيث تؤثر شخصيته ووجهة نظره الخاصة فيما يلاحظه في سلوك الناس، كما تؤثر في تفسيراته وتأويلاته لهذه السمات المسئولة عن هذا السلوك. أي أن اختلاف الأحكام تتوقف على اختـلاف الإدراك بين الأفراد لنفس المثير أو الموقف.

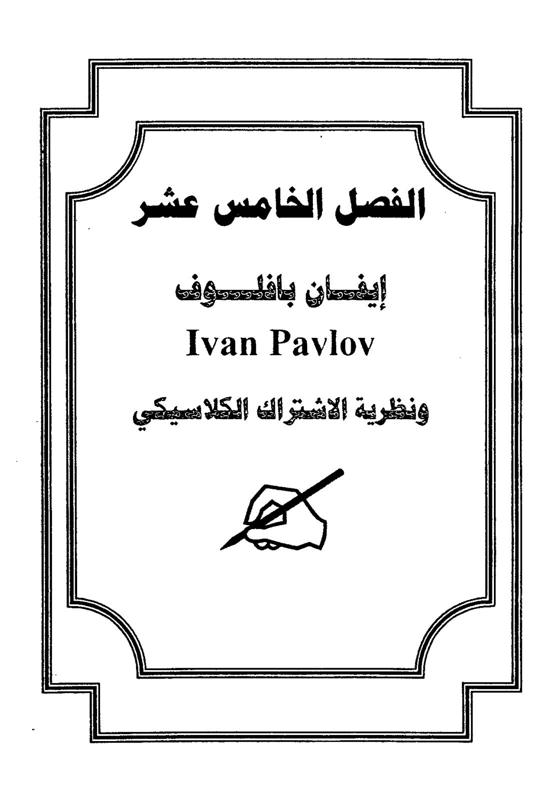
مثال ذلك: يري بعض الأهل من ذوى التقاليد القديمة في أفعال الطفل ما لا يعجبهم، فيرونها أفعالاً رذيلة تعبر عن التمرد. بينمـــا لا يري ذلك والدان تقدميان في نفس السلوك، فهما إما لا يلاحظان شـيئاً، أو يعتبران الأفعال علامة على تلقائية الطفل. أننا نلاحظ هذا الميل في حياتنا اليومية، ومثال ذلك نحن لا نقبل حكم شخص (أ) على شـــخص (ب) من حيث قيمة الظاهرة، إذا كنا نعتـــبر (أ) شـــخصاً متحـــيزاً أو متعصباً، وذلك لذاتية الأحكام التي يصدرها.

وكذلك كلما زاد نفاذها خلف خصـــائص الســلوك الظـــاهري السطحي إلى الدوافع الكامنة وراءه، كلما تدخلت تفسيرات أكثر ذاتيــة. الروائي والمؤلف المسرحي والمؤرخ الذين يتفوقون في تفسير .. فـــي تصوير الشخصية، لا يعطون سجلاً واقعياً لأفعال الرجـــال فحســـب خلال فترة ما، وإنما يختارون أكثر الأحداث أهميـــة ويســـتنتجون أو يحددون مشاعر الرجل (وهي داخلية ذاتية) ورغباته ومخاوفه وآرائه، وكذلك يجملون الحقائق في كل متكامل ذات معنى. يشبه ذلك إلى حـــد

كبير المحلل النفسي أو السيكولوجي الإكلينيكي حينما يقـــوم بدراســـة الحالة.

وقد لاحظنا أن أي سلوك بسيط يعتمد على عوامل متعددة فـــي بناء الشخصية، وفي البيئة بحيث لا يستجيب الشخص طول الوقت بناء على السمة فحسب. ومع ذلك، لا يعنى هذا اليأس من محاولة قيـــاس سمات الشخصية أو تقييم الناس. فمن الواضـــح أن بعـض الأفــراد يسلكون بأسلوب ملموس أكثر من غيرهم وأكثر تكراراً. بحيث يتفـــق معظمنا في وصفهم بالجبن، ووصف آخرين بأنهم أكـــثر شـــجاعة أو جرأة. وطبعاً لا نستطيع قياس الجبن في وحدات فيزيقية مطلقة كمـــا نقيس الارتفاع في درجة الحرارة ... الخ، ولكن مادمنا نستطيع ترتيب الناس على هيئة رتب تصاعدية منتظمة بالنسبة للسمة، أو نتفق بـــأن البعض مرتفع في هذه السمة والبعض منخفض، فأن متطلبات القيـــاس الجوهرية تكون قد توفرت.





الفصل الخامس عشر

إيفــان بافلــوف

Ivan Pavlov

ونظرية الاشتراك الكلاسيكي



الفصل الخامس عشر

بـــــافـلـــــوف

بدأ العالم الروسي بافلوف حياته في ظل القيصرية وانتهى فـي ظل الدولة الاشتراكية التي أنشأها (لينين) وبـــدأت أبحـــاث العلامـــة الروسي بافلوف الذائع الصيت عن الفعل المنعكـــس الشـــرطي عـــام (١٩٠٤) حين أعطي جائزة نوبل في الطب عن أبحاثه عـــن الجـــهاز الهضمي وآراء المعاصرين لبافلوف تدل على أنه عالم مخلص عمـــل بجد وكرس معظم حياته للبحث العلمي وعلى الرغم من تأثير أبيه وقد كان من رجال الدين إلا أن إخلاص بافلوف أنصرف للعلم ولقـــد رأي (بابكن Babkin) وهو من تلامذة بافلوف واتباعه أن بافلوف اعتـــبر العلم أداة لتعلم كل ما يراد تعلمه عن عالمنا بل وعن الإنسان في هـــذا العالم. ولقد شبه بافلوف في محاضراته ومقالاته الكائن الحـــي بالآلـــة وهو آلة معقدة ولاكنها خاضعة ومطيعة كغيرها من الآلات واعتـــبر الخاصية المميزة للعالم هي التواضع وليس الغرور.

وفضلاً عن ذلك فإن لأبحاث بافلوف تطبيقات عامة فقد ألقـــت الضوء على آليات التعلم وتكوين العادات وعلاوة على ذلك اســـتطاع بافلوف وتلاميذه أن ينجحوا عن طريق التجريب في خلق اضطرابـــات نفسية (عصاب) يعتقد بعض علماء الاجتماع أنها نتيجة مـــن نتـــائج العيش في حضارات معقدة.

الاشراط الكلاسيكي Classical Conditioning

إن سيلان اللعاب عند الكلب أو ونترة الركبة عند الإنسان هـي استجابات تظهر لا إرادية دون تدريب إذا ما وجد المثير المناسب فـإذا ما أقررنا مثير محايداً (المثير الشرطي) بذلك المثير المناسب (المثـير الطبيعي) كان بإمكاننا أحياناً أن نجعل الاستجابة (الاستجابة الشـرطية) تظهر بالنسبة للمثير الذي كان محايداً أصلاً إذا ما وجد منفرداً وتسمي هذه العملية بالاشتراط الكلاسيكي.

لقد تأثر بافلوف بنظرية (داروين) فقد كانت فكرة (داروين) في وجود الغريزة هي الأساس في تفسير الفعل المنعكس فالطفل يولـد باستجابات غريزية هي عدته في مواجهة احتياجاته الأساسية إذ تثـير الاحتياجات اضطراباً في اتزانه البيولوجي ينشأ عنه استثارة تسـارع استجابات الغريزة بإبطال مفعولها بإشباع الحاجة فيعود الاتزان وهكذا. هذا هو الفعل المنعكس أساس العلاقة بين المثير والاستجابة.

انتقل بافلوف من دراسة فسـيولوجيا الـهضم إلـى دراسـة فسيولوجيا المخ عن طريق ملاحظته لظاهرة إفراز اللعاب عند الكلاب عام (١٨٩٠) فقد اكتشف هو ومعاونوه أن العصـارة المعديـة لـدى الكلاب لا تفرز عند الأكل فقط وإنما عند مجرد رؤية الطعام فـأطلق على هذه الظاهرة أسم (التنبيه النفسي) للفرد وبذلك تحول إلى دراسـة التنبيه النفساني ولاكن بأسلوب فسيولوجي بحت

تجربة بافلوف :

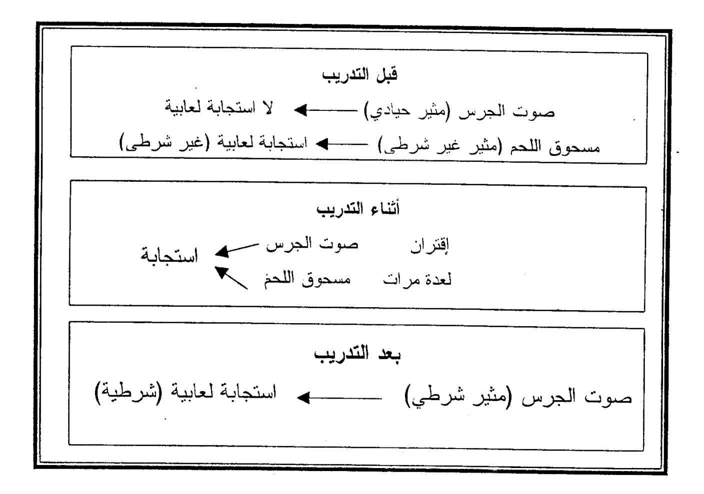
بني طريقته على أساس القيام بعملية جراحية في خد الكلـب بحيث يكشف عن الغدة اللعابية ثم ركب في الكلب وحدة تسجيل لقياس

سيلان اللعاب ثم قيد الكلب في المختبر بشكل لا يسمح له بحرية الحركة إلا في حدود صغيرة وأجريت التجربة في حجرة عازلة للصوت لها نافذة صغيرة تسمح للمجربين أن يلاحظوا الكلب وكانت إجراءات التجربة تبدأ بإصدار صوت (شوكة رنانة) أو إشعال ضوء وبعد هذا المنبه بقليل يقدم للكلب مسحوق اللحم ويبدأ الكلب في الأكل وتبدأ وحدة التسجيل تشير إلى أن لعابه يسيل بقدر واضح وبعد تكوار هذا الإجراء بدأ لعاب الكلب يسيل بمجرد سماع الصوت أو رؤية الضوء واستمر يفعل ذلك حتى دون أن يقدم له مسحوق اللحم.

تفسير التجربة :

فسر بافلوف التجربة بأن اقتران المنبه الطبيعي (غير المطوع) بالمنبه المصطنع (المطوع) في الزمان والمكان بين المنبهين ينقل صفة المثير الطبيعي إلى المثير الاصطناعي وذلك يتم عبر طريق عصبي ثابت وهذه الرابطة التي تربط بين المركز العصبي وتلك الاستجابة هي رابطة غير مستقرة قد تختفي من تلقاء نفسها. وإذا شئنا المحافظة عليها وجب أن نكرر التنبيه مرات عديدة وهذه الرابطة تتمثل في شكل الأفعال المنعكسة.

مخطط إجراءات التعلم الاشتراطي الكلاسيكي



الأفعال المنعكسة Unconditioned Reflexes

هي ميكانيزم لرابطة محددة تتم عن طريق الجهاز العصبي وتربط ما بين العالم الخارجي ورد فعل محدد من جانب الجسم وتتمثل في :

- **الفعل المنعكس الفطري (غير الشرطي) Unconditioned Reflexes.**

عرفه بافلوف بأنه استجابة للتكيف أصبحت وراثية وهي التي كانت تعرف تقليدياً باسم الغرائز وكل مظاهر السلوك الحيواني يمكن تفسيرها على ضوء المفهوم الفسيولوجي للفعل المنعكس.

* وهي ثابتة وتنقسم إلى :

١- أفعال منعكسة خاصة بالجنس.

٢- أفعال منعكسة خاصة بالغذاء.

- **الفعل المنعكـــس النفســي (شــرطي) Conditioned Reflexes.**

وهي على العكس عرضة للتحول أو التغير ويتوقف وجودهــا على ظروف كثيرة ويجئ طبيعتها المؤقتة من كونها مرنة لكي تتناسب وتتكيف مع تغيرات البيئة المستمرة.

"هذان الميكانزمان، الفعال المنعكسة الفطرية الثابتة المختصــة بالقسمات الثابتة للبيئة والفعال المنعكسة المطوعة الوقائية المختصــة بالقسمات المتغيرة للبيئة يكملان بعضهما البعــض بحيــث يحفظــان للحيوان ما يقوم به من توازن دقيق للغاية مع الظروف المحيطة به".

المفاهيم الأساسية للتعلم الاشراطي :

- المثير غير الشرطي (الطبيعي) Unconditioned Stimulus:

وهو أي مثير فعال يؤدى إلى إثارة أي استجابة فطرية غـــير متعلمة بشكل منتظم كالطعام مثلاً وقد استخدم بافلوف الطعام كمثـــير غير شرطي يؤدى إلى الأثر المعروف وهو حدوث استجابة انعكاسية.

- الاســتجابة الطبيعيــة (غــير الشـــرطية) Unconditioned Response:

وهي الاستجابة الحتمية التي يحدثـــها وجــود المثــير غــير الشرطي وهي تعتبر عادة انعكاسية قوية يستدعيها وجود مثير غـــير شرطي.

مثال: إفراز اللعاب عند وجود الطعام.

- المثير الشرطي Conditioned Stimulus :

هو المثير الذي يكون في بادئ الأمر محايداً أي لا يولد الاستجابة المتوقعة ولكنه من خلال اقترانه في الزمان والمكان مع المثير الطبيعي يصبح قادراً على إحداث الاستجابة الشرطية وينبغي أن يكون المثير الشرطي محايداً تماماً.

- الاستجابة الشرطية Conditioned Response :

وهي الفعل المنعكس المتعلم الجديد والذي يحدث نتيجة اقتران المثير الشرطي مع المثير غير الشرطي وهذا الاقتران بينهما هو أحد المقومات الأساسية في الاشتراط البافلوفي.

- التنبيه والكف Excitation and Inhibition :

التنبيه : هو عندما يكتسب مثير محايد عن طريق الاقتران في الزمان والمكان صفة المثير الطبيعي فإنه يقال عنه أنه قد اكتسب خاصية التنبيه أو الاستثارة طالما أنه أصبح قادراً على استدعاء الاستجابة المطوعة (الشرطية).

الكف : فهو مضاد لمبدأ التنبيه ويعني فشل مثير سبق أن تمت عملية تطويعه في استدعاء الاستجابة نتيجة التوقف عن تقديم المثير الطبيعي مقترناً بالمثير الشرطي (المطوع).

ويعتبر بعض الباحثين أن ذلك الكف هو أكبر جوانب التطويع (الاشتراط) أهمية لأنه يعنى أن الكائن قد تعلم كيف يحول منبهاته والوصول إلى مرحلة التعزيز. وهاتان العمليتان تحكمان نشاط الجهاز

العصبي المركزي فهما وجهتان لعملة واحدة فكل سلوك الحيوان يتوقف على الموازنة بين عمليتين الإثارة والكف وعلى مواءمتها لمختلف المنبهات الصادرة عن العالم الخارجي.

- تعميم المثير Stimulus Generalization :

فالمثيرات المتشابهة تماماً للمثير الشرطي تستدعي وتؤدى إلى الاستجابة الشرطية أي انتقال أثر المثير أو الموقف إلى مثيرات ومواقف أخرى متشابهة.

ولكن بمرور الوقت ومع التدريب تصبح هذه الاستجابات أكثر إنتقائية حتى تقتصر على المثير الشرطي الأصلى.

إن مفهوم التعميم يشبه فكرة انتقال أثر التدريب عند (ثورنديك) والفرق بينهما أن صدور الاستجابة عند بافلوف يعتمد على التشابه بينما عند ثورنديك يعتمد على التقارب أو التجاور.

- التمييز Discrimination :

وهو عكس مبدأ التعميم أي التفرقة بين المثير الأصلي والمثيرات الأخرى أن يقول (ماما) لكل امرأة تشبه أمه، يتعلم أن يميز أمه عن بقية النساء.

- الانطفاء Extinction :

وهو عكس قانون التدعيم ويتلخص في أن المثير الشرطي إن تكرر ظهوره دون أن يتبعه المثير الطبيعي من آن لآخر أي دون تدعيم تضاءلت الاستجابة الشرطية بالتدريج حتى تزول تماماً.

فالطفـــل الذي نكثر من تهديده بالعقاب ولا نعاقبه فإنه يتعود أن لا يعبأ بتهديدنا.

*** الاسترجاع التلقائي Spontaneous :**

بعد حدوث الانطفاء بفترة إذا قدمنا المنبه الشرطي مرة أخرى فإن الاستجابة المطوعة ستعود إلى الظهور بشكل مؤقت حتى ولو لـــم يحدث أي اقتران بين المنبه الطبيعي، والمنبه الشرطي.

- قانون التدعيم (التعزيز) Reinforcement :

اكتشف (بافلوف) أثناء تجاربه أن اقتران مثير طبيعـــي يقـدم للكائن أثر تقديم المثير الشرطي (لا قبله) عدة مرات يعـــزز ظـــهور الاستجابة الشرطية. وأنه دون هـــذا التعزيـز لا تحـدث الاســتجابة الشرطية.

- الفروق الفردية :

لاحظ بافلوف أثناء تجاربه اختلاف الحيوانات فـــي النواحـــي المزاجية الانفعالية ومستويات القلق ولقد رأي أن بعـــض الحيوانـــات كانت تخاف كل موقف جديد وأن سلوكها يتسم بالحذر وعدم المرونـــة مما يعرقل تعليمها ويكلفها الكثير من الوقت والجهد والانفعال الزائد.

تقويم نظرية بافلوف :

- تعتبر نظرية بافلوف فسيولوجية في أساسها وفي فروعها وفي كل متضمناتها فلقد ارجع بافلوف ظاهرة الفعل المنعكس الشرطي إلـى أسس فسيولوجية بحتة وذلك بالاستناد إلى أحداث مخية افتراضيـة

إذ اعتبر أن النصفين الكرويين للمخ هما وحدهما المسئولان عـــن تنمية الأفعال الشرطية.

- أن التعليم بالاقتران الشرطي لا يفسر إلا كيفيـــة حـــدوث التعلـــم الوجداني والانفعالي ولكنه يعجز عنه تفسير كيفية حل المشـــكلات وتعلم المعاني والمفاهيم وغيرها من أنواع التعلم المعقدة.

- اكتشاف بافلوف للفعل المنعكس الشرطي ومن ثم فكرة الاقـــتران الشرطي قادت بالضرورة إلى التعلم الشرطي لـــم يكـــن اكتشـــافاً جديداً.

- لنظرية بافلوف الفضل في توجيه نظر علماء النفس لفهم وتفســـير السلوك الإنساني وعدم الاكتفاء بتفسير السلوك استناداً إلى الترابط بين المثير والاستجابة.

تطبيقات على النظرية الشرطية الكلاسيكية :

- يمكن الاستفادة من قوانين التعليم الشرطي وذلك لأنـــه إذا عرفنـــا قوانين تكوين العادات أمكننا مساعدة التلاميذ على تكوين العـــادات السليمة المرغوب فيها وتثبيتها والتخلص من العادات الخاطئة غير المرغوب فيها.
- معظم مخاوف الطفولة (الكراهيـــة أو الخـــوف) تكـــون نتيجـــة ارتباطات شرطية بينها وبين مثيرات غير طبيعية ويجـــب علـــى المعلم عدم تكرار هذا الارتباط الخاطئ.
- يجب على المعلم استغلال عامل التعميم والتمييز فيبـــدأ الدراســـة ببداية عامة ثم ينتقل إلى التمييز بشرح تفاصيله الجزئية.

- إن التعزيز الخارجي يعتبر من المبادئ الأساسية التي يعتمد عليها الآن في التعليم وخاصة لصغار السن. فقد تبين من الدراسة التي قام بها كل من (كندي، ولكت) والتي تناولت عرض نتائج مجموعة دراسات سابقة استخدمت المدح كتعزيز ثانوي، واللوم كمثير ثانوي منفر لدى تلاميذ المدرسة الابتدائية أن استخدام أسلوب المدح في التعلم كمعزز للاستجابات الصحية أدى إلى نتائج ملحوظة في التحصيل الدراسي لدى جميع التلاميذ، ماعدا المتخلفين.

كيفية الاستفادة من مبادئ الاشتراط الكلاسيكي في جوانب نمو الطفل وتعديل السلوك :

- طريقة الجرس والوسادة لمعالجة بلل الفراش (العلاج التنفيري):

من الطبيعي لدى الأطفال في سن الخامسة والسادسة أن يستيقظوا كاستجابة لامتلاء المثانة فهم يكفون أو يمتنعوا عن التبول والذي يعد بمثابة استجابة آلية ثم يذهبون إلى الحمام ولكن الأطفال الذين يعانون من بلل الفراش لا يميلون إلى الاستجابة للشعور بـامتلاء المثانة

وباستخدام طريقة الجرس والوسادة يتم تعليم الأطفال أن يستيقظوا كاستجابة لتوتر المثانة فإن الماء يجعل الدائرة الكهربائية في الوسادة تغلق مما يجعل الجرس يدق ويصح الطفل ووفقاً للاشتراط الكلاسيكي فإن :

(الجرس) هو المثير الشرطي (والاستيقاظ) هو استجابة شرطية وبتكرار الاقتران فإن المثير الذي يسبق الجرس يصبح مرتبط بالجرس ويكتسب القدرة على إيقاظ الطفل.

- قصة "ألبرت الصغير" (العلاج ←—— الاشراط المضاد) :

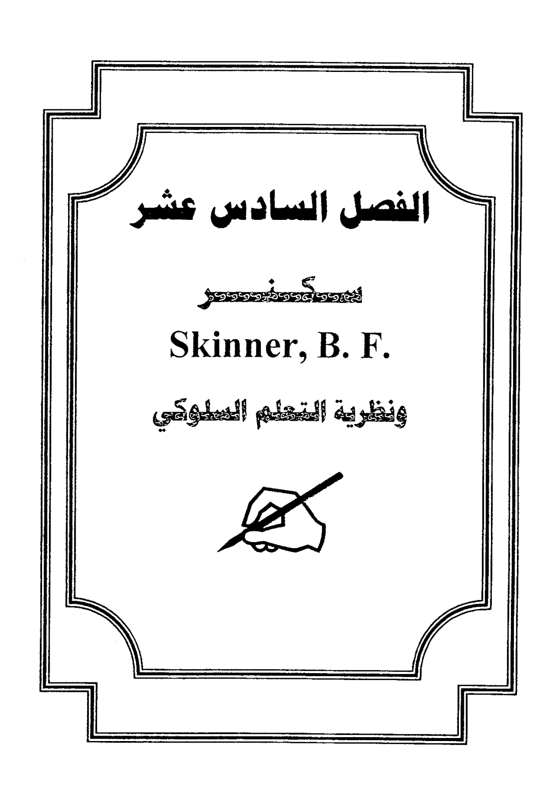
نشر "جون واطسون" مقالاً يعرض فيه أن الاستجابات الانفعالية مثل المخاوف يمكن اكتسابها من خلال مبادئ الاشراط الكلاسيكي الذي يعرفه علم النفس بقصة "ألبرت الصغير".

حيث كان ألبرت مولعاً باللعب مع فئران المعمل البيضاء دون خوف منها وباستخدام طريقة انتقدها بعض علماء النفس باعتبارها غير أخلاقية حيث قام بإحداث دوى هائل بمطرقة خلف الطفل عندما يمد يده ليلعب معه مما يفزع الطفل من الفأر.

ثم قام بتعميم هذا الخوف للموضوعات المشابهة للفأر في المنظر وأصبح مجرد ظهور الفأر الأبيض (مثير شرطي) يستجيب له الطفل بالخوف (استجابة شرطية) حتى ولو لم يحدث الصوت المزعج (المثير الطبيعي غير الشرطي).

وقد تم علاج الطفل بعد ذلك وكانت تجربة العلاج تتلخص في وضع قطعة شيكولاتة للطفل بجوار الفأر ولكن الطفل كان يذهب بعيداً. ثم كانت تقدم الشيكولاتة بعيداً عن الفأر وقريبه منه فكان خوف الطفل يقل من الفأر لأنه بعيد عنه وفي كل مره كان يزداد الفأر اقتراباً حتى انطفأ خوف الطفل من الفأر وتعلم حب الفأر من جديد.





الفصل السادس عشر

سكنر

Skinner, B. F.

ونظرية التعلم السلوكي

الفصل السادس عشر

ســـكـــنـــر

ولد سكنر في ٢٠ مارس (١٩٠٤) في إحدى مـدن بنسـلفانيا الصغيرة وكان والده يمارس المحاماة وكانت سنواته المبكرة في بيئـة مستقرة تتسم بالدفئ والمودة وقد حصل سكنر على درجة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي عام (١٩٢٦) من كلية هاملتون بنيويورك وحاول بعد عودته إلى بيت الأسرة اتخاذ الكتابة – كحرفة له ولكنـه اخفـق والتحق سكنر ببرنامج الدراسات العليا في علم النفس وحصـل علـى درجة الدكتوراه في الفلسفة عام (١٩٣١) وقد عمل لمدة خمس سنوات في مدرسة الطب بجامعة هارفرد حيث أجري بحوثاً علـى الجـهاز العصبي للحيوانات ثم بدأ التدريس في جامعة منسوتا عـام (١٩٣٦) حيث درس مقدمة علم النفس التجريبي بعد ذلك نشـر عـام (١٩٤٨) رواية بعنوان Woldentwo وكانت عبارة عن وصفاً لبيئة مثالية تقوم على المبادئ السلوكية للتعلم وقـد حـاول أن يعمـم المبـادئ التـي استخلصها من تجاربه المعملية على المواقف الإنسـانية وفـي عـام (١٩٤٥) انتقل سكنر إلى جامعة أنديانا وأصبح رئيس لقسم علم النفس حتى عام (١٩٤٨) ثم عاد إلى هارفرد وبقي بها وكتب سكنر سلسـلة من الكتب بلورت موقفه الفكري والايدولوجي ووسعت إطـار عملـه منها سلوك الكائنات الحية عام (١٩٣٨) وقد أرسي هذا الكتاب مكانـة سكنر كمنظر في مجال التعلم وأساس لكتاباته التالية ثم العلم والسـلوك (١٩٥٣) – تكنولوجيا التدريس (١٩٦٨) – الحياة والكرامـة (١٩٧١) – تأملات في السلوك والمجتمع (١٩٧٨).

وهو يتبع المدرسة السلوكية والتي زعماؤها هـم ثورنديـك، واطسون، كلارك، هل، وجوردن البرت.

وقائع النظرية :

ويعتبر سكنر من علماء النفس "الارتباطيين" ولذلك فهو ينتمـي إلى مدرسة ثورنديك رغم أنه لم يكن من تلاميذه المباشرين حيث أنـه وضع نظامه في الاشتراط الإجرائي بشكل مسـتقل ويختلـف عـن ثورنديك في كثير من الجوانب وإن كان يشترك مـع ثورنديـك فـي التركيز على التعزيز كعامل أساسي في التعليم الذي يهدف إلـى حـل مشكلات التربية التي كانت موضع اهتمامه.

مسلمات أساسية :

- **المسلمة الأولى:** هي أن السلوك قانوني بمعنى أن الباحث يحـاول أن يكتشف النظام الذي تتبعه الوقائع السلوكية ومـا بينـها مـن علاقات مطردة.
- **المسلمة الثانية:** هي إن السلوك الإنساني يمكن التنبؤ به بمعنى إن العالم لا يكتفي بوصف الظاهرة وإنما لابد أن يقدر على التنبؤ بـها أي أنه لا يتناول الماضي فقط وإنما المستقبل أيضاً.
- **المسلمة الثالثة:** هي أن السلوك يمكن ضبطـه بمعنـى أننـا لا نستطيع أن نتنبأ بأفعال الناس وتصرفاتهم بل ونسيطر عليها إلـى حد ما. ويصر سكنر على أن التحليل الوظيفي للسـلوك بتحديـد علاقات الأسباب بالنتائج سوف تكشف عـن أن معظـم أسـباب السلوك موجودة في الأحداث الماضية التي تقع فـي البيئـة وإن

ضبط هذه الوقائع يتيح لنا السيطرة على السلوك ولسنا في حاجـــة إلى تشريح الكائن الحي.

أنماط السلوك :

لم يهتم سكنر ببنية الشخصية ويرجع ذلك إلى تأكيده على تغير السلوك وكيفية حدوث هذا التغير وكيفية ضبطه وما هو قابل للتغيـــير أصلاً ولم ينكر سكنر وجود عناصر مشتركة بين الناس وأخرى ثابتــة إلا أنه أكد على عدم جدوى التعمق في دراستها إلا بما يتيح لنا ضبــط العوامل التي تكون طبيعة الإنسان للضبط والتجريب يري ســـكنر أن السلوك بقائه نسبي في الشـــخصية وفئتـــي الســـلوك همـــا إجرائـــي واستجابي.

- السلوك الإجرائي :

ويسمي بالتشريط الوسيلي أو التشريط الاستجابي أو تعلم الحل أو تعلم السلوك الإجرائي ويرجع هذا التشريط في أصله إلى ثورنديـك وتجاربه التي انتهت به إلى قانون الأثر بينما ينسب الغالبية من هـــذا التشريط إلى سكنر.

مثال : الشخص يستطيع أن يمشى خارجاً من البـــاب والفـــأر يستطيع ذلك أيضاً في أحد ممرات المتاهة أي أن الســـبب الرئيســـي للسلوك موجود في طبيعة الكائن الحي واستعداده العضوي والســـلوك الإجرائي هو السلوك الذي يحدث مرة ثم يتكرر نتيجة للتعزيز.

ويعتمد التعلم في "الاشتراط الإجرائي" على نتـــائج الســـلوك بمعني أن السلوك يقوي أو يضعف بناء على نتائجه فإذا ترتب علـــى سلوك ما الحصول على إثابة مثل الشعور بالسعادة أو الحصول علـــى

قطعة حلوى فإن الطفل أو الفرد يميل إلى تكرار ذلك السلوك إمـــا إذا ترتب عليه الحصول على العقاب أو الألم فإن الاستجابة التلقائية تكون تجنب ذلك السلوك.

- السلوك الاستجابي :

فهو منتزع أي أن الكائن الحي يستجيب كنتيجة مباشرة لمثـير معين.

مثال : فالجائع يفرز اللعاب عندما يشم رائحة الطعام أو يـراه والشخص يغمض جفنه إذا تعرضت العين لتيار هواء.

وهذا النوع من الاستجابات التي تحدث لمثيرات معروفة يمكن ضبطها بالتنبؤ بها ولكنها لا تشكل إلا جـزء صغـير مـن السـلوك الإنساني.

التنبؤ بالسلوك وتغييره :

يهتم سكنر بتغيير السلوك ويري أن فهم الشخصية يتحقق حين نلتفت إلى نمو سلوك الإنسان في تفاعله المستمر مع البيئة وسـكنر لا يقدم نظرية عن النمو ومراحله وإنما يهتم بالتغيير السلوكي.

التباين في أنماط السلوك :

العوامل الدافعية للسلوك هي التي تثير اهتمام سـكنر بدرجـة أكبر من العوامل البنائية وهو يلاحظ أن السلوك الواحد يتفاوت مـن حيث الشدة والتكرار في نفس الوقت تقريباً.

مثال : تناول الطعام لا يحدث دائماً بنفس الشدة فنحن نقول أن الشخص ليس جائع ونفترض مستوى للدافع يفسر هذا التباين في الإقبال على الطعام وتناوله.

ويرى سكنر أنه من المضلل أن نفترض وجود قوة داخلية منشطة ولا نستطيع أن نحدد شدة هذه القوة حيث يري أنه لابد من التعامل مع المتغير البيئى مباشرة وما يصدق على الدوافع يصدق على الانفعالات فبدلاً من علاج الانفعالات كحالة داخلية غامضة يقترح سكنتر أن نلاحظ العناصر السلوكية المرتبطة بها فسكنر يستخدم مدخلاً وصفياً في الأساس بالنسبة للانفعالات.

مثال : الغضب يتضمن عناصر سلوكية مختلفة في مناسبات مختلفة للفرد الواحد فعندما نقول أن فلاناً غضبان فإننا نعنى أنه في الأغلب سيؤدى الآخرين ويسبهم ويضربهم وفي الأقل سيساعدهم ويحبهم ويجاملهم.

مبادئ التعلم الشرطي :

أكثر الطرق فاعلية لتحليل وضبط السلوك هو تعزيزه وهناك أنواع للاشتراط هما الاشتراط الكلاسيكي ويتعلق بالسلوك الاستجابي والاشتراط الإجرائي ويتعلق بالسلوك الإجرائي.

- الاشتراط الكلاسيكي :

يسمي بالتشريط البافلوفي أو تشريط المثير أو تشريط العلامة أو المنعكسات أو تشريط السلوك وغالباً ما يسمي بالتشريط الكلاسيكي لأنه الصورة الأولى التي ظهر عليها التشريط في تجارب بافلوف في روسيا في نهاية القرن العشرين فيما يعرف بعلم المنعكسات.

مثال : عندما تطلق رؤية اللحم وسيلان اللعاب عند كلب جائع فإن اللحم مثير طبيعي أي غير تشريطي من شأنه أي من طبيعتـــه أن يطلق سيلان اللعاب الذي هو استجابة طبيعية.

على الرغم من أن سكنر أعتنق كثير من مبادئ بافلوف إلا أنه لا يعتقد أن جزء كبير من السلوك الإنساني يتكون من أفعال منعكســة بسيطة أي عن استجابات شرطية على طريقة بـــافلوف إلا أن ســكنر يرى أن معظم السلوك الإنساني يقع في فئة السلوك الإجرائي.

- الاشتراط الإجرائي :

هو سلوك لا يرتبط بمثيرات محددة مسبقاً في الموقف. فـــهو عبارة عن كل ما يصدر عن الكائن الحي في العالم الخارجي ومن هنا فإن اهتمام سكنر ينصب على الاستجابات ذاتها الصادرة عـــن الفـــرد وليس على المثيرات الموجودة في الموقف السلوكي أمثلة ذلك المشـــي – الكلام – العمل – تناول الطعام – اللعب فهي عبارة عن عمليـــات سلوكية تتكون من مجموعة من الاستجابات الإجرائية لا يرتبط كـــل منها بمثير معين يعتبر المسئول عن هذه الاستجابات كما في الســلوك الاستجابي ليس معنى ذلك أن سكنر ينكر أن السلوك الإجرائي يتـــأثر بالمثيرات وكثير من اهتماماته في تحليل السلوك يدور حول أســـاليب السلوك الإجرائي في حالة ضبط المثيرات ولكنه ليس ضبطاً كلياً كمـــا في الاشتراط البسيط فهو ضبط جزئي.

مثال : الاستجابة الإجرائية للحصول على الطعام فهي لا تنشأ عن رؤية الطعام فقط ولكن تخضع لمستوى حافز الجوع والظـــروف الاجتماعية للموقف السلوكي والعديد من المتغيرات الأخرى التي قـــد يكون بعضها داخلي وآخر خارجي.

اختلافات بين التشريط الكلاسيكي والإجرائي :

- في حالة التشريط الكلاسيكي فإن المثير غير التشريطي "الطبيعـي" يقدمه المجرب (ويسبق) ويطلق الاستجابة أما في حالة التشـريط الوسيلي فإن المثير "غير التشريطي" تتمخض عنه استجابة الحيوان (ويعقب) هذه الاستجابة.
- في حالة التشـريط الكلاسـيكي تكـون الاسـتجابة التشـريطية والاستجابات غير التشريطية هي نفسها أوجه متماثلـة أمـا فـي التشريط الوسيلي فإن هذه الاستجابات وتلك لا تنطوي علـى أي شبه بينهما.
- في حالة التشريط الكلاسيكي يمثل "تجاور" المثير بيـن الخاصيـة الأساسية المميزة طالما أن التشريط الكلاسيكي هو تشريط من نمط المثير أما في التشريط الوسيلي فإن طبيعة الاستجابة التشـريطية من حيث أنها منح عقوبة هي الخاصية الأساسية طالما أن التشريط الوسيلي هو تشريط من نمط الاستجابة.
- وفي حالة التشريط الكلاسيكي يتم إقامة تتابع مثير استجابة أما في التشريط الوسيلي فتتم تقوية تتابع قائم يعمل بالفعل.

التعزيز وتشكيل السلوك :

إن أهم شئ هو الطريقة التي يتم بها التعزيز لأنها هي الطريقة التي تؤثر في تناول السلوك بالتشكيل والتعديل وهكـذا عـن طريـق عمليات التعلم الإجرائي يصدر الأنماط السلوكية المرغوب فيها أي أننا نعزز الاستجابات التي تقترب من الهدف ولو جزئياً حتى نحصل على الأداء المطلوب.

كما يتم تفسير السلوك الاجتماعي في ضوء قوانيـن التدعيـم وأسلوب الثواب والعقاب.

جداول التعزيز :

هناك تعزيز مستمر وهو أسهل أساليب التعزيز فـي النظـام حيث يحصل الكائن الحي على التعزيز فور كـل اسـتجابة إجرائيـة ويستخدم هذا الأسلوب عادة في المراحل الأولى من تدريـب الكـائن الحي على المهارة المطلوب تعليمها.

أما التعزيز المتفاوت فهو يُستخدم بعد الأسلوب السابق وهنـا يتم تعزيز كل استجابة كالأسلوب السابق.

ويشير سكنر إلى كثير من أساليب التعزيز المتفاوت وتأثيرهـا على سلوك الكائن الحي في كتابة نظـم التعزيـز ويكتفـي بعـرض الأسلوبين العاميين هما :

نسبة التعزيز هو نظام يحدث فيه التعزيز بعـدد معيـن مـن الاستجابات كما يحدده المجرب وهو ينقسم إلى نظام نسـبة التعزيـز الثابت وفيه يعزز الكائن الحي بعد كل عدد معين من الاستجابات حيث يحصل على المعزز بعد الاستجابة الرابعة أو العاشرة ... إلخ ويظـل هذا النظام ثابتاً في هذه الدراسة. ونسبة التعزيز المتغيرة هي متوسـط عدد الاستجابات في وحدة المعزز والتي يحددها المجرب.

مثلاً : يقدم المعزز أحياناً بعد كل خمس استجابات وبعد فـترة يقدم المعزز عقب استجابتين فقط بينما في فترة أخرى لا يقدم المعـزز إلا بعد أن يقوم الكائن الحي بإصدار عشر استجابات.

وهناك نظام فترة التعزيز وهو يحدث وفق نظام زمني محـــدد يحدده المجرب أيضاً وينقسم إلى فترة التعزيز الثابتة والمتغيرة وهـــو عكس نسبة التعزيز لأن الكائن الحي مقيد بفترة زمنية محددة.

أما أنواع التعزيز فهي تعزيز موجب ويعمل علـــى اســـتمرار أداء الاستجابة المرغوب فيها مثال كلمة مطعم علـــى أحـــد المبـــاني يستخدم بمثابة معزز شرطي موجب بالنسبة لشخص جائع يبحث عـــن الطعام لأن هذه الكلمة ارتبطت لديه بالطعام قبل ذلك.

ويؤكد سكنر على التعزيز الموجـــب فـــي تعديـــل الســـلوك المضطرب.

وهناك تعزيز سالب وهو نتيجة إزاحة معـــزز ســـالب مـــن الموقف وتعتبر المعززات السالبة بمثابة مثيرات منفرة يعمل الكـــائن الحي على تجنبها مثال الصدمة الكهربية التي تعتبر معزز ســـالب أي انطفاء السلوك.

بناء الشخصية :

أ- الجســـم :

يشبه سكنر الشخص كما لو كان صندوق مغلق وهـــو ليـــس فارغ ويؤكد السلوكيون على المدخلات والمخرجات لأنها جميعاً قابلـــة للملاحظة وبدلاً من افتراض حاجات تدفع الفرد إلـــى نشـــاط معيـــن ويحاولون اكتشاف الوقائع التي تقوي احتمالات المستقبل والتي تحـــافظ على السلوك أو تغيره ومن هنا فهم يبحثون عن الشروط التي تنظـــم السلوك بدلاً من افتراضات حاجات داخل الشخص.

- العلاقات الاجتماعية :

يهتم سكنر بالتفاعل الاجتماعي وعلى الرغم من ذلك فإنـــه لا يرى العلاقات الاجتماعية باعتبارها نشاط متميز ومختلف عن غـــيره من النشاطات فالسلوك الاجتماعي يتميز بأنه يتضمـــن تفـاعلاً بيـــن شخصين أو أكثر وأكد سكنر على السلوك اللفظي وإبراز دور البيئـــة اللفظية في تشكيل السلوك وخاصة للنمو اللغوي المبكر وأنماط سلوكية أخرى لدى الأطفال والسلوك اللفظي عند سكنر يشتمل على التحدث – القراءة – الكتابة أي أنه نشاط يستخدم الكلمات أمـــا البيئـــة المحليـــة اللغوية فهي الناس بما فيهم أنت فمثلاً الطفل يستجيب لوالديه وأخوتـــه والأطفال الآخرين وهو يستجيب بتغير أنمـــاط الســـلوك المختلفـــة أو المحافظة عليها ويقول سكنر أنه لا توجد متغـــيرات أخـــرى تتصـــل بالقضية ماعدا تاريخ الفرد استعداده الوراثي والوقائع الخارجية فـــي البيئة المباشرة.

والتعزيز الذي تتلقاه في الموقف الاجتماعي يتوقف جزئياً على كيفية استجابة الآخرين لسلوكك مثل أن تقول نكتة فيأخذها الآخر مأخذ الجد وينزعج فتعدل سلوكك قائلاً كنت أمـــزح معـــك فيبـــدو علـــى المخاطب الارتياح.

- الإرادة :

يرى سكنر أن مفهوم الإرادة يؤدى إلى الخلط في فهم الســلوك وأنه مفهوم غير واقعي وهو يعرف الإرادة والإرادة الحرة وإرادة القوة باعتبارها خيالات مفسرة غير قابلة للملاحظة وهذه الألفاظ تتضمـــن معنى داخلي هام في تحديد الأعمال ولكن سكنر يفضل أن يفترض أنه

لا يوجد فعل حر وقد جلبت هذه الفكرة على سكنر نقد سلبي عنيف وظهرت بحوث كثيرة تتناول ما يسمي بوجهة الضبط أي من المسئول أنا أم البيئة، وترجح نتائج هذه البحوث الموقف القائل بأن اعتقاد المرء في إمكانية توجيه سلوكه عامل هام في الشخصية السوية وهناك سلوكيون يتحدثون عن الضبط الذاتي والإحساس بالحرية على أساس أنها هامة للتناول الناجح للسلوك.

- العقـــل :

وظيفته هي أن يفكر الفرد فيما يعرفه وأن يستخدم هذه المعرفة وهذه العبارة عديمة القيمة عند سكنر لأنها لا تقدم أي شئ قابل للملاحظة ولا تسمح بالتنبؤ بالسلوك وسكنر له رأي في بعض المفردات مثلاً كلمة أعتقد مضادة لكلمة أعرف ونحن نعبر عن الاحتمال حين نقول أفكر في الذهاب بدلاً من أني ذاهب ويعرف سكنر المعرفة باعتبارها مستودع للسلوك فالرجل يعرف جدول التكامل بمعنى أنه في ظل الظروف المناسبة سيسمعه ويقوم بالإبدال في حل المسائل وهو يعرف التاريخ امتلاكه لمستودع آخر فالمعرفة هي السلوك الذي يظهر إزاء مثير معين.

- الذات ومعرفة الذات :

يرى سكنر أن لفظ الذات مفهوم مفسر فإذا لم نستطع أن نظهر أو نحدد المسئول عن سلوك الإنسان فإننا نقول أن ذاته مسئولة عن ذلك وعلى الرغم من أن سكنر يمحص مستودع السلوك الذي يسمي معرفة الذات فإنه يصف عدة حالات تكون فيها معرفة الذات قاصرة مثل إن الإنسان لا يعرف أنه عمل شيء وقد لا يعرف أنه عمل شئ وهذه الحالات تثير اهتمام شديد لدى كثير من السلوكيين.

- النمـــو :

يؤكد سكنر على أهمية جداول التعزيز في اكتســاب الســلوك وأدائه ويصبح الأطفال أكثر اعتماداً على أنفسهم من خـــلال تعزيــز الأفعال التي يصدرونها للعناية بأنفسهم سواء كان ذلك في الطعـــام – الشراب – ارتداء الثياب ويصبح الطفل مستقل انفعالياً من خلال تنميـة معدل مستقر من الاستجابة أو استجابات تحدث على فترات منتظمـــة يتطلب التعزيز من وقت لآخر ويتعلم الطفل تحمل تأخير الإشباع وذلك بأن يوفر له الإشباع بعد فترة قصيرة في بداية عمله ثم تتزايد فــترات التعزيز تدريجياً عندئذ نستطيع أن نقول أن الطفل قد نمى القدرة علــى تحمل تأجيل الإشباع وتقبله.

المعـــالج :

بالنسبة للمريض مستمع لا يهدده والمريض حر في أن يعـــبر عن الأنماط السلوكية التي لم يعبر عنها من قبل وعلى العموم فالمعالج لا يهتم بتعزيز هذه التعبيرات بدراسة الأنماط السلوكية والتدريب عليها وتعزيزها تلك التي تنافس العناصر السلوكية المقلقة أو المعوقة التـــي تؤدى إلى التخلص منها.

مثال : يمكن تعلم الاسترخاء علـــى نحـو تدريجـي ليبطـل استجابات القلق وقد يستخدم التدريب التوكيدي للتغلب علـــى ســلوك التهيب.

تحديد طبيعة العلاج السلوكي:

يحاول العلاج السلوكي مساعدة الناس على أن يصبحوا قادرين على الاستجابة لمواقف الحياة بالطريقة التي يودون الاستجابة بها هـذا

يعني تزايد تواتر العناصر السلوكية المرغوب فيها ولا يغير الجوهــر الانفعالي للاتجاهات أو المشاعر داخل الشخصية والعلاقة الإيجابيــة ضرورية ولكنها شرط غير كاف للعلاج النفسي الفعال وتعتبر شكاوي العميل هي المادة الصحيحة التي على المعالج السلوكي أن يركز عليها ولا تعتبر هذه الشكاوى أعراض لمشكلة أخرى كامنة وكل من المعالج والمريض يفهما المشكلة المعروضة على أساس السلوك الفعال للعميـل أفعاله وأفكاره ومشاعره وهما يقرران معاً ويتفقـا علـى الأهـداف العلاجية مصاغة بطريقة تعرف لكل من العميل والمعالج أنها تحققـت حين تتحقق.

طرق البحث والبحوث المميزة :

تختلف تجارب وبحوث سكنر عن الممارسات المعاصرة فـي البحوث السيكولوجية من عدة وجوه.

- تركيز سكنر على أبسط الوقائع السلوكية.
- يصر على أن يضبط الظروف التجريبية ضبطاً آلياً.
- يقوم بدراسة مكثفة لحالة واحدة بدلاً من دراسة لمجموعـة مـن الأفراد.

المكانة الراهنة والتقويم :

الجوانب الإيجابية هي أن النظرية التي تستطيع أن تجيب عـن كثير من الأسئلة الأساسية بمبدأ واحد نظرية اقتصادية بالتأكيد وهـذا المبدا رغم روعته إلا أنه كثيراً ما يواجه صعوبات عند تطبيقه لأنه لا يوجد محكات موضوعية لتحديد أبسط المبادئ والنظريات. ونظريـة

سكنر دينامية أي أن البيئة تقوى عناصر سـلوكية معينـة وتضعـف أخرى أي أن هناك عملية اختيار وانتقاء وأن السلوك يتضمـن فعـلا ولكن سكنر مهتماً كثيراً بالسلوك ذاته وتغيير هذا السلوك وأن معظـم نظريات الشخص تدعى أنها دينامية وهي ليست كذلك بينمـا نظريـة سكنر لا تدعى ذلك ولا تستخدم الكلمة إلا أنها في الواقع هي نظريـة دينامية كما أن طوبانية سكنر هي عالم بغير عقاب أما الجوانب السلبية هي عدم إيمان سكنر بحرية الإرادة حيث ينبغي أن يؤمن سكنر عنـد بعض المستويات بحرية الإرادة وإلا فـلا معنـى لأن تبـذل جـهداً لمشاركته في إقامة مجتمعات طوبانية كما أن كلمة ضبط كلمة قويـة تعنى الحتمية والآلية المطلقة والحقيقة أن ما تحدث عنه سـكنر هـو التأثير واختياره لكلمة ضبط تثير الجدل وفيها قـدر مـن التضليـل بالإضافة إلى أن الأنماط السلوكية قابلة للتنبؤ نظرياً عند سكنر لأنـه يسلم تسليماً قبلياً بأن جميع الأنماط السلوكية محددة وحتميـة وحيـن هوجمت نظريته اعتمد على قدرته على التنبؤ بالسلوك في مواقف تـم ضبطها محاولاً أن يدعم وجهة نظره.

لقد وسع سكنر عمله فشمل مجالات العمل والأسرة وحجـرة الدراسة واجتذب الكثير من المعجبين والنقاد وأفادت التربية من أفكـار سكنر عن طريق التعلم المبرمج والآلات التعليمية وإدراك الحاجة إلـى تعريف الأهداف التعليمية سلوكياً كما يعتقد سـكنر أن المـدارس إذا سيطرت على السلوك على نحو إيجابي بدلاً من السيطرة السلبية فإنـها لن تثير لدى التلاميذ سلوك التجنب والهروب الذي نلاحظه الآن علـى نحو ليس بقليل وفي محاولة سكنر لجعل الحياة أكثر قابلية للفهم قـدم فيها وجهة نظر عن الطبيعة الإنسانية الجذابة من حيث دقة أحكامـها

ومن حيث كونها مباشرة وصريحة ومـــن حيـث نبذهـا للتـأملات الميتافيزيقية ووجهة نظره منغرسة بعمق في المنهج العلمي المعـاصر وتقدم أملاً في فهم أنفسنا دون العودة إلى الاستعانة بعوامل لا نفهمها.

ووجه لسكنر اعتراض لتعريفه التعزيز أنه دائري، فسكنر لـم يحدد المعزز تحديداً مطلقاً مقدماً فهو يُعرف التعزيز بأنه مـا يزيـد الاستجابة، أي أن كل من الكلمتين (الاستجابة – المعزز) يعرف علـى أساس الكلمة الأخري.

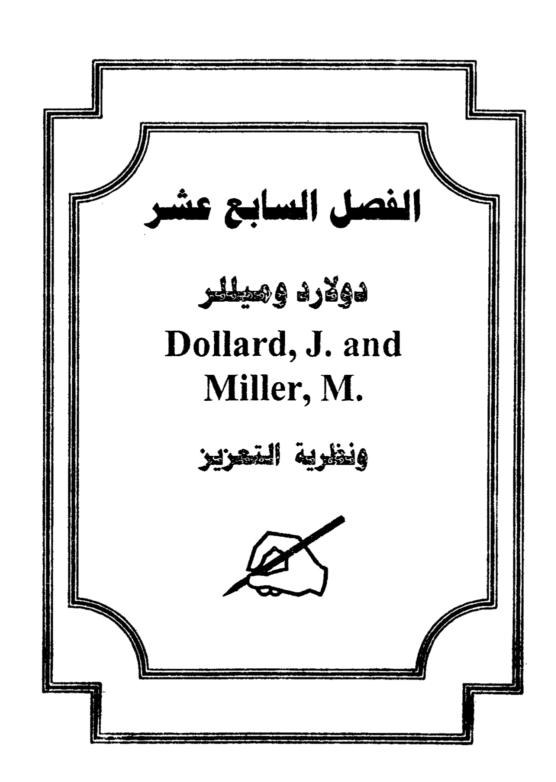


الفصل السابع عشر

دولارد وميللر

Dollard, J. and Miller, M.

ونظرية التعزيز





الفصل السابع عشر

دولارد وميللر

تمثل هذه النظرية جهود فردين حاولا عن طريـــق الفحــص المعملي والإكلينيكي تعديل وتبسيط نظرية "هل" في التعزيـــز بحيــث يمكن استخدامها بسهولة وفعالية في تناول الوقائع ذات الأهمية الكبيرة لدى عالم النفس الاجتماعي والإكلينيكي.

وقد تشكلت هذه النظرية بفضل نظرية هل ونظريـــة التحليــل النفسي وكذلك بفضل نتائج وتصميمات الانثروبولوجيـــا الاجتماعيـــة. ونجد أن أغلب النظرية يتعلق بتعريف الظروف التي تتشكل في ظلـــها العادات وتنحل.

ونجد أن محور هذه النظرية هو وصف عملية التعلـــم، ولقـــد عبر ميللر ودولارد بوضوح عن فكرتهما العامة عـــن هـــذه العمليـــة وعناصرها المكونة في الفقرة التالية :

"ما هي إذن نظرية التعلم ؟ وأنها في أبسط صورهـــا دراســـة الظروف التي ترتبط بها استجابة بمثير دليل. وبعد أن يتم التعلم، فـــإن الاستجابة والدليل يرتبطان معاً بحيـــث أن ظـــهور الدليـــل يســـتثير الاستجابة. ويحدث التعلم وفقاً لقواعد نفسية محددة. فالممارسة لا تؤدى دائماً إلى الكمال ولا يمكن أن تقوى الرابطة بين الدليل والاســتجابة إلا تحت ظروف خاصة.

فينبغي أن يدفع المتعلم إلى أداء الاستجابة وأن يثاب لاستجابته في وجود الدليل، وقد يعبر عن ذلك بطريقة بسيطة بالقول بأنه لكـــي يتعلم المرء ينبغي عليه أن يريد شيئاً ما، وأن يلاحظ شـــيئاً مـــا، وأن يفعل شيئاً ما، وإن يحصل على شئ ما. وإذا عبرنا بشكل أكثر دقـــة فأن تلك العوامل تكون عبارة عن الباعث والدليل والاستجابة والثواب. ولقد تم بعناية استكشاف تلك العناصر في عملية التعلم. كما اكتشـــف المزيد من التعقيدات. ولقد أصبحت نظرية التعلم عبارة عـــن هيكـــل شديد التماسك من الأسس النافعة في وصف السلوك الإنساني".

ويبدى جون دولارد في بعض المجالات تعارضاً كبيراً مع نيل ميللر على حين يبدوتشابه كبيراً بينهما في مجـــالات أخـــرى. فـــهما يختلفان من حيث أن ميللر قد قدم أفكاراً ونتائج هامة تقع أساساً فـــي موضوع علم النفس التجريبي، في حين أن دولارد قد قدم أســـهامات انثروبولوجية واجتماعية بارزة.

ولد "جون دولارد" في ميناشا بويسكونسين في ٢٩ أغســـطس عام (١٩٠٠) وحصل على بكالوريوس الأداب من جامعة ويسكونسين عام (١٩٢٢) ثم حصـــل علـــى درجـــة الماجســـتير عـــام (١٩٣٠) والدكتوراه عام (١٩٣١) في علم الاجتماع من جامعة شيكاغو وأصبح عام (١٩٣٢) أستاذاً مساعداً للأنثروبولوجيا في جامعة بيل، وأصبـــح في السنة التالية أستاذاً مساعداً لعلم الاجتماع فـــي معـــهد العلاقـــات الإنسانية الذي كان حديث الإنشاء وقتئذ. ثم أصبح عام (١٩٣٥) زميلاً باحثاً في نفس المعهد. ومنذ عام (١٩٤٨) أصبح زميلاً باحثاً وأســـتاذاً

لعلم النفس، وقد بقي دولارد في جامعة ييل حتى أصبح أستاذاً فخرياً عام (١٩٦٩).

وقد تدرب على التحليل النفسي في معهد برلين، وقد كان عضو في جمعية نيوانجلندا الغربية للتحليل النفسي.

وتظهر معتقدات دولارد واهتماماته بتوحيد العلوم الاجتماعية في كتاباته وأيضاً تظهر في المناصب الأكاديمية المختلفة التي تقلدها في العلوم الاجتماعية الثلاثة وفي نفس الجامعة.

أعمال جون دولارد :

لقد كتب دولارد العديد من المقالات الفنية في العلوم الاجتماعية التي تراوحت بين علم الانثروبولوجيا والعلاج النفسي، كما ألف عدداً من الكتب التي تعكس نفس الاهتمام.

فقد نشر عام (١٩٣٧) كتابه "الطائفة والطبقة في مدينة جنوبية" وهذا يعتبر دراسة ميدانية عالية التقدير تتعلق بدور الزنوج في مجتمع جنوني وتمثل واحدة من الأمثلة الأولى لتحليل الشخصية والحضارة، ولقد اتبع هذا الكتاب بمجلد مرتبط به هو "أطفال العبودية" عام ١٩٤٠م تعاون في تأليفه مع "أليسون دافيز".

وكذلك نشر دولارد مجلدين يتعلقان بالتحليل السيكولوجي للخوف هما "التغلب على الخوف" عام (١٩٤٢)، و"الخوف في المحركة" عام (١٩٤٣) وكذلك نشر مقالاً يتعلق باستخدام مواد تاريخ الحياة بعنوان "محكات لتاريخ الحياة" عام (١٩٣٦)، وقد نشر

بالاشتراك مع "فرانك أولد" و"الياس هوايت" كتاب بعنوان "خطوات في العلاج النفسي" في عام (١٩٥٣) وهو كتاب يعرض لطريقة العلاج النفسي ويتضمن وصفاً تفصيلياً لشخص أثناء العلاج.

وولد نيل في ميلووكى في وسنكس في ٣ أغسطس عام ١٩٠٩م وحصل على بكالوريوس العلوم من جامعة واشنطون عام ١٩٣١م ولقد درس في تلك الفترة على يد عالم بارز في مجال التعليم هو "أدوين جثري".

ثم حصل على الماجستير من جامعة ستانفورد عام (١٩٣٢) ثم الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ييل عام ١٩٣٥، وخلال بقائه في ييل درس مع عالم نفس له شهرته في مجال التعلم هو كلارك هل، ولقد كان له تأثير أساسي فى نظرية ميللر في الشخصية، ولقد قام ميللر بتحقيق أحد أهداف "هل" فدرس موضوعاً آثار اهتمامه، فلقد كان يرغب في أن يكتشف العلاقة بين نظريته في التعلم ونظرية فرويد في الشخصية الأمر الذي لم يحققه وقام به ميللر.

ولقد عمل منذ (١٩٣٢) حتى (١٩٣٥) مساعدا في علم النفس في معهد العلاقات الإنسانية كما عمل عام (١٩٣٥ - ١٩٣٦) زميلاً متنقلاً في مجلس بحوث العلوم الاجتماعية حصل خلالها على تحليل تدريبي في معهد فينيا للتحليل النفسي، ومن عام (١٩٣٦) حتى (١٩٤٠) عمل محاضراً ثم أستاذاً مساعداً في معهد العلاقات الإنسانية ثم أصبح عام (١٩٤١) زميلا باحثاً ثم أستاذاً زميلاً وفي عام (١٩٤٢) حتى (١٩٤٦) أشرف على بحث نفسي للقوات الجوية المسلحة ثم عاد

عام (١٩٤٦) إلى جامعة بيل، ومنذ عام (١٩٥٠) وهو يشغل منصب أستاذ علم لنفس في جامعة بيل.

ولقد بقي ميللر في جامعة بيل حتى عام (١٩٦٦) ثم انتقل إلى جامعة روكفلر وأصبح أستاذاً لعلم النفس ورئيساً لقسم علم النفس الفسيولوجي.

أعمال نيل ميللر :

نجد أن أشهر ما عرف به ميللر في علم النفس هو بحوثه التجريبية والنظرية الدقيقة في اكتساب الدوافع، وطبيعة التعزيز ودراسة الصراع، ولقد عرضت تلك البحوث بالتفصيل في الدوريات.

وفي عام (١٩٣٩) نشر دولارد وميللر بالاشتراك مع أعضاء هيئة الدراسات الإنسانية كتباً بعنوان "الإحباط والعدوان" وقد حاولوا فيه أن يحللوا الإحباط ونتائجه على أساس مبادئ التعلم.

ولقد كتب دولارد وميلر معاً كتابين يمثلان محاولة لتطبيق صورة مبسطة لنظرية "هل" عن التعزيز على المشكلات التي تواجه الاخصائي في علم النفس الاجتماعي هما "التعلم الاجتماعي والمحاكاة" عام ١٩٤١م وعلى المشكلات التي تواجه المتخصص في علم النفس الاكلينيكي أو في دراسات الشخصية "الشخصية والعلاج النفسي" عام (١٩٥٠).

ونجد أن الجهود المشتركة لكل من دولارد وميللر خلقت أطاراً يمكن على أساسه فهم الموضوعان النفسية المركبة كالشخصية والعلاج

النفسي فهما أكثر وضوحاً عن ذي قبل. ولقد استطاعا أن يؤلفا بين فكر "فرويد" وفكر "هل" وأن يخلقا من ذلك بنية أكثر شمولاً ونفعاً عما حققته نظرية "فرويد" ونظرية "هل" كلاً على حدى.

ولقد بينا في مقدمة كتابهما عن الشخصية والعلاج النفسي أنه محاولة لوضع أساس أو قاعدة سيكولوجية لعلم عام للسلوك الإنساني وأنه محاولة للتأليف بين ثلاث اتجاهات علمية لكل منها تقاليده العظيمة وإحدى هذه الاتجاهات التحليل النفسي الذي وضع مبادئه فرويد، وأما ثاني هذه الاتجاهات ما أنبثق من أعمال بافلوف وثورنديك وهل وعدد آخر من علماء علم النفس التجريبي، وأما ثالث هذه الاتجاهات فيتمثل في العلم الاجتماعي الحديث.

ويرجع تأكيد دولارد وميللر على أهمية مبادئ التعلم إلى اعتقادهما بأن معظم السلوك متعلم. ولقد أوضحا ذلك في كتابهما في التعلم الاجتماعي والمحاكاة عام (١٩٤١)، والذي أهدياه إلى كلارك هل، وبينا أن السلوك الإنساني متعلم، وهو السلوك الذي يميز الإنسان باعتباره كائناً حياً عقلانياً في أمة معينة وطبقة اجتماعية، وإن هذا السلوك مكتسب وليس فطرياً.

ولا يعتقدان دولارد وميللر أن السلوك الظاهري وحده هو المكتسب أو المتعلم ولكنهما يعتقدان أن العمليات المعقدة والمركبة أيضاً مكتسبة كاللغة، والكبت والإبدال والصراع، وكذلك فإنهما يذهبان إلى أن فهم مبادئ التعلم أساس إذا أردنا فهم السلوك الإنساني.

بناء الشخصية :

العـــادة :

هي وحدة بناء الشخصية وهي رابطة بين مثير واستجابة وهي تمثل ما هو ثابت أو مستقر نسبياً في الشخصية.

ونجد أن جوهر هذه النظرية يتعلق بتحديد الظروف التي تؤدى إلى تكوين العادات وإلى انحلالها أو إحلال أخرى محلها (اســـتبدالها) والعادات متعلمة ومكتسبة وليست موروثة وعلـــى هــذا فـــإن بنــاء الشخصية يمكن أن يتعدل أو يتغير.

ونجد أن مجموعة العادات والترتيب الذي تتخذه يتوقف علـــى الوقائع الفريدة التي تعرض لها الفرد، ونجد أن هذه العادات مؤقتـــة، فعادات اليوم قد تتغير نتيجة لخبرات الغد، وقد أكتفي دولارد وميللـــر بتحديد القواعد التي تحكم تكون العادة ولم يحددا مجموعة من العــادات التي تميز فرداً أو قد يشترك فيها مجموعة من الأفراد.

ونجد أن العادات ليست هي القطاع الدائم الوحيد من الشخصية حيث نجد أن هناك الدوافع الأولية والثانوية التي تمثل جزءاً من بنـــاء الشخصية.

ديناميات الشخصية :

يهتم دولارد وميللر بالدافعية وكذلك اهتما بارتقـــاء الدوافـــع وتشكلها ولكن لم يهتما بالتصنيف وبدلاً من ذلك ركزا علـــى دوافـــع بارزة معينة وحاولا في تحليلها تصوير العملية العامة التي يمكـــن أن نتوقع فعاليتها بالنسبة لجميع الدوافع.

البـــــاعث :

مثير قوي يدفع الفرد إلى أن يسلك أو يســـتجيب بطريقـــة أو بأخرى حتى يخفض التوتر الناشئ عن إثارة الدافع.

ويشير دولارد وميللر إلى أن هناك عدد من الدوافع الفطريـــة أو الأولية أو الموروثـــة وهـــي تتصـــل علـــى الأغلـــب بالعمليـــات الفسيولوجية التي يؤدى إشباعها إلى المحافظة على البقـــاء كـــالجوع والعطش والجنس وأهمية هذه الدوافع تتوقف على درجة شدتها وعلـــى ما يتاح لها من غرض الإشباع. فإذا اتيح لدافع الجوع إشباع كلما اشتد لا يكون عاملاً مهماً في سلوك صاحبه، وتستند عملية التعليـــم علـــى أساس تنمية الأساليب السلوكية التي تخفف حدة المثيرات الدافعة.

الباعث الثانوي :

خلال عملية النمو يكتسب الفرد الســـوي عـــدداً كبـــيراً مـــن البواعث أو الدوافع الثانوية التي تؤدى إلى إثارة وتوجيه سلوكه، ويتـم اكتساب تلك البواعث المتعلمة على أساس من البواعث الأولية وتمثـل تطوراً لها.

ويرى دولارد وميللر إن الإنسان في حياة المدينة الحديثـــة لا يتوجه سلوكه بالبواعث الأولية بقدر ما يتوجـــه بـــالبواعث الثانويـــة فالإنسان لا ينتظر حتى تظهر العلامات الأولية لدافع الجوع (تقلصـــات المعدة وانخفاض نسبة السكر في الدم) وإنما يسعى للطعـــام اســـتجابة للدوافع الثانوية مثل موعد الطعام ومكانه ورائحته.

ولكي نفهم اشتقاق الدوافع أو البواعث الثانوية من الأولية يجب أن نفهم عملية التعلم وهذا يقودنا إلى ارتقاء أو نمو الشخصية.

نمو الشخصية :

نجد أن كلاً من دولارد وميللر اهتما بنمو الإنسان من مرحلة الرضاعة حتى الإنسان الراشد ولذلك سوف نعرض معالجتها لهذه المشكلة بنظرة مختصرة للتجهيزات الفطرية لدى الرضيع، ثم مناقشة لعملية التعلم وتطبيقها على إكتساب البواعث وكذلك سوف نعرض لأهمية السياق الاجتماعي للسلوك وللمراحل الارتقائية ثم نعرض تطبيق تلك المفهومات على ظاهرتي الصراع والكبت.

التجهيزات الفطرية :

عندما يولد الفرد يكون مزوداً بقدر قليل من الأفعال المنعكسة النوعية وهي تعد في أغلبها استجابات منفصلة لمثير أو فئات من المثيرات ومن أمثلتها أن لمسة على خد الوليد تجعله يدير رأسه في اتجاه ذلك الخد، ويتكون من البواعث أو الدوافع الأولية عدداً من التنظيمات المتدرجة الفطرية للاستجابة بمعنى أن ترتب مجموعة من الاستجابات ترتيباً خاصاً حسب درجة تدعيمها. فمثلاً أنه حين يتعرض الطفل لمثيرات ذات خطورة معينة فإنه يحاول الهروب أولاً من المثيرات قبل أن يصرخ.

ونجد أن هذه البواعث الأولية ترتبط عادة بعمليات فسيولوجية معروفة وهي مثل دوافع الجوع والعطش والآلم.

وباستخدام هذه الامكانيات المحددة ومبادئ التعلم يوضح لنا دولارد وميللر عدداً من الظاهرات الهامة في الشخصية من قبيل : كيف يوسع ويمدد الكائن الحي الاستجابات الأولية إلى مواقف جديدة ؟ وكيف ينمي استجابات جديدة ؟ وكيف يحذف استجابات قديمة ؟ وكيف

تشتق الدوافع الجديدة أو الثانوية من الدوافع القديمة ؟ وكيف تحل التنظيمات الهرمية المتعلمة محل التنظيمات الهرمية الفكرية.

عملية التعلم :

يرى دولارد وميللر أن هناك أربعة مفاهيم أساسية في عملية التعلم وهي الدافع – الدليل – الاستجابة – التدعيم أو المكافأة.

الدليل :

هو مثير يوجه الاستجابة التي يصدرها الكائن الحي، فالدافع يثير الفعل أو الاستجابة والدليل يحدد لها اتجاهها وهو يحدد متى تصدر الاستجابة وأين تصدر وأي الاستجابات تصدر. والذي يجعل من المثير دليلاً اتصافه بصفة تجعله متميزاً عن غيره.

وقد يحدث هذا التمييز على أساس صفة نوعية كأن يكون المثير سمعياً أو بصرياً، وقد يحدث هذا التمييز على أساس درجة هذه الصفة النوعية مثل شدة الصوت أو درجة اللون، وقد تتميز المثيرات على أساس أنماطها فمجموعة من الحروف بترتيب معين تكون كلمة فإذا اتخذت ترتيباً آخر تكون كلمة أخرى، وقد يتخذ المثير معنى الدافع إذا زادت شدته.

الاستجابة :

هي ما يتعلمه الفرد وما يمكن قياسه، والاستجابة من العوامل الهامة في التعلم، وذلك أنه قبل أن ترتبط استجابة معينة بدليل معين يجب أن تحدث الاستجابة أولاً، من هنا فإن إصدار الاستجابة المناسبة يعد مرحلة هامة في تعلم الكائن الحي، وفي أي موقف معين سوف تكون هناك استجابات أكثر احتمالاً في ظهورها من غيرها، ويمكن

تصنيف الاستجابات بالنسبة لاحتمال حدوثها عند ظهور الموقف لأول مرة. ويشار إلى ذلك بالمدرج الهرمي المبدئي للاستجابات، فإن كان ظهور هذا التنظيم سابقاً على أي تعلم فإنه يشار إليه بأنه مدرج هرمي فطري للاستجابات أما بعد أن يؤثر التعلم على سلوك الفرد في هذا الموقف، فإن الترتيب المستخرج يطلق عليه المدرج الهرمي الناتج. ويتوقف ميل هذه الاستجابة في الظهور على مكان الاستجابة في التنظيم المتدرج أو ما يسمي باسم القوة النسبية للعادة.

التعزيز :

نجد أن التعزيز عند دولارد وميللر يحدث عندما يكون هناك خفض مقبول للمثير الباعث يتم وقت حدوث الاستجابة.

والتعزيز هو إيجاد رابطة بين مثير واستجابة لتقوية العلاقة بين المثير والاستجابة.

وتفترض وجهة النظر التي تبناها دولارد وميللر أن المكافأة أو التعزيز لا يمكن أن تحدث إلا حين يكون المثير الباعث فعالاً، بالإضافة إلى أن هناك دائماً تقليلاً أو خفضاً للمثير الباعث في عملية المكافأة. ويتضمن ذلك أنه ما لم تتدخل بعض العوامل الخارجية لزيادة قوة المثير الباعث فإن المكافأة مستحيلة، ويدعم ذلك حقيقة أن الفرد لا يكرر نفس الاستجابات المكافأة إلى ما لا نهاية.

وقد تعزز استجابة معينة من خلال تقليل المثير الباعث الأولى كالجوع والعطش والألم أو قد تعزز من خلال تقليل المثير الباعث الثانوي أو المكتسب كالقلق والخجل.

ويعتقد دولارد وميللر أن التعلم لا يتم إلا بتوافر شروط خفض الباعث.

التعميم :

يتضمن هذا المفهوم إن العادات التي يتم تعلمها في موقف معين سوف تميل إلى الانتقال أو التعميم في مواقف أخرى بقدر تشابه المواقف الجديدة مع الموقف الأصلي. فكلما أزداد تشابه الأدلة الأصلية قويت النزعة نحو التعميم في المواقف الجديدة، ويطلق على هذا الاختلاف في النزعة إلى نقل الاستجابة المتعلمة إلى مواقف جديدة ومختلفة مصطلح مدرج التعميم بمعني أن مواقف الاستثارة يمكن أن ترتب وفقاً لتشابهها، وكلما قوى الباعث المثير للاستجابة ازدادت النزعة نحو التعميم إلى أدلة جديدة، فمثلاً الشخص الشديد الجوع يجرى لعابه عند رؤية موضوعات لا يمكن أن تثير إفراز اللعاب عادة.

ونجد أن جميع الاستجابات المتعلمة تعمم على مثيرات أخرى. فإذا تعلم الطفل الخوف من الثعابين فإنه يحتمل أن يخاف على الأقل في البداية من الحبال. ومع مزيد من الخبرة يتعلم معظم الأسوياء أن يميزوا، والتمييز عكس التعميم. فالطفل يتعلم هكذا أن عليه أن يخاف من بعض الثعابين دون الأخرى وإلا يخاف من الحبال لأنها آمنة.

وهكذا نجد أن التعميم يؤدى إلى نزعة مبدئية لاستثارة الاستجابات المتعلمة بمدى واسع من المثيرات ولكن الخبرة تتيح للفرد أن يميز بالتالي فيستجيب للمثيرات استجابة انتقائية. وهذا يصدق على الأسوياء أما العصابين فإنهم كثيراً ما يفقدون القدرة على التمييز وبالتالي يميلون إلى المبالغة في التعميم.

ويميز دولارد وميللر بين نوعين مـــن التعميمـــات: التعميـــم الأولى والتعميم الثانوي. ويعتمد التعميم الأولى على التشابه الفـــيزيقي بين المثيرات فكلما ازداد التشابه بين المثيرين وتقاربا في الخصـــائص الفيزيقية ازداد احتمال اثارتهما لنفس الاســـتجابة. والتعميـــم الأولـــى فطري محكوم بالجهاز الحسي للفرد، ويقوم التعميـــم الثـــانوي علـــى العناوين اللفظية والتسميات وليس على التشابه الفيزيقي بين المثيرات. وهكذا يستجيب بطريقة واحدة لمن يسموا بالأعداء. والتعميم الثـــانوي هو ما يطلق عليه دولارد وميللر المكافئ المكتسب أو المتعلم، ويمكـــن للتعميم الثانوي أن يؤثر تأثيراً مضاداً للتعميم الأولى وذلـــك بتســـمية واقعة طيبة وأخري سيئة على الرغم من تشابهها فيزيقياً.

البواعث الثانوية وعملية التعلم :

نجد أن هناك عدد من البواعث الأولية التي يولد الطفل بقـــدر محدود منها ثم يكتسب مجموعة من البواعث الثانوية من خلال النمـــو والخبرة وهذه تسمي بالبواعث الثانوية، وسوف نستعرض الآن ارتقـاء هذه البواعث المكتسبة في ضوء مفهومات التعلم ويتركز تناولنا حـــول تعلم الخوف وذلك لأن هذا الباعث هو الأكثر اكتمالاً من حيث فهمـــه عن الكثير من البواعث الثانوية الأخرى.

ويعتبر الخوف باعث لأنه يدفع الكائن إلى الســـلوك كمـــا أن خفض الخوف يكون بمثابة المكافأة أو التعزيز.

ولكي نوضح كيف أصبح الخوف دافعاً ثانوياً مكتسباً ســـوف نستعرض التجربة التي أجراها ميللر ودولارد لتحليل دافع الخوف.

التجربة :

قام "ميللر" بوضع الفئران في صندوق ذي حجرتين، الأولى بيضاء مزودة بشبكة كهربائية في الأرضية والأخرى سوداء. ولم تكن الفئران تبالي بهذا الإجراء ولكن سرعان ما تبدلت بشكل واضح بعد أن تلقت الفئران عشر صدمات كهربائية في الحجرة البيضاء وفي كل مرة تلقت فيها الفئران الصدمة كان يسمح لها بالهروب في الحجرة السوداء بعد ذلك كانت الفئران تجري بسرعة إلى الحجرة السوداء بمجرد وضعها في الحجرة البيضاء وبدون أن تتلقى أي صدمة. عندئذ أغلق "ميللر" الباب الذي يفصل بين الحجرتين وأصبح في مقدور الفئران أن تهرب من الحجرة البيضاء فقط إذا تعلمت أن تدير طنبوراً يفتح هذا الباب. وعندما أعيد وضع الفئران في الحجرة البيضاء ظهرت عليها الأعراض العادية للخوف الشديد أو القلق وهي التبول والتبرز والنبش وفي النهاية أخذت الفئران تتحرك في المكان وبالصدفة أدارت الطنبور فانفتح الباب وعندما حدث ذلك جرت إلى الحجرة السوداء.

وبمجرد أن أتقنت الفئران عملية إدارة الطنبور وأوقف ميللر عمله وبدلاً من ذلك أحل عملية أخرى لفتح الباب وهي الضغط على رافعة وفي البداية أظهرت الفئران نفس أعراض الخوف الشديد كما حدث سابقاً. ولكن في نهاية الأمر توقفت عن إدارة الطنبور وتعلمت الضغط على الرافعة. كل هذا السلوك كان مدفوعاً بالخوف الذي اكتسب في الأصل كاستجابة للمؤشرات الصادرة من الحجرة البيضاء. وتوضح هذه التجربة كيف تعلم الفئران أن يكتسبوا الخوف كدافع في

حد ذاته. فلقد تعلموا الخوف عن طريق اقترانه بـــالألم، وممكـــن أن نعتبر الخوف دافعاً وذلك لأنه أصبح يدفع إلى تعلم استجابات جديدة.

ويعتقـــد دولارد وميللـــر أن المخـــاوف المرضيـــة والقلـــق واستجابات الخوف غير العقلانية الأخرى تنتج عن خبرات مشـــــابهة على المستوى الإنساني فقد يبدو أن ســـلوك معيـــن غـــير عقلانـــي للملاحظة لأن تاريخ نموه ليس معروفاً. والإنسان يتعلم مخاوفه وقلقـــه على نفس النحو الذي تعلم به الفأر الخوف في التجربة السابقة.

فالطفل الصغير الذي يقترن عنده الوحدة بآلام الجوع ويتكـــرر هذا الموقف بالنسبة له قد يتعلم الخوف من الوحدة. وكذلك من الممكـن أن يؤدى العقاب الجسمي العنيف للسلوك الشبقي في الطفولة المبكـــرة بالفرد حين يكبر إلى الانحراف في الأنشطة الجنسية وما يرتبط بها من أفكار. وذلك لأن التفكير فيها أو النزوع إلى القيام بها يثـــير الخـــوف الذي ينقص نتيجة للهرب أو التجنب. ونجد أن العمل الرئيسي للعـــلاج النفسي عند دولارد وميللر هو أن يوفر للمريض الموقف الذي يشـجعه عن أن يخبر الأفكار المهددة دون أن يتعرض للعقاب وبهذه الطريقـــة تتضاءل هذه الأفكار وتبطل.

وهذا يشبه إلى حد كبير طريقة التداعي الطليق عند فرويد.

العمليات العقلية العليا :

تتكون تفاعلات الفرد مع بيئته من نوعين هما :

- التفاعلات المباشرة التي يوجهها دليل منفرد أو موقف دليل منفرد.
- التفاعلات التي تتوسطها عمليات داخلية وهذا النوع هو ما يعنينـــا هنا أي التي تتوسطهما الاستجابات المصدرة للأدلة. والتي تكـــون

وظيفتها الرئيسية فتح الطريق أمام استجابة أخرى، ونجد أن أغلب الاستجابات المصدرة للأدلة تتضمن لغـــة برغـم أنـــها ليســت بالضرورة لغة منطوقة.

ومن أهم الاستجابات المصدرة للأدلة عنونة أو تسمية الوقـائع والخبرات.

ومن أهم وظائف الاستجابات التي تنتج أدلـــة وتـؤدى إلـى استجابات أخرى وظيفتان هما التعميم والتمييز، ذلك لأننا حين نعنــون واقعتين أو حدثين بعنوان واحد فأننا نزيد من درجة التعميــم بالنســبة لهذين الموقفين أو الدليلين، ومن ناحية أخـــرى إذا عنونـــا موقفيــن متشابهين باعتبارهما متمايزات ومختلفات كأن نقول غداً عشـــاء مـــع الأسرة وبعد غد عشاء مع مدير الجامعة وضيوفها فإن ســـلوكنا قـد يختلف في المناسبتين.

والاستدلال هو استبدال للاستجابات الداخلية المصدرة للأدلـــة بأفعال ظاهرة. وهذا الأسلوب أكثر كفاءة وفعالية في معالجة المســائل وحلها بالمحاولة والخطأ الظاهرين. إن الاستدلال يقتصر عمله علـــى الاختيار من بدائل لأنه يمكننا من اختبارها عقلياً دون تجريبها فعلياً.

والاستدلال يتيح إمكان ابدال الاستجابات الاستباقية التـــي قـد تكون أكثر فعالية من أي بدائل استجابات ظاهرة، ومتاحة أصلاً ومــن خلال استخدام الاستجابات المصدرة للأدلة (الأفكار) البـــدء بموقــف الهدف ثم التراجع حتى الوصول إلى التعرف على الاستجابة الوظيفيــة الصحيحة.

وتتأثر القدرة على استخدام اللغة وغيرها في الاستجابات المصدرة للأدلة بالسياق الاجتماعي الذي ينشأ فيه الفرد.

ويؤكد دولارد وميللر على الأهمية العظمى للغة ولذلك يجب تدريب الطفل على التنبيه إلى الأدلة اللفظية والاستجابة لها ثم إصدارها في النهاية، ومن المحتمل أن استخدام الرموز اللفظية في الاتصال بالآخرين يسبق استخدامها في الأفكار ويدور قدر كبير من تفاعلات الطفل مع بيئته حول كيفية إصدار تلك الأدلة في الظروف المناسبة، وكذلك حول كيفية فهم ما يصدره الآخرين من تلك الأدلة.

السياق الاجتماعي :

يؤكد دولارد وميللر أنه لا يمكن فهم السلوك الإنساني إلا بفهم السياق الثقافي الذي حدث فيه هذا السلوك ويساعدنا علم نفس التعلم على فهم مبادئ التعلم وكيف يتم اكتساب العادات والدوافع الثانوية وكيف يتم التعميم والتمييز وهذه تساعد المتخصص في العلوم الاجتماعية على أن يفسر على نحو نسقي الوقائع الثقافية العامة وكذلك يساعد عالم الاجتماع وعالم الأنثروبولوجيا على أن يوائم مبادئ التعلم والخبرات الإنسانية الفعلية التي تشكل شروط التعلم، ولفهم النمو الإنساني لابد من الجمع بين مبادئ التعلم وشروطه.

وأساس السلوك الاجتماعي عند دولارد وميللر هو التقليد الذي يعتبراه نمط استجابات متعلمة وفق الظروف والشروط السابقة للتعلم، فقد أثبتا تجريبياً أنه من الممكن بالنسبة للحيوان والأطفال على السواء أن يتعلموا عادة التقليد إذا كافئوا المكافئة المناسبة على قيامهم بأعمل

تشبه أعمال الآخرين، ولهذا كان مفهوم التقليد عندهم جوهرياً بالنسبة لدراسة وتفسير عملية التطبيع الاجتماعي.

ويذهب ميللر ودولارد إلى أن الطفل في سعيه لخفض دوافعه وإشباع حاجاته يقلد الآخرين، والسلوك التقليدي عندهما نوعان :

الأول : يسميانه المعتمد المتكافئ.

الثاني : هو الناسخ.

وفي النوع الأول يطابق الطفل بين سلوكه وسلوك شخص آخر مع عدم اتباعه الإشارات في سلوك ذلك الآخر. مثال على ذلك تعلم الطفل أن يحيي صاحب المتجر المجاور لبيته لأن أباه يفعل هذا.

وفي النوع الأول يطابق الطفل بين سلوكه وسلوك شخص آخر مع عدم اتباعه الإشارات في سلوك ذلك الآخر. مثال على ذلك تعلم الطفل أن يحيي صاحب المتجر المجاور لبيته لأن أباه يفعل هذا.

أما في التقليد الناسخ فإن الطفل يتعلم أساساً سلوكاً جديداً عن طريق المحاولة والخطأ، فمثلاً عن طريق ملاحظة سباح ماهر، ثم قيامه بالتدريب يتعلم كيف يقفز إلى االماء قفزة سليمة.

ونجد أن نقل الثقافة من جيل إلى جيل يتم وفق قوانين التعلم، ويعتقد دولارد وميللر أن مبادئ التعلم التي توصلا لها تنطبق على جميع الثقافات ولكنهما يعتقدان أن أنماط الشخص السلوكية بخصائصها الدقيقة تتأثر تأثيراً كبيراً بالمجتمع الذي تنتمي إليه.

مراحل النمو الحرجة :

يفترض دولارد وميللر أن الصراع اللاشعوري الذي يتم تعلم الجزء الأكبر منه خلال مرحلتي المهد والطفولة يشكل الأساس لأكثر المشاكل الانفعالية شدة في مراحل الحياة التالية، وهما يتفقان مع أصحاب نظريات التحليل النفسي في اعتبار أن خبرات السنوات الست الأولى من الحياة بمثابة محددات حاسمة لسلوك الراشد.

وقد حاولا دولارد وميللر الربط بين أفكار نظرية التحليل النفسي وبين نظرية التعلم، ولكنهما لا يعتبران الشخصية امتداداً لدافع لبيدي أساسي يمر بمراحل تطورية محتمة (كما يعتقد فرويد) بل أن تصورهم للشخصية هو أن الطفل يتعلم أثناء نموه، بعض العادات الهامة التي تشكل شخصيته. وهذه العادات يكتسبها عندما يواجه احباطات مختلفة من السلطة أو عندما يتعلم أن يكون ودوداً أو عدوانياً، أو عندما يحاول السيطرة على بيئته لتحقيق رغباته، والطفل يكتسب هذه العادات خلال خبرات الرضاعة وتعلم ضبط وظائف الأخراج ويختلف دور كل خبرة من طفل إلى طفل، فهناك طفل قد يكتسب عاداته الهامة في موقف الرضاعة. وطفل آخر يتعلم عاداته من خلال علاقاته بأشقائه.

وإذا استطعنا أن نكتشف العمليات الأساسية للتعلم التي أثرت في نمو الطفل فإننا نستطيع أن نفهم نمو الشخصية المقبلة.

- مواقف التغذية :

نجد أن الطفل الرضيع يعتمد بقاؤه على معاونة الآخرين لـــه، ونجد أنه مدفوع بدافع شديد وهو الجوع، وشـــعور الطفـــل الصغـــير بالجوع يكون حاد.

ونظراً لشدة هذا الدافع ونظراً إلى قوة الطعام كمدعم وكذلـــك نظراً إلى تكرار موقف التغذية، فإن هذا الموقف يعد مـــن المواقـــف الهامة للتعلم. هنا يجد الطفل نفسه مع أول مشاكله التي يستطيعْ حلـــها. لنفرض مثلاً أن الطفل يصرخ باكياً معلناً عن جوعه واتته أمه بـــاللبن تكون هذه هي الخطوة الأولى للتحكم في بيئته. ولنفرض بالعكس طفل يصرخ دائماً دون جدوى مع أم باردة، سوف يتعلم هذا الطفل التبلـــد لأنه لا يوجد شئ يفعله يحل له مشكلته. كذلك إذا وجدنا طفـــلاً يأتيـــه الأكل في مواقف مختلفة (مرة يأتيه عندما يصرخ مباشرة ومرة بعد أن يصرخ لمدة طويلة). هذا الطفل قد يتعلم المثابرة في مواقف الإحباط.

ويتعلم الطفل استجاباته الاجتماعية الأولى من موقف التغذيـــة. فإذا كانت خبرة التغذية مشبعة أصبحت الأم مثيراً للراحـــة. إمـــا إذا كانت تعطيه غذاء غير كاف أصبحت رمزاً للتوتر والإحباط. ونجد أن موقف الجوع يشبه إلى حد كبير تجارب التعلم. فكلما يجوع الطفل تتـــم محاولة التغذية وكل ما يحدث أثناء المحاولة من تدعيم واستجابة يعلـــم الطفل فإذا تعلم التعميم إلى مواقف أخرى (مثل تعميم استجابة الحـــب من الأم إلى المرأة عموماً). فمعنى ذلك أن خبرة التغذية تلعـــب دوراً هاماً في نمو الشخصية. ويقابل هذا الموقف المرحلة الفمية عند فرويد.

التدريب على الإخراج :

نجد أن الأطفال الرضع لا يشعرون بالحاجة إلى النظافة ولـذا لابد من تدريبهم على ضبط وظائف الإخراج. ويرى الطفل أن تعلـم وظائف الإخراج أمر في غاية الصعوبة. وعندما يبدأ الطفل في تعلـم عادات النظافة يواجه صراع الأقدام – الأحجام. فبـدلاً مـن التـبرز والتبول حيثما أراد وتحت ضغط عضلات الشرج والمثانـة عليـه أن يتعلم كف هذه الاستجابات ولا يتبول إلاّ في المكان المخصص لذلـك وإلا تعرض للعقاب.

ونجد أن بعض الأمهات يعاقبن الطفل ولكن هـذا العقـاب لا يؤدى إلى الإسراع في تعلم عادات الإخراج بالإضافة إلى أنه قد يؤدى إلى عواقب وخيمة. فالطفل قد يتعلم الخوف عندما يشعر بضغط المثانة لدرجة أنه قد يمسك على نفسه تماماً ولا يتبرز إلا بضعوبة بالغة. وهنا تواجه الأم مشكلة أعقد من الأولى وكذلك نجد أن الأم التـي تسـتخدم طريقة قاسية في تدريب طفلها على النظافة تزيد من احتمال وقوعـه في المستقبل في بعض الاضطرابات الشـخصية كصعوبـة النطـق والتهتهة أو المخاوف المرضي. ويقابل هذا الموقف المرحلة الشـرجية عند فرويد.

– التدريب الجنسي المبكر (تعليم الجنس) :

في العام الثالث يبدأ كل من الطفل الذكر والأنثـي الاهتمـام بالأعضاء التناسلية واستثارة هذه المناطق. ويتوقف الأمر على سـلوك الوالدين أزاء الطفل فإذا تم نهره بعنف، تنشأ استجابة سـوء توافـق

نتيجة لهذه النواهي، وما يصاحبها من قسوة في المعاملة ويقابل هـــذا الموقف المرحلة القضيبية عند فرويد أو ما يسمي "بالموقف الأوديبي".

وفي هذه الحالة أيضا يواجه الطفل صراع الأقدام – الأحجـــام فهو مدفوع باللعب الجنسي ويخاف من هذا اللعب في نفـــس الوقـــت. ويعتمد تأثير هذا الصراع على شدة الخوف وعلـــى المواقــف التـــي سيطرح عليها. فالخوف الشديد من الجنس قد يعمـــم علـــى الســـلوك الجنسي للشخص البالغ ويعوق ممارسة الجنس بعامة. أمـــا الخــوف البسيط فنادراً ما يطرح على المواقف الأخرى ولا يكون له إلا تـــأثيراً خفيفاً.

التدريب للسيطرة على الغضب والعدوان:

نجد أن السلوك العدواني لدى الطفل يقابل عـــادة برفــض أو بعقاب ويوضع الطفل في صراع أخر من صراعات الأقدام والإحجام، أي أنهم يريدون أن يكونوا عدوانيين ولكنهم يكفون أو يكبحون جمـــاح هذه النزعة لخوفهم من العقاب. وقد يؤدى هذا إلي السلبية بحيث يعجز الفرد على التنافس الناجح في المجتمع.

ويشير دولارد وميللر أن نشأة العصاب تبدأ من هذه المواقــف الأربعة، فإذا ما أكتسب الطفل (تعلم) سلوكاً غير متوافق أثناء عمليـــة التنشئة الاجتماعية له وفي كل الأحوال تكون استجابات الطفل محكومة أما بالتدعيم الموجب أو السالب (الثواب والعقاب) من جانب المحيطين به، فالتدعيم الموجب يقوى الاستجابة، بينما التدعيم السالب يطفئها.

العمليات اللاشعورية :

يتفق دولارد وميللر مع فرويــــد فـــي أهميـــة دور العوامـــل اللاشعورية كمحددات مهمة في سلوك الإنسان إلا أنهما يقدمان تفسيراً متبايناً مع تفسير فرويد إذ يقسم دولارد وميللر المحددات اللاشـــعورية إلى قسمين:

القسم الأول :

لم يمر من قبل بمرحلة الشعورية وقد اكتسبه الفرد وهو فـــي المهد (في العامين الأوليين) قبل قدرته على التعبير اللفظي أو التواصل باللغة مع الكبار من حوله وهي مجموعة من البواعث أو المؤثـــرات والاستجابات المتعلقة بالحركة.

القسم الثاني :

يضم ما كان شعورياً ولكنه لم يعد كذلك وتتضمن جميع الأدلة والاستجابات التي سبق أن كانت شعورية ولكنها من خلال الكبت لـــم تعد موجودة في الشعور.

والكبت عبارة عن عملية تجنب لأفكار معينة. ويـــرى دولارد أن الكبت استجابة متعلمة كأي استجابة أخرى، وحيث أنها استجابة لـم تدعم إيجابياً وقد تكون قد دعمت سلبياً (عوقبت) من جانب الكبار ممـا ولد لدى الطفل شعوراً بالخوف من أن يكررها وعليه فـــإن الأفكـــار والذكريات والاستجابات التي تسبب مشاعر الخوف أو الغضب فـــإن الطفل يطرحها جانباً (لا يفكر فيها) إذ أن عدم التفكير فيها يؤدى إلـــى خفض المثيرات المسببة لها أي يؤدى إلى خفض التوتـــر أو إنقـــاص

الدفاع فتدعم استجابة الكبت على هذا الأساس ويتم تعزيز الاســـتجابة بعدم التفكير فيها أي بتجنبها.

ويعتبر دولارد وميللر أن الكبت يوجد على متصل يمثل مـــن النزعات البسيطة إلى عدم التفكير في أشياء معينة إلـــى أشـــد أنـــواع تجنب المواد المهددة.

ويتوقف الكبت من حيث شموله وشدته على عوامل عديدة من بينها الاختلافات المحتملة في القوة الفطرية لاستجابة الخوف،،ودرجــة الاعتماد على الوالدين وبالتالي مدى شدة الفزع من فقدان الحب الـــذي يتعرض له الطفل وشدة الصدمات أو المواقف المخيفة التي تعرض لها الطفل.

الصـــــراع :

الصراع بمعناه العام يتضمن وجود أحد دافعين متعــارضين لا يمكنهم إشباعهما في وقت واحد.

ونجد أن الصراع أحد مفاهيم فرويـــد التـــي درســـها ميللـــر وتلامذته دراسة متعمقة ولقد تحدث فرويد عن أن الكائن الإنساني يرث طاقة عزيزية (لبيدو) وأن هذه الطاقة تكون في صراع مـــع مطـــالب المجتمع والأنا الأعلى، ولكن دولارد وميللر يرون أن الصراع مكتسب وأنه يتم تعلمه في الطفولة المبكرة أي في السنوات الخمس الأولى مـن الحياة أو أن الطفل يكتسبه من والديه بسبب ممارستهما للطرق الخاصة في التربية.

وقد وضع ميللر ودولارد عـــدة مبـــادئ لوصـــف الســـلوك الصراعي وتوضيحه كالآتي:

المبدأ الأول :

مؤداه أنه كلما اقترب الكائن في الهدف ازداد ميله للاقـــتراب منه.

ولاختبار صحة هذا الفرض صمم ميللر موقفاً تجريبياً بسيطاً، ففي هذه التجربة يتعلم الفأر التوجه مباشرة داخل الصندوق إلى طبــق الطعام الذي يبعد عنه حوالى ٢٠٠ سم، فالهدف هنا هو طبق الطعـــام، أما قوة الميل للاقتراب فتقاس بربط الفأر بحلقة معلقـــة فـــي الســـقف تجرى على مقياس بحيث كلما جرى الفأر وشد معه الحلقـــة نســـتطيع قياس قوة الشد بالجرام. وبعد أن درب الفأر على هـــذا العمـــل كـــان الباحث يضع الفأر على بعدين مختلفين من الأكل: ٣٠ سم، ١٧٠ ســـم فكان يجد أن الفأر تزداد قوة شدة كلما أقترب من الهدف وتوضح لنـــا نتيجة هذه الدراسة صدق هذا المبدأ.

المبدأ الثاني :

مؤداه "أنه كلما اقترب الكائن من المثير المخيـــف ازداد ميلـــه للابتعاد عنه".

ولاختبار صحة هذا الفرض كان ميللر يضـــع الفـــئران فـــي صندوق حيث تتلقي صدمة كهربائية في أحـــد أطارفـــه (فـــي نهايـــة الصندوق بدلاً من طبق الطعام) وقد أوضحت النتائج أن الفأر عندمـــا يوضع بالقرب من هذا المثير المخيف يفر أكبر مما لو وضـــع بعيـــداً عنه.

المبدأ الثالث :

ينص على "أن المعدل الذي تتزايد به نزعات الإحجام بالاقتراب من الهدف أكبر من المعدل الذي تتزايد به نزعات الأقدام في نفس الظروف.

المبدأ الرابع :

ينص على "أن قوة الميل للأقدام أو الإحجام تختلف حسب قوة الدافع".

ولإثبات صحة هذا الفرض قام ميللر بالتجارب الآتية:

ففي تجارب الأقدام تعد مجموعة من الفئران الجائعة فئران تجوع لمدة ٤٦ ساعة، وأخرى تجوع لمدة ساعة، وتوضح لنا النتائج أن دافع الجوع الشديد يؤدى إلى شدة الميل للأقدام، في حين أن الفأر الجائع لمدة ساعة واحدة كان ميله للأقدام ضعيفاً. وكذلك في تجارب الإحجام تعد مجموعتين من الفئران إحداهما تتلقى صدمة كهربائية حادة والثانية تتلقى صدمة كهربائية خفيفة وقد وجد ميللر أن المجموعة التي تلقت صدمة حادة وبالتالي يكون خوفها أشد كان ميلها للابتعاد أشد قوة من الفئران التي تلقت صدمة خفيفة.

المبدأ الخامس :

مؤداه "أنه حين تتصارع استجابتان لا سبيل إلى اتساقهما فإن أقواهما هي التي تحدث".

الأنواع العامة للصراع في نظم ميللر :

- صراع الأقدام – الأقدام :

وهو يشير إلى الموقف الذي تكون فيه لدى الكائن نزعة إلـــى الاقتراب من هدفين مستقلين مع كون الاقتراب من أحد الهدفين يــؤدى إلى فقدان الآخر. مثال لهذا النوع من الصراع هو الشابة أمام خطيبين جذابين بنفس الدرجة، وتود الزواج من كليهما واختيار أحدهما يــؤدى بالضرورة إلى فقدان الآخر. وهذا النوع من الصراع عادة ما يكـــون يسيراً في حله.

- صراع الإحجام – الإحجام :

وهذا الصراع ينشأ بين دافعين لكل منهما جاذبيـــة ســـالبة أي يوجه كل منهما في نفس الوقت إلى الابتعاد عن هدف معين.

كما في حالة الطفل الذي يطلب منه شرب اللبن وهو يكرهه أو يلقي عقاباً من الأم ويتسم هذا النوع من الصراع بخاصتين إحداهمـــا التردد وصعوبة اتخاذ القرار والثاني الهرب، وقد يكون الهرب بـــترك الموقف الذي أدى إلى الصراع أو بالهرب العقلي وذلـــك بالانشـــغال بأفكار أخرى أو بأحلام اليقظة.

- صراع الإقدام – الإحجام :

وهو صراع ينشأ بين دافعين يستثاران في نفس الوقـــت فـــي اتجاهين متضادين ويحدث ذلك حين ينجذب الفرد إلى هـــدف ويصـــد عنه في وقت واحد فالعمل قد يكون جذاباً بسبب ارتفاع الأجر ولكنه قد يكون مملاً أو خطراً.

البحوث المميزة وطرق البحث :

لقد أورد دولارد وميللر قدراً كبيراً من البحوث التي توضح أو تختبر ما يستنتج من هذا الموقف النظـري. وفـي مجلدهمـا التعلـم الاجتماعي والمحاكاة (١٩٤١) تلخيص لعدد مـن الدراسـات علـى الإنسان والحيوانات الدنيا وهي تمثل محاولات للتثبيت من التنبـؤات المنبعثة من نظريتهما. ولقد أجرى ميللر عدداً من الدراسات التجريبية المتعلقة بمختلف جوانب النظرية.

ونجد أن مفهوم الإزاحة يشغل موقعاً رئيسياً في نظرية التحليل النفسي حيث يستخدم عادة في الإشارة إلى قدرة الكائن علـى إعـادة توجيه الاستجابات أو الدفعات نحو موضوع جديد حين يصعب عليـها التعبير نحو موضوعها الأصلي.

وفي ضوء نظرية دولارد وميللر يمكن تفسير مفهوم الإزاحـة من خلال مفهوم المثير.

ولقد حاول ميللر في سلسلة من تجاربه أن يتنـاول الظـاهرة التجريبية وأن يوضح استمرار تعميم إزاحة المثير، وإن يقدم التفسـير النظري الذي سوف يسمح بتنبؤات جديدة فيما يتعلق بتلك الوقائع.

ولقد حاولا ميللر وبوجلسكي عام (١٩٤٨) في دراسـة لـهما توضيح الإزاحة لدى مجموعة من الأفـراد. ولقـد طبـق الباحثـان مجموعة من الاستبيانات لتقدير الاتجاهات نحو المكسيكيين واليابـانيين على جماعة من الأولاد المنضمين إلى معسكر صيفـي ولقـد أجـبر الأولاد في أثناء ملئهم تلك الاستبيانات على أن يتخلوا عـن مناسـبة اجتماعية ذات أهمية بالغة. ثم تمت مقارنة الاتجاهات التي عبروا عنها

الأولاد نحو جماعة الأقلية بعد الإحباط ولقد أوضحت النتائج أن هنـاك تزايد ملحوظ في الاتجاهات السلبية التي عبر عنها الأولاد نحو جماعة الأقلية بعد الإحباط. ولقد كان تفسير ذلك التزايد في الكراهية هو أنـه إزاحة للكراهية التي أثارها القائمون بالتجربـة بإعاقـة الأولاد عـن مشاهدة تلك المناسبة الاجتماعية وبتعبيرات التحليل النفسي فقـد نقـل المفحوصون ما يستشعرونه من كراهية حيال القائمين بالتجربة إلـى أعضاء جماعة الأقلية، وفي لغة (م-س) فإنهم قد عمموا الاستجابة من موضوع مثير إلى موضوع مثير أخر مشابه له.

ويعتقد ميللر أن كلا من نظرية التحليل النفسي ونظريـة (م-س) تفترض أن استجابة معينة قد تعمم من مثير لأخر وأيضـاً مـن باعث لأخر.

ولاختبار هذا التنبؤ تلقت مجموعة من الفئران تدريباً في ظـل دافع العطش على اجتياز ممر وكانت المكافأة هي شرب المـاء. ثـم قسمت هذه الحيوانات فيما بعد إلى مجموعتين كل منهما مرتوية مـن الماء، ولكن واحدة منهما محرومة من الطعام والأخرى ممتلئة طعامـاً وكان التنبؤ هو أن استجابة اجتياز المتاهة التي سبق تعلمها في ظـل العطش سوف تعمم أو تزاح إلى باعث الجـوع. وبالتـالي فـالفئران الجائعة ينبغي أن تعبر بسرعة اكبر من سرعة الفئران غير الجائعـة. وقد أسفرت النتائج عن تأكيد هدا التنبؤ. ولقد أقام الباحث أيضاً الدليـل على تعميم الاستجابة من باعث الجوع إلى بواعث الألـم والخـوف الأبعد نسبياً. وهذا يعتبر اختبار أكثر أحكاماً.

المكانة الراهنة والتقويم :

نجد أن نظرية ميللر ودولارد والبحوث التي اجرياها تتميز بعدة خصائص جيدة هي:

- وضوح المفاهيم الرئيسية لهذه النظرية وارتباطها بالوقائع التجريبية.
- ندرة استخدامها للمفاهيم أو الصيغات الغامضة أو التوريات الغامضة أو الرغبة في الحدث.
- من أبرز إسهامات نظرية (م-س) في موضوع الشخصية متضمنة في ذلك التفصيل الدقيق الذي عرضت به النظرية عملية التعلم.
- نجد أن دولارد وميللر يتفوقان تقريباً عن جميع أصحاب النظريات الأخرين من حيث استخدام المتغيرات الحضارية الاجتماعية بوضوح أكثر.
- لقد استفاد في نظريتهما من كلاً من علم الانثروبولوجيا الاجتماعية والتحليل النفسي الإكلينيكي. وأن نظرياتهم تدين بالكثير لتأثير التحليل النفسي.
- نجد أن علماء الأنثروبولوجيا الحضارية قد استفادوا من هذه النظرية حيث طبقوا تلك النظرية على نطاق أكثر اتساعاً من أي نظرية أخرى للشخصية باستثناء التحليل النفسي.
- رغبتهم في إخضاع الخلافات النظرية للاختبار التجريب يمثلان تفوقاً حاسماً لتلك المجموعة على غالبية أصحاب النظريات الأخرى.

- لقد أصبحت نظرية (م-س) تمثل بشكل نموذجي المنهج التجريبي الموضوعي في معالجة السلوك الإنساني ولكن قد وجه إليهم النقد لأن معظم تجاربهم كانت تتم على سلالات من الحيوانات الدنيا.

ومن أوجه النقد التي وجهت أيضا على نظرية المثير والاستجابة ما يلي :

- أن التعميم من الحيوانات الدنيا مثل (الفئران – القطط – الكلاب) إلى الإنسان يكون خاطئاً بالضرورة فهذه الحيوانات ليست اجتماعية ولا تتكلم ومن هنا فإن التعميم يكون مخلاً نظراً للخلاف الكيفي بين الإنسان وجميع أعضاء المملكة الحيوانية.
- أنها لا تقدم تفسيرات مسبقة مناسبة للمثير والاستجابة، فهذان المصطلحان يعملان بكفاءة تامة في الكائن المحدود في بيئته المقيد أما بالنسبة للكائن الراشد الإنسان والذي في بيئة طبيعية فإن تخصص المثير لا يمكن أن يحقق إلا بعد توافر فهم مكتامل نسبياً للواقعة السلوكية محل التساؤل.
- نجد أن نظرية (م-س) ليس لديها سوي القليل لتقوله فيما يتعلق بأبنية الشخصية.
- أنها تقوم بتفتيت السلوك وانتزاعه من سياقه.
- تبالغ هذه النظرية السلوك الإنساني إلى حد مبالغ فيه حين تحلل السلوك المعقد إلى مجموعة من الاستجابات البسيطة التي تتكون نتيجة الربط بين المثير والاستجابة.
- أنها تركز على السلوك الظاهري للفرد على المكونات البيئية للشخصية ولم تهتم كثيراً بالمكونات الداخلية.



الفصل الثامن عشر

كارل روجرز
Rogers, C.

ونظرية الذات والعلاج المتمركز حول العميل

الفصل الثامن عشر

كـــارل روجـــرز

إن نظرية روجرز في الشخصية قـــد نشـــأت مـــن خبراتـــه كمعالـــج بطريقة العلاج المتمركز حول العميل وقد أمدته ملاحظاتـــه خلال العلاج بمصدر ثمين من المادة. الملاحظة ذات قيمـــة لا تقـــدر بالنسبة لدراسة الشخصية.

ولد كارل روجرز في ٨ يناير سنة (١٩٠٢) في أوك بـــارك إحدى ضواحي شيكاغو بولاية ألينوي، وهو الابن الأوسط في عائلـــة كبيرة مرتبطة بعضها ببعض، عمل والده على تشجيعه عـــن تكويـــن صداقات خارج البيت لأنه كان يـــرى أن الأفـــراد خـــارج الأســـرة ينغمسون في أنشطة موضع شك وريبة.

وأيضاً كان العمل الجاد والمسيحية البروتستانتينه المحافظـــة يحترمان على قدم المساواة في ذلك الوقت.

في الثانية عشر من عمره انتقلت أسرته إلى مزرعة وأصبـــح مهتما بالزراعة العلمية.

التحق بحلقة البحث اللاهوتية الاتحادية في نيويـــورك حيـــث تعرف على وجهة النظر الفلسفية الليبرالية فيما يتعلق بالدين وذلك بعد تخرجه من جامعة ويسكنسين عام (١٩٢٤).

انتقل إلى كلية المعلمين بجامعة كولومبيا حيث وقع تحت تأثير جون ديوي وتعرف على علم النفس الأكلينيكي على يد السيدة ليتـــاهو لينجورث.

نال درجة الماجستير في عام (١٩٢٨) ثـم الدكتـوراه عـام (١٩٣١) من جامعة كولومبيا.

حصل على خبراته العملية الأولى في علم النفس الإكلينيكي والعلاج النفسي بوصفه معالجا مقيما في معهد توجيه الأطفال الذي كان ذا صبغة فرويدية.

وبعد حصوله على الدكتوراه في علم النفس إنضم روجرز إلى هيئة العاملين بمركز التوجيه في روشستر ثم أصبح مدير له فيما بعد.

وتأثر روجرز خلال تلك الفترة بأوتورانك المحلل النفسي الذي كان قد انفصل عن التعاليم الأصلية لفرويد.

في عام (١٩٤٠) قبل روجرز منصب أستاذ علم النفس في جامعة ولاية أوهيو وقد كان هذا الانتقال من الجو الإكلينيكي إلى البيئة الأكاديمية نقله عنيفة بالنسبة لروجرز.

في عام (١٩٤٥) انتقل روجرز إلى جامعة شيكاغو أستاذاً لعلم النفس وسكرتيرا تنفيذيا لمركز الإرشاد بها.

كان رئيساً للجمعية النفسية الأمريكية عام (١٩٤٦-١٩٤٧).

في عام (١٩٦٨) اتجه هو وعدة أعضاء آخرين من ذوي الاتجاه الإنساني إلى تأسيس مركز للدراسات الشخصية في نفس المكان في كاليفورنيا.

أهم كتابات روجرز:

- كتاب الإرشاد والعلاج النفسي (١٩٤٢).
- مقالاً بعنوان بعض الملاحظات على تنظيم الشخصية (١٩٤٧).

- كتاب العلاج المتمركز حول العميل (١٩٥١).
- المجلد الثالث من كتاب علم النفس: دراسة علمية، وفيه تجميعـــه الشامل المركز لنظرية الذات وقد حرره كوش في سنة (١٩٥٩).
- كتاب العلاج الإكلينيكي للطفل المشكل (١٩٣٩).
- كتـــاب On Becoming aperson: A Therapicist's Psychotherapy (١٩٦١).

التصورات الرئيسية المكونة لنظرية روجرز:

– الكائن العضوي وهو الفرد بكليته.

– المجال الظاهري وهو مجموع الحياة أو الخبرة.

– الذات هي الجزء المتمايز في المجال الظاهري تتكون مـــن نمـــط الإدراكات والقيم الشعورية بالنسبة للأنا وضمير المتكلم.

خصائص الكائن:

- إنه يستجيب ككل منظم للمجال الظاهري حتى يشبع حاجاته.
- إن له دافعاً أساسياً واحدا وهو أن يحقق ويصون ويعزز ذاته.
- إنه قد يرمز لخبراته بحيث تصبح شعورية أو قد ينكر عليها الرمز بحيث تظل لا شعورية أو قد يتجاهلها كلية.
- المجال الظاهري له خاصية أن يكون شعورياً أو لا شعورياً وذلـك على حسب ما إذا كانت الخبرات التي تكون المجال تحولت إلـــى رموز أم لا.

خصائص الذات:

هي المفهوم النواة في نظرية روجرز عن الشخصية وأهم خصائصها:

- إنها تنمو من تفاعل الكائن مع البيئة.
- قد تمتص قيم الآخرين وتدركها بطريقة مشوهة.
- تنزع الذات إلى الاتساق.
- يسلك الكائن بأساليب تتسق مع الذات.
- الخبرات لا تتصور مع الذات وتدرك بوصفها تهديدات.
- قد تتغير الذات نتيجة للنضج والتعلم.

الجوانب الأساسية المكونة لمفهوم الذات لنظرية الذات:

الخبرة:

يمر الفرد في حياته بخبرات كثيرة والخبرة هي شيء أو موقف يعيشه الفرد في زمان ومكان معين ويتفاعل الفرد معها وينفعل بها ويؤثر فيها ويتأثر بها والخبرة متغيرة ويحول الفرد خبراته إلى رموز يدركها ويقيمها في ضوء مفهوم الذات وفي ضوء المعايير الاجتماعية أو يتجاهلها أو ينكرها أو يشوها.

والخبرات التي تتفق وتتطابق مع مفهوم الذات ومع المعايير الاجتماعية تؤدي إلى الراحة والخلو من التوتر والى التوافق النفسي والخبرات التي لا تتفق مع الذات والتي تتعارض مع المعايير الاجتماعية يدركها الفرد على أنها قيماً سالبة تؤدي إلى تهديد وإحباط

مركز الذات والتوتر والقلق وسوء التوافق النفسي وتنشـــيط وســـائل الدفاع النفسي التي تعمل على تشويه المدركات.

الفرد:

الفرد قد يرمز أو يتجاهل أو ينكر خبراته المـــهددة فتصبـــح شعورية أو لا شعورية.

والفرد لديه دافع أساسي لتأكيد وتحقيق وتعزيز ذاته ويتفـــاعل مع "واقعة" في إطار ميله لتحقيق ذاته. ولديه حاجة أساســـية للتقديـــر الموجب (الحب والاحترام والتعاطف من جـــانب الآخريـــن)، وهـــذا التقدير الموجب للذات متبادل مع الآخرين المهمين في حياته. وتحـــدد حاجات الفرد ودوافعه كما يدركها أو كما يخبرها جانباً من سلوكه.

السلوك:

السلوك هو نشاط موجه نحو هدف من جانب الفـــرد لتحقيـــق وإشباع حاجاته كما يخبرها في المجال الظاهري كما يدركه، ويتفـــق معظم السلوك مع مفهوم الذات ومع المعايير الاجتماعيـــة وبعضـــه لا يتفق مع بنية الذات والمعايير الاجتماعية، وعندما يحدث تعارض هنـــا يحدث عدم التوافق النفسي، ويمكن تغيير السلوك وتعديله (تبني السلوك أو إنكاره) ويصحبه الإنفعال ويسهله. وقد يحدث نتيجة للخـــبرات أو الحاجات العضوية التي لم تأخذ صورة رمزية لكونها غـــير مقبولـــة ومثل هذا السلوك قد يكون غير متطابق مع بنية الذات ومفهوم الـــذات وفي هذه الحالة قد يتصل الفرد منه وأحسن فهم لسلوك الفرد يكون من وجهة نظر الفرد نفسه ومن داخل إطاره المرجعي أي من داخل مجاله الإدراكي.

المجال الظاهري:

يوجد الفرد في وسط مجال ظاهري، ويسلك الفرد ككل منظم في هذا المجال الظاهري أي المجال الشعوري كما يدركه وكما يخبره. والمجال الظاهري هو عالم الخبرة المتغيرة باستمرار وهو كل الخبرات أو مجموعها وهو عالم شخصي بذاته ويتفاعل الفرد مع المجال الظاهري كما يخبره وكما يدركه ويعتبر على الأقل من وجهة نظر الفرد "واقعاً" وحقيقة.

مثال:

مريض الفصام الهذائي يدرك أن كل من حوله يقولون عليه وهذا قد يكون صحيحاً أو لا صحيحاً ولكن بالنسبة له يعتبر واقعاً وحقيقة مدركة تحدد استجاباته وسلوكه.

ويرتبط المجال الظاهري بالذات الظاهرية التي يدركها الفرد. والمجال الظاهري يختلف عن المجال غير الظاهري أي المجال اللاشعوري الذي يتضمن الأجزاء اللاشعورية من الذات والخبرات.

تحتوي نظرية الذات على ثلاثة موضوعات وهي: المستويات التي تنمو من خلالها الذات.

- موضوع تحقيق الذات:

إن مصطلح تحقيق الذات من المصطلحات المناسبة للديناميات التي تصف الإنسان من بدايته كالطفل حتى يبلغ مرحلة الرشد.

إنه في تحقيق الذات كل العمليات التي يمايز بها الإنسان نفسه عن الآخرين ويمايز بها وظائفه العضوية عن وظائفه الاجتماعية ولكن قبل أن تستطيع الشخصية القيام بأي شيء عليها أن تبدأ في الواقع.

- موضوع إبقاء الذات:

وما أن تحقق الشخصية ذاتها إلى أقصى ما تستطيع حتى يكون عليها أن تستمر في الإبقاء على نفسها فليس يكفي أن تكون شيئاً بل يجب أن تبقى شيئا.

وفي مستوى الإبقاء على الذات فإن على الفرد أن يفهم ذاته إلى أقصى حد ممكن فمستوى الإبقاء على الذات يؤدي إلى ثراء ونضج وتشعب الشخصية كلها.

- موضوع تقوية الذات:

وما أن يرغب الفرد في تحقيق ذاته فالفرد يريد أن يتجاوز حدود الوضع الراهن ولا تتحقق تقوية الذات بسهولة وبساطة وإنما تكون نتيجة الصراع والجهد والألم. إنها عملية تراجع وتقدم وتراجع وتقدم وهكذا.

إنها عملية فقد وكسب لأهداف الفرد.

لقد أبرز روجرز طبيعة هذه المفهومات وعلاقاتها المتداخلة في سلسلة من تسع عشرة قضية وسوف نقدم هذه القضايا ونناقشها بالترتيب الذي قدمها به روجرز في كتاب (العلاج المتمركز حول العميل):

- (يوجد كل فرد في عالم من الخبرة دائم التغيير، هو مركزه وعالم الخبرة المتغير هو المجال الظاهري عند سينج وكومز ولو أن روجرز لا يفترض مثلهما أن جميع الخبرات تدرك شعوراً وفي الحقيقة فهو يقرر أنه من المحتمل أن جزءاً صغيراً فقط هو الذي يدرك شعورياً وتشير كلمة الخبرة إلى كل ما يدور بداخل الكائن في أي لحظة معينة بما في ذلك العمليات الفسيولوجية والانطباعات الحسية والنشاطات الحركية ومعظم خبراتنا اللاشعورية قادرة على أن تصبح شعورية عندما تدعو الحاجة إلى ذلك أي أنها بلغة التحليل النفسي توجد في القبشعورية لا في اللاشعور ويتكون الشعور عند روجرز مما يمكن ترميزه (تحويله إلى رمز) وهي خاصية لكل المجال الظاهري الذي تكون خلفيته لا شعورية بدرجة أو بأخرى، ويعتقد روجرز أن هذا العالم الخاص من الخبرة لايمكن أن يعرف إلا للفرد نفسه. وأن السيكولوجي بأساليبه لتعيين وقياس خواص المثير واختباراته لتقييم الشخصية لا يمكن أن يعرف المجال الظاهري للشخص بالشكل الكامل الذي يمكن به للفرد أن يعرفه وبالطبع فإن الشخص ربما لا ينمي أبداً هذه المعرفة بالذات ولو أن لديه الاستعدادات للقيام بذلك.

ووفقاً لهذه القضية فإن الشخص هو أحسن مصدر للمعلومات عن نفسه ولما كانت عباراته ترمز للخبرة الداخلية فإن السيكولوجي لا يمكنه أن يعلم ما يوجد في عالم عميله الخاص إلا بالاستماع إلى ما يقوله وأن موقف العلاج المتمركز حول العميل بتأكيده على التسامح والقبول الغير مشروط لكل ما يقوله العميل يوفر جوا مواتيا بشكل خاص للحصول على تقريرات ذاتية حرة وصريحة.

- يستجيب الكائن للمجال كما يخبره ويدركه، وهذا المجال الإدراكي هو واقع بالنسبة للفرد وتؤكد هذه القضية أن الشخص لا يستجيب للمثيرات الخارجية أو الاضطرابات الداخلية كما هي وإنما هو يستجيب إلى خبراته عن الظروف الدافعة أو المثيرة. فالواقع عنده هو ما يظنه الحقيقة بصرف النظر عن احتمال أنه حقيقي أو غير حقيقي، وهذا الواقع الذاتي هو الذي يحدد كيف يسلك، والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يتمكن الشخص من أن يفرق بين الصورة الذاتية التي تمثل الواقع تمثيلاً خاطئاً، وتلك التي تمثله تمثيلاً صحيحاً. أي كيف يستطيع الإنسان أن يفصل الحقيقة عن الخيال في عالمه الشخصي. تلك هي المفارقة الكبرى في الفينومينولوجيا ولكن روجرز يزيل هذه المفارقة بأن يتخلى عن الإطار النظري للفينومينولوجيا الخالصة. فليس كل ما يخبره الشخص ويعتقده هو الواقع بالنسبة إليه بل هو مجرد فرض عن الواقع موضوع تحت الاختبار قد يتحقق وقد لا يتحقق ويعلق الفرد الحكم على هذا الفرض حين تحين له فرصة اختباره.
- يستجيب الكائن الحي إلى المجال الظاهري ككل منظم وتشير كلمة كل منظم إلى مفهوم يؤكد على أهمية دراسة الظاهرة من خلال الكائن الحي Organismic أو الكل Holistic وهو مفهوم شاع استخدامه بفعل سيكولوجيا الجشطلت ومولدشتين، وغيرهم، ويقصد روجرز حين يستخدم هذه الكلمة أن ينال بوجهة نظره عن أي منهج للبحث يقوم على تجزئة الإنسان. وهو يرفض سيكولوجية المثير ــ الاستجابة ويؤيد السيكولوجيا التي تؤكد أهمية دراسة

"الاستجابات الكلية المنظمة" الهادفة فالكائن الحي بناء منظم علـــى الدوام يعقب التغيير في أحد أجزاءه تغيير في كل جزء آخر.

- الكائن الحي له نزعة tendency واحدة أساسية هي تحقيق وإبقـاء وتقوية الكائن الحي الذي يحيا الخبرة. وقد استعار روجرز هـــذه القضية من سنيج وكومز. وتشير هذه القضية إلى أن الكائن الحـي نظام واحد دينامي يعد الباعث الواحد منه تفسيرا كافيـــا للســلوك بأكمله كما نشير إلى أن الشخصية حين تفصح عن نفســـها إنمــا تسير وفق الخطوط التي تحددها طبيعة الكائن الحي نفسه. فـــهناك من ناحية قوة دافعة واحدة، وهناك من ناحية أخرى هدف واحـــد للحياة.

- السلوك في أساسه محاولة موجهة نحو هدف هو إشباع الحاجـــات التي يخبرها الكائن الحي في مجاله كما يدركه ولا ينـــاقض هــذا الغرض القائل "بعدة حاجات" فكرة وجود دافع واحد، فعلى الرغــم من وجود حاجات كثيرة فإن كلاً منها يخدم النزعة الأساسية للكائن الحي لصيانة ذاته ودعمها ويظل روجرز على تمســـكه بوجهـــة النظر الظاهرية حين يستخدم عبارات وصفية من نوع "كما يخبر" كما تدرك ولكن روجرز في مناقشته تلك القضية يقر بأن الحاجات تثير سلوكاً ملائماً حتى لو لم تخبر هذه الحاجـــات شـــعورياً (أي تحولت إلى رموز بصورة مناسبة).

- يصاحب الانفعال السلوك الموجه نحو الهدف ويسهل مهمته بوجـه عام، فيرتبط نوع الانفعال بتلك النواحي من السلوك التي تجد فـــي الطلب، وذلك مقابل النواحي الاستهلاكية للسلوك كما ترتبط شــدته بمدى الأهمية المدركة للسلوك في الحفاظ علـــى الكـــائن الحـــي

وتدعيمه، فالشخصية تحاول إذن إحداث التكامل بين نوعين من الانفعالات غير السارة المهتاجة والانفعالات الهادئة والتي تحدث الإشباع والرضا للفرد. ويحدد الإدراك شدة الاستجابة الانفعالية فإذا تهددت حياة الفرد لخطر ما زادت شدة انفعالاته أما إذا كان الخطر تافها فيقل الانفعال مع الموقف.

- إن أحسن موقع ممكن لفهم السلوك هو من خلال الإطار المرجعي الداخلي للفرد نفسه. فالسلوك الذي قد يبدو غريباً أو لا معنى له في نظر الملاحظ الخارجي، قد يكون سلوكاً غرضياً وهادفاً إلى حد بعيد بالنسبة للفرد نفسه وقد يكون هناك مآخذ كثيرة ومشكلات عميقة في الوصول إلى المشاعر الداخلية الاستنباطية لفرد معين. ولكن في حياة كل فُرد منا نظائر في حياة الآخرين. ولذا فإنه من الممكن أن نستدل من هذه النظائر على السلوك الاستنباطي. ومع ذلك فإن التحيز أو الفكرة المسبقة من جانبنا قد تحطم وتهدم قدرة الفرد على أن يرى داخل الشخص الآخر.

- يتمايز جزء من المجال الإدراكي الكلي بالتدرج ليكون الذات. يتبع روجرز آراء سينج وكرمز فيؤكد أن الذات الظاهرية تتمايز من المجال الإدراكي الكلي والذات هي وعي الفرد الموجود ونشاطه أو هو بتعبير آخر الذات كموضوع أي مجموع والخبرات التي تنسب جميعها إلى شيء واحد هو "أنا" أو ضمير المتكلم كما تتمايز هذه الذات من المجال الكلي وذلك هو ما تجيب عنه القضية التالية.

- نتيجة للتفاعل مع البيئة ومع الأحكام التقويمية للآخرين بشكل خاص يتكون بناء الذات من نمط تصوري منظم، مرن ولكن متسق، من إدراكات خصائص وعلاقات الـ"أنا" أو ضمير المتكلم

مع القيم التي ترتبط بهذه المفاهيم فالخبرة مع الآخرين تساعد الفرد أن ينمي إحساساً بالذات، ويلعب تأثير الآباء في هذه المرحلة دوراً هاماً في بناء الذات.

– القيم المرتبطة بالخبرات والقيم التي تشكل جزءاً من بناء الذات هي في بعض الحالات قيم يخبرها الكائن الحي بصورة مباشرة وفي بعض الحالات قيم يستدمجها أو يأخذها عن آخرين ولكن تدرك بطريقة مشوهة كما لو كانت قد خبرت بطريقة مباشرة، فالخبرات لها قيم وهذه القيم قد يكون خبرات مباشرة، أو يكتسبها الفرد من الآخرين أو محرفة، ولكن مهماً كان مصدرها فإنها تنشأ عن الخبرات.

– تتحول خبرات الفرد التي تحدث له في حياته (أ) إلى صورة رمزية تدرك وتنظم في علاقة ما مع الذات (ب) يتجاهلها الفرد حيث لا تدرك لها علاقة ببناء الذات (ج) يحال بينها وبين الوصول إلى صورة رمزية أو تعطي لها صورة رمزية مشوهة لأنها لا تتسق مع بناء الذات، ومرة أخرى تجد أن الذات هي حجر الزاوية للإدراك الشعوري أو الإدراك الذي هو دون المستوى الشعوري. وبناء الذات الحالي هو الذي يحدد نوع الخبرات التي يمكن للفرد قبولها.

– تتسق معظم الطرق التي يختارها الفرد لسلوكه مع مفهومه عنه نفسه، وتمثل هذه القضية المحور الأساسي لكتاب ليكي الصغير "اتساق الذات" الذي وإذا صدقت هذه القضية فإن أحسن طريقة لإحداث تعديل في السلوك يكون بإحداث تغيير في مفهوم الذات

وهذا هو ما تحاوله نظرية العلاج المتمركز حول العميل فالعلاج المتمركز حول العميل علاج متمركز حول الذات.

- قد يصدر السلوك في بعض الحالات عن خبرات وحاجات عضوية لم تصل إلى مستوى التعبير الرمزي. ومثل هذا السلوك قد لا يتسق وبناء الذات ولكن في مثل هذه الحالات لا يكون السلوك منتمياً للفرد فعندما لا يكون السلوك مقيداً أو مضبوطاً، فقد ينظر إليه على أنه لا ينتمي إلى الذات.

- ينشأ سوء التوافق النفسي حين يمنع الكائن الحي عدداً من خبراته الحسية والحشوية ذات الدلالة من بلوغ مرتبة الوعي ويؤدي هذا بدوره إلى الحيلولة دون تحول هذه الخبرات إلى صور رمزية والى عدم انتظامها في جشطلت بناء الذات ويسبب مثل هذا الموقف قدراً كبيراً أو أساسياً من التوتر النفسي.

- يتوفر التوافق النفسي عندما يصبح مفهوم الذات في وضع يسمح لكل الخبرات الحسية والحشوية للكائن الحي بأن تصبح متمثلة في مستوى رمزي وعلى علاقة ثابتة ومتسقة مع مفهوم الذات فكما أن لفرويد هو، وأنا وليونج شعور، ولا شعور فإن لروجرز أيضاً جهازين هما الكائن الحي، والذات، وقد يمنع الكائن الحي بعض الخبرات التي لا تتسق مع الذات من أن تصبح شعورية كما أن الذات لديها القدرة على اختبار الخبرات التي تتسق مع بنائها أما نتائج هذه القسمة الثنائية للكائن الحي والتعارض بينهما فيتضح في القضية التالية.

- قد تدرك أي خبرة لا تتسق مع بنية الذات أو تنظيمها كتهديد وكلما كثرت هذه المدركات زاد الجمود في تنظيم بنية الذات لكي تحافظ

على نفسها وتنكر الذات عادة هذه الخبرات التي تهددها فيزداد ابتعادها عن واقع الكائن الحي مما يتطلب دفاعات أكثر للمحافظة على صورة زائفة تصد الذات عن التشبث بها.

- في ظل ظروف خاصة تتضمن أساساً انتفاء أي تهديد للذات يصبح إدراك الخبرات التي لا تتسق مع مفهوم الذات أمراً ممكناً. كما يصبح من الممكن مراجعة بناء الذات له كل يسمح بتمثيل هذه الخبرات وجعلها متضمنة في بناء الذات والتغير الذي يحدث في الشخصية ينشأ من تقبل الشخصية لواجهة جديدة لذاتها إن الاطمئنان الذي يشعر به العميل خلال العلاج المتمركز حول الذات يسمح له بتنظيم مفهومه عن ذاته والاتساق مع خبرات واقعية. وبذلك يتمكن من إحداث تعديل في مفهومه عن ذاته.

- حين يدرك الفرد جميع خبراته الحسية والحشوية ويتقبلها في نظام واحد متسق ومتكامل يصبح عندئذ بالضرورة أكثر مفهوماً للآخرين وتقبلاً لهم كأفراد منفصلين وحين تنمي الشخصية مفهوماً للذات متسقاً فإنها تقدر كنتيجة لذلك على تكوين علاقة شخصية طيبة متبادلة مع الآخرين.

- مع إدراك الفرد لمزيد من خبراته العضوية وتقبله لها في بنية الذات يجد أنه يستبدل نظامه القيمي الحالي ـ الذي يقوم على ما يستدمجه من الآخرين والذين تعرضوا لتشويه رمزي ـ بعملية تقييم عفوية مستمرة ومع زيادة ثقة الفرد في عملية التقييم يجد النظام القديم غير مثير للتهديد ولا لزوم له.

وفي ختام مناقشته للتسع عشرة قضية يضع روجرز الناتج النـــهائي لوجهة نظره في هذه العبارات المحددة:

تعد هذه النظرية الظواهرية الطابع في أساسها وترتكـــز فـــي المقام الأول على الذات كمفهوم تفسيري وهي تصور نقطـــة النهايـــة لارتقاء الشخصية بوصفها اتفاقا أساسياً بين المجال الظواهري للخـبرة والبناء التصوري للذات. وذلك موقف إذا تحقق فإنه يمثل تحرراً مـــن الإجهاد الداخلي والقلق، ومن الإجهاد المحتمل، وهذا هو حد الكمـــال في التوافق بين الموجه واقعياً، ومعناه إقامة نظام فردي للقيم وعلـــى جانب كبير من الاتفاق من نظام القيم لأي إنسان آخر له نفس القـــدر من التوافق السوي.

وفي عرض جديد لنظريته في الشخصية لم ينشر بعد ١٩٥٥، أدخل روجرز ثلاثة مفهومات توحيدية جديدة هي:

- الحاجة إلى الاعتبار الإيجابي.
- الحاجة إلى اعتبار الذات.
- شروط التقدير.

وبتفصيل أكثر نضعها في:

- هذا المسلم يتعلق برغبته الشخصية في التقدير الاجتماعي ويحـدث في بعض الأحيان أن الرغبة في أن يكون المرء علـــى صـــواب وينال المدح والتقدير من الآخرين في مجتمعه سيحدث أن تتغلـــب على القيم التي يرغبها تنظيم الذات وقد يؤدي هذا إلى التسلط على الوظائف الداخلية وديناميكيات الذات والتغلب عليها.

– يجد روجرز أن هناك رغبة قوية جداً لتقدير الذات توازي الرغبة للتقدير الاجتماعي. ولما كانت هذه الحاجة تنمو بالخبرة فمن الممكن أن تتجاهل الشخصية ضغوط المجتمع التي أعطته الرغبة للتقدير الاجتماعي.

– نظراً للقوى والرغبات والمتطلبات التي يفرضها التقدير الاجتماعي وتقدير الذات ينمو اتجاه بجداره الذات يساعد الفرد في خضم حياته اليومية.

العلاج المتمركز حول العميل Client-Centered Therapy

لقد ذاعت شهرة طريقة روجرز في العلاج النفسي الممركز حول العميل حيث بنيت هذه النظرية أساساً على خبرته في التوجيه غير المباشر وأذاع صيته في الأوساط السيكولوجية بسبب وضوح النظرية والزمن القصير الذي يستغرقه العلاج بهذه الطريقة.

"في السنوات الأولى من تخصص الإرشاد والعلاج النفسي كان يسأل: كيف يستطيع أن يعالج أو يغير هذا الشخص ولكن الآن يعيد صياغة هذا السؤال بهذه الطريقة: كيف يستطيع أن يوجد علاقة وجواً نفسياً يستطيع هذا الشخص من خلاله أن يحقق هو أفضل نمو نفسي؟

لقد حدد روجرز هدف العلاج النفسي الممركز حول العميل بأنه ليس مجرد حل مشكلة معينة ولكن هدفه هو مساعدة العميل على النمو النفسي السوي. يهدف أيضاً إلى إحداث التطابق بين الذات الواقعية وبين مفهوم الذات المدرك ومفهوم الذات المثالي ومفهوم الذات الاجتماعي. أي أنه يرتكز حول تغيير مفهوم الذات بما يتطابق

مع الواقع، وإذا تطابق السلوك مع مثل هذا المفهوم الأقرب إلى الواقع كانت النتيجة هي التوافق النفسي.

وأهم ما يقرر استخدام طريقة العلاج النفسي الممركز حول العميل هو تفتح العميل وتكامله بدرجة تمكنه من أن يتمسك بزمام مشكلته في يده وأن يعالجها بذكاء تحت إرشاد العلاج غير المباشر.

بالرغم من كل هذا إلا أن روجرز نفسه يعترف بأن هذه الطريقة قد لا تناسب كل أنواع اضطرابات الشخصية، وإنها مفيدة مع أنواع معينة من العملاء وخاصة أولئك الذين يكون ذكائهم متوسطا ويكون لديهم طلاقة لفظية وإنها تكون مناسبة جداً في حالات الإرشاد العلاجي والاستشارة النفسية.

ملامح العلاج النفسي المركز حول العميل:

- **العميل:** المسترشد الذي تقدم له خدمات الإرشاد هو الفرد الذي تتمركز حوله عملية العلاج والإرشاد، ويكون لدى العميل محتوى محدد في مفهوم الذات الخاص أو يدرك ويعي عدم التطابق بين الذات والخبرة بين مفهوم الذات والذات المثالية وهو يدرك ويعي التهديد الناجم عن عدم التطابق ويميز العميل شعورياً وفي وعي العوامل الكامنة في عدم التوافق النفسي ويمكنه أن يعيد مفهوم الذات ليحقق التطابق بينه وبين البيئة. فالعميل يكون قلقاً، معرضاً لمضاعفات نفسية ويدرك الحاجة للعلاج ويأتي هو للعلاج ذا بصيرة نامية أو قابله للنمو، ويكون لديه عناصر قوة وقدرة على تقدير مصيره بنفسه وتحديد فلسفة حياته، وعلى استعداد لتحمل مسئولية العلاج وتوجيه نفسه تحت إشراف المعالج، فالعميل يكون

أكثر استبصار ويتحمل قدراً أكبر من المسئولية والنشاط في العملية وفي الإرشاد النفسي، أكثر من المريض في العلاج النفسي.

- **المعالج النفسي:** يشترط أن يكون المعالج نفسه متوافقاً نفسياً، لديه تطابق بين مفهومه عن ذاته وخبرته وذاته المثالية، ولا يحتوي مفهوم الذات الخاص لديه على خبرات مهددة لا تتفق مع تنبيه الذات أو مع المعايير الاجتماعية، لديه شفافية وحساسية، يهتم بإخلاص العميل، يقبل ويشجع العميل ويفهم وجهات نظره كمستمع جيد وموجه بارع للمناقشة وبائع ناجح للصداقة متفائل وبشوش دائما لا يتخذ موقف الواعظ أو الناصح أو المقيم للسلوك واسع الخبرة في علم النفس وفي كافة مجالات الحياة والمعالج عليه أن يستمع ويتقبل ويعكس مشاعر العميل ثانية إليه ليقول العميل بفحصها بصورة أدق. أي أن المعالج يكون بمثابة مرآة مشاعر ينمي عن طريقها المريض مفهوم ذات أكثر واقعية وإدراكاً أدق للواقع.

- **عقد العلاج:** ويلتقي المعالج والعميل ويحاول المعالج والعميل تحديد مايشبه عقد العلاج أو اتفاقاً غير مكتوب وفي جو حيادي سمح يحددان الموقف العلاجي وأبعاده ومسئولية كل منهما. ويفهم العميل أهمية التقارير الذاتية وأن أحسن نقطة لفهم سلوك الفرد هي من وجهة نظره هو من داخل إطاره المرجعي.

ويقول روجرز (١٩٥٠) أن هدف الاستشارة النفسية قريب من هدف الإرشاد النفسي وهو مساعدة العميل على أن يساعد نفسه على حل مشكلاته وأن وظيفة المستشار النفسي هي مساعدة المستشير على أن يتخلص من انفعالاته المتعلقة بمشكلاته حتى يستطيع أن يفكر

بطريقة أوضح وأسلم وحتى يستطيع التوصل إلـــى حـل المشـكلة، ونظرية روجرز تقوم على نظرية التحليل النفسي عند فرويـــد فعــن طريق العلاقة الشخصية الوثيقة التي يعقدها المعالج مع العميل يشــعر هذا العميل أنه مهم وأن ما يقوله له أو يحسه يجد مـــن ينصــت لـــه ويناقشه معه ومن ثم يعيش الخبرات التي كانت له من جديـــد وإنمـــا بطريقة مختلفة يجد فيها نفسه ويتعرف على ما كان يتهدده مــن هــذه الخبرات وأسباب إنكاره لها ولا يعود يخشى أن تعاوده الخـــبرة أو أن يدخل خبرة مشابهة وينفتح له العالم من حوله وهذه هي طريقة العـلاج أن تقوم بتغيير مفهوم الذات إذ تستدعي هذه العملية خبرات الشـــخص في جلسة التحليل النفسي التي تخلو من أي تهديد ومن ثـــم يســـتطيع العميل أن يكشف عن مُشاعره اللاشعورية ويرفعـــها إلـــى المســـتوى الشعوري ويتمثلها ويستلزم ذلك إعادة تنظيم مفهوم الـــذات أو الأنـــا ليتسق مع واقع هذه الخبرات ويصف روجرز طريقته بأنها ظواهريـــة لأنها تشترط التكامل وصحة بناء الذات وأن تكون التصـــورات فيـــها متفقة مع مكونات المجال الظاهري وذلك منتهى ما يمكـــن أن يبلغـــه ارتقاء الشخصية وإذا تحقق فإنه يمثل تحرراً من التوتر الداخلي والقلق وهذا هو حد الكمال في التوافق مع الواقع.

ويستند منهج روجرز على محور أساسي في العلاج هـــو أن سلوك المريض لا يمكن فهمه إلا من خلال وجهـــة نظـــر المريـــض وطريقة إدراكه لنفسه وللعالم أي أن المعـــالج عليـــه أن ينظـــر إلـــى المشاكل المطروحة من منظور المريض ويرى العالم بعيوبه كمـــا أن هذا السلوك لا يمكن تغييره إلا إذا كان المريض نفسه يرغب في هـــذا التغيير ومن ثم فالمعالج هنا لا يقدم تفسيرات أو توجيهات مباشرة بـــل

هو يخلق مناخاً ودوراً صديقاً لا يشعر فيه المريض بتهديد حتى يتمكن من فهم طريقته في التفكير والتحقق من طبيعة مشاعره الذاتية.

فالمعالج بإسلوبه الصديق والمتعاطف في الإنصات يسعى إلى أن يعكس لمريضه مشاعره ويوضح أفكاره حتى يراها في صورة أوضح ويشجعه على أن يتولى زمام أموره. الأمر الذي يساعده على النمو وعلى تكوين نظرة إيجابية لنفسه وعلى توجيه نفسه نحو نمط من السلوك أكثر إشباعاً وتحقيقاً للذات.

المهم هنا بالنسبة لروجرز تأكيده على المعالج الذي يحاول أن يخلق المناخ الملائم الذي يتمكن فيه المريض من الوصول بنفسه إلى حلول لمشكلاته بدلاً من اقتراح الحلول عن طريق التفسيرات أو التوجيه المباشر. والواقع أن المناهج العلاجية قبل روجرز كانت دائماً تهتم في الحل الأول بالإجابة على السؤال (ماذا يجب على المعالج أن يصل إليه) ولكنها أصبحت بعد ذلك تحاول الإجابة عن السؤال وكيف يصل المعالج إلى مرماه.

بعبارة أخرى كان الاهتمام قبل روجرز بالاستراتيجية ولكنه أصبح بعد ذلك بالتكتيك ولا شك أن نجاح العلاج النفسي يعتمد جزئياً على قدرة المعالج في استخدام مهاراته الشخصية في العلاقة العلاجية ومن هنا كان التأثير الواسع لمنهج روجرز في الحقل الإكلينيكي، فقد ألح روجرز كثيرا في انتباه المعالج ودوره الهام في نجاح العملية العلاجية فقد تحدث عن طبيعة المناخ الذي يخلقه المعالج وقال أن عليه أن يضع نصب عينيه فرضاً أساسياً وهو أن أي فرد لديه إمكانيات واسعة كي يفهم نفسه ويغير مفهومه لذاته ومن اتجاهاته وسلوكه وهذه الإمكانيات من الممكن أن تظهر فقط عندما يهيئ المعالج المناخ

السيكولوجي المناسب هذا المناخ هو العلاقة العلاجية التي يعطي فيها المعالج جل انتباهه إلى مريضه ويتكون هذا الانتباه من الاستشعار Emphathy والدفء Warmth والإخلاص Genuiness.

والمقصود بالاستشعار أن يحس المريض أن معالجه يسمعه ويفهمه ويحس بحاجاته ويقدر آلامه ويتفهم مشكلاته ويعبر بدقة عن آلامه ومخاوفه وصراعاته الشخصية.

أما المقصود بالدفء فهو المناخ الذي يشعر فيه المريض بالأمن والارتياح وهذا معناه أن يحس المريض أن معالجه يقدره ويقبل ما يقوله وما يفعله ولا يصدر أحكاماً على سلوكه أو يلقنه مواعظ وإرشادات ولا يعتبر نفسه مسئولاً عن اتخاذ القرار ولا يفرض اتجاهات متسلطة بل يقف صديقاً متقبلاً ودوداً يظهر الاهتمام ويعبر بدقة.

أما الإخلاص القصد منه أن يسهل المعالج لمريضه كل السبل التي تجعله يتحدث بحرية وثقة وبأسلوب غير دفاعي فهذا معناه أن يبدو المعالج شخصاً موثوقاً به يعتمد عليه ويقول ما يعتقد أنه الصواب ويفعل ما يراه مناسباً.

وقد أوضحت بعض الدراسات الأمبريقية أن هناك علاقة إيجابية واضحة بين كمية النجاح العلاجي وبين تقديرات المعالجين لهذه العلاقة في هذه الأبعاد الثلاثة.

ومن إسهامات كارل روجرز الأساسية أيضاً أنه حث تلاميذه وأتباعه على وضع الكثير من الفروض الذكية التي أفادت بالتالي مجموعة من البحوث الأمبريقية للتحقق من صدق هذه الحلول وقد أدت

هذه الدراسات المنظمة إلى مزيد من الفهم العلمـــي لعمليــة العـــلاج النفسي، وفتحت الطريق أمام عدد هائل من البحوث العلمية في هـــذا المجال وتعتبر هذه النقطة من إضافات روجرز الجوهرية.

إذ كانت هذه النظرية إنعكاساً للاتجاه الظاهري في الدراســات النفسية الذي يهتم أساسا بدراسة السلوك من وجهة نظر الشخص نفسه الذي هو مركز الخبرة والبصيرة ولم يكن بمستغرب بالتالي أن ترتبـط هذه النظرية ببعض الفنيات الذائعة الصيت في مجال العلاج النفســي، وفي مقدمتها (العلاج النفسي المتمركز حول العميل) فأساس طريقـــة كارل روجرز في هذا الأسلوب العلاجي يتمثل في أن معظــم طــرق السلوك التي يتبناها العميل هي التي تتفق مع صورته عن ذاته والتالي يكون في الأسلوب الأمثل في تغيير سلوك الفرد هو تغيـــير تصـــوره لذاته.

فقد قام حامد زهران بدراسة عن نظريـــة الـــذات والإرشـــاد العلاجي النفسي المركز حول العميل، وأثبتت الدراسة أن مفهوم الذات يعتبر حجراً أساسياً في بناء الشخصية وأن مفهوم الذات لدى الفرد لـــه أهمية خاصة لفهم ديناميات الشخصية والتوافق النفسي وأنه مفهوم هام فى الإرشاد النفسى الممركز حول العميل لتؤكد أن مفهوم الذات مفهوم متعدد الأبعاد وتحدد الصفات التي تميز كل من مفهوم الذات الموجـــب ومفهوم الذات السالب وتؤكد أن مفهوم الذات الموجـــب يعـــبر عـــن التوافق النفسي والصحة النفسية وأن تقبل الذات يرتبط ارتباطاً جوهرياً موجباً بتقبل وقبول الآخرين وأن تقبل الذات وفهمها يعتبر بعداً رئيسياً في عملية التوافق الشخصي وإعادته وأن تكون مفهوم الـــذات يتـــأثر بالعوامل الاجتماعية مثل اتجاهات الفرد نحو الآخـــرون واتجاهـــات

الآخرون نحوه ومن ثم يجب على الوالدين والمربين والمرشـــدين أن يقدروا دورهم الهام والخطير في نمو مفهوم الـــذات عنـد الأطفـال والمراهقين.

وبرزت العلاقة القوية القائمة بين مفـــهوم الــذات والتوافـق النفسي بأنه كلما كان الفرد سيء التوافق انحطت نظرته عـــن نفســه وتأكد أن أحسن طريقة لفهم السلوك هي من الإطار المرجعي للســلوك نفسه كذلك يجب الالتفات إلى الأهمية القصوى للذات وإلى أهمية البيئة الاجتماعية.

وقد قام كل من بتل وهيج (١٩٥٤) بدراسة أجرياهـــا علـــى مجموعة تجريبية تشتمل على ٢٥ عاملاً تلقوا علاجاً نفسياً ومجموعـة ضابطة مكونة من ١٦ عميلاً لم يتلقوا علاجاً نفسياً ولقد أجرى اختبار على كل من العينتين لمعرفة أوصاف مفهوم الذات والـــذات المثاليـة للـ٤١ حالة قبل وبعد العلاج النفسي وقد أوضحت النتائج أن ٢٢ حالة من بين الـ٢٥ كانت أعلى في تقدير ذواتهم بعد العلاج عما كانت عنه قبل العلاج النفسي في حين أن المجموعة الضابطة لم تتغير في نفـس هذه الفترة.

ولقد ظهرت دراسة روبين (١٩٦٧) عن إزدياد تقبل الـــذات كوسيلة لخفض التعصب استخدم فيها طريقـــة تدريـب الحساسـية أو سرعة التأثر وهو أحد أشكال التفاعل الجماعي ولقد أعطي لمفحوصيه بيانات قبل وبعد التدريب وذلك لتدعيم ما ذهب إليه بأن التدريب يمكن أن يؤدي إلى زيادة في تقبل الذات.

كما أشارت نتائج روبين أيضاً أن التعصب قد تلاشى نتيجة لهذا التدريب، كما أنه وجد علاقة ذات دلالة بين انخفاض مستوى التعصب والتغير الإيجابي في تقبل الذات.

ومن الجدير بالذكر أن نتائج دراسة ايرنيشي استنتجت أن الإنسان قد يغير من تقديره في ذاته وذلك نتيجة للضغوط الموقفية التي يمر بها، وأن نتائج دراسة كل من ليفانوني (١٩٥٤) ودراسة كوجان (١٩٦٥) قد أظهرتا نفس النتائج التي توصلوا إليها أن مفهوم الذات يتغير تحت وطأة الظروف الضاغطة أو الظروف الموقفية الطارئة.

وهناك أساليب وتصنيفات حول إجراءات روجرز في العلاج.

أسلوب كيو في تصنيف البطاقات The –Q-sote tcchnique

وتتم إجراءات تطبيق أسلوب كيو التصنيفي على النحو الآتي:

– يزود المفحوص بمائة بطاقة تحتوي كل واحدة منها على عبارة كالعبارات الآتية:

- أنا ذكي.
- لدي شعور باليأس.
- احتقر نفسي.
- لدي اتجاه موجب نحو نفسي.
- كثيرا ما أشعر بالذل.
- أستطيع عادة أن أقرر شيئاً وأن أتمسك به.
- أعبر عن انفعالاتي بسهولة.

– ويطلب من العميل أن يختار العبارات التي تصف ما هو عليه أفضل وصف، وهذا هو التصنيف بخصائص الذات الواقعية ولتيسير التحليل الإحصائي لنتائج تصنيف البطاقات يطلب من العميل أن يصنف البطاقات بطريقة أن يضع البطاقات ويوزعها في تسع مجموعات وهي مرتبة بحيث تتحدد البطاقات التي تحمل

الصفات التي تشبه العميل أعظم شبه في طرف، ويوضـــع فــي الطرف الآخر البطاقات التي يقل انطابقها عليه إلى أقصى حد، أما العبارات التي توضع في الوسط فهي التي تعبر عن السمات التــي لا يستطيع العميل أن يقرر ما إذا كانت تنطبق عليه أم لا تنطبــق إنها العبارات الحيادية.

وهذا الإجراء يتيح للمعالج النفســي أن يفحــص عــدداً مــن خصائص العملية العلاجية، ويستطيع أن يفحص العلاقة بيــن الــذات الواقعية والذات المثالية عند بداية العلاج وفي منتصفه وفــي نهايتــه، والطريقة الشائعة للتعبير عن هذه المتغيرات هي باســتخدام معــامل الارتباط.

ولقد قدم لنا روجرز (١٩٥٤) معاملات الارتباط الآتية بيــن تصنيف العبارات التي تصف الذات الواقعية وأحد العملاء قبل العــلاج وتصنيفه في عدة نقاط خلال عملية العلاج.

- بعد الجلسة السابعة ٠,٥٠
- بعد الجلسة الخامسة والعشرين ٠,٤٢
- بعد العلاج ٠,٣٩
- بعد ١٢ شهر من انتهاء العلاج ٠,٣٠

ومعاملات الارتباط السابقة تبين أن مفهوم الذات للعميل يتزايد اختلافه كلما تقدم في العلاج عن مفهومه لذاته عند بداية العلاج كما أن روجرز حسب معاملات الارتباط بين تقديرات مفهوم الذات الواقعيـــة وتقدير مفهوم الذات المثالية في عد مراحل من العلاج وحصل علـــى المعاملات الآتية:

- قبل العلاج ٠،٣٦
- بعد الجلسة السابعة ٠،٣٩
- بعد الجلسة الخامسة والعشرين ٠،٤١
- بعد العلاج ٠،٦٧
- بعد ١٢ شهر من العلاج ٠،٧٩

ومعاملات الارتباط السابقة تبين بوضوح أن مفـــهوم الـــذات يتزايد تشابهه مع الذات المثالية مع التقدم في العلاج، مع استمرار هـذا التشابه بعد انتهاء العلاج وبعبارة أخرى لقد اقترب العميل أو مفـــهوم ذاته من مفهوم ذات الشخص المثالي كما يـــراه وذلــك علـــى نحـــو تدريجي.

وواضح من البيانات السابقة أن العلاج حقق الأمـــل المعقــود عليه من وجهه نظر روجرز.

ولقد استخدم عدة باحثين آخرين هذا الأسلوب لتقويم فاعليـــــة العلاج وعلى سبيل المثال مان تيلر وهج Butler ad haigh وبدأ عام ١٩٥٤ أن متوسط معامل الارتباط بيـــن تقديـــرات الـــذات الواقعيـــة وتقديرات الذات المثالية لخمس وعشرين حالة كان ٠،٠١ قبل العــلاج، وبلغ ٠،٣١ بعد العلاج وهذا يوضح حدوث تغيير دال إحصائيـــاً فـــي الذات الواقعية في اتجاه الذات المثالية.

وبالإضافة إلى أن روجرز من أوائل المعالجين الذين قاســـوا فعلاً فاعلية العلاج فإنه أول من ســـجل جلســـات العـــلاج بـــالصوت والصورة وقد فعل هذا بموافقة العميل حتى لا يعتمد على الذاكرة حين يقوم ما حدث في الجلسة. وفضلاً عن ذلك فإن التســـجيل والتصويـــر مكنا من التحليل الدقيق لنواحي مثل الإيمـــاءات الفيزيقيـــة وأســـاليب

التحدث المميزة باعتبار مؤشرات تدل على معاناة العميل مـــن القلـــق والضغط. وقد يبدو أن هناك تناقصاً ظاهرياً فيما عمله روجرز ذلـــك أنه أصر على الطريقة الوحيدة لمعرفة الشخص هي أن يحـــاول فـــهم عالمه الخاص، عالمه الذاتي، وفي نفس الوقت هو الذي قـــدم الكثـــير لتنشيط التقويم العلمي للعملية العلاجية.

تحليل المحتوى:

تعتمد هذه الطريقة على تصنيف تغييرات العميل اللفظية التـــي تسجل في الجلسات في مجموعة من الفئات وقد قام ريمي أحد تلاميـــذ روجرز عام (١٩٤٨) بتحليل للتغيرات الأساسية التـــي تطـــرأ علـــى الإشارات إلى الذات أثناء العلاج، وقد صنف الاستجابات في الفئـــات الآتية:

- الإشارات الإيجابية إلى الذات.
- الإشارات السلبية إلى الذات.
- الإشارات المتناقضة إلى الذات.
- الإشارات الغامضة إلى الذات.
- الإشارات إلى موضوعات وأشخاص خارجية.
- أسئلة.

.وصنف الإشارات الواردة في تسجيلات ٤١ حالة تمت مقابلتها في جلسات تراوحت ما بين جلستين وعشرين جلسة. ولقد أتضح مـــن تحليل النتائج أن العملاء يصدرون عدداً كبيراً من الإشارات الســـالبة في بداية العلاج ومع تقدمهم يظهرون التذبـــذب فـــي تـــأنيب الـــذات والإشارات المتناقضة. وفي نهاية العلاج تزداد الإشارات الموجبة.

كما أتضح من عدة بحوث أن الشخص الذي يصبح أكثر تقبلاً لنفسه يصبح أكثر تقبلاً للآخرين أيضاً، أي أن الشخص إذا أحسن الظن بنفسه وكان راضياً عنها فالأرجح أن يحسن الظن بالآخرين ويرضى عنهم.

تقويم نظرية الذات لروجرز:

وجد كثير من السيكولوجيين المهتمين بإرشاد الآخرين أن أفكار روجرز مفيدة في فهم ومعالجة مشكلات الناس ذوي الاضطرابات المتوسطة الدرجة وعقيدته في الطبيعة الإنسانية طريفة، فهو يعتقد أنه إذا سمح للناس أن ينمو نموا طبيعياً فإنهم يصيرون كائنات فعالة وإيجابية وعقلانية يمكن الثقة في إنهم يعيشون في تناغم مع الآخرين ومع أنفسهم.

استطاعت وضع العميل في المركز الأساسي من عملية الإرشاد بدلا من المرشد فأصبح العميل النقطة الأساسية في الإرشاد بشكل عام.

أصبحت العلاقة في الإرشاد المبدأ الأساسي والسبب الرئيسي المساعد على تغيير سلوك العميل.

الاهتمام باتجاه ورغبة العميل أكثر من التركيز على الأساليب والطرق الفنية في الإرشاد.

أصبحت هذه النظرية مشجعة لإجراء الأبحاث العلمية في هذا الميدان.

المآخذ التي أخذت على النظرية:

- إن النظرية لم تبلور تصورا كاملاً لطبيعة الإنسان وذلك لتركيزها الكامل على الذات ومفهوم الذات.
- يرى روجرز أن الفرد له وحده الحق في تحقيق أهدافه وتقرير مصيره ولكنه نسي أن الفرد ليس له الحق في السلوك الخاطئ.
- يؤكد روجرز أن الفرد يعيش في عالمه الذاتي الخاص ويكون سلوكه تبعاً لإدراكه الذاتي أي أنه يركز على أهمية الذاتية. وهو يركز عملية الإرشاد حول العميل. وذلك على حساب الموضوعية ويركز على الجوانب الشعورية على حساب الجوانب اللاشعورية ونسى أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى الحقيقة الموضوعية وأن الجوانب اللاشعورية لها أهميتها.
- يضع روجرز أهمية قليلة أو ثانوية للاختبارات والمقاييس كوسيلة لجمع المعلومات للإرشاد النفسي. واكتفى بأن أشار إلى أن الاختبارات والمقاييس يمكن أن تستخدم حين يطلبها العميل وأن المعلومات التي يحصل عليها المرشد فيها يمكن الحصول على أفضل منها عن طريق المقابلة ونسي أن على المرشد أن يستخدم جميع الوسائل الممكنة للحصول على أكبر قدر من المعلومات لتحقيق أكبر نجاح لعملية الإرشاد النفسي.





الفصل التاسع عشر

الشخصية وقياسها

الفصل التاسع عشر
الشخصية وقياسها

إن المظاهر الهامة لتنظيم الشخصية التي تساعد على التنبؤ الصحيح بالشخصية المتكاملة القادرة على التفاعل السوي مع البيئة تجعلنا نتساءل عن كيف نستطيع أن نحلل ونصف شخصية الفرد؟ ولقد تنوعت المقاييس التي يمكن من خلالها أن نقيس الشخصية وقد أجمع الباحثين في مجال الشخصية إلى أن وسائل قياس الشخصية تتمركز حول مصادر رئيسية هي الملاحظة، والمقابلة، والاختبارات النفسية، والأساليب الاسقاطية.

أولاً: الملاحظة:

من الطرق التي تستخدم في تقييم الشخصية الملاحظة المباشرة لسلوك الفرد في مواقف الحياة الطبيعية خلال فترة طويلة أو في مواقف مصغرة من الحياة ترتب بحيث تستدعي ظهور سمات الشخصية المطلوب قياسها.

ولما كان معظم الناس يكونون عادة حساسين بأنفسهم إذا ما لاحظهم أحد، فقد ابتكر علماء النفس أساليب خاصة للملاحظة لا يكون فيها الأشخاص الذين يوضعون تحت الملاحظة مدركين لوجود الملاحظ، وقد استخدمت هذه الأساليب بكثرة وبنجاح في ملاحظة سلوك الأطفال.

ويجب أن يقوم الملاحظ بعدد كاف من الملاحظات وأن يقوم بتسجيل عدد المرات التي يتكرر فيها حدوث أنواع معينة من السلوك

تختار لأهميتها تبعاً للأغراض التي يهتم بها الباحث،حيث أن تكــرار ظهور أنواع معينة من السلوك في موقف معين يدل على ميل الفــرد إلى هذا النوع من السلوك في المواقف المشــابهة وبذلــك يمكــن أن نستنتج السمات الرئيسية السائدة في شخصية الفرد الملاحظ.

وتنقسم الملاحظة إلى أنواع مختلفة منها:

أولاً: الملاحظة الطبيعية التي يقوم بها الآباء والمدرسون.

ثانياً: الملاحظة المقننة ويدخل فيها المقابلات والاختبــارات وتســمى بالملاحظة المعملية.

ثانياً: المقابلة:

هي الطريقة المألوفة التي نلجأ إليها عــادة للمفاضلــة بيــن مجموعة من الأفراد والحكم على شخصياتهم حكماً سريعاً شاملاً عــن طريق التحدث معهم ومقابلتهم بشكل مباشر، فالمقابلة حديــث هــادف يحاول فيه المقابل أن يكون فكرة أو يجمع معلومات عن شخص آخــر يريد تقييمه.

ويستطيع القائم بالمقابلة أن يلاحظ نواحي معينة مــن سـلوك الشخص وما يبدو عليه من تعبيرات انفعالية وما يظهر عليه من ذكـاء وطريقته في التصرف والتعبير.

والركيزة الأولية في أي مقابلة هي قدرة القائم علــى إقامــة علاقة دافئة ومشجعة بينه وبين الفرد المقصود بالمقابلة حتــى يكــون الموقف طبيعي يسهل على المقابل تكوين فكرة حقيقية غير مفتعلة عن الفرد موضع المقابلة. وقد تكون المقابلة مقننة أو غير مقننة.

والمقابلة المقننة تتكون من أسئلة محددة معدة من قبل وتوجـــد بطريقة موحدة ويكون لها تعليمات يتبعها جميع من يقيمون بالمقابلــــة لنفس الغرض وبذلك يكون من السهل المقارنة بين الأفراد، كما تجعـلى من الممكن إخضاع النتائج التي يصل إليها القائمون بالمقابلة لأســاليب الإحصاء التي تساعد على سهولة عرضها ومقارنتها إذا لـــزم الأمـــر ذلك.

أما المقابلة الغير مقننة (الحرة) فلا تتضمن أسئلة محددة بــــل تترك الأخصائي النفسي الذي يجرى المقابلة الحرة في اختيار الأســئلة المناسبة واستقصاء بعض البيانات التي يرى انها هامة، وهذا النــــوع يفيد في التشخيص الكلينيكي والإرشاد النفسي، غير أن من عيوبــها أن مضمون المقابلة قد يختلف من شخص إلى آخر مما يجعل من الصعب المقارنة بين الأفراد، وتتوقف دقة المقابلة على عدة متغــيرات منـــها زمان ومكان المقابلة وشخصية القائم بالمقابلة. وطريقة توجيهه للأسئلة ومعاملته للفحوص واتجاهاته وتصعباته الشخصية.

وكثيراً ما يحتاج الأخصائي إلى استخدام طريقة المقابلة مــــع الأطفال في سن الطفولة المبكرة حيث تحتاج هذه المرحلة مشــــكلات متعلقة بالأطفال شائعة إلى الحد الذي جعل البعض يسمى مشكلات هذه المرحلة بمشكلات الأطفال اليومية ــ كالكذب ــ وقضم الأظــــافر ــ والتبول اللاإرادي ــ والعدوان ــ والمشاجرة ــ والسرقة ــ ونوبـــات الغضب ــ ومص الأصابع ...إلخ.

وفي هذه الحالة تســــمى المقابلـــة بالمقابلـــة التشــخيصية أو الكلينيكية والمقابلة الكلينيكية تساهم في تحقيق استعادة الفرد لتوازنــــه

النفسي وتوافقه مع البيئة المحيطة وحل مشكلاته بل ويتضمن ذلك التشخيص والعلاج والتنبؤ.

وتهيئ المقابلة الكلينيكية الفرصة أمام القائم بها للقيام بدراسة متكاملة للحالة عن طريق المحادثة المباشرة، ولفهم العميل وللتأكد من صدق الانطباعات والفروض التي يصل إليها عن طريق الأدوات التشخيصية الأخرى.

والمقابلة الكلينيكية تختلف عن المحادثة العادية في أنها طريقة مهنية لها هدف ولها بنيان يتفاوت في درجة تحديده من موقف لآخر ويتحقق الهدف عن طريق استخدام عمليات وأساليب تحرك المقابلة نحو غايتها، وديناميات المقابلة متضمنة في التفاعل بين القائم بالمقابلة والعميل وتتعدد الأغراض التي تقوم بها المقابلة لأن المجالات التي تعقد فيها كثيرة ومتعددة أيضاً، وللمقابلة مميزات وعيوب منها:

مميزات المقابلة:

- إتاحة فرص الاتصال المباشر بين الفاحص والمفحوص، مما يتيح فرصة الكشف عن الكثير من الانفعالات التي قد تبدو خلال التعبيرات الوجهيه للمفحوص أو من خلال حركات يديه أثناء الحديث أو التفكير أو حتى في السكوت في انتظار سؤال الفاحص.
- تتيح المقابلة للفاحص الفرصه للكشف عن عيوب كثيرة جسيمة أو كلامية أو لازمات عند المفحوص.

بل والكشف عن طريقة التفكير عند المفحوص من حيث التسرع الاندفاع أو الاتزان والتروي.

- إذا كانت المقابلة تم اعدادها سابقاً ومخطط لها فإنه يكـــون هنـــاك إتفاق كبير بين حكمين اثنين دربا علي إجراءها بطريقة ســـليمة• فالمقابلة الناجحه تجمع بين التخطيط المسبق لها والمرونـــــه فـــي **إجراءها•**

عيوب المقابلة:

- **تحتاج إلى الكثير من الجهد والوقت لإجراءها علي عدد كبير مـــن المفحوصين.**
- **قد يصعب علي الباحث أن يحصل علي بيانات مــــن المفحـــوص بسبب المواجهة المباشرة التي قد تثير الحرج والخجل.**
- إنها قد تخرج بإستنتاجات شاملة تصدر عن **معلومـــات محـــددة ، أخذت في** مواقف مصطنعه **بواسطة ملاحظين غير مؤهلين.**
- **أحيانا لا يمكن الاعتماد عليها وحدها كوســـيلة لجمـــع البيانـــات** وضرورة الإستعانة بوسائل **اخري ومجموعة من المقاييس بجانبها** للتخلص من الجوانب الذاتية **التي قد تتدخل في** عملية المقابلة•

شروط إجراء المقابلة الجيدة :

لابد من توافر مجموعة من الشروط في المقابلة لكي تتحقـق فاعليتها ومن هذه الشروط :

- التخطيط الدقيق والتدريب المسبق لها•
- هدوء مكان إجراء المقابلة وبعده عن الضوضاء ومصادر التشـتت والازعــــاج•

- تنسيق وقت إجراء المقابلة بمواعيد موحده سلفا ، وتحديد كم تستغرق كل مقابلة من الوقت علي وجه التقريب لتنظم الوقت والمقابلات الاخري.
- توفير الأمن النفسي للمتقدم في المقابلة وأشعاره بالإطمئنان والتعبير عن تقديره وإحترامه الانساني وذلك لإزاله عامل التوتر والإضطراب عند المتقدم للمقابلة.
- علي القائم بالمقابلة أن يكون جيد الاصغاء ولبق في حديثه دقيق الملاحظه لغته وطريقة كلامه مفهومة للمتقدم للمقابلة.
- مراعاة صياغة الأسئلة وتجنب الأسئلة التطفلية والغامضة أو المتحيزة والاعتماد علي الاسئلة المفتوحة بقدر الإمكان لتتيح الفرصة للحديث والاجابات الحرة والواضحة المستفيضة.

ثالثاً: الاختبارات والمقاييس السيكولوجية:

الاختبار السيكولوجي هو أداة للحصول على عينة من سلوك الفرد في موقف معين من حيث ظروف التطبيق ومواد الاختبار وطريقة التطبيق والتصحيح ليمكن بذلك جمع بيانات عن السلوك في أسلوب مقنن منظم بعكس المقابلة والملاحظة اللتين قد تختلف المادة التي تجمع عن طريقهما باختلاف الأخصائي وباختلاف ظروفهما، كما أن المادة التي تجمع عن طريق الاختبارات هي نتاج مباشر لسلوك العميل بعكس ما يجمعه عن طريق سؤال الآخرين عنه، كما تيسر الاختبارات التنبؤ عن السلوك وبخاصة في المواقف التي يكون من غير العملي ملاحظة السلوك فيها مثل التفاعل اليومي بين الطفل وأمه وييسر الاختبار السيكولوجي دراسة دائرة واسعة من السلوك في وقت

قصير نسبياً، وسوف نعرض في الجزء التالي لأحد مقاييس الشخصية وهو مقياس تنسي لمفهوم الذات.

مقياس تنسي لمفهوم الذات(*):

لقد ثبت أن مفهوم الفرد عن ذاته ذو تأثير كبير في كثير من جوانب سلوكه كما أنه متعلق بشكل مباشر بحالته العقلية وشخصيته بوجه عام. ويميل أولئك الذين يرون أنفسهم على أنهم غير مرغوبين ولا قيمة لهم أو سيئين إلى السلوك وفق هذه الصورة التي يرون أنفسهم عليها، كما يميل أصحاب المفهوم غير الواقعي عن أنفسهم إلى التعامل مع الحياة والناس بأساليب غير واقعية، كما يتجه من لديهم مفهوم منحرف أو شاذ عن أنفسهم إلى السلوك بأساليب منحرفة أو شاذة. وعلى هذا تعد المعلومات الخاصة بكيفية إدراك الفرد لذاته مهمة إذا حاولنا القيام بدور في مساعدة هذا الفرد أو محاولته الوصول إلى تقويمه.وبذا يكون هذا المقياس مفيدا في كثير من الأغراض الإرشادية والإكلينيكية وفي كل من القياس والتشخيص والبحوث والعلوم السلوكية واختبار الأشخاص ..إلخ.

يحتوي المقياس على مائة عبارة تتضمن أوصافاً ذاتية يستخدمها المفحوص ليرسم عن طريقها صورة ذاتية عن شخصه. ويطبق المقياس بواسطة المفحوص سواء أكان فرد أم كانوا جماعة، ويمكن استخدام المقياس مع مفحوصين في مرحلة عمرية تبدأ من اثنى عشر عاما أو أكثر ممن أمضوا ست سنوات دراسية على الأقل، كما

(*) إعداد وليم منيش. وترجمه وأعده بالعربية صفوت فرج، وسهير كامل.

أنه قابل أيضا للاستخدام لجميع الأفراد في مجال التوافق النفسي بـــدءاً من الأصحاء ذوي التوافق الجيد وحتى المرضى الذهانيين.

ويتاح المقياس في صورتيـــن: صـــورة إرشـــادية وصـــورة إكلينيكية وبحثية. ويستخدم كتيب بنـــود المقيـــاس ذاتـــه لكـــل مـــن الصورتين، أما الفرق بينهما فيتركز في طريقـــة التصحيـــح ونظـــام الصفحة النفسية (البروفيل). والصـــورة الإرشـــادية أســـرع وأســـهل تصحيحاً حيث تتضمن عدد أقل من المتغيرات والدرجات كمـــا أنـــها مناسبة للتفسير الذاتي وتتيح عائدا إيجابياً لطالب الخدمة الإرشـــادية. كما أنها تتطلب درجة أقل من المهارة من جانب الفاحص في كل مـــن القياس النفسي وعلم النفس المرضـــي. أمـــا الصـــورة البحثيـــة (ب) والإكلينيكية (ك) فأكثر تعقيداً في تصحيحها وتحليلها وتفسيرها.

ويمكن تصحيح كل من الصورتين يدويا أو باستخدام الحاســب الإليكتروني، وينتهي أغلب المفحوصين من الإجابة عن المقياس خلال فترة تتراوح من ١٠ إلى ٢٠ دقيقة (بمتوسط ١٣ دقيقة)، بينما يستغرق التصحيح اليدوي من ٦-٧ دقائق للصورة الإرشـــادية، وحوالـــي ٢٠ دقيقة للصورة الإكلينيكة والبحثية.

طبيعة الدرجات ومعناها:

أولا: الصورة الإرشادية:

- مقياس نقد الذات (ن ذ):

يتكون هذا المقياس من عشرة بنود جميعها عبارات تقلل إلـــى حد ما من قيمة الفرد، ويعترف أغلب الناس أنها تنطبق عليـــهم أمـــا الذين يذكرون أنها غير منطبقة فغالباً ما يكونون دفـــاعيين ويقومـــون

بجهد مقصود لتقديم صورة مقبولة عن أنفسهم وتشير الدرجات المرتفعة بوجه عام إلى وجود سمات سوية ومظاهر صحة نفسية وإمكانية للنقد الذاتي. وتشير الدرجات المرتفعة بشكل متطرف (أعلى من المئين ٩٩) إلى احتمال افتقار الفرد إلى الدفاعات الذاتية، كما قد يكون في حقيقته مريضاً مجردا من الدفاعات وتدل الدرجة المنخفضة على غلبة الحيل الدفاعية، كما توحي من جانب آخر باحتمال ارتفاع الموجبة، ارتفاعاً زائداً نتيجة لتغلب هذه الدفاعات.

- الدرجة الموجبة (ج):

تشتق هذه الدرجات من مصفوفة التصنيف الظاهراتي مباشرة وقد ظهر في التحليل الأساسي لمجموعة البنود الأصلية أن هناك ثلاثة معان أولية فيها وهي: (١) ماذا أكون (٢) هذا ما أشعر به نحو نفسي (٣) هذا هو ما أفعله. وعلى أساس هذه الأنواع الثلاثة من البنود صممت الفئات الأفقية الثلاثة للمصفوفة وهي تظهر في صحيفة التصحيح باعتبارها الصف الأول والثاني والثالث وسيشار إليها فيما بعد بهذه الأسماء، وعلى هذا تكون الدرجات ثلاث درجات فرعية نحصل بجمعها معاً على الدرجة الكلية الموجبة (ج)، أو الدرجة (ج) الموجبة وتمثل هذه الدرجات إطاراً مرجعياً داخلياً يقوم الفرد في نطاقه بوصف نفسه.

وقد أشارت دراسات أخرى للبنود الأصلية إلى أنها تختلف بوجه خاص إذا تناولناها من منظور الإطار المرجعي الخارجي. وقد تختلف العبارات اختلافا شائعاً من حيث المضمون داخل الفئة الصفية ذاتها. مثال ذلك ما نجده في الصف الأول (فئة ماذا أكون) حيث تشير العبارات إلى ماذا أكون من الناحية الجسمية والخلقية والاجتماعية

...إلخ، وبالتالي أعيد تصنيف البنود الأصلية مرة أخرى وفقاً لهذه الفئات الرئيسية الجديدة والتي تمثلها الأعمدة الخمسة للدرجات في صحيفة التصحيح، وعلى هذا تنقسم المجموعة الكلية للبنود بطريقتين: رأسية إلى أعمدة (تعبر عن الإطار المرجعي الخارجي) وافقية إلى صفوف (تمثل الإطار المرجعي الداخلي) حيث يعبر كل بند وكل خلية نتيجة لهذا عن نوعين مختلفين من الدرجات.

- الدرجة ج الكلية:

وهي أكثر الدرجات المفردة أهمية في الصورة الإرشادية وهي تعكس المستوى الشامل لاعتبار الذات. ويميل أصحاب الدرجة المرتفعة إلى تقبل أنفسهم ويشعرون أنهم أشخاص من ذوي القيمة والحيثية يثقون في أنفسهم ويتصرفون وفقا لذلك.ويشعر الأشخاص ذوي الدرجة المنخفضة بالشك في قيمتهم الشخصية ويرون أنهم أشخاصاً غير مرغوب فيهم. وغالبا ما يشعرون بالقلق والاكتئاب وعدم السعادة وليس لديهم ثقة في أنفسهم. وإذا كانت درجة نقد الذات (ن ذ) منخفضة تصبح الدرجة ج المرتفعة موضع شك، وقد تكون نتيجة لتشوية دفاعي، فالدرجة المرتفعة بشكل متطرف (أعلى من المئين ٩٩ بصفة عامة) درجة شاذة وتوجد دائماً لدى المضطربين فقط، أمثال مرضى الفصام الاضطهادي الذين يظهرون كمجموعة عديداً من الدرجات المتطرفة ارتفاعاً وانخفاضاً أو الاثنين معاً. وقد صممت الدرجات الموجبة في الصورة الإرشادية لتكون درجات موجبة بسيطة بينما يشار لها في صحيفة التصحيح الخاصة بالصورة الإكلينيكية والبحثية على أنها: ج + س بهدف توضيح العملية الحسابية التي تتضمنها.

- الدرجة ج للصف الأول ـ الهوية:

وهي تتكون من بنود ماذا أكون حيث يقوم الفرد هنا بوصـــف هويته الأساسية، أي ماذا يكون كما يرى نفسه.

- الدرجة ج للصف الثاني ـ الرضا عن الذات:

وتستخلص هذه الدرجة من البنود التي يصف فيها الفرد "مــــا يشعر به" نحو الذات التي يدركها، وتعكس هذه الدرجة بصفة عامــــة مستوى الرضا عن الذات أو قبول الذات، وقد يحصل الفرد على درجة مرتفعة على بنود الصف الأول أو بنود الصف الثالث ومع ذلك تظـــل درجته على الصف الثاني منخفضة نتيجة لمعاييره الخاصة وتوقعاتـــه شديدة الارتفاع عن نفسه. أو بالعكس قـــد تكـــون آراءه عـــن نفســـه منخفضة كما يظهر في الصف الأول والثالث ومع ذلك يحصل علـــى درجة مرتفعة على الصف الثاني (الرضا عن الذات). ويمكن الوصول إلى أفضل تفسير للدرجات الفرعية مـــن خـــلال مقارنتـــها ببعضـــها والدرجة ج الكلية.

- الدرجة ج للصف الثالث ـ السلوك:

تستخلص هذه الدرجة من البنود المتعلقة بماذا أفعل، أو هـــذه هي الطريقة التي أسلك بها على هذا فهي تقيس إدراك الشخص لسلوكه أو الطريقة التي يعمل بها.

- العمود أو الذات الجسمية:

يقدم الفرد هنا فكرته الخاصة عن جسمه، حالتـــه الصحيـــة، مظهره الخارجي، مهاراته حالته الجنسية.

- العمود ب الذات الأخلاقية:

وتصف هذه الدرجة الذات من خلال إطار مرجعي مثالي وأخلاقي من ذلك القيمة الأخلاقية والعلاقة بالله وإحساس الفرد بكونه شخصاً طيباً أو غير طيب ورضاء الشخص عن عقيدته أو عدم اعتناقه لعقيدة ما.

- العمود ج الذات الشخصية:

وتعكس هذه الدرجة إحساس الفرد بالقيمة الشخصية أي إحساسه بأنه شخص مناسب وتقديره لشخصيته دون النظر إلى هيئته الجسمية أو علاقاته بالآخرين.

- العمود د الذات الأسرية:

تعكس هذه الدرجة مشاعر الشخص بالملاءمة والكفاية، وكذلك جدارته وقيمته بوصفه عضوا في أسرة، وهي تشير إلى إدراك الشخص لذاته في تعلقها بأقرب دائرة من الرفاق والصقها.

- العمود هـ الذات الاجتماعية:

وهي درجة أخرى لإدراك الذات في علاقتها بالآخرين، غير أنها تتعلق بالآخرين بطريقة اكثر عمومية حيث تعكس إحساس المرء بملاءمته وقيمته في تفاعله الاجتماعي مع الأخرين بوجه عام.

- درجة التغايرية:

توفر الدرجة غ مقياسا بسيطا لمدى التغيرية أو عدم الاتساق بين مجال وآخر من مجالات إدراك الذات، وتعني الدرجة المرتفعة أن الشخص شديد التغيرية في هذا المجال. بينما تشير الدرجة المنخفضة

إلى تغيرية قليلة قد تصل إلى درجة التصلب إذا بلغ درجة متطرفة من الانخفاض (أقل من المئين الأول).

- التغير الكلي:

وهو يمثل المقدار الكلي للتغير في الأداء الشامل وتعني الدرجة المرتفعة أن مفهوم الشخص عن ذاته شديد التغيرية من مجال إلى آخر كما تعكس أيضا وجود درجة منخفضة من التماسك والتكامل، ويميل الشخص الذي يحصل على درجة منخفضة إلى تجزئة أو استبعاد مجالات معينة في الذات حيث ينظر إلى هذه المجالات باعتبارها منفصلة تماماً عن بقية الذات، والأشخاص ذوي التكامل الجيد يحصلون بصفة عامة على درجات أقل من المتوسط وإن كانت أعلى من المئين الأول.

- درجة عمود التغيرية الكلية:

وتقيس هذه الدرجة التباين بين الأعمدة وتلخصه.

- درجة التغيرية الصفية:

وهي مجموعة درجات التباينات عبر الصفوف.

- درجة التوزيع (ت):

وهي درجة تلخيصية توضح الطريقة التي يوزع بها المرء إجاباته عبر الاختيارات الخمسة المتاحة عند استجاباته عن بنود الاختبار. وهي تفسر أيضاً بوصفها مقياساً آخر لجانب من إدراك الذات وهو الثقة في الطريقة التي يرى الشخص بها نفسه، وتشير الدرجات المرتفعة إلى أن المفحوص شديد الثقة والتأكد مما يقوله عن نفسه. بينما تشير الدرجات المنخفضة إلى العكس تماماً. وتوجد

الدرجات المنخفضة أحياناً لدى الأشخاص الدفاعيين أو موضع الرعاية، وهؤلاء يحمون أنفسهم ويتجنبون حقيقة مواجهة الذات عن طريق استخدام الدرجة في إجاباتهم. والدرجات المتطرفة في كل من الاتجاهين على هذا المتغير غير مرغوب وغالباً ما يحصل عليها الأشخاص المضطرين مثال ذلك المرضى الفصاميين الذين يلجأون غالبا إلى استخدام الإجابات أرقام (٥)، (١) بصورة غالباً ما تتسم بالحسم، وبهذا يحصلون على درجة عالية، وبعض المضطرين الآخرين من المرضى يبدون متطرفين في عدم ثقتهم من وصفهم لذواتهم وذلك بتغليبهم للإجابات أرقام ٢، ٣، ٤ وبذلك يحصلون على درجة "ت" شديدة الانخفاض.

- درجة الزمن:

تقيس هذه الدرجة ببساطة الأداء إلى أقرب دقيقة يتمكن المفحوص في نهايتها من إكمال الإجابة على المقياس.

وحتى هذه اللحظة فإن ما نعرفه من معنى هذه الدرجة ودلالاتها قليلة للغاية، وهي ترتبط ارتباطاً دالا بدرجة واحدة فقط من الدرجات المتعددة على المقياس (درجة محصلة الصراع الفرعية للعمود ج حيث ر = ٠,٣٢ وهو معامل ارتباط دال فيما بعد ٠,٥) وعلى هذا فإن أي نوع من الصدق يمكن أن تبرهن عليه الدرجة. بالإضافة إلى بقية المحكات يمكن أن يرفع من الصدق الكلي لهذا المقياس. وتشير البيانات بالفعل إلى انه طالما أن المفحوص لديه درجة تعليم كافية وذكاء وقدرة على القراءة بحيث يجيب على المقياس فإنه يكمله في أقل من ٢٠ دقيقة وهذه الخصائص لدى المفحوص هامة للغاية وإذا لم تتوفر فإن درجة الزمن تصبح ضعيفة الدلالة بوضوح

شديد. وقد ظهر أن المرضى النفسيين يحتاجون عموماً إلى وقت أطول من غير المرضى وهذا صحيح على وجه الخصوص بالنسبة لمرضى الوساوس القهرية والهذائيين والاكتئابيين.

ثانياً: الصورة الإكلينيكية والبحثية:

نقدم فيما يلي الدرجات الإضافية الخاصة بالصورة الإكلينيكية والبحثية وفقاً للترتيب الذي تظهر به في صحيفة البروفيل.

- نسبة الصواب إلى الخطأ (ص. خ):

وهو مقياس لوجهة الاستجابة أو تحيز الاستجابة، وهو مؤشر لاتجاه المفحوص نحو الأداء، هل يتضمن هذا الاتجاه أية ميول قوية للموافقة، دون اعتبار لمضمون البنود ويمكن التعرف على المعنى الحقيقي ص/ خ بواسطة ثلاث طرق هي كالآتي:

- يمكن اعتبارها مجرد مقياس لوجهة الاستجابة وتفسر وفقا لتراث النتائج المتعلقة بوجهات الاستجابة الشاذة أو المنحرفة.
- يمكن التعامل معها باعتبارها درجة نقية تشير إلى طريقة المفحوص في تناول البنود، أو على أنها مقياساً سلوكياً يستمد معناه من مفهوم الصدق التجريبي فقط. وبهذا المعنى فإن نسبة ص/ خ تميز بين المرضى وغير المرضى وترتبط ارتباطاً دالاً بالاختبارات الأخرى.
- يمكن النظر إليها أيضاً في إطار نظريات الذات. وتشير الدرجة المرتفعة لنسبة ص/ خ من هذا المنظور إلى أن الفرد قد تمكن من الوصول إلى التعريف لذاته بالتركيز على ما هو عليه، وأنه غير قادر نسبياً على القيام بالشيء ذاته باستبعاد ما ليس عليه أو

رفضه. وبذلك تعنى درجة ص/ خ العكس تماما، وتصبح الدرجة في مداها المتوسط مشيرة إلى أن المفحوص تمكن من تعريف ذاته بواسطة استخدام أكثر توازنا لكل من الاتجاهين: الحسم في ما تكون عليه ذاته واستبعاده مالا تكونه الذات.

- **درجات محصلة الصراع:**

ترتبط هذه الدرجات ارتباطاً شديد الارتفاع بدرجات ص/ خ ومع ذلك فهي تقيس (بشكل مباشر أكثر) مدى استجابة الفرد للبنود الموجبة بصورة مختلفة أو مناقضة لاستجابته للبنود السالبة وذلك في المجال الواحد من مجالات إدراك الذات وبالتالي يعد هذا التعريف لمفهوم الصراع تعريفاً إجرائياً محدداً ونقياً وعملياً.

وتحسب درجات منفصلة في صحيفة درجات الصورة ك، ب في كل خلية للبنود الموجبة والبنود السالبة، والفرق بين هذه البنود أي الدرجة ج – س هي المقياس الإجرائي للصراع. وبما أنه يتم عكس البنود السالبة في صحيفة الدرجات، يصبح للدرجة ج والدرجة س المعنى ذاته، وعلى هذا فإن أي فرق بين ج، س إنما تعكس صراعاً.

وهناك نوعان من الصراع كالآتي:

- **صراع القبول والموافقة:** وتبدو هذه الظاهرة عندما تكون الدرجة ج أكبر من الدرجة س (ج – س = درجة موجبة) ويعني هذا أن المفحوص يؤكد على خصائصه الموجبة بشكل مفرط.

- **الصراع الإنكاري:** وهو عكس صراع القبول أو الموافقة وهنا تكون الدرجات س للخلايا أكبر من الدرجات ج (ج – س = درجة سالبة) ويعني هذا أن المفحوص ينفي بشكل مفرط خصائصه أو

سماته السالبة في علاقتها بالطريقة التي يؤكـــد بـــها خصائصـــه الموجبة، وهو يركز على نفي سلبي.

- درجات الصراع الكلية:

تركز درجات محصلة الصراع السابقة فقط على اتجاه الميـــل في مقياسنا للصراع (ج - س) ومع ذلك يلاحظ أن بعض الأفراد لديهم فرق بين ج - س بحيث يؤدي أحدهما إلى إلغاء الآخر لأنهما متباينان في اتجاههما. ويتساوى في الأهمية أن نحدد المجموع الكلي للصـــراع بين ج - س في مفهوم المفحوص للذات أو أن نحدد محصلة الصـــراع أو اتجاهه في الدرجة. ويمكن الوصول إلى ذلك من درجة الصـــــراع بجمع ناتج ج + س مع إغفال الإشارة. وتشير الدرجة المرتفعة إلـــى خلط عام أو صراع في إدراك الـــذات وللدرجـــة المنخفضـــة معنـــى عكسي، غير أن الدرجة متطرفة الانخفاض (تحت الخط الأحمر فـــي صحيفة البروفيل) لها معنى مختلف.

وصاحب هذه الدرجة يعبر عن وصف ذاتي ضيق ومتصلـــب بشكل متطرف حتى أنه يصبح من المشكوك فيه أن تكـــون درجتـــه زائفة، فوصف لذاته يبدو بمثابة قالب دفاعي جامد أكثر مـــن كونـــه صورته الذاتية الحقيقية ويحصل المضطربون عموما علـــى درجـــة مرتفعة على هذا المتغير، غير أن بعضهم أيضاً يحصل على درجـــات منخفضة وبقدر شاذ نتيجة لطبيعة اضطرابـــهم ودرجتـــه، ودرجـــات الصراع هي انعكاس للاستجابة المتضاربة للبنود الموجبـــة والبنـــود السالبة في داخل المجال الواحد ذاتـــه ويتعيـــن أن لا تتداخـــل هـــذه الدرجات مع درجات التغيرية التي تعكس التذبذب من مجـــال لإدراك الذات إلى مجال آخر.

- المقاييس التجريبية:

اشتقت هذه المقاييس الستة من خلال تحليل البنود والذي نتـــج عنه اختيار البنود التي تميز بين مجموعة من المفحوصين من بين بقية المجموعات الأخرى. والدرجات على هذه المقاييس تجريبيـــة تمامـــا وهي متمايزة على امتداد رقعة التصنيف لمصفوفة المقياس.

اشتقت هذه البنود من تحليل استجابات المجموعات الآتية مـــن الأفراد على بنود المقياس.

المجموعة	حجمها
مجموعة معيارية	٦٢٦
ذهانيون (ذ هـ)	١٠٠
عصابيون (ع)	١٠٠
مضطربو الشخصية (ض. ش)	١٠٠
ذو دفاعات موجبة (د. ج)	١٠٠
ذو شخصية متكاملة (ت ش)	٧٥

وتمت دراسة الاستجابات الفارقة للبنـــود وحللـــت باســـتخدام اختبار ك٢ واستخدمت فقط البنود التي ميزت مجموعة من بين بقيـــة المجموعات في تكوين مقياس خاص لهذه المجموعة وظـــهر بعـــض التداخل بين البنود مما ترتب عليه استخدام بعضها فـــي أكـــثر مـــن مقياس.

والمقاييس الستة التجريبية التي اشتقت باستخدام هذا المنـــهج هي الآتية بترتيب ظهورها في صحيفة البروفيل.

– مقياس الدفاعات الموجبة (د. ج):

وهو مقياس أكثر دقة للدفاعية من مقياس نقد الذات (ن ذ) ويمكن التفكير في درجة نقد الذات بوصفها درجة صريحة، ودرجة الدفاعات الإيجابية (د ج) على أنها درجة مرهفة ودقيقة للدفعات. وتنشأ الدرجة د ج من فرض أساسي في نظرية الذات وهو أن الأفراد ممن يعانون من صعوبات ذهانية مستقرة، لديهم مفهوم سلبي عن الذات، مع وجود قدر ما من الوعي به، دون اعتبار لمقدار ايجابيتهم في وصف انفسهم على أداة من هذا النوع. ووفقا لهذا الافتراض الأساسي قام المؤلف بجمع بيانات من ١٠٠ مريض سيكايتري ممن كانت درجتهم على الذهانية (ذ هـ) أعلى من متوسط المجموعة المعيارية، وأدى تحليل البنود بعد ذلك إلى تحديد ٢٩ بندا تميز هذه المجموعة من المرضى على مقياس د ج عن بقية المجموعات. وللدرجة على كل من طرفي د ج دلالة، فالدرجة د ج المرتفعة تشير إلى وصف إيجابي ناتج عن التشوية الدفاعي، بينما الدرجة د ج المنخفضة بقدر جوهري تعني أن الشخص يفتقر إلى الدفاعات المعتادة للاحتفاظ بالحد الأدنى من اعتبار الذات.

– مقياس سوء التوافق العام (س ـ ت):

ويتكون هذا المقياس من ٢٤ بندا تميز المرضى السيكايترين عن غير المرضى، ولكنها لا تميز بين مجموعة مرضية وأخرى، وعلى هذا فهي تفيد بوصفها مؤشراً عاماً للوافق/ سوء التوافق، ولكنها لا تقدم أية مؤشرات لطبيعة المرض. ويتعين ملاحظة أنها مقلوبة في صحيفة البروفيل إذ تؤدي الدرجة الخام المنخفضة إلى درجة تائية مرتفعة والعكس بالعكس.

- مقياس الذهان (ذ هـ):

يتكون مقياس (ذ هـ) من ٢٣ بندا هي التي توفر أفضل تمييز للمرضى الذهانيين من بين بقية المجموعات.

- مقياس اضطرابات الشخصية (ض ش):

تميز البنود الـ٢٧ التي يضمها هذا المقياس تلك الفئة التشخيصية العريضة من بين بقية المجموعات الأخرى. وتتضمن هذه الفئة أصحاب الآفات الشخصية الأساسية ممن يعانون ضعفاً. وهم على النقيض من الذهانيين وأصحاب ردود الأفعال العصابية المختلفة ويلاحظ أن مقياس (ض ش) أيضاً مقياس مقلوب.

- مقياس العصاب (ع):

وهو مقياس مقلوب يتكون من ٢٧ بنداً، ومثل بقية المقاييس الأخرى المقلوبة يظل للدرجة التائية المرتفعة عليه في صحيفة البروفيل معنى أن صاحبها يتشابه إلى حد كبير بالمجموعة التي اشتق منها المقياس. وهم في هذه الحالة مجموعة العصابيين.

- مقياس تكامل الشخصية (ت ش)

ويتكون من ٢٥ بندا تميز مجموعة أصحاب الشخصية المتكاملة عن بقية المجموعات. وطريقة تصحيح هذا المقياس مختلفة عن بقية المقاييس اختلافاً طفيفا. وهي موضحة في مفتاح التصحيح، وقد استمدت بنود هذا المقياس من اختبار مجموعة مكونة من ٧٥ مفحوصاً هم من قدروا – من خلال عدد من المحكات المختلفة – على أنهم متوسطون أو أعلى من المتوسط في التوافق ودرجة تكامل الشخصية.

- درجة عدد الوحدات الانحرافية:

درجة (و ح) عبارة عن مقياس تجريبي بحت، وهو ببساطة عبارة عن عدد الملامح الانحرافية (الشاذة) في كل المقاييس الأخرى وتعتمد هذه الدرجة على المفهوم النظري لبرج كما ذكره في نظريته عن فرض الانحراف. ويتضمن هذا الفرض أن الأشخاص الذين ينحرفون انحرافا جادا عن المعيار في أشكال السلوك الصغرى يميلون بالمثل إلى الانحراف في الجوانب السلوكية الكبرى. وقد أيدت النتائج الخاصة بدرجة (و ح) هذا الفرض. وغالبا ما يحصل الأفراد المضطربين على درجات متطرفة على أحد طرفي هذا المتصل. وبالتالي فوجود نقطة حدية مناسبة لكل درجة على المقياس ستساعد على تحديد الأشخاص المضطربين بدرجة مقبولة. ودرجة (و ح) هي أفضل مؤشر في المقياس على الاضطرابات السيكولوجية. فهذه الدرجة وحدها تحدد الأشخاص المنحرفين بنسبة صحة تصل إلى ٨٠%.

التطبيق:

يطبق المقياس تطبيقاً ذاتياً (بواسطة المفحوص نفسه) ولا يتطلب تعليمات تتجاوز ما هو موضح في كتيب الاختبار، ومع ذلك فمن الأفضل ملاحظة نقطة واحدة قد تحتاج إلى عناية خاصة من الفاحص. فصحيفة الإجابة منظمة بحيث يستجيب المفحوص إلى البنود المختلفة في صحيفة الإجابة. وقد يختلط الأمر هنا على المفحوص منذ هذه النقطة، ويتعين على الفاحص أن يظل متنبها لاحتمال حدوث ذلك.

التصحيح:

تعليمات عامة: سهلت إجراءات التصحيح اليدوي للاختبار نتيجة لترتيب مجموعات البنود بحيث يتم تسجيل الإجابات مباشرة على صحيفة درجات كربونية مثبتة خلف صحيفة الإجابة.

وتتطلب التعليمات الواردة في كتيب الاختبار عدم إهمال المفحوص الإجابة عن أي بند، ومن المفيد أكثر أن يقوم الفاحص مرارا بتنبيه المفحوص إلى عدم ترك أي بند وعلى الرغم من كل هذه الاحتياطات فقد يهمل المفحوص بعض البنود، وعند حدوث ذلك فإجراءات التصحيح التي تتبع في حالة البنود المتروكة هي أن يقوم المصحح بوضع الإجابة رقم (٣) على كل بند قبل حساب الدرجات المختلفة وقد تم توضيح إجراءات التصحيح بأكبر قدر ممكن في صحيفة التصحيح، وعلى مقاييس تصحيح المتغيرات التجريبية للصورة البحثية والإكلينيكية. وعلى أي الأحوال فالتعليمات موضحة تفصيلاً في كراسة التعليمات(*) ويمكن فهمها واتبعها على أفضل وجه إذا ما فحصت بمصاحبة نسخة مناسبة من صحيفة التصحيح وفي صحيفة الدرجات ذاتها طبعت الـ ٩٠ بندا الأساسية، نصفهم باللون الأسود (البنود الموجبة) والنصف الآخر بالأحمر (البنود السلبية) والأرقام الخاصة بالبنود السلبية في صحيفة الإجابة عكست في صحيفة التصحيح لكي تتيح نظاما بسيطاً وموحداً للتصحيح، ووفقاً لهذا النظام فإن الشخص الذي يجيب بـ: "غير صحيح إطلاقاً" على بند في صيغة النفي يحصل على درجة مرتفعة كالتي يحصل عليها عندما يجيب

(*) يمكن الحصول على نسخة المقياس كاملة من مكتبة الأنجلو المصرية، وتحتوي على كراسة التعليمات + بنود المقياس + مفاتيح التصحيح.

"صحيحة تماماً" على بند موجب الصياغة، وعلى هذا فالدرجة المرتفعة تعني وصفاً ذاتياً موجباً موحد المعنى بالنسبة لكل البنود.

البيانات السيكومترية:

أولاً: المعايير:

كانت مجموعة التقنين التي اشتقت منها المعايير عينة كبيرة تتكون من ٦٢٦ فرداً وشملت العينة مناطق مختلفة من البلاد، وبأعمار تمتد من ١٢– ٦٨ عاماً. وتساوى تقريباً عدد الذكور مع عدد الإناث وكذلك البيض والزنوج. ويعدون جميعاً عينة ممثلة للمستويات الاجتماعية والاقتصادية والعقلية والتعليمية بدءاً من مستوى الصف السادس وحتى مرحلة الدكتوراه. وقد سحبت العينة من طلاب المدارس الثانوية والكليات ومن موظفي الهيئات الحكومية وبعض المصادر الأخرى المختلفة.

ويبدو أنه كان من الميسور زيادة حجم المجموعة المعيارية بقدر لا بأس به إلا أن ذلك لم يحدث بالفعل لسببين: الأول، هو أنه كان من الواضح أن العينات المسحوبة من تجمعات سكانية أخرى لن تختلف كثيراً عن العينة المعيارية أو عينة التقنين مالم تكن عينة كبيرة بقدر كاف (٧٥ أو أكثر). ثانياً: تأثير المتغيرات الديموجرافية مثل الجنس، والعمر، والعنصر، والتعليم والذكاء على هذا المقياس غير ملحوظ. وترتبط بعض الدرجات القليلة المتفرقة على المقياس ارتباطات دالة مع بعض هذه المتغيرات، في حالة العينات الكبيرة (١٠٠ فأكثر) إلا أن هذه الارتباطات تقع عادة حول ٢٠، وهي تشير بذلك إلى ضآلة حجم التباين المسئولة عنه.

وقد قام سندباي بجمع بيانات من طلاب المـــدارس الثانويـــة وجيفيدين من المجندين في الجيش وهول من المدرسين. بالإضافة إلى البيانات التي قام المؤلف بجمعها من طلاب زنوج بمدرسة التمريـــض وتوضح نتائج هذه الدراسات متوسطات وتباينات هذه المجموعات التي يمكن مقارنتها بنظرياتها لدى عينة التقنين. وتشير الدلائل المتوفرة إلى انه ليس ثمة حاجة إلى وضع معايير منفصلة وفقا للعمـــر والجنـــس والعنصر أو أية متغيرات أخرى. وعلى الرغم من أن مجموعة التقنين لا تعكس التركيب السكاني الكلي بشكل يتناسب مع قطاعاته القومية إلا أن المعايير المستخلصة أكثر تمثيلا لطلاب الكليات والأفراد البيـــض. والأشخاص في المرحلة العمرية من ١٢ إلى ٣٠ عاما.

ويوضح الجدول رقم (١) البيانات المعيارية لأغلب درجـــات المقياس في كل من الصورتين (الإرشادية، والبحثيـــة والإكلينيكيـــة). ويشمل هذا الجدول أيضا بيانات عن ثبات هـــذه الدرجـــات باســـتثناء درجة و ح. وتؤدي الدرجات الأخرى إلى توزيعات للدرجات الخـــام تتطابق بشكل جيد مع المنحنى الاعتدالي. ويشبه توزيع درجـــة و ح منحنى J التقليدي (هو في الواقع شكل J مقلوب أو هو أقرب للمنحنـــى الذي يأخذ شكل L) ونتيجة لذلك فإن الإحصاء البارامتري التقليدي يعد بلا معنى بالنسبة لـــ و ح. وعلى هذا استخدم الوسيط في الجـدول (١) وكذلك البروفيل. كما أن الارتباطات التي تتضمن درجة و ح والتـــي سترد فيما بعد حسبت جميعها باستخدام الدرجات التائيـــة بـــدلا مـــن الدرجات الخام كما هو الحال في بعض الدرجات الأخرى، من ذلك أن درجة نقد الذات (ن ذ) ونسبة الصواب إلى الخطأ (ص/ خ) على وجه التحديد كانت ملتوية إلى حد ما. وعلى أي الأحوال فـــإن الدرجـــات

التائية المستخدمة في صحيفة البروفيل هي درجات ماكال التائية وبهذا فهي تتضمن نظام ماكال الخاص بتحويل توزيعات كل الدرجات الخام إلى نمط توزيع اعتدالي بدرجات معيارية ذات متوسط ٥٠ وانحراف معياري ١٠.

وبالرغم من أن المقياس غير موقوت، فإنه من المهم اعتبار الوقت بمثابة متغير في التعامل مع المقياس. وقد تطلبت البيانات التي تم جمعها عن متغير الوقت استخدام صحيفة إجابة ذات تنظيم مختلف إلى حد ما عن الصحيفة الحالية مع أنه ليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأن ذلك يمكن أن يؤدي إلى فرق ملحوظ في الوقت. وعلى أي الأحوال فعلى المرئ أن يضع في اعتباره إمكانية أن يمتد الوقت قليلاً في الصورة الحالية لصحيفة الإجابة.

وقد بلغ وسيط الوقت المستغرق لاتمام الإجابة على المقياس في مجموعة مكونة من ٧٥٠ مفحوصا من غير المرضى ١٢,٤ دقيقة (متوسط الوقت ١٣ دقيقة وانحراف معياري ٥,٥٤) وبالنسبة لمجموعة من المرضى السيكايترين عددها ٣٠٠ بلغ الوسيط ١٥,٧ دقيقة (م = ١٨,١ ع= ٥,٠٣) والفرق بين المتوسطين دال فيما بعد ٠,٠٠١.

ثانياً: الثبات:

حصل المقياس على معاملات ثبات مرتفعة بإعادة الاختبار لكل الدرجات الأساسية في الصورتين وهناك عدد آخر من الدلائل على ثبات الدرجات في هذا المقياس. وقد استخدم كونجدون في دراسته على مرضى سيكايترين صورة مختصرة من المقياس وظل معامل الثبات الذي حصل عليه مرتفعاً إذ بلغ ٠,٨٨ للدرجة الكلية

الموجبة. ويتوافر دليل آخر على ثبات المقياس كما يتضح من التشـابه المميز لأنماط البروفيل من خلال إعادة القياس للأفراد أنفسـهم علـى مدى فترات زمنية طويلة. وقد أوضح المؤلف، من خلال تحليل عـدد مختلف من أنماط البروفيل أن الملامح المميزة لبروفيلات الأفراد تظل كما هي لدى أغلب الأفراد لمدة عام تال أو أكثر. ويتعلق بهذا أيضـاً حقيقة أن معاملات الثبات لقطاعات البروفيل المختلفة والمستخدمة فـي حساب درجة و ح يقع أغلبها في المدى من ٠,٨ إلى ٠,٩.

ثالثاً: الصدق:

استخدمت أربعة إجراءات مختلفة لتقدير الصدق هي:

- صدق المضمون.
- الارتباط بمقاييس أخرى للشخصية.
- التمييز بين المجموعات.
- تغيرات الشخصية تحت ظروف معينة.

أولاً: صدق المضمون:

والهدف هنا هو ضمان الثقة في النظام التصنيفي المستخدم في درجات الصفوف ودرجات الأعمدة. إن البند كان يستبقي في المقيـاس عندما يتحقق إجماع تام بين المحكمين علـى أنـه مصنـف تصنيفـاً صحيحاً. وعلى هذا فيمكننا من منظور منطقـي افـتراض أن فئـات المقياس ذات معنى وأنها ذات قيمة اتصالية عامة.

ثانياً: التمييز بين المجموعات:

تفترض بحوث الشخصية ونظرياتها أن المجموعـات التـي تختلف في أبعاد معينة للشخصية تختلف بالمثل في مفهوم الذات. مثال ذلك أن علينا أن نتوقع فروقا بين المرضى النفسيين وغير المرضـى، وبين الجناحين وغير الجناحين، بين الشخص العادي وبين الشـخص

غير المتوافق نفسياً وتلخص أحد مناحي الصدق فـــي تحديــد كيــف نستطيع التمييز بين هذه المجموعات عن طريق تطبيق المقياس.

ثالثاً: الارتباطات بمقاييس أخرى:

استخدمت طريقة أخرى للصدق تمثلـــت فـــي تحديــد مـــدى التناظـــر بين الدرجات على المقياس والمقاييس الأخرى التي يتوقـــع التنبؤ بارتباطها بها. مثل الارتباطات ببطارية ميتسوتا متعدد الأوجـــه للشخصية والارتباطات بقائمة التفصيل الشخصي لأدواردز وجـــاءت الارتباطات جميعها مرتفعة.

رابعاً: التغيرات في الشخصية تحت ظروف معينة:

يبدو أنه من المنطقي أن نتوقع أن الخبرات المعيشية المعينـــة يمكن أن تكون لها نتائجها المتمثلة في الطريقة التي يرى بها الشخص نفسه. كما يتوقع بالمثل أن يؤدي العلاج النفسي أو أية خبرات إيجابيـة إلى تعزيز وترسيخ مفهوم الشخص عن ذاته. بينما يتوقع من التوتر أو الفشل نتيجة تخفض من اعتبار الشخص لذاته، فقد اســتخدم المؤلــف المقياس في دراسة غير منشورة أجريت على ست مريضـــات تحـــت العلاج الجماعي للتنبؤ بالتغيرات المحتملة خــــلال العــلاج، وطبـــق المقياس مع غيره من المقاييس على كل مريضة قبل العـــلاج، وقــد وضع على أساس بيانات الاختبار الأولى عدداً من التوقعات لكل فــرد في ضوء التغير في الأداء على المقياس والذي يمكن حدوثـــه نتيجـــة للعلاج. وكان المجموع الكلي للتوقعات يبلغ ٨٨ توقعا وأعيد تطبيـــق المقياس بعد فترة تتراوح بين خمسة وثمانية شهور. ومن بين الــــ٨٨ تنبؤاً التي وضعت تأيدت صحة ٥٠ منها (باحتماليـــة لا تقــل عـــن ٠,٠٠١).

هذا وقد قام كل من صفوت فرج، وسهير كامل[*] ترجمة وإعداد المقياس بالعربية وأصبح المقياس من المقاييس الواسعة الانتشار في مصر والدول العربية وتم استخدامه في عديد من البحوث والدراسات سواء من قبل معدي المقياس أو من غيرهم من الباحثين.

رابعاً: الأساليب الاسقاطية:

إن القيمة الكبرى للتكنيك الاسقاطي يكمن في الاسهامات التي قومها في مجال بحوث الشخصية فيستطيع الباحث أن يتعرف على أفكار الناس غير القادرين أن يتحدثوا عنها، ويتعرف على دوافعهم الداخلية اللاشعورية وافتراضاتهم "Assumptions" وطرائقهم في نظرتهم للعالم، وهناك العديد من الاختبارات الاسقاطية في ميدان الشخصية، ويعد اختبار بقع الحبر لهرمان رورشاخ واختبار تفهم الموضوع TAT لهنرى موري من أشهر اختبارين اسقاطيين، ويمكننا أن نحدد معنى التكنيك الاسقاطي بأنه العملية التي عن طريقها يمكن الكشف عن دوافع ورغبات الفرد ونزعاته وحاجاته باستخدام مثير غامض غير متشكل إلى حد ما يقوم الفرد بتفسيره وتأويله، كما يعرف كلفن هال في كتابة علم النفس الفرويدي والذي كان محاولة منه لاستخلاص آراء سيجموند فرويد من واقع أبحاث فرويد ذاتها – يعرف الاسقاط بأنه ميكانيزم دفاعي من ميكانيزمات الدفاع في الأنا، فحين يشعر شخص بقلق ناجم، ضغط على الأنا آت من "الهو" أو "الأنا الأعلى" ففي وسعة أن يحاول التخلص من قلقه بنسبة السبب فيه إلى العالم الخارجي، فبدلا من أن يقول "أنا أكرهه"، في وسعه أن يقول "هو يكرهني أو بدلاً من أن يقول "أن ضميري يزعجني" يمكن أن يقول

(*) صفوت فرج، سهير كامل: مقياس تنسي لمفهوم الذات. الأنجلو المصرية، ١٩٩٨

"أنه يزعجني" ففي الحالة الأولى ينكر الشخص أن العداء صادر من "الهو" وينسبه إلى شخص آخر، وفي الحالة الثانية ينكر الشخص مصدر مشاعر الإضطهاد وينسبها لشخص آخر، ويطلق على هذا النمط من دفاع "الأنا" ضد القلق العصابي والأخلاقي الاسقاطي.

وإن ما يحاول "الأنا" عمله حين يستخدم "الاسقاط" هو تحويل القلق العصابي أو الأخلاقي إلى قلق موضوعي فالشخص الذي يخاف من دوافعه العدوانية والجنسية يحصل على شيء من الراحة من قلقه بأن ينسب العدوان والجنسية إلى أناس آخرين فهم وحدهم العدوانيون وهم وحدهم الجنسيون لا هو. وبالمثل الشخص الذي يخاف من ضميره يواسي نفسه بفكرة أن أناساً آخرين مسئولون عن إزعاجه وليس ضميره، وأن هذا التحول غرضه هو تحول خطر داخلي من "الهو" أو "الأنا الأعلى" يصعب على "الأنا" احتماله إلى خطر خارجي أيسر "للأنا" مواجهته ــ فللشخص عادة فرص أكبر ليتعلم كيف يواجه مخاوف موضوعية عن قدرته على اكتساب الحنكة في التحكم في القلق العصابي والأخلاقي.

ويعرف "فرويد" الاسقاط في مجال ما يسمى بعلم النفس الاسقاطي Projective psychology بأنه "حيلة نفسية ينسب فيها الشخص سماته الذاتية وعواطفه وميوله لموضوعات بيئية على أشخاص وأشياء" فالاسقاط هنا لا يقتصر على كونه حيله دفاعية، وإنما يفهم بالمعنى الواسع للفظة ومن ثم فهو أساس لما يعرف بالطرق الاسقاطية "Projective methods" مثل اختبار بقع الحبر "لرورشاخ" واختبار تفهم الموضوع "لهنري موراتي" وهي أساليب غير مباشرة تكشف عن اتجاهات الفرد بأن تجعله يستغرق في أداء يستعين

فيها على قدرته على التمثيل والابتكار بحيث يغفل عن الضبط الإرادي ويتجنب الحرج إن وجه إليه سؤال مباشر.

وفي مجال التحليل النفسي يشير الاسقاط إلى حيلة لا شعورية من حيل "الأنا" بمقتضاها ينسب الشخص إلى غيره ميولاً وأفكاراً مستمدة من خبرته الذاتية يرفض الاعتراف بها لما تسببه من ألم وما تثيره من مشاعر الذنب، فالاسقاط يعتبر بمثابة وسيلة للكبت أي أسلوب لاستبعاد العناصر النفسية المؤلمة من حيز الشعور والعناصر التي يتناولها الاسقاط يدركها الشخص ثانية بوصفها موضوعات خارجة منقطعة الصلة بالخبرة الذاتية الصادرة عنها أصلاً.

ولقد ميز موراي بين نمطين رئيسيتين من الاسقاط، يشار إلى الأول عادة كاسقاط تكميلي Complementary projective ويدل على ميل الفرد إلى إدراك بيئته أو فهمها بطريقة تجعلها تتفق مع حاجاته وعواطفه ودفاعاته أو تبررها، والثاني فيسمى الاسقاط الإلحاقي Supplementary projective ويخلع المفحوص في هذه الحالة على الموضوعات أو الأشخاص في البيئة الصفات التي يمتلكها هو والتي تكون في العادة غير مقبولة لديه. وفي استخدام الاختبارات الاسقاطية في دراسة الشخصية عديد من المميزات يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- إن الموقف المثير الذي يستجيب له الفرد غير متشكل وناقص التحديد والانتظام، من شأن هذا أن يقلل التحكم الشعوري للفرد في سلوكه بشكل يترتب عليه سهولة الكشف عن شخصيته فإذا كان الفرد ــ حسب الفرض الاسقاطي ــ حين تُعرض عليه مثيرات من نوع ما يقوم بتنظيمها وتشكيلها حسب دوافعه ومدركاته

واتجاهاته وأفكاره وانفعالاته وعواطفه وجميع مظاهر شخصيته فإن من الممكن للمختبر في هذه الحالة أن يستخدم هذا السلوك كوسيلة اسقاطية للكشف عن شخصية المفحوص. وتبين من الناحية العملية أن تنظيم المفحوص للمواقف التي تتميز بنقص التشكيل والانتظام والتي تعرف بالاختبارات الاسقاطية يكون أكثر تعبيرا عن شخصية الفرد ودوافعه ونزعاته، من الاختبارات الموضوعية ذات المادة المحددة فكلما قل الانتظام التكويني المثير وقل تحديده، اتسع مدى التعبير عن الذات وعظمت إمكانيات التأويل والتفسير، وكان الفرد أقل خضوعاً للعوامل الموضوعية للمثير.

- إن الفرد يستجيب للمادة غير المتشكلة التي تعرض عليه دون أن تكون لديه أي معرفة عن كيفية أو من أي جهة سوف يتم تقدير هذه الاستجابات. فدلالة المنهج أو الطريقة غير معرفة لدى الفرد، ومن ثم فإن إنتاجه سوف لا يتأثر بالآراء إلى حد بعيد.
- كما أنها تمثل نزعة من جانب الفرد – ليعبر عن أفكاره ومشاعره وانفعالاته ورغباته – في تشكيل المادة غير المتشكلة نسبياً.
- الميزة الرابعة لهذه الاختبارات الاسقاطية هي أنها لا تقيس نواحي جزئية أو وحدات مستقلة تتألف منها الشخصية في مجموعها بقدر ما تحاول أن ترسم صورة للشخصية ككل ودراسة مكوناتها وما بينها من علاقات دينامية، فهي إذن تساير النظريات الحديثة في علم النفس والتي تنظر إلى الشخصية نظرة دينامية كلية أكثر مما تنظر إليها باعتبارها مجموعة من السمات التي تظهر لدى الفرد حين يستجيب لهذه المثيرات الجزئية المختلفة.

هذا وبعد عرضد لأهمية المنـــهج الاســقاطي فـــي دراســة الشخصية ومميزاتها سوف نقدم في الجزء التالي نموذج للاختبـــارات الاسقاطية وهو اختبار تفهم الموضوع (التات) لهنرى موراي.

اختبار تفهم الموضوع

Thematic Apperception Test (T.A.T.):

يعتبر اختبار تفهم الموضوع TAT في مقومـــه الاختبـــارات الاسقاطية لدراسة الشخصية وهو يهدف إلى الكشـــف عـــن الدوافـــع والانفعالات، وأنواع الصراع، والمشاعر، والحاجات، والعقد النفســية، والتخيلات، كما يكشف عـــن النزعـــات المكفوفـــة التـــي لا يرغـــب المفحوص الكشف عنها أو النزعات المكبوتة التي لا يكـــون واعيـــاً شعورياً بها، فهو بذلك يعد أداة جيدة في بيان ديناميات الشخصية.

وطبقاً لمؤلف الاختبار (هنري موراي Murray) فإن التـــات يشكل أداة مفيدة في الدراسة الشمولية للشخصية.

وقد وضع موراي اختبار التات عام (١٩٣٥) ويتكـــون مـــن سلسلة من الصور تتراوح في درجة غموضـــها أو تحديـــد بنيانـــها، تعرض على المفحوص واحدة بعد الأخرى ويطلب منه أن يســـتجيب لها بذكر القصة التي تخطر له عند رؤية الصورة.

وتكشف استجابات المفحوص لهذه الصور عن جوانب هامـــة لحاجات المفحوص واتجاهاته وصراعاته وتوحده، ومستوى طموحـــه، وعن مفهوم الذات.

ويستند استخدام الاختبار بهذا الأسلوب على عدد من الأســـس أهمها:

- نزعة الفرد إلى تفسير موقف إنساني غامض في ضوء خبرات الماضي وحاجات الحاضر.
- توفر هذه النزعة في الاستجابة للصور ـ بالقصص التي تتمثل فيها خبرات المفحوص ـ التعرف على عواطفه وحاجاته سواء أكانت شعورية او لاشعورية.
- إذا قدمت الصور بوصفها اختبار للقدرة على التخيل فإن اهتمام المفحوص وحاجته إلى التأييد الاجتماعي يمكن أن يستثار إلى الحد الذي لا يشعر فيه بالحاجة إلى الدفاع عن الذات ضد استثارات الفاحص، فيكشف بذلك عن نفسه دون أن يدري، وهو ما يصعب تحقيقه عن طريق السؤال المباشر.

إن كفاءة اختبار التات في إظهار الديناميات والحوافز الدافعية تكمن في مقدرة الإجراء في مواجهة الدفاعات، وفي إيجاد ترابطات قد تكون مكبوتة عادة. وفي حالة امتثال المفحوص لتعليمات الفاحص بأن يحكي قصته، فإن المفحوص ينهمك في المهمة المطلوبة منه حتى أنه ينسى ذاته الحاسة وضرورة دفاعها في مواجهة محاولة الفاحص سبر أغواره أي أن مهمة قص القصة تخلق حالة من الأبعاد النفسي تسهل التعبير عن الأفكار التي يتجنب المفحوص التعبير عنها في الأحوال العادية.

الاستجابة في صورة لفظية أو مكتوبة، مثلها أي نتاج سيكولوجي، يكون لها سبب كما يكون لها معنى يتفاوت في درجة وضوحه أو غموضه وذلك هو مضمون الحتمية السيكولوجية.

فيقوم اختبار التات على أساس مبدأ الحتمية النفسية ومبدأ الحتمية النفسية يعتبر من الافتراضات الأساسية في تفسير نتائج اختبار تفهم الموضوع.

ويعد مبدأ الحتمية السيكولوجية حالة خاصة في قانون العلية بمعنى أن كل شيء يقال أو يكتب بوصفه استجابة لمثير، شأنه في ذلك شأن كل نتاج سيكولوجي له معناه وسببه الدينامي.

إذن فاختبار التات اختبار اسقاطي، أي أن القصص التي يستجيب بها المفحوص للصور هي اسقاطات أو هي شبه مشاعر وعواطف وحاجات ودوافع وخبرات المفحوص إلى الأشخاص وإلى الموضوعات في العالم الخارجي وهو في هذه الحالة يتمثل في الصور وطبقاً لمفهوم الاسقاط في التحليل النفسي، فإنه هذا الميكانيزم يستخدم للدفاع عن الأنا ضد قوى غير مقبولة وهي لاشعورية على الأقل جزئياً.

مواد الاختبار:

يتكون الاختبار من ٣١ بطاقة، طبعت على كل منها (عدا بطاقة واحدة) صورة على ورق أبيض مقوى، وتركت بطاقة واحدة بيضاء خالية من الصور، والبطاقات تصنف في مجموعات أربعة، اثنتان تطبق على ذكور وإناث أكبر من ١٤ سنة. واثنتان تطبق على ذكور وإناث من سن ١٤ سنة فأقل. وفي البطاقات إحدى عشر بطاقة ملائمة لكلا الجنسين وغيرهما مشتركة بين الراشدين والصغار، وبذلك تتكون البطاقات الخاصة لكل مجموعة من المجموعات الأربع من ١٩

صورة وبطاقة بيضاء، ويفضل كثير من المختصين النفسيين تطبيـــق عشر صور فقط يختارونها حسب الحالة المختبرة.

ودرج التطبيق المقنن لاختبار تفهم الموضوع علـــى تقســيم مجموعة الصور العشرين إلى قسمين كل قســم مــن عشــر صــور ويطبقان في جلستين منفصلتين وتوصـــف المجموعــة الثانيــة مــن البطاقات بأنها غير مألوفة، ودرامية، وغريبـــة بدرجــة أكــبر مــن المجموعة الأولى.

الثبات والصدق لاختبار TAT:

يرى "بلاك" أن من المشكلات العويصة التـــي يتعيــن علـــى السيكولوجيين الأكاديميين مواجهتها صعوبة تطويع الأساليب الإسقاطية للطرق المألوفة في تقرير الثبات والصدق، ففي بناء معايير لاختبـاران الذكاء والتحصيل يتبع منهج واضح، فتختبر عينة ممثلة للمجتمع وتبني المعايير على أساس منحنى التوزيع، ويقارن أي فرد بعد ذلك بالنســبة لأداء عينة التقنين، ونعين له نقطة معينة على منحنى التوزيع، ومثـــل هذا المنهج يصعب تطبيقه بالنسبة للأساليب الاسقاطية، فيكـــون مـــن المتعذر اختبار عينة تمثل قطاعاً كبيراً من المجتمع، وبخاصة بالنسـبة لاختبار مثل التات قائم على أساس تحليل المضمون دينامياً إذ أن هــذا المضمون يتأثر تأثراً لا نهائياً بالأبنية الحضارية ــ الفرعية الكثـــيرة بقدر أكبر بكثير مما هو الحال بالنسبة لمقاييس الذكاء أو حتى اختبـــار الروروشاخ.

ويرى هولت "Robert, R. Holt" أن اختبار التـــات ليـــس اختباراً بالمعنى المفهوم في اختبارات الذكاء، وبالتالي فإنـــه يصعــب

تطبيق مفاهيم الثبات والصدق عليها بغير كثير من التحفظ، فالتات يقوم لنا قطاعاً من السلوك الإنساني يمكن تحليله بعدد متنوع من الطرق ويشكل أساساً لاستنتاجات عن خصائص شخصية عديدة، وإلا فقد نتساءل ما هو ثبات وصدق السلوك اليومي؟

(أ) ثبات الاختبار:

يقرر "تومكنز" أن معامل ثبات الاختبار عن طريق إعادة تطبيقه مرة أخرى قد يصل إلى ٠,٨ أو ٠,٩ وذلك باستخدام طريقة موراي في تقدير الحاجة والضغوط، ويتوقف حجم معامل الثبات على عوامل منها: الفترة بين مرتي تطبيق الاختبار، ودرجة الصلابة والمرونة لدى المفحوص، والجانب الثالث الهام من جوانب الثبات هو الاتفاق بين المصنفين أو المفسرين المختلفين لنفس الاستجابات.

ويقرر "هولت" أنه كلما كان نظام التصنيف مبسطاً ويشتمل على فئات كبرى فإنه يكون من الأسهل الحصول على ثبات مناسب، ولهذا السبب فإن معاملات ثبات تصنيف فئات معقدة وعالية التمايز مثل الفئات التي استخدمها "آرون" تكون عادة غير مرتفعة، في حين ترتفع معاملات ثبات التصنيف على أساس فئات قليلة ومبسطة.

وقد أوضح موراي في العيادة النفسية في جامعة هارفارد، أنه من الممكن استخدام نظام الفئات الذي أعده، الحاجات ــ الضغوط مع تحقيق معامل اتفاق مرتفع، فقد درب مصنفين آخرين تدريباً متعمقاً إلى الدرجة التي اتفقت فيها تقديراتهما مع تقديراته بمعامل ٠,٩.

(ب) صدق التات:

إن أي تقرير مبنى على التات يتوقف على العوامل التالية:

- قدرة وخبرة القائم بالتفسير.

- نظام التصحيح والتفسير المستخدم.
- النوع المعين للتنبؤ أو التقدير الذي يطلب من المفسر القيام به.

وقد أوضح عدد كبير من الدراسات صدق التات لأغراض متعددة وأن الاختبار في يد أخصائي مدرب ماهر يمكن أن يمدنا بفروض يتعين إخضاعها للبرهان بطرق أخرى، كما أنه في يد الباحث الجيد يمكن أن يكون أداة لها قيمتها.

معايير التات:

يتوفر للباحث قدر معتدل من البيانات حول خصائص الاستجابات الشائعة لبطاقات التات، توضح الطريقة التي تدرك بها غالباً كل بطاقة منها وعن الموضوعات التي تدور حولها، والأدوار المنسوبة إلى شخصياتها والانفعالات المعبر عنها، وسرعة الاستجابة وطول القصص وما شابه ذلك.

وقد اقترح (موراي) كما اقترح غيره من الباحثين طريقة كمية لتقدير الاستجابات، وهناك جوانب معينة في كل بطاقة يمكن اعتبارها معطيات، وقد يكون الاختلاف عنها تجنباً أو سوء تفسير أو تحريفاً، وقد يكون لكل منها دلالته الكلينيكية.

تطبيق الاختبار:

يطبق الاختبار على أساس المقابلة الفردية وتجمع البيانات من مرحلة القصة الأصلية أو الاستجابة التلقائية والاستفسار.

ويقدم الفاحص التعليمات الآتية على المفحوص:

"سوف أعرض عليك بعض الصور، واحدة بعد الأخرى، وأود منك أن تذكر لي قصة توضح ما يحدث في كل صورة في هذه

اللحظة، وما الذي أدى إليه، ومشاعر وأفكار شخصيات القصة، وما سوف تكون عليه النتيجة".

- كما يجب أن يذكر الفاحص للمفحوص في بداية المقابلة أن هذا الاختبار للقدرة على التخيل، وهو شكل من أشكال اختبارات الذكاء، وعليه أن يشعر بحرية تامة في ذكر أي قصة يريدها على أن تكون للقصة بداية ونهاية.

- كما يجب على الفاحص توجيه أسئلة استفسارية لاستكمال جوانب القصص، ذلك بعد أن ينتهي المفحوص من ذكرها جميعاً، ثم يطلب الفاحص من المفحوص أن يحاول تذكر مصادر كل قصة، وهل هي من واقع خبراته الخاصة، أم من واقع خبرات أصدقائه أو أقاربه أو معارفه، أم هل هي مستمدة من كتب أو أفلام سينمائية. حيث أن مصادر القصص في رأي (موراي) هي أما الكتب أو الأفلام أو الأحداث التي وقعت للمعارف أو خبرات المفحوص نفسه أو تخيلاته وأوهامه الشعورية واللاشعورية، ومع ذلك فإن المفحوص أميل إلى أن يذكر ما يتفق مع خبراته وحاجاته.

- كما يُطلب من المفحوص أيضاً انتقاء الصور التي يفضلها أكثر من غيرها وتلك التي يفضلها أقل من غيرها. وكذلك يجب أن يستفسر عن مشاعر المفحوص نحو البطل في كل قصة وتقييمه لسلوكه.

- وفي حالة تقديم البطاقة رقم (١٦) "البطاقة البيضاء" يقوم الفاحص بتوجيه التعليمات التالية: "أنظر ما يمكن أن تراه في هذه البطاقة البيضاء، تخيل صورة فيها وصفها لي بكل تفاصيلها".

وفيما يلي وصف "موراي" للبطاقات:

البطاقة رقم (١):

صبي يتأمل كتاب موضوع على مائدة ويستند على المائدة التي أمامه.

البطاقة رقم (٢):

منظر ايعني في مقدمته امرأة صغيرة تحمل كتباً في يدها، وفي المؤخرة رجل يعمل وامرأة أكبر سناً تتطلع.

البطاقة رقم (٣) ص. ر:

صبي يجلس على الأرض ويستند برأسه وذراعه الأيمن على كتبه، ويوجد بجواره على الأرض مسدس.

البطاقة رقم (٣) ف. ن:

امرأة شابة تقف منكسة الرأس، تغطي وجهها بيدها اليمنى بينما تمد زراعها اليسرى إلى للأمام مستندة إلى باب خشبي.

البطاقة رقم (٤):

امرأة تتعلق بكشف رجل يناى بوجهه وجسمه عنها كما لو كان يحاول الابتعاد.

البطاقة رقم (٥):

امرأة متوسطة العمر تطل على الحجرة من باب نصف مفتوح.

البطاقة رقم (٦) ص. ر:

امرأة عجوز قصيرة تقف مولية ظهرها نحو رجل طويل وصغير السن وهو ينظر إلى الأرض نظرة تتسم بالحيرة والاضطراب.

البطاقة رقم (٦) ف. ن:

امرأة شابة تجلس على حافة أريكة تنظر خلفها إلى رجل أكبر منها في السن يدخن غليوناً ويبدو أنه يخاطبها.

البطاقة رقم (٧) ص. ر:

رجل أبيض الشعر ينظر إلى شاب يتأمل في الفضاء.

البطاقة رقم (٧) ف. ن:

امرأة متقدمة في السن تجلس على أريكة بجوارها فتاة تحادثها أو تقرأ لها، تمسك الفتاة في يدها لعبة أو دمية في حجرها وتنظر بعيداً.

البطاقة رقم (٨) ص. ر:

مراهق ينظر بعيداً وتبدو ماسورة بندقية في جانب، وفي المؤخرة منظر عملية جراحية تبدو، وكما لو كانت كابوساً أو حلماً أو خيالاً.

البطاقة رقم (٨) ف. ن:

امرأة شابة تجلس معتمدة على يدها وتنظر إلى الفضاء.

البطاقة رقم (٩) ص. ر:

أربعة رجال في "أوفرول" مسترخين على الحشيش.

البطاقة رقم (٩) ف. ن:

امرأة شابة تمسك بيدها مجلة وكيس وتنظر من خلف شجرة إلى امرأة أخرى في ملابس حفلة وتجري على شاطئ البحر.

البطاقة رقم (١٠):

امرأة شابه تستند برأسها إلى كتف رجل.

البطاقة رقم (١١):

طريق على حافة منخفض عميق يقع بين مرتفعـــي عـــاليين، أعلى الطريق عن بعد، توجد مخلوقات غامضة ويبرز مـــن الحـــائط الصخري على أحد الجانبين رأس وعنق طويلين لتنين.

البطاقة رقم (١٢) ص. ر:

شاب صغير يرقد على كنبة وعيناه مغلقتان وينحنى عليه رجل عجوز يده ممتدة فوق وجه الشاب.

البطاقة رقم (١٢) ف. ن:

امرأة شابة وفي المؤخرة صورة امرأة عجوز تغطي رأســـها بشال وهي عابسة تنظر متفحصة ويبدو عليها الإرهاق.

البطاقة رقم (١٣) ر. ن:

.شاب واقف يخفي رأسه المنكسة بذراعه وفي الخلف صـــورة امرأة راقدة في فراش.

البطاقة رقم (١٣)ص :

منزل من الخشب بابه مفتوح وأمام الباب يجلس طفل صغـــير يسند مرفقيه إلى ركبتيه ورأسه سند إلى راحة اليدين.

البطاقة رقم (١٣) ف:

المنظر كله يمثل سلالم حلزونية وهناك فتاة صغـــيرة تطلـــع السلالم ويمسك بجدار السلم.

البطاقة رقم (١٤):

شخص مستند إلى فتحة بيضاء لنافذة، والصورة كلها سوداء.

البطاقة رقم (١٥):

رجل عابس يداه مشتبكتان، يقف وسط المقابر.

البطاقة رقم (١٦):

بطاقة بيضاء خالية من أي شكل وفيها يطلب من المفحـــوص أن يتصور صورة ما عليها هذه البطاقة ثم يصفها بالتفصيل.

البطاقة رقم (١٧) ص. ر:

رجل عاري الجسم متعلق بحبل، وهو إما أن يكون متسلقاً لـــه أو نازلاً عن عليه.

البطاقة رقم (١٧) ف. ن:

كوبري فوق مجرى ماء وانثى تستند إلى سور كوبري، وفـــي المؤخرة أبنية مرتفعة ونماذج صغيرة لرجال.

البطاقة رقم (١٨) ص. ر:

رجل تمسك به ثلاث أيادي من الخلف، إلا أن الممسكين بـــه غير ظاهرين في الصورة.

البطاقة رقم (١٨) ف. ن:

امرأة تمسك بخناق امرأة يبدو أنها تدفعها إلى سور السلم.

البطاقة رقم (١٩):

صورة غامضة مكونة من تجمعات سُحب فوق كشك مغطـــي بالثلوج في الخلاء.

البطاقة رقم (٢٠):

صورة شخص (رجل) أو امرأة، مستند إلى عمـــود مصبـــاح الإضاءة خافته، في الظلام الدامس.

المسلمات التي يقوم عليها تفسير نتائج الاختبار:

يورد لندزي المسلمات الهامة التالية:

- إذا قدم للفرد موقف منبه يسمح باستجابات مختلفة، فإن الاستجابات المعينة التي تصدر عنه تعكس أنماطه الاستجابية المميزة ونزعاته.
- إذا كانت الاستجابات الممكنة غير محدودة نسبياً، فإن نزعات الاستجابة سوف تكشف عنها في مدى أوسع مما يكشف عنه في حالة تحديد الاستجابات الممكنة.
- إذا تحرر موقف الاستجابة من قيود الواقع المألوفة، فإنه يمكن استثارة النزعات الاستجابية التي يتردد في الاعتراف بها والتي قد لا يكون واعياً بها، فضلاً عن النزعات الاستجابية التي يعرفها والتي لا يتردد في الاعتراف بها.
- هناك علاقة "تماثل" بين استجابات المفحوص في موقف الاختبار وسلوكه المميز، أي أن الاستجابات والدوافع المعبر عنها أو المتضمنة في موقف الاختبار توجد أيضاً بوصفها نزعات سلوكية من الحياة العادية للمفحوص، إلا أن الموقف أكثر تعقيدا من ذلك.
- الاستجابات التي تستثار من منبهات مختلفة يغلب أن تعكس جوانب هامة من الشخصية (تحليل رأسي).

عملية التفسير:

يمكن النظر إلى التفسير (من وجهة نظر لندزي) إلى أن:

- عملية تفسير الاستجابات للأساليب الاسقاطية ــ لا تختلف عن أي عملية استنتاج أخرى، فأمام المفسر من ناحية مجموعات من البيانات، وأمامه من ناحية أخرى عدد من الأبعاد التي يمكن استخدامها في وصفه للشخصية، ولكي يصل ما بين الاثنين فإنه

يستعين بقواعد تفسيرية نوعية فضلاً عن نظرية الشخصية في اتصالها بالأساليب الاسقاطية.

- ولعل أول وأبسط ما يستطيع المحلل اقتراحه هو أن مضمون الاستجابة يمثل بصورة مباشرة خصائص المستجيب، فإذا كانت القصة مثلاً تكشف عن نزعات عدوانية، فإن المستجيب يكون عدوانياً وهكذا... أي أننا نعالج أي نمط فردي من الاستجابة على أنه يشير إلى نمط مشابه للشخصية، وأن أي فروق في الاستجابة بين مجموعتين أو أكثر مصدره فروق في الخصائص الشخصية. وهذا هو المنهج المتبع غالباً في كثير إن لم يكن معظم الدراسات التي تستخدم فيها الأساليب الاسقاطية.

- في حالة المقارنة في استجابات مجموعتي فإن الطريق النموذجي هو أن يحول البيانات إلى صورة عددية، وأن يطبق بعض الأساليب الإحصائية لاختبار الفروق في التوزيع، وأن معظم المحللين قد استخدموا نوعاً من التحليل الكمي في تحليل بيانات الأساليب الاسقاطية، أي أن استخدام نوع من الاستدلال الإحصائي أمر ممكن.

- كما يذكر "لندزي" أهمية الدور الذي تلعبه عوامل المنبه في ضبط وتحديد الاستجابة للأسلوب الاسقاطي، ويعني ذلك أولاً أنه لا يمكن أن نطمئن إلى افتراض أن استجابات ذات طابع معين تدل بالضرورة على خاصية شخصية معينة فقد يثير المنبه عادة مثل هذه الاستجابات في معظم أو كل الأفراد، ويعني هذا الأمر ثانياً أنه إذا أردنا أن نقارن بين أداء مجموعتين فإنه يتعين أن نثبت المنبه حتى يمكن أن تكون المقارنة صادقة.

- قبل أن نقطع بأن الفروق بين مجموعتين ترجع إلى فروق في أبنية الشخصية يتعين معرفة شيء عن مستوى الذكاء والتعليم والثقافة والسهولة اللفظية.

- الظاهر مقابل الباطن: تكشف الاستجابات للأساليب الاسقاطية عن جوانب من السلوك شعورية ولاشعورية، ظاهرة وباطنة، عامة وخاصة، ونظراً لأن هذه الاستجابات تتحدد بعوامل عديدة، فإن المحلل للأساليب الاسقاطية لا يستطيع أن يفترض في سهولة أن تفسيراته تشير بصورة إليه إلى مستوى معين من السلوك. وقد يستعين ببعض تعميمات تقريبية تتصل بالظروف التي يمكن أن ينسب فيها استجابة معينة إلى مستويات معينة من السلوك، فمثلاً الدوافع التي تعبر عنها تحت ظروف بعيدة عن الحياة اليومية يغلب أن تكون لا شعورية أو باطنة. وتجنب مدركات مناسبة ترتبط بدوافع معينة يشير إلى العمل اللاشعوري لهذه الدوافع التي تتحقق عن طريق الاحباط والشعور بالذنب وتوقيع العقاب يغلب أن يكون لا شعورياً والدوافع التي يعبر عنها في مضمون إنجاز واقعي ومعقول يغلب أن تكون ظاهرة أو شعورية.

- ويرى بلاك أن المقارنة بين السلوك الظاهر والسلوك التخيلي في الاستجابات للاختبار أساس قيم للاستنتاج، فإذا كنا نعلم عن سلوك شخص بأنه يتسم بالهدوء والمسالمة، بينما تفيض كل قصصه بالدم والرعد فإنه يحق لنا أن نستنتج قدر كبير من العدوان.

ولنا قول آخر: أن الغاية من تطبيق اختبار التات في أي دراسة كلينيكية ــ هو تسجيل الحياة الداخلية للمفحوص ورسم

صورة كلية له في تكوينها الداخلي، والتعرف عليها عن طريق رؤية المفحوص لعالمه من خلال الأداة الاسقاطية.

- ويجب أن نركز على النظرة الكلية وليست النظـــرة الذريـــة فـــي معالجة نتائج الاختبار، لأن النظرة الذرية تقتـــل الإنســـان لأنـــها تتجاهل إننا باذاء وحدة كلية التي هي سبيلنا لفهم الجزئيات.

وإن نتائج الاختبار مرشدة وليست ملزمة، نحن نهتم في العمل الإكلينيكي بالوحدة الكلية.

وليست الجزئية، ونستطيع أن نقارن الموقف بما هو مـــألوف في التحليل النفسي، وتفسير الأحلام. ففي التحليل النفسي في العصـــاب هناك اصطلاحان هما الواقع المادي والواقع النفسي، فقد يتفق الواقـــع المادي الذي يتعرض له مجموعة من الأشخاص ولكـــن كـــل منـــها يستجيب لهذا الواقع المادي استجابة بناء على تكوينه النفسي الداخلـــي وهذا شيء هام يجب ألا نتجاهله حين نقوم بتفسير قصص المفحوص.

ففي التات يفسر الموقف حسب البناء النفسي الداخلي والـــذي يهمنا هو العالم الداخلي كيف يفرض نفسه على معطيات البطاقة بحيث تفسر تفسيراً شخصياً.

إن كل قصة من قصص التات تجعلنا نفترض فرضاً والقصـــة التي تليها تلغي هذا الفرض أو تدعمه أو تقتله ولـــهذا لا نســـتطيع أن نعتمد في التفسير على بطاقة واحدة.

وحين نقوم بتفسير البطاقة نعتمد على شكل البطاقة والواقـــع المادي، وتدخل في اعتبارنا مقارنة الشخص بالاستجابات الشائعة فـــي مجتمعه، ولو أمكن بمجتمعه وخارج مجتمعه، ثم ننسبه إلى مجتمعـــه

(فسمة الشهامة مثلاً واضحة لدى المصريين، والحرية الجنسية منتشرة في روما وباريس) فلابد وأن ننسب الاستجابة إلى الاستجابة الشائعة في نفس المجتمع.

في حالة التفسير يجب أن نفهم الشخصية بشكل مطلق (عدوانية ــ مستسلمة ــ اكتئابية) ثم نضع وننسب هذه الشخصية إلى المجتمع لنحدد موقعها، ويجب أن نأخذ في الاعتبار شيئين من ضوابط التفسير: الحاجة الأولى ــ الخصائص الموضوعية للبطاقة وأي نوع الموضوعات التي لابد أن تثيرها هذه البطاقة ــ ويهمنا النظر في أحد اتجاهين الزيادة أو النقصان.

والحاجة الثانية ــ الاستجابات الشائعة بمعناها الكلي وليست الذري.

إن المفحوص وهو يتحدث عن الشخصيات المختلفة في قصته إنما يسقط من عالمه الداخلي الخاص على هذه الشخصيات من حاجات ودوافع لا يمكن فصلها عن عالم المفحوص ذاته.

وعلى هذا تكون جميع الحاجات والدوافع التي عبر عنها المفحوص ونسبها إلى الشخصيات الواردة في قصته إن هي إلا تعبيراً عن حاجات ودوافع لجوانب متعددة. لكل واحد هو شخصية ونفسية وذات المفحوص.

إن اختبار "التات" يعطينا صورة كاملة للعالم النفسي للأبطال وهل هو مبني من العدوان، من النجاح، ــ من الجنس ..إلخ.

كما أن كل قصة لصورة كأنها قالب في مبنى والمبنى هو عالم المستجيب فميزة الاسقاطية أن نقوم بترجمة وقراءة سيكولوجية لعـالم المستجيب.

هذا وقد ابتدع العلماء لتفسير استجابات المفحوصيـن علـى اختبار "التات" طرائق شتى من أشـهرها طريقـة مـوراي مؤسـس الاختبار، وطريقة بلاك، وطريقة رابابورت وطريقة تومكنز، وطريقـة شتيرن وغيرهم.

وتنوعت أيضا طرق تقييم قصص "التات" وتنقسم إلى ثلاثـة أقسام:

- طريقة كمية تصلح للبحوث الإحصائية مثل طريقة موراي.
- طريقة وصفية تحليلية تخدم الأغراض الكلينيكيـة مثـل طريقـة رابابورت.
- وطريقة تجمع بين مزايا النوع الأول والنوع الثاني، بمعنى أنـها يمكن أن تستخدم في البحوث شبه التجريبية في الإحصائية وذلـك مثل طريقة بلاك.

وهناك العديد من المناقشات والمحاولات حول موضوع الكـم والكيف وانتهت إلى إجماع شامل بيـن جميـع العلمـاء والمفكريـن والفلاسفة عدا المجموعة السلوكية، بأن التصور هو الانتقال من الكـم إلى الكيف، فالفرق إذا كان في الدرجة فإن زيادة هذا الفـرق الكمـي تتصاعد إلى مرحلة يصبح فيها الفرق كيفياً وعلى هذا الأسـاس فـإن على أي باحث أن يختار طريقته فـي تفسـير وتقييـم بروتوكـلات الاختبـار وفقاً للفرض الذي يعمل من أجله ويهدف له.

قامت المؤلفة بعدد من الدراسات الكلينيكية باستخدام اختبـــار "TAT" ولم نلجأ إلى الطرق الكلاسيكية للتات مثل طريقة (مـــوراي) أو (بلاك) وإنما اتخذنا مستويين من التحليل.

ففي المستوى الأول: كانت محاولاتنا تكميـــم نتـــائج "التـــات" وصولاً إلى محاولة أكثر موضوعية لتمدنا بمؤشرات نســـتطيع فـــي ضوءها أن نصل إلى مستوى تحليلي ذو مدخل معياري إحصائي، وقد يصفه البعض بأنه أكثر موضوعية فهو تكميم للكيف.

إن مطلب التكميم (الكم) قد وضع أساساً كمطلـــب جوهـــري لتحليل المضمون لكل من استحسنوا أن تكون طرقهم أكثر علمية عـــن الطرق التحليلية الأخرى، الأكثر عرضه للنقد. وذكر الندزي أن كـــل البحوث الجادة يتعين أن تلجأ إلى نوع أو آخر من المعالجة الكميـــة، ولو في صورة توزيع في إحدى الفئتين نعم – لا أو موجود – غـــير موجود، وفي كثير من الحالات يحتاج المفسر إلـــى معرفـــة التواتـــر النسبي لاستجابة معينة مثل استجابات الحركة في اختبار "رورشاخ" أو شيوع موضوع أو سياق عدواني في الاستجابة لصور التات، وفي هذه الحالات فإن العد المباشر، والمعالجة الإحصائية يبدو أمـــراً منطقيـــاً ومرغوباً وممكناً.

إن أحد الوظائف الرئيسية للمعالجة الكميـــة هـــو تقديـــر دور عوامل الصدفة في الموقف، وهي عوامل تلعب دوراً هاماً في تحديـــد الاستجابة للأساليب الاسقاطية، ومن الوظـــائف الأخـــرى للمعالجـــة الإحصائية أيضاً والاسهام في الكشف عن العلاقات التـــي لا يمكـــن الكشف عنها عن طريق الفحص العارضي أو حتى الفحـــص الدقيـــق للبيانات.

كل هذا يساعدنا على التمييز بين الجوهر والعرض خاصة في حالة المقارنة بين الجماعات، فإن الطريق النموذجي هو أن تحول البيانات إلى صورة عددية وأن نطبق بعض الطرق الإحصائية لاختبار الفروق في التوزيع، أي أن استخدام نوع من التحليل الكمي في تحليل بيانات الأساليب الاسقاطية أمر ممكن.

والمستوى الثاني من التحليل: هو التعمق في حالات خاصة بعينها فهو أكثر عمقاً وهو ما يسمى "More depth" وصولاً لرسم صورة كلينيكية لتلك الحالات ونستطيع وصف هذا المستوى بأنه مستوى كيفي متعمق، ذلك لمعرفة الديناميات اللاشعورية والاهتمام بالجوانب الوجدانية والأدوار التي تلعب في شخصية العميل، مهتمين في هذ المرحلة بالفهم الكامل للحالة الفردية، مستندين في ذلك إلى نظرية التحليل النفسي، ونظرية موراي والتي تشارك التحليل النفسي في افتراض أن: الأحداث التي تقع في بداية العمر وفي الطفولة إنما هي محددات حاسمة لسلوك الراشد، وثمة تشابه آخر بين موقف "موراي" وموقف التحليل النفسي وهو الأهمية الكبيرة التي تعزى إلى الدوافع اللاشعورية، والاهتمام الشديد الواضح بتقارير الفرد اللفظية الذاتية أو الحرة والتي تتضمن تخيلاته، فقد كان موراي من بين أوائل علماء النفس الأكاديميين الذي وافقوا على تقبل ذلك الدور النفاذ للمحددات اللاشعورية في السلوك، وقد أوضح في أول تقاريره النظرية الرئيسية أنه ليس للعمليات السائدة جميعاً ما يربطها بالشعور، ومن الطبيعي تماماً أن تلك التي ليس لها ذلك الرباط إنما يتم تحديدها للسلوك دون وعي الفرد، ولا يكون الفرد غير واع لميول معينة تؤثر على سلوكه فحسب، بل إن الأكثر أهمية هو أن بعض تلك الميول

تدافع بقوة ضد هذا الشعور أو تدفعه بعيداً عنها، وهكذا فإن "مـــوراي" لم يقبل دور المحددات اللاشعورية للسلوك فحسب، بل إنه تحقق أيضــاً من عمل ميكانيزمات الكبت والمقاومة اللاشعورية.





مراجع الكتاب
أولاً: المراجع العربية.
ثانياً: المراجع الأجنبية.

مراجــع الكـــتـــاب

أولاً: المراجع العربية:

١- أحمد محمد عبدالخالق: الأبعاد الأساسية للشــــخصية، دار المعرفــة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠.

٢- أحمد عبدالخـــالق: أســس علــم النفــس، دار المعرفــة الجامعـــة، الإسكندرية، ١٩٩١.

٣- أحمد عبدالخالق: استخبارات الشــخصية، دار المعرفــة الجامعيـــة، الإسكندرية، ١٩٨٦.

٤- أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، الأنجلو المصرية، ١٩٨٠.

٥- أحمد زكي صالح: نظريات التعلم، النهضـــة المصريـــة، القـــاهرة، ١٩٧١.

٦- أنور محمد الشرقاوي: التعلم نظريات وتطبيقات، الأنجلو المصريـــة، القاهرة، ١٩٩١.

٧- أرنوف، ويتيج: مقدمة في علم النفس، ترجمة عـــادل عــز الديـــن الأشول وآخرون، دار ماكجر وهيــل للنشــر، ١٩٨٣.

٨- أرنوف ويتسج: نظريات ومشكلات في سيكولوجية التعلم، ترجمـــة عادل عز الدين الأشول وآخرون، دار مــاكجر وهيل للنشر، ١٩٨٤.

٩- أناستازي وجون فولر: سيكولوجية الفرق بين الأفراد والجماعات، ترجمة السيد محمد خيري، ومصطفى سويف، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، د.ت.

١٠- العارف بالله الغندور: نظريات علم النفس ومدخل الشخصية، دار الحكيم، د. ت.

١١- آرنك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، عالم المعرفة، ١٩٨٩.

١٢- آريك فروم: مهمة فرويد وتحليل لشخصيته وتأثيره، المؤسسة الجامعية للنشر، ١٩٨٧.

١٣- الفت محمد حفني: علم النفس المعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٢.

١٤- آميل توفيق: الشخصية، توجيهاتها وحاجاتها في نظرية أريك فووم، الأنجلو المصرية، ١٩٧٦.

١٥- أنسي قاسم: علم نفس التعلم، الأنجلو المصرية، ١٩٩٧.

١٦- أيزنك هـ. ج.: الحقيقة والوهم في علم النفس، ترجمة قدري حفني ورؤوف نظمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩.

١٧- أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، دار المعارف، ١٩٨٧.

١٨- أيزنك: مشكلات علم النفس، ترجمة جابر عبدالحميد ومحمود الشيخ، دار النهضة العربية، ١٩٦٤.

١٩- أيزنك: الأبعاد الأساسية للشخصية، ترجمة أحمد عبدالخالق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧.

٢٠- إبراهيم قشقوش: سيكولوجية المراهقة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٩.

٢١- أدوارد موراي: الدافعية والانفعال، ترجمة أحمد سومه وعثمان نجاتي، مكتبة أصول علم النفس الحديث، دار الشروق، ١٩٨٨.

٢٢- إبراهيم أبو زيد: سيكولوجية الذات والتوافق، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧.

٢٣- أسعد رزق: موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩.

٢٤- أنا فرويد: الأنا وميكانيزمات الدفاع، ترجمة صلاح مخيمر، الأنجلو المصرية، ١٩٨٢.

٢٥- إميل خليل بيرس: قضايا في التحليل النفسي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢.

٢٦- أحمد السيد إسماعيل: مشكلات الطفل السلوكية وأساليب معاملة الوالدين، دار الفكر الجامعي، ١٩٩٣.

٢٧- آمال صادق، فؤاد أبو حطب: نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسيني، الأنجلو المصرية، ١٩٩٠.

٢٨- أحمد محمد الزغبي: الإرشاد النفسي، دار الحكمة اليمانية، ١٩٩٤.

٢٩- أدغار بيشي: فكر فرويد، ترجمة جوزيف عبدالله، المؤسسة الجامعية للنشر، ١٩٨٦.

٣٠- إريك فروم: أزمة التحليل النفسي، ترجمة طلال عتريس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٨.

٣١- أوسبورن: الماركسية والتحليل النفسي، ترجمة سعاد الشرقاوي، مكتبة الدراسات النفسية والاجتماعية، دار المعارف، د.ت.

٣٢- أتوفينخل: نظريه التحليل النفسي في العصـــــاب، ترجمــة صـــلاح مخيمر، الأنجلو المصرية، ١٩٧٨.

٣٣- أحمد فايق: طبيعة الموضوعية في التفسير التحليلي، مجلـــة الفكـــر العربي: ١٩٧٠.

٣٤- أحمد فايق: الأمراض النفسية والاجتماعيـــة، دار آتـــون، القـــاهرة، ١٩٨٢.

٣٥- باترك ملاهى: عقدة أوديب في الأسطورة وعلـــم النفـــس، ترجمـــة جميل سعيد، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٦٢.

٣٦- بيرداكو: انتصار التحليل النفسي، ترجمة وجيه أسعد، د.ن، د.ت.

٣٧- باترسون: نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، ترجمة حـــامد الفقـــي، الكويت، ١٩٨١.

٣٨- جابر عبدالحميد: نظريات الشخصية ــ البناء ــ الديناميات ــ النمــو ــ طرق البحـــث ــ التقويــم، دار النهضـــة العربية، ١٩٩٠.

٣٩- جابر عبدالحميد: سيكولوجية التعلم ونظريات التعلم، دار النهضـــــة، ١٩٩٥.

٤٠- جابر عبدالحميد وآخرون: مقدمة في علـــم النفـــس، دار النهضـــة العربية، القاهرة، ١٩٨٥.

٤١- جابر عبدالحميد، وعلاء كفافي: معجم علم النفس والطب النفســـي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٩.

٤٢- جابر عبدالحميد: علم النفس التربوي، دار النهضة العربية، ١٩٩٤.

٤٣- جوردون إميلي وآخرون: اتجاهات علم النفس المعاصر، ترجمة عبدالله محمد عريف، منشورات جامعة قان بتونس، ١٩٩٣.

٤٤- جان بول سارتر: نظرية الانفعالات، ترجمة سامي علي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠.

٤٥- جيرالدس بلوم: الديناميات النفسية، علم القوة النفسية اللاشعورية، ترجمة رزق إبراهيم، دار النهضة العربية، ١٩٩٥.

٤٦- حامد زهران: قاموس علم النفس، دار عالم الكتب، ١٩٨٧.

٤٧- حامد زهران: علم نفس النمو، عالم الكتب، ١٩٩٠.

٤٨- حامد زهران: التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، ١٩٩٠.

٤٩- حامد زهران: الصحة النفسية، دار النهضة العربية، ١٩٩٥.

٥٠- حامد زهران: علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤.

٥١- حسين عبدالعزيز الدريني: المدخل إلى علم النفس، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥.

٥٢- حلمي المليجي: علم النفس المعاصر، دار النهضة العربية، د.ت.

٥٣- حنان العناني: الصحة النفسية للطفل، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٥.

٥٤- حسني الجبالي: التعلم مبادئ ونظريات، تطبيقات تربوية،د.ن، ١٩٩٧.

٥٥- جوليان رونز: علم النفس الإكلينيكي، ترجمة عطيه هنا، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٩.

٥٦- جيرالدس، بلوم: "الديناميات النفسية"، علم القوى النفسية اللاشعورية، ترجمة رزق ليله، النهضة العربية، ١٩٩٥.

٥٧- جان لابلاش. بونتاليس: معجم مصطلحات التحليل النفسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧.

٥٨- جبريل كالفي: سيكولوجية طفل الروضة، ترجمة طارق الأشــرف، دار الفكر العربي، ١٩٩١.

٥٩- حامد عبدالعزيز الفقي: دراسات في سيكولوجية النمـــو، دار القلـم للنشر، الكويت، ١٩٨٨.

٦٠- جون كونجر، بول موسى، جيروم كيجـــان: ســيكولوجية الطفولـــة والشخصية، ترجمة أحمد عبدالعزيـــز، جـــابر عبدالحميد، دار النهضة العربية، ١٩٨٧.

٦١- رمضان القذافي: الشخصية ــ نظرياتها ــ واختباراتـــها وأســـاليب قياسها، منشورات الجامعة المفتوحة، ١٩٩٣.

٦٢- زكريا الشربيني، يسرية صادق: تنشـــئة الطفـــل، الفكـــر العربـــي، ١٩٩٦.

٦٣- ريتشارد س لازاروس: الشخصية، ترجمة سيد غنيم، دار الشـــروق، ١٩٩٣.

٦٤- دالترج، كوفيل: الصحة النفسية، ترجمة محمود الزيـــادي، الأنجلـــو المصرية، ١٩٨٦.

٦٥- رمزية الغريب: التعلم، دراسة تفسيرية توجيهيه، الأنجلو المصريـــة، ١٩٧٦.

٦٦- ركسى نايت ومارجريت نايت: المدخل في علـــم النفـــس الحديـــث، ترجمة عيد علي الجسماني، مكتبة النهضـــــة، بغداد، ١٩٨٥.

٦٧- روبرت هاير: التحليل النفسي والعلاج النفسي، ترجمة سعد جـــلال، دار الكتاب المصرية، ١٩٧٤.

٦٨- دانييل لاجاش: المجمل في التحليل النفسي، ترجمة مصطفى زيـــور وآخـــرون، مكتبـــة الدراســـــات النفســـية والاجتماعية، د.ت.

٦٩- سول شيولنجر: التحليل النفسي والسلوك الجماعي، ترجمة محمـــود علي، دار المعارف، د.ت.

٧٠- سيد محمد غنيم: سيكولوجية الشخصية، محدداتها، قياسها، نظرياتها، دار النهضة العربية، ١٩٩١.

٧١- سارنوف أزمونيك، هوارد يوليو: التعلم، ترجمة محمد عماد الديـــن، دار الشرق، ١٩٨٩.

٧٢- سعد جلال: المرجع في علم النفس، القاهرة، دار الفكـــر العربـــي، ١٩٨٥.

٧٣- سعاد جاد الله: بحوث في علم النفس، الأنجلو المصرية، ١٩٨٠.

٧٤- سعد جلال: القياس النفسي، المقـــاييس والاختبـــارات، دار الفكـــر العربي، ١٩٨٥.

٧٥- سهير كامل أحمد: التوجيه والإرشـــاد النفســـي للصغـــار، مركـــز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٣.

٧٦- سهير كامل أحمد: الصحة النفسية والتوافـــق، مركـــز الإســـكندرية للكتاب، ٢٠٠٣.

٧٧- سهير كامل أحمد: الصحة النفسية للصغـــار، مركـــز الإســـكندرية للكتاب، ٢٠٠٣.

٧٨- سهير كامل أحمد: علم النفس الاجتماعي، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٢.

٧٩- سهير كامل أحمد: المدخل إلى علم الاجتماع، مركـــز الإســـكندرية للكتاب، ٢٠٠٢.

٨٠- سهير كامل أحمد: التنشئة الاجتماعية وحاجات الطفل النفسية، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٢.

٨١- سهير كامل أحمد: سيكولوجية الأطفال ذوي الفئات الخاصة، مركـــز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٢.

٨٢- سهير كامل أحمد: سيكولوجية نمو الطفل، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٢.

٨٣- سمير عبده: التحليل النفسي لرواد علم النفس الحديـــث، دار النشـــر بعليبكان، ١٩٩٤.

٨٤- شفيق فلاح حسان: أساسيات علم النفـــس التطـــوري، دار الجيـــل، بيروت، ١٩٨٩.

٨٥- سيجمند فرويد: الكف والعرض والقلق، ترجمة محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ١٩٨٩.

٨٦- سيجمند فرويد: ما فوق مبدأ اللـــذة، ترجمـــة اســـحق رمـــزي، دار المعارف، ١٩٥٢.

٨٧- سيد صبحي: أطفالنا المبتكرين، دراســـات فـــي الصحـــة النفســـية، القاهرة، ١٩٩٧.

٨٨- سيد صبحي: الشبع النفسي، القاهرة، د.ن.، ١٩٩٧.

٨٩- ستيوارت هـ. وآخرون: سيكولوجية التعلم، ترجمة فؤاد أبو حطب، وآمال صادق، دار ماكجروهيل للنشر، ١٩٨٠.

٩٠- سعد جلال: الطفولة والمراهقة، دار الفكر العربي، ١٩٨٥.

٩١- سناء محمد سليمان: سيكولوجية التعلم، د.ن، ١٩٩٠.

٩٢- سيد أحمد عثمان: علم النفس الاجتماعي التربوي، الأنجلو المصرية، ١٩٨٦.

٩٣- سيد عبدالعال: نظريات علم النفس والمداخل الأساسية لدراسة السلوك الإنساني، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٨٦.

٩٤- سعد جلال: في الصحة العقلية والأمراض النفسية والعقلية والانحرافات السلوكية، دار الفكر العربي، ١٩٨٦.

٩٥- سهام درويش: مبادئ الإرشاد النفسي، دار الفكر، الأردن، ١٩٩٧.

٩٦- شاخت: الاغتراب، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٠.

٩٧- سيجمند فرويد: الذات والغرائز، ترجمة محمد نجاتي، النهضة العربية، بيروت، ١٩٦١.

٩٨- سيجموند فرويد: معالم التحليل النفسي، ترجمة محمد نجاتي، النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٦.

٩٩- سيجمند فرويد: تفسير الأحلام، ترجمة مصطفى صفوان، دار المعارف، ١٩٨٠.

١٠٠-سيجمند فرويد: علم ما وراء النفـس (الميتاسـيكولوجي)، ترجمـة جورج طرابيشـي، دار الطليعـة، بـيروت، ١٩٨٢.

١٠١-سيجمند فرويد: الطوطم والتابو: ترجمـة جـورج طرابيشـي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٣.

١٠٢-سيجمند فرويد: ثلاث رسائل في النظرية الجنسية، ترجمـة محمـد نجاتي، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٦.

١٠٣-سيجمند فرويد: الأنا والهو، ترجمـة محمـد عثمـان نجـاتي، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٨.

١٠٤-صالح حزين: سيكوديناميات العلاقة الأسرية والنظرية، الأنمـوذج، التكنيك، د.ت.

١٠٥-صفوت فرج، سهير كامل: مقياس تنسي لمفـهوم الـذات، الأنجلـو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨.

١٠٦-صلاح مخيمر: في علم النفس العام، النهضة العربية، د.ت.

١٠٧-صلاح مخيمر: المفاهيم ــ المفـاتيح فـي علـم النفـس، الأنجلـو المصرية، ١٩٨١.

١٠٨-صلاح مخيمر: المدخل إلى الصحة النفسـية، الأنجلـو المصريـة، ١٩٧٩.

١٠٩-صلاح مخيمر، عبده ميخائيل: سـيكولوجية الشـخصية، الأنجلـو المصرية، ١٩٦٨.

١١٠-طلعت همام: في علم النفس التربوي، د.ن، ١٩٨٤.

١١١- طلعت منصور وآخرون: أسس علم النفس العام، الأنجلو المصرية، ١٩٨٩.

١١٢- طلعت حسن عبد الرحيم: الأسس النفسية للنمو الإنساني، دار القلم للنشر، الكويت، ١٩٨٧.

١١٣- عادل عز الدين الأشول: سيكولوجية الشخصية، الأنجلو المصرية، ١٩٨٧.

١١٤- عبدالسلام عبدالغفار: مقدمة في الصحة النفسية، دار النهضة العربية، ١٩٩٠.

١١٥- عبدالمنعم الحفني: موسوعة أعلام علم النفس، مكتبة مدبولي، ١٩٩٣.

١١٦- علاء الدين كفافي: الصحة النفسية، دار هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٠.

١١٧- عزيز حنا داود وآخرون: الشخصية بين السواء والمرض، الأنجلو المصرية، ١٩٩١.

١١٨- عبدالحافظ محمد سلامة: وسائل الاتصال وأسسها النفسية والتربوية، دار الفكر، ١٩٩٣.

١١٩- عبدالرحمن عدس، محي الدين توق: المدخل لعلم النفس، دار الفكر، ١٩٩٥.

١٢٠- عبدالكريم الخلايله، عفاف اللبابيدي: طرق التفكير للأطفال، دار الفكر، ١٩٩٠.

١٢١- عبدالمجيد النشواني: علم النفس التربوي، دار الفرقان، ١٩٨٧.

١٢٢- عفاف اللبابيدي: سيكولوجية اللعب، دار الفكر، ١٩٩٣.

١٢٣- عبدالرحمن العيسوي: دراسات في علم النفس الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠.

١٢٤- عبدالمطلب القريطي: مدخل إلى الصحة النفسية، القاهرة، ١٩٩٠.

١٢٥- عطوف محمود ياسين: اختبارات الذكاء والقدرات العقلية بين التطرف والاعتدال، دار الأندلس، ١٩٨١.

١٢٦- على زيور: مدخل إلى علم النفس، دار الأندلس للنشر، ١٩٩٠.

١٢٧- على عبدالسلام على: تاريخ علم النفس ــ اتجاهاته القديمة والحديثة، النهضة المصرية، ١٩٩٥.

١٢٨- عباس محمود عوض: الموجز في الصحة النفسية، دار المعارف، ١٩٩٧.

١٢٩- عبدالمنعم الحفني: المعجم الموسوعي للتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، ١٩٩٥.

١٣٠- عبدالكريم الخلايلة، عفاف اللبابيدي: تطوير لغة الطفل، دار الفكر، ١٩٩٠.

١٣١- عثمان لبيب فراج: أضواء على الشخصية والصحة العقلية، النهضة المصرية، ١٩٨٠.

١٣٢- عبدالحليم محمد السيد وآخرون: علم النفس العام، مكتبة غريب، ١٩٩٠.

١٣٣- عطيه هنا: التوجيه التربوي والمهني، النهضة المصرية، ١٩٥٩.

١٣٤- عزيزة محمد السيد: الأبعاد الذاتية في نظريات الشخصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧.

١٣٥- على ماضي: النفس البشرية، تكوينها، اضطراباتها، علاجـــها، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

١٣٦- عبدالستار إبراهيم: أسس علم النفس، دار المريخ للنشر، ١٩٨٧.

١٣٧- على زيور، مريم سليم: حقول علم النفس، دار الطباعـــة بـــيروت، ١٩٨٦.

١٣٨- علاء كفافي: التنشئة الوالدية والأمراض النفسية دراســـة إمبريقيـــة كلينيكية، هجرس للنشر، ١٩٨٩.

١٣٩- على السيد سليمان: سيكولوجية النمو والنمو النفسي، دار الأندلـــس، ١٩٩٤.

١٤٠- عطوف محمود ياسين: علم النفس العيـــادي، دار العلـــم، بـــيروت، ١٩٨٤.

١٤١- عادل عز الدين الأشول: علم نفس النمو، الأنجلو المصرية، ١٩٨٢.

١٤٢- عبدالرحمن العيسوى: مشكلات الطفولـــة والمراهقـــة، دار العلـــوم العربية، ١٩٩٣.

١٤٣- على إسماعيل على: نظرية التحليل النفسي واتجاهاتها الحديثة فـــي خدمة الفرد، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥.

١٤٤- عزيزة سمارة، عصام النمـــر: ســـيكولوجية الطفولـــة، دار الفكـــر العربي، ١٩٩٣.

١٤٥- عبدالله عسكر: الأوديبية بين الأسطورة والتحليل النفســـي، الأنجلـــو المصرية، ١٩٩١.

١٤٦- عبدالعلى الجسماني: علم النفس وتطبيقاته الاجتماعيـــة والتربويـــة، بيروت، ١٩٩٤.

١٤٧- فرانك ــ سيفرين: علم النفس الإنساني، ترجمة طلعت منصور وآخرون، الأنجلو المصرية، ١٩٧٨.

١٤٨- فيصل عباس: الشخصية في ضوء التحليل النفسي، دار الميسرة، بيروت، ١٩٩٤.

١٤٩- فؤاد أبوحطب، عبدالحليم محمود: علم النفس والاجتماع، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ١٩٩٧.

١٥٠- فرج عبدالقادر: الشخصية ومبادئ علم النفس، مكتبة الخانكي، ١٩٧٩.

١٥١- فيصل عباس: التحليل النفسي للشخصية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤.

١٥٢- فيصل عباس: موسوعة علماء النفس والتربية، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٥.

١٥٣- فيصل عباس: أساليب دراسة الشخصية، التكنيكات الاسقاطية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩١.

١٥٤- فاخر عقل: التعلم ونظرياته، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٧٧.

١٥٥- فرج عبدالقادر طه وشاكر عطيه وآخرون: علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣.

١٥٦- فرج عبدالقادر طه: أصول علم النفس الحديث، دار المعارف، ١٩٨٩.

١٥٧- فيصل عباس: التحليل النفسي للذات الإنسانية، دار الفكر اللبناني، ١٩٩١.

١٥٨-كالفين هول وبارديز ليندزي: نظريات الشخصية، ترجمة فرج أحمد، قدري حفني، ولطفي فطيم، دار الشايع للنشر، ١٩٧٨.

١٥٩-كارل ج. يونج: علم النفس التحليلي، ترجمة نهاد حباطة، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٥.

١٦٠-كالفن س هول: مبادئ علم النفس الفرويدي، ترجمة رحام الكيال، الهيئة العامة للكتاب للنشر والتوزيع، ١٩٩٠.

١٦١-كمال بكداش: نظريات في علم النفس، د.ن، ١٩٨٦.

١٦٢-لطفي فطيم وأبو العزايم الجمال: نظريات التعلم المعاصرة وتطبيقاتها التربوية، النهضة المصرية، ١٩٨٨.

١٦٣-لويس مليكة: سيكولوجية الجماعات والقيادات، النهضة المصرية، ١٩٨١.

١٦٤-لندال دافيدوف: مدخل علم النفس، ترجمة سيد الطواب وآخرون، دار ماكجروهيل للنشر، ١٩٨٨.

١٦٥-لويس مليكة: علم النفس الإكلينيكي، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧.

١٦٦-ليلى كرم الدين: قراءات إضافية في سيكولوجية الشخصية، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٦.

١٦٧-لويس مليكة: التحليل النفسي والمنهج الإنساني في العلاج النفسي، النهضة المصرية، ١٩٩٠.

١٦٨-محمد سعد: الشخصية والقدرات العقلية، دار الإصلاح، ١٩٨٢.

١٦٩- ميخائيل أسعد: السيكولوجيا المعاصرة، الجـزء الأول، دار الجيـل، ١٩٩٦.

١٧٠- محمد عبدالغفار: المدخل لعلم النفس التعليمي، دار النهضة العربيـة، ١٩٨٧.

١٧١- محمد عبدالغفار: المدخل لعلم النفس الفارق، دار النهضة العربيـة، ١٩٨٧.

١٧٢- محمد فرغلي فراج: مدخل إلى علم النفس، دار الثقافـة، القـاهرة، ١٩٨٤.

١٧٣- محمد أبوالعلا: علم النفس، مكتبة عين شمس، ١٩٨٤.

١٧٤- محمد محروس الشناوي: نظريات الإرشاد والعـلاج النفسـي، دار غريب للطباعة، ١٩٩٤.

١٧٥- محمود عكاشه وآخرون: السلوك الاجتماعي، قراءات في علم النفس الاجتماعي وتطبقاته، د.ن، ١٩٩٨.

١٧٦- مصطفى سويف: علم النفس الحديث، معالمـه ونماذجـه، الأنجلـو المصرية، ١٩٧٨.

١٧٧- محمد سعيد فرج: البناء الاجتمـاعي والشـخصية، الهيئـة العامـة للكتاب، ١٩٨٠.

١٧٨- محمد عبدالظاهر الطيب: مبادئ الصحـة النفسـية، دار المعرفـة الجامعية، ١٩٩٤.

١٧٩- محمود الزيادي: علم النفس الإكلينيكي التشخيصي والعلاج، الأنجلـو المصرية، ١٩٨٨.

١٨٠- مصطفى فهمي: علم النفس الإكلينيكي، مكتبة مصر، ١٩٨٠.

١٨١- مصطفى فهمي: الصحة النفسية، دراسات في سيكولوجية التكيف، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٧.

١٨٢- مصطفى فهمي: الدوافع النفسية، مكتبة مصر، ١٩٨٧.

١٨٣- محمود الزيادي: أسس علم النفس العام، الأنجلو المصرية، ١٩٨٠.

١٨٤- محمد شحاته: تاريخ علم النفس ومدارسه، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦.

١٨٥- محمد عماد الدين إسماعيل: الشخصية والعلاج النفسي، دار الشوق، ١٩٨٧.

١٨٦- محمد عماد الدين إسماعيل: أصول علم النفس الحديث، دار الشروق، ١٩٨٩.

١٨٧- محمد عثمان نجاتي: علم النفس والحياة، دار القلم، الكويت، ١٩٩٥.

١٨٨- مجدي عبدالله: علم النفس العام، دراسة السلوك الإنساني وجوانبه، دار المعرفة الجامعية، الرياض، ١٩٩٦.

١٨٩- محمد شحاته: قياس الشخصية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥.

١٩٠- محمد عبدالمؤمن: سيكولوجية غير العاديين، دار الفكر الجامعي، ١٩٨٦.

١٩١- محمود أبو النيل: علم النفس الاجتماعي، دراسات مصرية وعالمية، الحضارة العربية، ١٩٧٥.

١٩٢- مصطفى فهمي: الشخصية بين سوائها وانحرافها، دار مصر للطباعة، ١٩٨٧.

١٩٣- محمد أحمد غالي، رجاء أبو علام: القلق وأمراض الجسم، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٩٧٧.

١٩٤- مدحت عبدالحميد: الصحة النفسية والتفوق الدراسي، دار النهضة العربية، ١٩٩٠.

١٩٥- محمد عودة، محمد عيسى: رؤية إسلامية في النمو الإنساني الطفولة والصبا، دار القلم للنشر، الكويت، ١٩٨٩.

١٩٦- مصطفى غالب: الجنس عند فرويد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٥.

١٩٧- محمد شعلان: الاضطرابات النفسية في الأطفال، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، ١٩٧٧.

١٩٨- محمد عماد الدين إسماعيل: الطفل من الحمل للرشد، دار القلم، الكويت، ١٩٨٩.

١٩٩- محمد عودة، ومحمد عيسى: الطفولة والصبا، دار القلم، الكويت، ١٩٩٣.

٢٠٠- مفيد نجيب وزيدان نجيب: النمو الانفعالي عند الأطفال، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩.

٢٠١- ملكة أبيض: الطفولة المبكرة والجديد في رياض الأطفال، لبنان، المؤسسات الجامعية للدراسات، ١٩٩٣.

٢٠٢- محمد أحمد النابلسي: الأمراض النفسية وعلاجها، مركز الدراسات النفسية، ١٩٨٧.

٢٠٣- محمد أحمد النابلسي: فرويد والتحليل النفسي، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٨.

٢٠٤- محمد أحمد النابلسي: أصول مبادئ الفحص النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩١.

٢٠٥-مصطفى زيور: في النفس (بحوث مجمعة في التحليل النفسي)، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣.

٢٠٦-محمود عبدالله صالح: أساسيات في الإرشاد التربوي، دار المريخ للنشر، ١٩٨٥.

٢٠٧-نوال محمد عطية: علم النفس التربوي، الأنجلو المصرية، ١٩٩٠.

٢٠٨-نعيمة الشماع: الشخصية، النظرية، التقييم ـ مناهج البحث، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٧.

٢٠٩-نعيمة عبدالكريم: دراسة نقدية للمفاهيم الأساسية عند أريك فروم، القاهرة، ١٩٨٦.

٢١٠-نوربير سلاني: المعجم الموسوعي لعلم النفس، أعلام علم النفس، ترجمة رالف رزق الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩١.

٢١١- هنري دماير: ثلاث نظريات في نمو الطفل ترجمة هدى قناوي، الأنجلو المصرية، ١٩٩٢.

٢١٢- هدى الناشف: استراتيجيات التعلم والتعليم، الفكر العربي، ١٩٩٣.

٢١٣- هاري ويلز: بافلوف وفرويد، ترجمة شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الثاني، ١٩٧٨.

٢١٤- هدى قناوي: الطفل وألعاب الروضة، الأنجلو المصرية، ١٩٩٥.

٢١٥-وينفر هوير: مدخل إلى سيكولوجية الشخصية، ترجمة مصطفى عشوى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥.

٢١٦-والترج كوفيل وآخرون: الأمراض النفسية، ترجمة محمود الزيادي، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٨٩.

٢١٧-والترج ــ كوفيل: الصحة النفسية، ترجمة محمود الزيادي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٨.

٢١٨-وودورث: مدارس علم النفس المعاصر، ترجمة كمال الدسوقي، دار المعارف، بيروت، د.ت.

٢١٩-يوسف الحجاجي: تصريح الشخصية في نظريات علم النفس، دار النهضة العربية، ١٩٨٦.

٢٢٠-يوسف مراد: مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.

٢٢١-يوسف عبدالفتاح محمد: الثقافة وسيكولوجية الشخصية (بحوث خليجية وعربية)، جامعة الإمارات، ١٩٨٦.

٢٢٢-ميلاني كلاين: التحليل النفسي للأطفال، ترجمة عبدالغني الديدي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤.

٢٢٣-هيليني دويتش: محاضرات في علم النفس، ترجمة فرج أحمد، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١.

٢٢٤-يوسف مصطفى القاضي وآخرون: الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، دار المريخ، جدة، ١٩٨١.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

225- Cross, R. D. (1995). Themes, Issues and Debates in Psychology. London: Hodder. and Stoughton.

226- Valentine, E. R. (1992). Conceptual issues in Psychology, 2nd edn. London: Routledge.

227- Howitl, D. and Owesu – Bempah, J.. (1994). The Racism of Psychology. Time for change. Hemel Hempstead: Harvester.

228- Matlin, M. (1992). Feminist Perspectives in therapy New York. Wiley.

229- Richards, D. (1996). Putting Psychology in Place: An introduction, from a critical Historical Perspective, London: Routledge.

230- Glassman W. E. (1995). Approaches to Psychology: 2nd edn Buckingham: o. u press.

231- Schulz, D. (1987). A History of Modern Psychology 4th edn. New York: Academic Press.

232- Pratkanis, A. and Aronson, E. (1991). The Age of Propaganda Every day uses and Abuses of persuanion. New York. Freeman.

233- Watson, P. (1978). War on The Mind, New York: Basic Books.

234- Kaplan R. M. and Saccuzzo, D. P. (1989). Psychological testing Principles. Applications and Issues, 2nd edn, California: Brooks Cole.

235- Kline, P. (1992). Psychometric Testing in Personnel Selection and Appraisal London: Croner.

236- Fairbairn, S. and Fairbairn, G. (eds) (1987) Psychology, Ethics and Change. London: Routledge & Kegan Paul.

237- Manning, A. and Dawkins M. S. (1991). Animal Behaviour Cambridge: Cambridge University Press.

238- Schwartz, B. (1989). Psychology of Learning and Behaviour 3rd edn. New York: Norton.

239- Walkers S. (1984). Learning Theory and Behaviour Modification London: Methuen.

240- Atkinson. R. L., Smith E. E. and Bem. D. J. (1993) Introduction to Psychology. 11th edn. Dr Lends. Fl': Harcourt. Brace Jovanovich

241- Wade, N. J. and Swanston M. (1991). Visual Perception, London: Routledge.

242- Shepherd. G. M. (1988) Neurobiology Oxford: Oxford University Press.

243- Carlson N R. (1991). Physiology of Behaviour Boston Mass. Allyn & Bacon.

244- Goleman D. (1995). Emotional Intelligence. London: Bloomsbury.

245- Plutchik R. (1994). The Psychology and Biology of Emotion London: Harper Collins.

246- Farthing G. W. (1992). The Psychology of Consciousness Englewood Cliffs. NJ: Prentice Hall.

247- Radford J. and Govier E. (eds) (1991). Atextbook of Psychology, 2nd edn. London. Routledge.

248- Eysenck M. W. (1982). Attention and Arousal: Cognition and Performance. Berlin: Springer verlag.

249- Eysenck. M. W. (1984). A Handbook of Cognitive Psychology. Brighton: Psychology Press.

250- Coregory R L. (1996). Eye and Brain 5th edn Oxford: Oxsford University Press.

251- Smith, P K. and Covie H. (1988) Understanding Childness Development Oxsford: Blackwell

252- Baddeley A. D (1990). Human Memory: Theory and PracticeLaurence Erlbaum Associates.

253- Birch A. (1997). Developmental Psychology From Infancy to Adulthood. 2nd edn. Basingstoke: Macmillan

254- Bowlby J. (1988). A Secure Base: Clinical Applications of Attachment Theory. London: Tavistock/ Routledge.

255- Durkin, K. (1995). Developmental Social Psychology: from infency to old age Oxford: Blackwell.

256- Bryant P. E. and Colman A. M. (eds) (1995). Developmental Psychology. Harlow: Longman.

257- Turner, J. S. and Helms, D.R. (1995). Lifespan Development, 5th edn. Orlands FL: Harcourt Brace.

258- Deaux, K., Dane, F. C. and Writhtsman, L. S. (1993). Social psychology in the go's, 6th edn Pacific Grove, CA: Broakescole.

259- Hogg M. A. and Vaughan, G. M. (1995). Social Psychology: An Introduction Hemel Hempstead: Prentice-Hall/ Harvester Wheatsheaf.

260- Duck S. (1995). Repelling the Study of Attraction. The Psychologist 8 Go 3.

261- Kitzinger C. and Coyle, A. (1995). Lesbian and Gay Couples: Speaking of Difference. The Psychologist, 8pp – 64- 9.

262- Hayes N. (1993). Principles of Social Psychology. Have: Lawrence Erlbaum.

263- Malin T. Brich A. and Hayward S. (1996). Comparative Psychology Basingstoke: Macnillan.

264- Eiser, J. R. (1986). Social Psychology: Atitudes. Cognition and Social Behaviour Cambridge: Cambridge University Press.

265- Hayes N. (1994). Foundation of Psychology, London. Routledgo.

266- Fonagy P. and Higgitt, A. (1984). Personality Theory and Clinical Practice. London: Methuen.

267- Hampson S, (1988). The Construction of Personality: An Introduction 2nd edn London: Routledge.

268- Freud. S. (1933/65). New Introductory Lectures on Psychoanalysis (J. Strachey ed and trans). New York: Norton.

269- Rogers G. (1969). Freedom to Learn Colombus, oh: Merrill.

270- Harrington R. (1993). Depressive Disorder in Childhood and Adolescence. Chichester: Wiley.

271- Davison, G. and Neals J. (1994). Abnormal Psychology 6th edn. New York: Wiley.

272- Nutt D. J. (1990). The Pharmacology of Human Anxiety Pharamacological Therapies. 47.223-226.

273- Rogers, C. (1961). On Becoming a Person. Boston. MA: Houghton Mifflin.

274- Coolican, H. (1994). Research Methods and Statistics in Psychology 2nd edn London: Hodder & Stoughton.

275- Coolicon. H. (1994). Research Methods and Statistics in Psychology 2nd edn London: Hodder & Stoughton.

276- Abrams D. and Hogg M. (1990a): Social Identity Theory: Constructive and Critical Advance. London. Harvester wheatsheaf.

277- Abrams D. and Hogg M. (1990b). social Identification Self Categorisation and Social influence. European Review of Social Psychology, I. 195-228.

278- Adams G. R. Gullotta T. P. and Mark Strom-Adams C. (1994). Adolescent life Experiences. 3rd edn Pacific Grove. G. A. Brooks/cole.

279- Anderson I. P. (1991). Acculturative Stress: a theory of Relevance to Black Americans Clinical Psychology Review 11.685-702.

280- Andrew, R. J. (ed) (1991). Neural and Behavioural plasticity: The use of Domesticchick as a Model Oxford: Oxford University Press.

281- Atchley R. G. (1991). Social Forces and Aging an Introduction to Social Gerontology. 6th edn. Belmont CA: Wadsworth.

282- Baddeley A. (1990). Human Memory have East Sussex: lawrence Erlbaum Associates Ltd.

283- Baron. Cohen S. (1997). The Child with autism First Lessons in Mind reading Psychology Review. 3(3). 30-31.

284- Beck A. and Emery G. (1985). Anxiety Disorders and Phobias: Acognitive Persepective, New York: Basic Books.

285- Berkowitz L. (1989). Frustration –aggression hypothesis examiunation and Reformulation. Psychological Bulletin. 106, 59-73.

286- Bernstein G. A. (1991). Comorbidity and Severity of Anxiety and depressive Disorders in a Clinic Population. Journal of the American Academy of Child Psychiatry 30-43-50.

287- Brehm, J. W. (1992). Atheory of Psychological Reatence New York: Academic Press.

288- Bretherton I. (1992). The Origins of Attachment Theory: John Bowlby and Mary Ainsworth. Developmental Psychology. 28- 759-75.

289- Bronn G. D. A. (1990) Cognitive Science and its Relation to Psychology. The Psychologist, August, 339-43.

290- Bruce V. and Green P. R. (1990). Visual Perception: Psychology and Ecology. 2nd edn. London: Erlbaun.

291- Bryant P. E. and Colman A. M. (eds) (1995). Developmental Psychology Harlow: Longman.

292- Bussey K. and Bandura A. (1992). Self regulatory Mechainsms governing Gender - Development Child Development 63/ 236-50.

293- Cattell R. B. (1995). The Fallacy of the Five Factors in the Personality Sphere the Psychologest, 8 (5) 207-8.

294- Cohen S. and Williamson G. M. (1991). Stress and Infections Disease in Humans Psychological Bulletin 109. 5-24.

295- Davison G. and Neale J. (1994). Abnormal Psychology: 6th edn. New York: Wiley.

296- Dollard J. Doob. L. W. Miuer, N. E. Mowrer O. H. and Sears, R. R. (1993). Frustration and Aggression New Haven. CI. Yale. University Press

297- Duck S. (1992). Human Relationships 2nd edn. London: Sayes.

298- Durkin, K. (1995). Developmental Social Psychology: from Infancy to old Age. Oxford: Blackwell.

299- Eysenck, H. J. and Eysenck, M. W. (1985). Personality and Individual Difference: A Natural Science approach: New York Plenum Press.

300- Egsenck M. W. (1994). Perspectives in Psychology. Have: Lawrence Erlbaum Associates.

301- Farthing G. W. (1992). The Psychology of Consciousness. Englewood Cliffs NJ: Prentice –Hall.

302- Fogel A. (1993). Developing Through Relationships Origins of communication. Self and Culture. New York: Harvester Wheatsheaf.

303- Glassman, W. E. (1995). Approaches to Psychology 2nd edn Bucknghass: Open University Press.

304- Goldberg L. R. (1993). The Structure of Phenotypic Personality Traits, American Psychologist 48 (2) 26-33.

305- Gottesman. I. (1991). Schizophrenia Genesis: The Origins of Madness. New York: Freeman.

306- Hampson S. E. (1988). The Consturction of Personality: An Introduction 2nd edn. London: Routledge.

307- Hare –Mustin. R. T. and Marack J. (1990). Making a Diffrence: Psychology and the Construction of Gender New Haven, Ct: Yale University Press.

308- Hayes N. (1993). Principles of Social Psychology Hous: Lawrence Evlbaum associates.

309- Higgins. E. T. (1987). Self Discrepancy: a Theory Relating Self and Affect Psychological Review 94, 319-40.

310- Kline P. (1981). Fact, and Fantacy in Freudian Theory 2nd edn. London: Methuen.

311- Kline P. C. (1984). Psychology and Freudian Theory: An. Introduction. London: Methuen.

312- Lewis M. (1990). Social Knowledge and Social Development Merrill Palmer Quarterly, 36-93-116.

313- Malin T. (1994). Cognative Processes, Basingstoke: Macmillan.

314- Mandler G. (1982). Mind and Emotion New York: Norton.

315- Marsh H. W. Craven R. G. and Debus R. (1991). Self Concepts of Young Children 5 to 8 years of age, Journal of Educational Psychology 83. 377-92.

316- Mitchell P. and Lacohee, H. (1991). Children's early Understanding of Folse Belief. Cognition 39. 207-27.

317- Mitchell P. (1992). The Psychology of. Childhood. London. Falmorpress.

318- Tony Malin and Ann Birch (1999). Introductory Psychology. London: Macmilan Press.

319- Klin P. (1983). Personality Measurement and Theory. London. Hutchinson.



فهرس المحتويات

الموضوع | الصفحة

الفصل السادس عشر

الفصل السابع عشر

الفصل الثامن عشر

الفصل التاسع عشر

مراجع الكتاب

رقم الإيداع ٢٠٠٣/٧١٣٨
الترقيم الدولي
I.S.B.N
977-5682-86-X